جمهورية أفلاطون

نقلها إلى العربيـة عن الترجمات الانكليزية

الأستاذ الكبير الشيخ حنا خباز

﴿ الطبعة الثالثة ﴾

عُنيت بنشر هذا الكتاب الخالد

المطبعة العصرية

لصاحبها : ادوار الياس الياس

٦ شارع الخليج الناصرى بالفجالة

تليفون ٥٩٧٥٦

صندوق بريد ٩٥٤

Elias' Modern Press, Cairo

P.O. Box 954 - Cairo, (Egypt.)

(Printed in Egypt)



نقلها إلى العربيـة عن الترجمات الانكليزية

الأستاذ الكبير الشيخ حنا خباز

﴿ الطبعة الثالثة ﴾

عُنيت بنشر هذا الكتاب الخالد

المطبعة العصرية

لصاحبها : ادوار الياس الياس

٦ شارع الخليج الناصرى بالفجالة

تليفون ٥٩٧٥٦

صندوق بريد ٩٥٤

Elias' Modern Press, Cairo

P. O. Box 954 - Cairo, (Egypt.)

(Printed in Egypt)

قال العالم الأميركي العظيم

رَلف ولدو امرسن

الذي خدم العلم والدين بقلمه ولسانه وقدوته

احرقوا كل الكتب، ففي هذا الكتاب

«جمهورية افلاطون»

غنى عنها كلها

﴿ الفردوس الأرضي ﴾

تحليل لجمهورية أفلاطون

بقلم الأستاذ فؤاد صرّوف
رئيس تحرير المقتطف والمختار سابقاً

رأيان

عن افلاطون تصدر كل المسائل التي ما زال المفكرون والكتّاب إلى يومنا هذا يكتبونها ويتناقشون فيها . . . ان كتبهُ هي توراة المتعلمين منذ اثنين وعشرين قرناً . . . . فسانت اغسطين ، وكوبرنيكس ، ونيوتن ، وبهمن ، وسويدنبرغ ، وغوته هم كذلك مدينون له . هو الرائد وهم التابعون ، لأنهُ من الانصاف أن ننسب الى هذا « المعلم العظيم » كل التفاصيل التي تستخرج من فلسفته . . . افلاطون هو الفلسفة ، والفلسفة هي افلاطون . انهُ لمن مجد البشر ومن هونهم أن لا يستطيع سكسوني ولا روماني زيادة فكر واحد على مقرّراته . لم يكن له زوجة ولا أولاد ، ولكن المفكرين في كل العالم المتمدن هم وارثوهُ المتسمون بسيماء عقله . . . . لقد طبعت كتب أفلاطون كلَّ مدرسة من مدارس التعليم ، وكل محبّ من محبي الفكر ، وكل كنيسة وكلّ شاعر . : . وأكثر ما يثير إعجابي « العصرية » الواضحة في روحه وأسلوبه . ان فيه جرثومة اوربا التي نعرفها ، بتاريخها — تاريخ أسلحتها وفنونها . انك تستطيع أن تتبيّن كلّ لذاتها ومميزاتها في عقل افلاطون — ولا تستطيع أن تتبينها في أحد قبلهُ ، لقد تفرّعت هذه العناصر ونزلت في مئات من مجلدات التاريخ لكنَّ عنصراً واحداً جديداً لم يضفْ اليها . ان هذه « العصرية » المتجددة هي مقياس العظمة في كل فن ، لأنها تدل على ان صاحبها لم يغترّ بشيء محلّي ، زائل ، بل عُني بالصفات الحقيقية الخالدة . . . ما أكثر العصور التي كرّت وهو لا يزال جالساً على عرشه لا يقاربهُ أحد !

عن امرسن
في خطبته التي موضوعها « افلاطون الفيلسوف »

افلاطون

من يداخله أقل ريبة فى أثر افلاطون ؟ انظر إلى الأكاديمية التى أنشأها . أول الجامعات فى التاريخ ، وأطولها عمراً . انظر الى الاهتمام العام والتجديد المتكرر الذى كان من نصيب فلسفته . انظر الى المقام الذى أحرزه فى ثقافة القرون الوسطى وما لفكره من الأثر فى المباحث اللاهوتية الحديثة . وأذكر ان مائة الف تلميذ أو أكثر فى كل انحاء العالم المتمدن مكبون إلى اليوم على « جمهوريته » و محاوراته » . انها لمن أثمن الآثار التى يقتنيها البشر . ففيها اتخذت الفلسفة أولاً شكلاً معيناً . ولما أفاض عليها افلاطون من عواطف شبابه الزاخرة المتنوعة بلغ بها قمة الإبداع العليا . والجمهورية ! فيها تجد مباحث ما وراء الطبيعة ، والآداب ، وفلسفة النفس ، واللاهوت ، والسياسة ، والفن . فيها تجد المبادىء التى تنشدها طالبات التحرر من النساء . وفيها تقع على القواعد التى يدعو اليها علماء الحياة لتحديد النسل . فيها تعالج مبادىء الاشتراكية (بل والشيوعية) واليوجنية والارستقراطية والدمقراطية والتحليل النفسى والمذهب القائل بأن الحياة مظهر من مظاهر التفاعل الكيماوي . فلا عجب أن يقول امرسن فى هذا الكتاب « احرقوا كل الكتب ففي هذا الكتاب غنى عنها ».

ول دورانت — في المجلة الاميركية
مؤلف قصة « الفلسفة » و « قصور الفلسفة »

سقراط

لا يذكر افلاطون إلاّ ويذكر سقراط . فأفلاطون تلميذ سقراط ، وعلى لسانه أجرى المحاورات التى ترفعه إلى أعلى طبقة بين الفلاسفة والشعراء . ولا بدّ من فهم سقراط لأجل فهم افلاطون بوجه عام ، ولفهم الجمهورية بوجه خاص . لذلك نبدأ تحليل الجمهورية بمحاولة تحليل الرجل الذى جرت على لسانه

اذا صحّ لنا أن نحكم على سقراط من تمثاله النصفى الذى عثر عليه فى ركام بيت قديم قلنا ان وجهه لم تبدُ عليه ملامح الجمال الذى يتصف به الفلاسفة فى أكثر الأحيان . رأس أصلع ، ووجهٌ كبير مستدير ، وعيون عميقة المستقر محملقة البصر ، وأنف كبير عريض — يؤيد ما قيل — من أن هذا التمثال يمثل رأس حمّال لا رأس أشهر الفلاسفة

ولكن إذا أعدنا النظر إلى هذا التمثال الصامت شهدنا فى ملامح صاحبه من آثار السذاجة واللطف والعطف ، صفات جعلت هذا المفكر الهادىء معلماً لنخبة شبان اثينا . اننا لا نكاد نعرف عنه شيئاً ، ولكننا نعرف عنه أكثر مما نعرفه عن تلميذه افلاطون

وتلميذ تلميذه ارسطوطاليس . اننا نستطيع أن ننظر إليه الآن ، فوق جسر من الزمن يعبر ثلاثة وعشرين قرناً ، فنرى سقراط بجسمه الخالي من الرشاقة والجمال متشحاً رثّ الثياب ، يمشي في تؤدة ووقار ، لا تثيره عواصف السياسة ولا تقلقه ، ثم لا يلبث أن يجتمع حوله نفر من الشباب والمتعلمين فيسير بهم إلى زوايا ظليلة من زوايا رواق في أحد الهياكل ، وهناك يقف في وجههم ويقول لهم في بساطة ودعة وحزم : « حددوا الألفاظ التي تستعملونها »

كان في هذا الجمهور من التلاميذ — شبان أغنياء كأفلاطون والسيبياديز الذين كانوا يسرّهم تحليله الهادم للدمقراطية الأثينية . وكان بينهم اشترا كيون كأنتيثينيس الذين كانوا يعجبون بفقره الوديع حتى يدينوا به . وكان بينهم فوضويّ أو فوضويان مثل ارستبّس الذي كان يرنو إلى عالم لا أسياد فيه ولا عبيد . كل المسائل التي تثير المجتمع الانساني اليوم كانت تثير تلك الطائفة الصغيرة من المفكرين ، الذين كانوا يرون مع معلمهم أن الحياة من غير بحث ليست حياة خليقة بالانسان . كل مدرسة من مدارس الفكر كان لها ممثل هناك ، بل عند التدقيق ترى أنها هناك نشأت

كيف كان يعيش ؟ لا نعلم . أنه لم يشتغل مطلقاً ، ولا كان يهتم بالغد . كان يأكل حين يدعوه تلاميذه ليشرّف موائدهم . ولكنه لم ينل ترحيباً مثل ترحيبهم به حين كان يؤوب إلى بيته ، لأنه كان يهمل زوجته زانتيب ، فكانت تقول فيه أنه رجل لا يفيد شيئاً . وأنه جلب لأسرته شهرة أكثر مما جلب لها خبزاً . ولكنها كانت تحبه ولم تطق أن تراه يرتشف كأس الردى مع أنه كان قد أوفى على السبعين

ولماذا أجلّه تلاميذه وأكرموه ؟ لعلّ السرّ في ذلك أنه كان رجلاً (بكل معاني الرجولة) وفيلسوفاً في آنٍ واحد . فمن المأثور عنه أنه غامر بحياته ليخلص السيبياديز في احدى المعارك . وكان يستطيع أن يشرب (خمراً) شرب رجل سريّ لا يتعدى فيه حدود الاعتدال . ولكن مما لا ريب فيه أن أحبّ صفاته إليهم كانت صفة الوداعة في حكمته . فانه لم يدّعِ يوماً أنه قبض على زمام الحكمة ، ولكنه كان يفاخر بأنه يسعى إلى الحصول عليها سعيَ من يحبّها . فقد كان من هواة الحكمة لا من محترفيها — إذا صح اطلاق هذا التعبير المستحدث . ويقال ان الآلهة في هيكل دلفي قالت فيه « أنه احكم اليونان قاطبة » فحمل ذلك على محمل موافقتها له في تجاهله (لا ادريّته) والتجاهل في رأيه لابدّ أن يكون مرتبة الفلسفة الأولى . فقد كان يقول — إني أعلم شيئاً واحداً وهو اني لا أعلم شيئاً . والفلسفة تنشأ حين يداخل الانسان الريب — الريب خصوصاً في المعتقدات والأحكام ، والأوليات التي ورثها . كيف صارت هذه المعتقدات بمثابة حقائق ؟ ألم تنشأ في أول نشأتها عن رغبة خاصة ، فاسبغت عليها الرغبة فيها ثوباً من الفكر فصارت معتقداً

محترماً لا يقبل النقض ؟ ان الباحث لا يصل إلى صميم الفلسفة الاّ حين يتّجهُ عقلهُ إلى درس نفسهِ — أو حين يقول مع سقراط — اعرف نفسك ! !

أثره الفلسفي

كان قد سبقهُ جمهور من الفلاسفة أمثال طاليس وهيراقليطس — بارمنيدس وزينو الايليائي — فيثاغوراس واميدوقليس — ولكنهم كانوا في الغالب فلاسفة الطبيعة وظواهرها. كانت مباحثهم في صميمها تدور على طبيعة الأشياء — النواميس والمقاييس التي تجري بموجبها الأشياء والعناصر التي تتألف منها. وهذا عمل جليل — في رأي سقراط. ولكن هناك موضوعاً أجلُ خطراً في نظر الفلاسفة، يسمو على كل هذه الأشجار والحجارة — حتى وعلى هذه الكواكب — هناك عقل الانسان. ما الانسان، وما مصيرهُ ؟

وهكذا مضى سقراط يبحث في نفس الانسان، هاتكاً السُتُر عن المسلّمات، متسائلا عن صحتها. وكان إذا اجتمع جمع من تلاميذهِ ودار حديثهم على العدالة تراهُ يسألهم في هدوء — ماهي العدالة ؟ ماذا تعنون بهذه الألفاظ المجردة التي تحكمون بها حكماً فاصلاً في مسائل الحياة والموت ؟ ماذا تعنون بألفاظ « الشرف » و « الفضيلة » و « الأدب » و « الوطنية » ؟ ماذا تعنون حين يقول واحدكم « انا » ؟ وعلى هذا النمط ترى ان سقراط كان يعالج هذه المسائل الأدبية السيكولوجية. وبعض الذين كانوا يفضّحون بطريقتهِ السقراطية التي توجب التحديد المدقق، والتفكير الصافي، والتحليل الجليّ، كانوا يعترضون عليهِ ويقولون انهُ يسأل أكثر مما يجيب، وانهُ بعد توجيه أسئلته كان يترك عقول سامعيهِ أكثر اختلاطاً وتشويشاً مما كانت عليهِ قبلهُ. ومع ذلك تجد انهُ خلف في تاريخ الفلسفة حدين محدودين، الأول حدّ « الفضيلة ». والثاني حد « الدولة المثلى »

كانت هذه المسائل أهم ما تحوم حولهُ أفكار الشبيبة الأثينية في ذلك العصر. وكان فلاسفة السفسطائيين قد نزعوا من صدر الشبيبة ايمانهم بآلهة اولمبوس وإلاهاته، وبالنظام الأدبي الذي نال حرمتهُ من الخوف الذي كان يخالج الناس من الآلهة الكائنة في كل مكان. وعلى ذلك أطلق لهؤلاء الشبان العنان ليفعلوا ما يشاؤون، ما داموا لا يخرجون عن حدود القانون. هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت عوامل الضعف قد أخذت تنخر في الخلق الاثيني، مما جعل المدينة العظيمة مرتعاً لأبناء سبارطه الأشداء. أما الدولة، أو الحكومة، فكانت قد انحطت حتى أصبحت دمقراطية يسيّرها الرعاع، تسيّرهم الشهوات. وندوتها كانت قد صارت دار جدالٍ لا غير. فصار القواد ينتخبون أو يطردون أو يقتلون لأقل ريحٍ من الشهوة تعصف بعقول الجمهور. وصار الفلاحون السذج ينتخبون ليكونوا أعضاءً في المجلس الأعلى، لأن دورهم جاء حسب ترتيب أسمائهم الهجائي !

فالمسألتان الكبريان كانتا — كيف يستطاع وضع نظام أدبي جديد ، وكيف يستطاع خلاص الدولة ؟

سبب موته وخلوده

ان أجوبة سقراط عن هاتين المسألتين منحته موته وخلوده في آن واحد . فانه لو حاول أن يعيد النظام الديني القديم القائم على تعدد الآلهة ، ولو انه سار باتباعه الى الهياكل وأمرهم أن يذبحوا الذبائح لآلهة آبائهم ، لوجد شيوخ الأمة ملتفين حوله ، ينصرونه ويؤيدونه ويجعلونه في المقام الأعلى . ولكنه أدرك ان ذلك خطة خير منها الانتحار ، لأنها خطة ترجع بمتبعها القهقرى الى القبور

وقد كان راسخ الايمان بمعتقده الديني — القائم على الايمان بالله واحد — وكان يأمل أن لا يفنى في التراب متى شرب كأس الردى (أي كان يؤمن بالخلود) . ولكنه كان يعلم حق العلم انه لا يستطيع أن يبني نظاماً أدبياً على أساس معتقد واهٍ كهذا الأساس . فقال لنفسه ، إذا كنا نستطيع أن نبني نظاماً أدبياً غير مرتبط بالمعتقدات الدينية ، يخضع له الملحد والمؤمن على السواء من غير أن يمس عقيدتهما ، فعندئذ نكون قد فعلنا شيئاً لا يزول . تأتي المعتقدات الدينية وتذهب ، وهذا النظام باقٍ على الدهر يجعل أبناء كل دولة أعضاء حية في جسمها الحي

فاذا عُني «بالصلاح» « المعرفة » ، و « بالفضيلة » « الحكمة » ، وإذا استطعنا أن نعلم الناس حتى يدركوا ما هي مصالحهم الحقيقية ، وأن يكونوا بعيدي النظر يرون النتائج التي تنجم عن أعمالهم قبل وقوعها ، إذا هذبناهم حتى يضبطوا شهواتهم ويؤلفوا بينها — إذا استطعنا ذلك خلقنا من الفوضى نظاماً ومن الضوضاء إيقاعاً .

هذا هو الأساس الذي يجب أن يقوم عليه النظام الأدبي

للرجل الجاهل شهوات ورغبات تثيره كالشهوات التي تثير الرجل الكامل التهذيب . ولكن المهذب يعرف كيف يضبطها ويمتنع جهد الطاقة عن مجاراة الوحوش في ثورانها .

وفي دولة بني نظام إداراتها على أركان من المعرفة والحكمة — في دولة تعيد إلى الفرد من القوى الواسعة أكثر مما تسلبه من الحرية بتقييدها — تقضي مصلحة كل رجل أن يتصرف تصرفاً اجتماعياً رائده الحكمة والاخلاص . ولا يبقى إلاّ أن يكون الحكام بعيدي النظر حتى يستتب للدولة سلام ونظام ووئام

ولكن إذا كانت الحكومة فوضى ، تحكم من غير أن تمدَّ يدَ المساعد إلى رعيتها ، وتأمر من غير أن تتولى القيادة ، فكيف يستطيع الحكام أن يقنعوا الفرد ، في دولة من هذا القبيل ، بأن يطيع القوانين ويحصر مساعيه في دائرة « الخير الكامل » ؟ فلا عجب إذاً أن يشيح السيبياديز بوجهه عن دولة لا تطمئن إلى الرجال أصحاب المواهب ، وتحترم

العدد أكثر من احترامها المعرفة . ولا عجب أن تجد فوضى حيث لا تجد فكراً ، حيث يحكم الجمهور فى تعجل وجهل ثمَّ لا يلبث أن يندم حين لا ينفع النـــدم . أليست الخرافة القائلة ، بأن الكثرة تولد الحكمة ، خرافة فاسدة ؟ وعلى الضد من ذلك ألا نرى ان الرجال حين يجتمعون جماهير يصبحون أكثر جنوناً وأشد فساداً وأعظم عنفاً منهم وهم أفراد ؟ أليس من السخف أن يحكم النـاس خطباء يستثيرون شعورهم بخطب طنّانة كالأوعية النحاسية الجوفاء ، إذا ضربتَ عليها طنت وظلت تطنُّ حتى تمسَّها يدٌ ؟ حقّـاً ان ادارة الدولة مسألة لا يستطيع الرجال أن يبلغوا فى استعدادهم لها حدود المعرفة والحكمة . انها مسألة تتطلب التفكير الحرَّ فى أقوى العقول . فكيف نستطيع أن نخلص مجتمعاً ما أو أن نحكمهُ إلاَّ إذا كان حكاؤهُ زعماءهُ

موقف الدمقراطيين

تصوّر الشعور الذي سرى فى صدور الحزب الشعبي حين اطلعوا على مبادئ هذه الدعوة الارستقراطية ، فى زمن كانت الحرب تستدعي كمّ أفواهُ الناقدين والمعترضين ، وكانت الأقلية المتعلمة السريّة تعد المعدات للقيام بثورة على النظام السائد ، تصوّر ماشعر به أنيتس أحد زعماء الدمقراطيين حين رأى ابنه ، وقد صار تلميذاً لسقراط ، منقلباً على الآلهة وعلى أبيه ضاحكاً فى وجهه

وجاءت الثورة فخاضها رجال الفريقين عالمين انها معركة الحياة أو الموت . فلما فازت الدمقراطية تقرّر مصير سقراط . لقد كان الزعيم الفكري لحزب الثورة مهما يكن مسالماً فى أعماله وتصرفه . لقد كان منبع هذه الفلسفة الارستقراطية الممقوتة . هو أفسد الشبان السكارى بسحر الجدال والمناقشة . فالأفضل أن يموت . هكذا قال أنيتس وميليتُس

وباقى القصة أشهر من أن يعاد ، لأن افلاطون كتبهُ فى « ابولوجيته » نثراً يفوق الشعر رواءً وبلاغةً . ففيها يصف موت أول شهداء الفلسفة ، الذي أعلن حق الانسان فى حرية الفكر مؤيداً فائدتهُ للدولة ، رافضاً أن يطلب الرحمة من الجمهور الذى كان يحتقرهُ ، مع ان ذلك الجمهور كان يملك العفو عنهُ واطلاق سراحه . انهُ رأى فى موته ، وفي حكم القضاة عليه بالموت ، حين كان الجمهور الصاخب يطلب ذلك تأييداً لتعاليمه . فتقدم الى الموت بقلب ثابت وقدم راسخة . ويلٌ لمن يحاول أن يعلم الناس أسرع مما يستطيعون أن يتعلموا !

افلاطون



وُلد أفلاطون سنة ٤٢٧ قبل المسيح واختلف الرواة في مسقط رأسه ، فقيل مدينة أثينا وقيل جزيرة اجينا ، وهو من محتد كريم . أبوهُ من نسل قدروس الملك الأخير من ملوك أثينا ، وأمهُ من نسل صولون الحكيم . وكان اليونان يزعمون ان نسب قدروس وصولون يتصل بالآلهة . المعجبون منهم بأفلاطون لم يكتفوا بردّ نسبه إلى الآلهة من حيث أبواهُ ، بل زعموا انهُ ابن الإله ابلّون ،

ومن ثمّ لقّب بأفلاطون الالهي ، وكانوا يحتفلون بعيد ميلاده في آخر مايو ، وهو يوم الاحتفال بعيد الإله ابلون . قالوا ، وكانت النحل تأتيه وهو طفل وتطعمهُ عسلها . وكان اسمهُ ارسطوقليس ، على اسم جدّه ، ولكن معلمهُ الأول الذى كان يعلمهُ الألعاب الرياضية سماهُ أفلاطون ، لاتساع منكبيه . ولا يبعد أن يكون قد تجند للدفاع عن وطنه مثل معلمه سقراط . ويقال انهُ نظم الشعر فى حداثته

وانتقل إلى «مجارى» ، وهي مدينة يونانية فى صقلية ، بعد موت سقراط ، حيث كان اقليدس المجاريّ ، وكان مهتما بالفاسفة الايليائية من الوجه الذي طرقه زينون الحكيم واضع علم المنطق ، فسميت طريقتهُ بالطريقة الجدلية ، وهى الطريقة الغالبة فى الجمهورية . ولا يعلم كم اقام فى مجاري . ولكن اقامتهُ فيها أثرت فى أفكاره وآرائه . ثم سافر أسفاراً طويلة على ما قيل ، فزار القيروان ومصر وايطالية وصقلية . ويقال انهُ زار بابل وفارس وفلسطين ولقى المجوس والبابليين واليهود . ولكن ذلك غير مثبت . وقيل أيضًا انهُ بينما كان راجعًا من صقلية قبض عليه بأمر صاحبها ديونسيوس الأكبر طاغية سيراقوسة ، وبيع عبداً ، فافتداهُ رجل من القيروان فعاد إلى أثينا وجعل يلقى الدروس فى الاكادمية ، وهي حرجة للألعاب الرياضية الى الجهة الغربية من اثينا ، سميت بذلك نسبة إلى البطل اكادموس . وكان لأفلاطون بستان بجانبها ، فاجتمع إليه جمهور الطلبة فجعل يلقى الدروس عليهم ثم يكتبها محاورات

هذه سيرة أعظم الفلاسفة وهي كما ترى سيرة موجزة إذا اعتبرت حوادثها ، ولكن امرسن يقول فى خطبته التى تدور على افلاطون : سير أعاظم النوابغ أقصر السير ، فأبناء عمهم لا يستطيعون أن يقولوا لك شيئًا عنهم . انهم عاشوا فى كتاباتهم ، لذلك ترى معيشتهم فى البيت والشارع لا يعلق بها شأن ما

افلاطون وسقراط

كان اجتماع افلاطون بسقراط مرحلة انقلاب فى حياته . ذلك ان افلاطون كان قد نشأ فى مهد الرفاهة والرخاء — والبعض يقولون فى مهد الثروة أيضًا . كان شابًّا بهيّ الطلعة مفتول العضل ، دعي افلاطون لعرض منكبيه . وكان قد برع واشتهر جنديًّا ، وكان قد فاز مرتين فى الألعاب الكورنثية ، فلا ينتظر أن ينشأ الفلاسفة من طائفة من هذا القبيل . ولكن روح افلاطون الدقيقة الاحساس كانت قد وجدت جذلاً لا يحدّ فى طريقة سقراط الجدلية . ما كان أشدّ سرورهُ وهو يصغي الى « المعلم » يمزق المعتقدات التحكمية بمسائله الجارحة . فدخل افلاطون حومة هذه الرياضة كما خاض قبلاً ميدان الألعاب الرياضية . وبعناية سقراط أخذ ينتقل من الجدل والمناقشة الى التحليل الدقيق والمباحث المجدية . فصار مشغوفًا بالحكمة وبمعلمه . قال : أشكر الله اني ولدت يونانيًّا لا بربريًّا . حرًّا لا عبداً . رجلاً لا امرأة . ولكن علاوة على كل ذلك اشكرهُ لأني ولدتُ فى عهد سقراط»

استعداد افلاطون

كان فى التامعة والعشرين لمـّا مات معلمهُ ، وموتهُ المفجع ترك فى نفسه أثراً لا يمحى ، وملأ نفسهُ باحتقار الدمقراطيـة ، ومقت الرعاع على منوال ما ينتظر منـه وهو ابن اسرة ارستقراطية . وقادهُ تأملهُ الى وجوب القضاء على الدمقراطية واحلال حكم الأحكم والافضل محلّها — هذا هو ركن الجمهورية . وأضحى أكبر همه فى الحياة أن يبتدع طريقة يستطيع أن يكشف بها عن أحكم الناس وأفضلهم ، ثم يقنعهم أن يتقلدوا زمام الحكم

على ان محاولتهُ أن يخلّص سقراط جعلتهُ موضعاً لريب الدمقراطيين . فأشار عليـه اصحابهُ بأن اثينا ليست دار امان لهُ ، وان العناية الالهية قد تكون هيأت لهُ هذه الفرصة ليرى العالم ، فليغتنمها . وهكذا كان ، فانهُ أعدّ عدتهُ للرحيل وغادر اثينا سنة ٣٩٩ ق . م . اين ذهب ؟ لا نعلم . فالثقات مختلفون كما تقدم معنا . ولكن يظهر انهُ ذهب اولاً الى مصر فصدمه ما سمعه فيها من الكهان ان اليونان دولة لا تزال فى المهد ، لا تقاليد تنزل فيها من مركز الثقل وانها خالية من الثقافة . ولكن الصدمة تفتح العيون فجعل يتأمل . ثم ذهب من مصر الى صقلية فايطاليا وهناك اتصل مدة بالمدرسة التى أنشأها فيثاغورس . فتأثر عقـلهُ الحساس بصورة طائفة من الرجال لا شأن لهم إلا الإكباب على البحث والحكم ، ورغم تقلدهم مناصب الحكم كانوا يعيشون عيشة السذاجة الطبيعية . فكانت هذه الصورة المثال الذى بنى عليه نظام طبقة الحكام فى جمهوريته

وهكذا قضى اثنتى عشرة سنة يتلقى الحكمة من كل مصادرها ، جالساً فى كل هيكل ، متذوقاً كل معتقد . فبعضهم يقول انهُ ذهب الى اليهودية فاقتبس هناك تقاليد الأنبيـاء الذين كادوا يكونون اشتراكيين فى نزعتهم . وبعضهم يقول انهُ وصل الى ضفاف الكنج وتعلم أساليب التأمل الصوفى من الهنود . كلّ هذا لا نعلمهُ على حقيقته

عاد الى اثينا سنة ٣٧٨ ق . م . رجلاً فى الأربعين ، وقد أنضجتهُ الأيام والأسفار وهذّبهُ تعدّد الشعوب التى لقيها والمذاهب التى اتصل بها . كان قد فقد شيئاً من الحماسة التى اتصف بها فى شبابه . ولكنهُ اكتسب مكانها قدرة على النظر الى الأمور من كل وجهاتها نظراً متزناً ، وهو اساس الحكمة . فقد كان من جهة واسع المعرفة ومن جهة أخرى ذا نفس لا يملكها إلا رجل الفن العظيم . فى نفس هذا الرجل الفذّ اجتمع الفيلسوف والشاعر فى حيّز واحد . فابتدع لنفسه اسلوباً جديداً من اساليب الكلام — تتجلى فيه الحكمة والجمال — نعنى به اسلوب الحوار . ان الفلسفة لم ترتد ثوباً يفوق الثوب بهجة ورونقاً — لا قبل افلاطون ولا بعده . قال شلى ، ان افلاطون يعرض لك ذلك الائتلاف النادر بين المنطق الدقيق والحماسة الشعرية ذائبين فى فيض واحد من الاتزان الى سيل عرم من التأثرات الموسيقيـة . . . . . » فعنايـة افلاطون فى شبـابه بالدرامة لم تذهب عبثاً

الصعوبة فى فهمه

هنا كل الصعوبة فى فهم افلاطون . انه يمزج الشعر بالفلسفة بالعلم بالفن مزجاً يسكر . وانك اذا تأملت محاوراته لم تعرف بلسان أي المتحاورين يتكلم افلاطون ، وهل هو يتكلم استعارة ، أو يعنى ما يقوله بحرفه . وهل هو يجدُّ أو هو يهذر . إن محبتهُ للتهكم والهزل وللخرافة تحيّر اللب . حتى لنستطيع أن نقول انه لم يتكلم إلا بالأمثال

ويقال انهُ كتب هذه المحاورات لقراء عصره . فان الأخذ والردّ فيهما واعادة بعض البراهين لتحكيمها فى نفوس المستمعين كان يقصد بها كلها جمهور القراء والمستمعين فى ذلك العصر ، لذلك نرى ان كثيراً منها لا نستطيع ان ندركهُ لبعد الشأو بين حياتنا وحياتهم واساليب معيشتنا وتفكيرنا واساليب معيشتهم وتفكيرهم . فلا يحزننّ القارىء اذا لقى فى الجمهورية كثيراً مما لا يستطيع إلى ادراكه سبيلاً لما كسى به من الاستعارات التى لا تدركها عقولنا فى هذا العصر

وليذكر كذلك ان فى افلاطون صفات كثيرة كالصفات التى كان يحمل عليها فى محاوراته انهُ يحمل على الشعراء وخرافاتهم ثم يضيف اسمهُ الى مئات من اسمائهم وخرافاته الى الوف من خرافاتهم . انهُ يتذمر من الكهان ولكنهُ هو كاهن ولاهوتى وواعظ . يحمل على الفن حملات صادقة ويرمى بكل الأساطير الى النار ، ولكنهُ يعمد الى بعض الأساطير لتأييد اقواله ، بل يعمد الى بعضها فيجعلهُ اساساً لنظام التعليم فى دولته . انهُ يعترف على منوال شكسبير ان المشابهات تحمل على الزلق ولكنهُ لا يخرج من مشابهة حتى يدخل فى أخرى . انهُ يحتقر السفسطائيين لتلاعبهم بالكلام فى سبيل اثبات ما يريدون اثباتهُ ، ولكنه لا يترفع عن أن يفعل فعلهم كالمبتدىء بعلم المنطق . ان اميل فاجيه الفرنسى يقلدهُ ليسخر منـهُ فيقول على منواله : « الكل اكثر من الجزء — لا بدّ — والجزء اقل من الكل — نعم — لذلك يتضح ان الفلاسفة يجب ان يحكموا الدولة — ماذا تقول ؟ انهُ أمر واضح — فلنعد الكرة عليه . »

مقام الجمهورية

على ان هذه النقائص هى اكبر ما يرمى به . وبعدما نقول كل ما يمكن أن يقال فيه من هذا القبيل تبقى محاوراتهُ كنزاً من أثمن كنوز العالم . وأهمها الجمهورية ، وهى رسالة كاملة بذاتها فيها تجد فلسفته فيما وراء الطبيعة — لاهوته — نظامهُ الادبى — فلسفته النفسية — فلسفتهُ التعليمية — فلسفتهُ السياسة — ومذهبه فى الفن . فيها نعثر على المسائل التى نحسبها الآن من مبتكرات عصرنا — الشيوعية — الاشتراكية — تحرير النساء — تحديد النسل — اليوجينية — والمسائل التى اثارها نيتشه فيما يتعلق بالآداب والارستقراطية ، والعود الى الطبيعة على ما قال به روسو ، والتعليم الحر — الدافع الحيوى الذى ذهب اليه برغسن — والتحليل النفسى الذى ابتدعهُ فرويد — كل شىء تجده فى الجمهورية — انها مأدبة المختارين يقدمها مضيف كريم

افلاطون هو الفلسفة والفلسفة هى افلاطون — هكذا قال امرسن : ثم قال : احرقوا المكاتب فكلها فى هذا الكتاب .

تحليـــل الجمهورية

١ — تقسيمها

الجمهورية عشرة كتب ، تقسم بطبيعتها الى خمسة اقسام (١) القسم الأول يشتمل على الكتاب الأول وهو مقدمة للبحث ؛ فيـــه يثير سقراط المسألة الآتية : ما هي العدالة ؟ (٢) والقسم الثاني يشتمل على الكتاب الثاني والثالث والرابع وهي تحتوي على اركان الدولة المثلى وخصوصاً تعليم طبقة الحكام فيقوده ذلك إلى تحديد المقصود بالعدالة : في الدولة أولاً ثم في الفرد (٣) والقسم الثالث يشتمـــل على الكتاب الخامس والسادس والسابع وهي في رأي بعض النقاد والثقاة استطراد وتوسع في موضوع الكتاب الأساسي . وهذا القسم يشتمل على بحث في الشيوعية خاصة بطبقة الحكام وعلى وجوب تقليـــد زمام الأحكام للفلاسفة وعلى نظام لتعليم الملوك الفلاسفة تعليماً عالياً . وتعليم الفلاسفة يستغرق كتابين السادس والسابع وهما في عرف المؤرخين استطراد من الكتاب الرابع (٤) القسم الرابع يشتمل على الكتابين الثامن والتاسع وفيهما يقف البحث عن انحطاط الحكومة المثلى (والفرد الامثل) والصور التي تتخذها في انحطاطها هذا فيرى انها تتخذ اربعـــة اشكال تنتهي بالاستبداد وهو صورة التعدي التام تقابله العدالة الكاملة في الدولة المثلى (٥) والقسم الخامس يشتمل على الكتاب العاشر فتعرض امام المقررات التي سبق وأدى اليها البحث في الفصول السابقة ويختم ببحث في خلود النفس وجزاء الفضيلة ووصف ليوم الدينونة

٢ — غرضها وفكرتها العـامة

نشأت الجمهورية عن مناقشة في حقيقة العدالة فذكر بعض المتناقشين جحوداً للعـــدالة لم يلقَ سقراط صعوبة ما في تفنيـــدها . ولـكن اثنين من اتباع سقراط ذهبا الى ان الانسان لا يميل بفطرته الى العدالة أكثر من ميله الى التعدي وانهُ لا يطلب العدالة لذاتها ولـكنهُ يطلبها لأنهُ يدرك النتائج التي تحلّ بالمجتمع اذا اطلق كلٌّ عنانهُ في اعمال التعدي . فكأنهما شبَّها المجتمع البشري — كما شبههُ شوبنهوْر — بجماعة من القنافذ اقتربت بعضها من بعض طلباً للدفء فـكان لا بدَّ أن تخز اشواك القنفـذ الواحد جسم جاره . ولـكن اذا جعلتَ لكل شوكة غمداً من اللبّاد أمكنها أن تقترب بعضها من بعض من غير ان يخز احدها الآخر . فغمد اللبّاد هذا هو بمثابة القوانين التي نظن أن العدالة مستقرة فيها وانما هي استنبطت لتمنع الاحتكاك الذي يحدثهُ اجتماع الناس وانطلاقهم في اكفاء رغباتهم وشهواتهم من غير ما رادع أو وازع

الأدلة التى يدليان بها قوية وطويلة . تنتهى الى السؤال التالى : هل تستطيع يا سقراط أن نبين لنا ان العدالة بطبيعتها أسمى من التعدى . وان الأدب أصلح من فساد الأدب . إذا كان ذلك فى طاقتك فبرهن عليه يا سقراط اذا أردت . هكذا قال غلوكون وأديمنتس

هذا هو الفصل الأول . أما باقى الجمهورية فهو ردّ سقراط على هذا التحدّى الموجّه اليه . ولكى يحدّد معنى العدالة ويثبت انها أفضل من التعدى قال ان أقوم الطرق للوقوف على حقيقتها هو البحث عنها حيث تبدو مظاهرها كبيرة واضحة للعيان — أى فى المبادىء التى تجرى بموجبها المجتمعات البشرية ـ أى فى الدولة . ولا بدّ انها تكون على أوضح ما تكون فى الدولة المثلى

فما هى الدولة المثلى ؟ هى الدولة التى تنتظم أمورها باعتبار ما هو « خـير » اعتباراً معقولاً . هكذا يقول سقراط

والدولة المثلى فى نظره يجب أن تكون ارستقراطية تحكمها طبقة من الحكام يتعلمون تعليماً عاليًا وافيًا ثم يختارون لمنصبهم بفضل مقدرتهم على ادراك المبادىء التى تقوم عليها الدولة وجدارتهم فى تطبيقها وحفظها . وهؤلاء يعيشون عيشة شيوعية لكي لا تغريهم المطامع بالحياد عن الصراط المستقيم . ويلى طبقة الحكام طبقة الجيش للدفاع عن الدولة : وطبقة الصناع والعمال لاستغلال مواردها . فدولة افلاطون قائمة على مبدإ الاختصاص . وهذا معارض كل المعارضة للدمقراطية — بمعناها الاصطلاحى — حيث يحسب كلّ انسان بارعًا فى كل عمل وحيث يدعى رجل الشارع أنه يستطيع أن يدرك إدارة الشؤون على اختلافها ويصدر فيها حكماً يجب احترامهُ

ويقابل تقسيم الدولة الى طبقات ثلاث تقسيم نفس الانسان الى مناطق ثلاث . فنفس الانسان لها ثلاثة أقسام بحسب رأى افلاطون فى جمهوريته : القسم العقلى — والقسم الحماسى أو الغضبىّ — والقسم الشهوىّ . فالحكمة فضيلة الأول . والشجاعة فضيلة الثانى والاعتدال فضيلة الثالث . ويقابل كل قسم من أقسام النفس صنف خاص من الرجال . فحاكم الدولة وهو رجل فيلسوف يمثل الرجل العاقل ويقابل فى نفس الانسان القسم العقلى . والجندى يمثل الرجل الحماسى وهو يقابل القسم الحماسى فى نفس الانسان . والصانع يمثل الرجل الشهوى الذى تتنازعه الرغبات المختلفة وهو يقابل القسم الشهوى فى نفس الانسان

وكما ان العدالة فى الدولة تقوم بقيام كل فرد بالعمل الخاص بطبيعته — فالحاكم يحكم والجندى يحمي الذمار والعامل يستغل موارد الأرض — هكذا العدالة فى النفس تقوم بقيام كل قسم منها بعمله الخاص به — فالعقل يضبط الشهوات حاكماً فى المدى الذى يطاقهُ للرغبات . و « العواطف » تساعد العقل فى عمله بتجنيد « العواطف الشريفة » لتأييده ، كالغضب من الحطة والخجل من الكذب . فالعدالة الاجتماعية هى مظهر خارجى لهذه العدالة الداخلية ، عدالة النفس

ولما سئل كيف يستطيع أن يحقق هذا الحلم الجميل أجاب « ملّكوا الفلاسفة » والفيلسوف فى رأيه هو الرجل الذى يعرف الحقيقة . والحقيقة فى نظره هى « صورة الخير » التى منها تستمد الأشياء الصالحة صلاحها

٣ — المشكلات التى تثيرها

المسائل التى يثيرها افلاطون فى الجمهورية على لسان سقراط هي هى المسائل التى ما زال أبناء العصر يثيرونها فى كل مجتمع وكل ناد . والحلول التى يقترحها لهذه المسائل لم تفقد جدتها على قدم العهد بها . لأنها متسمة بميسم ذلك العقل الجبار ومطبوعة بطابع تلك النفس التى تحررت من قيود الزمان والمكان، كما قال أمرسن ، فضمنت الخلود . فما هي هذه المسائل ؟

﴿ أولاً : المسأله الأدبية ﴾ الحديث يجرى فى بيت سيفالس الارستقراطى الثرىّ . بين المجتمعين ترى غلوكون واديمنتس أخوي أفلاطون وثراسياخس وهو سفسطائى متعنت يثور لأقل بارقة

« ماذا تحسب يا سيفالس أعظم بركة جنيتها من ثروتك » هذا هو سؤال سقراط — بل هو سؤال أفلاطون على لسان سقراط

فيجيبهُ سيفالس انهُ يحسب الثروه بركة عليه لأنها تمكنهُ من أن يكون كريمًا وأمينًا وعادلاً . فيسألهُ سقراط على طريقته فى توجيه الاسئلة ، ماذا تريد » بالعدالة » . حدّدها . فتثور حرب الجدال وتنطلق شياطينها . لأن أصعب ما فى العلم والفلسفة هو وضع تحديد . ولا شيء أشق على الذهن من التفكير تفكيراً صافيًا خالصًا من الشوائب . على ان سقراط لم يلقَ صعوبة ما فى تفنيد الحدود المقترحة حتى يدخل المعمعة ثراسياخس وكأنه جنديها الكمى فيتكلم كما يزأر الأسد قائلاً : —

« أى كلام فارغ يشغلكما يا سقراط وبوليمارخس . ولماذا تخدعان الناس بتأنقكما المتبادل . فاذا كنت حقيقة تريد تحديد العدالة فلا تقتصر على توجيه الأسئلة ، وتتسلى بافساد الأجوبة الواردة عليها . لأنك عالم أن توجيه الأسئلة أسهل من اجابتها فأجب أنت وقل ما تدعوه عدالة (٣٣٦)

على ان هذا الزئير لا يخيف سقراط . فيمضى فى طريقه فى تؤدة ولطف يوجّه الأسئلة أكثر مما يجيب عنها ، وبعد جدال قصير يحمل ثراسياخص على اقتراح حدّ للعدالة . فيقول : « فاسمع إذاً ، تعليمى هو أن العدالة انما هى فائدة الأقوى » ...... فمعناه يا سيدى انهُ فى كل بلد منفعة الحكومة هي العدالة . . . فنتيجة البحث الحق هى ان منفعة الأقوى هي العدالة فى كل مكان . . . . فيؤوب العادل صفر اليدين ويطمع الظالم بالكل . . . . ولأنه عادل تمنعهُ عدالتهُ من أن يمدَّ يدهُ إلى أموال الدولة . ثم انهُ يصير

مكروهاً من خدمه وصحبه كلما أبى أن يؤثر مصالحهم على العدالة . . . وحين ينبــذ الناس المنكرات فلا يكرهونها لذاتها بل مخافة تبعتها ٣٣٨ ـــ ٣٤٤

ان هذا المذهب مرتبط فى عصرنا باسم نيتشه حيث يقول فى مكان من كتابه « هكذا تكلم زرادوسترا » : حقاً اني ضحكت مرارا على الضعفاء الذين يحسبون أنفسهم صالحين لأن ليس لهم براثن . وباسم مكيافلى حيث يقول : الفضيلة هي الذكاء مع القوة . واذا أفرغنا المسألة فى قالب عصرى قلنا « ان قبضة قوة أعظم من قنطار حق » . وقد أشار أفلاطون إلى هذا الموضوع فى مكان آخر من محاوراته (جورجياس) فحمل بلسان الصوفى كليكيس قائلاً : « انهُ أدب استنبطهُ الضعفاء ليُعدّلوا به قوة الأقوياء »

فهل نطلب القوة أو نطلب الحق ؟ وهل خير لنا أن نكون صالحين أو أن نكون أقوياء ؟ كيف يجيب سقراط — أو بالحرى أفلاطون — انهُ فى البدء لا يجيب . بل يمضى فى توجيه الأسئلة يبين بها أن العدالة انما هي علاقة بين الأفراد لذا يجب أن ندرسها حيث ترى مظاهرها واضحة مكتوبة بالخط العريض — أى انهُ يقترح أن يدرسها فى المجتمع . فتحليلها حينئذ يكون أقرب منالاً ، ولكن يجب أن لا نخطىء فأفلاطون يجمع فى الجمهورية بين كتابين — لأنهُ ينتقل من مسألة أدب النفس ، كما هي مرتبطة بحياة الفرد ، مرتبطة بحياة المجتمع . وهذا الاستطراد وهبنا « الجمهورية » على انها صورة العدالة المثلى

﴿ ثانياً : المسألة السياسية ﴾ تكون العدالة مستطاعة إذا عاش الناس على فطرتهم . ولو ان فوضوياً أراد أن يفسّر كلام أفلاطون لقال انهُ يقصد بذلك الشيوعية . ولكن لأفلاطون شيوعية خاصة سيأتى ذكرها . اصغ اليه يصف هذه المعيشة الفطرية وصف شاعر

« انهم يجنون ذرة وخمراً ويصنعون ثياباً وأحذية ويشيدون لأنفسهم بيوتاً ويمكنهم العمل صيفاً أكثر الوقت بدون أحذية ولا أردية . أما فى الشتاء فيجهزون بما يلزمهم منها . ويقتاتون بالقمح والشعير ويصنعون خبزاً وكعكاً وينشرون الخبز الجيد والكعك اللذيذ على حصر محبوكة من القش . أو على أوراق الأشجار النظيفة . ويجلسون على أسرة مصنوعة من أغصان السرو والآس . ويتمتعون بصفاء العيش مع أولادهم ، راشفين الخمور ، مكللين بالغار ، مسبحين الآلهة — معاشرين بعضهم بعضاً بسلام . ولا يلدون أكثر مما يستطيعون أن يعولوا خوفاً من الفاقة والحرب (٣٧٢)

لاحظ أيها القارىء الكريم اشارتهُ الى تحديد النسل وإلى مذهب الاكتفاء بأكل الخضروات والى الرجوع الى الطبيعة . ولكنهُ لا يقبل أن تقودهُ تصوراتهُ الشعرية الى الحيدة عن نهج التدقيق الذى انتهجهُ فيسأل نفسهُ « ولماذا يستحيل علينا تحقيق هذا الفردوس على الأرض ! » ثم يجيب : هو الطمع من جهة والترف من جهة أخرى ! فالناس لا يكتفون أن يعيشوا المعيشة الفطرية الساذجة . فانهم لا يلبثون حتى يتشوقوا

الى غيرها فيطلبوا ما ليس فى حيازتهم . ويندر أن يطلبوا شيئاً إلاً اذا كان فى حيازة آخرين . فينتج عن ذلك التعدي على أرض الجار وممتلكاته والزحام بين الأفراد والجماعات على الأرض وتناجها فيفضى ذلك إلى الحرب

وتنشأ التجارة وترتقى فتقضى إلى تقسيم جديد بين الناس . « فكل مدينة » قال أفلاطون « هى فى الواقع مدينتان — مدينة الأغنياء ومدينة الفقراء وكل منهما فى حرب مع الأخرى وفى كلّ من هذه الطبقات طبقات أخرى صغيرة — انك لتخطىء خطأ كبيراً إذا نظرت اليها على انهما دولة واحدة » : (٤٢٣) وتنشأ طبقة التجار العامة التى يحاول أفرادها الوصول الى المراتب الاجتماعية السامية عن طريق المال — « وينفقون مبالغ طائلة من المال على نسائهم » (٥٤٨)

وهذا التغير فى توزيع الثروة يصحبه أو يعقبه انقلاب فى الأحوال السياسية . فاذا امتدت أصابع التاجر الغنى الى الارض أخذت الارستقراطية تندحر أمام الاوليغاركية فيحكم الدولة التجار وأصحاب البنوك فتهبط السياسية — وهى تعاون القوى الاجتماعية وتطبيق الخطط لنمو البلدان — إلى درك أسفل وتحلّ محلها الألاعيب السياسية . وفى مقدمتها فائدة الحزب وشهوة المناصب

وهكذا يميل كل شكل من أشكال الحكومة الى الانحطاط والاندثار إذا تمادى فى المبدإ الأساسى الذى يقوم عليه . فالارستقراطية تتلاشى إذا حدّدت الدائرة والطبقة الارستقراطية التى يحق لها أن تتولى الأحكام تحديداً ضيقاً

والاوليغاركية تميل إلى التهدم متى قوي الميل إلى جمع المال جمعًا عاجلاً من غير أى اعتبار آخر . وفى كلا الحالين يفضى التصدع إلى الثورة . ومتى جاءت الثورة ظهر ان الباعث عليها سبب طفيف أو شهوة زائلة . ولكنها فى الواقع تكون نتيجة لعوامل خطيرة تعمل مدى دهر طويل كالجسم اذا أضعفته العلل انزل به أقلّ تعرض للمرض أفتك الأدواء (٥٥٦)

ثم تجيء الدمقراطية فيفوز الفقراء على خصومهم ، يذبحون بعضهم وينفون البعض الآخر ويمنحون الناس أقساطاً متساوية من الحرية والسلطان (٢٥٧)

ولكن الدمقراطية قد تتصدع وتندثر بكثرة دمقراطيتها . فان مبدأها الاساسى تساوى كل الناس فى حق المنصب وتعيين الخطة السياسية العامة . هذه لمحة خلاّبة من نظام يستهوي العقول والنفوس ولكن الواقع أن الناس ليسوا أكفاء معرفة وتهذيباً ليتساووا فى اختيار الحكام وتعيين أفضل الخطط . وهذا منشا الخطر (٥٨٨) ان حكم الرعاع بحر مصطخب اذا امتطته سفينة السياسة تقاذفتها كل ريح تهب فينشأ من الدمقراطية الاستبداد . لأن الجمهور يحب المديح والاطراء فاذا جاءه زعيم يطرئه ليحقق مقاصده

الخاصة داعياً نفسه حامى حمى الشعب ولاه الشعب السلطة العليا فيستبد به (٥٦٥)

وكلما فكر أفلاطون فى الأمر تراه وقد تولاه العجب من هذا الجنون الذى يسمى دمقراطية — أى أن تعهد إلى شهوات الجمهور وأهوائه فى اختيار الموظفين السياسيين. وحجته فى ذلك: إذا كنا فى المسائل الصغيرة كصنع الأحذية مثلاً لا نعهد فى صنع أحذيتنا إلا إلى اسكاف ماهر فكيف نحسب كل من يفوز بأصوات كثيرة قادراً على ادارة أحكام المدينة. فاذا مرضنا — يقول — ندعو طبيباً بارعاً فى طبه ولا نبحث عن أجمل طبيب أو أفصح طبيب. وإذا كانت الدولة معتلة يجب أن نبحث عن أصلح الناس وأحكمهم لمناصب الحكم. فغرض الفلسفة السياسية هو استنباط طريقة تمكنا من ذلك

﴿المسألة السيكولوجية﴾ ولكن وراء مشاكل السياسة طبيعة الانسان. ولكى نفهم السياسة يجب أن نفهم الفلسفة النفسية. «الرجل كالدولة» (٥٧٥). و «الحكومات تختلف كما تختلف أخلاق الناس... والدول مكونة من الطبائع البشرية»... (٥٤٤) فالدولة تكون ما تكون لأن أبناءها هم ما هم. فلا نطمع فى ترقية الدولة إلا بترقية أفرادها (٤٢٥)

فلنفحص قليلاً هذه المادة البشرية التى تتكون منها الدول. أن تصرف الانسان ينشأ عن ثلاثة مصادر: العقل، الشهوة، العاطفة

إنك تجد هذه القوى فى كل النفوس ولكن على درجات متفاوتة. ففى بعض الرجال ترى الشهوات مجسمة — لا يستقرون على حال من القلق فى طلب المال والرفاهة والظهور والنزاع. فلا يحققون غرضاً حتى تقوم فى نفوسهم أغراض. هؤلاء هم الرجال الذين يسيطرون على الصناعة. وفى طائفة أخرى ترى الشعور مجسماً والشجاعة ظاهرة. هؤلاء لا يهتمون بالباعث لهم على خوض غمار حرب وغرضهم منها وانما يهتمون أولاً بالنصر. وعظمتهم تتجلى فى أبهة السلطان تساق اليهم لا فى الممتلكات واحراز الثروة. وأعظم جذلهم فى ميدان الحرب لا فى سوق المال. من هؤلاء تتألف جيوش البر والبحر. ثم هنالك طائفة هى أقلية صغرى تهتم بالتأمل والفهم، تدع جانباً السوق والميدان، لتنسى الدنيا وما فيها فى ملكوت الفكر. إرادة هؤلاء نور لا نار. وغرضهم الحقيقة لا السلطان. هؤلاء هم رجال الحكمة الذين لا تفسدهم الدنيا

ولما كان عمل الانسان الفرد على أتمه إذا كانت تمليه الشهوة تذكيها العاطفة ويقوذها العقل ويكبح جماحها فهو كذلك فى الدولة المثلى: رجال الصناعة ينتجون ولا يحكمون. ورجال الحرب يحمون حمى الدولة من غير أن تلقى اليهم مقاليد الحكم. ورجال المعرفة والعلم والفلسفة يُقاتون ويكسون ويحمون ليحكموا. لأن الناس إذا لم يهدهم العلم كانوا جمهوراً من الرعاع من غير نظام — كالشهوات وقد أطلق لها العنان. فالناس فى حاجة إلى هدى الفلسفة والحكمة. كما تحتاج الشهوات إلى إنارة العقل. إن الدمار يحل بالدولة

حين يحاول التاجر ، الذى نشأت نفسهُ فى الثروة أن يصبح حاكماً (٤٣٤) أو حين يستعمل القائد جيشهُ لفرض دكتاتورية حربية . المنتج على أصلحه فى ميدان الاقتصاد والجندى على أصلحه فى ميدان الحرب . وكلاهما يكونان على أفسدهما فى المنصب العام ، وفي أيديهم غير المثقفة تغرق ألاعيبُ السياسية بحكمتها . لأن السياسة علم وفن والرجل السياسى يجب أن يقف نفسهُ عليها ويستعدّ لها والملك الفيلسوف هو الرجل الوحيد الجدير بقيادة أمة

وما لم يصبح الفلاسفة ملوكاً ويصبح الملوك والامراء حائزين لروح الفلسفة وقوتها ، وما لم تجتمع الحكمة والزعامة السياسية فى رجل واحد ، لا تستطيع الدول أن تشفى من أدوائها . . . ولا الجنس البشرى (٤٧٣)

هذا هو ركن الدولة المثلى فى جمهورية أفلاطون . وهذا هو مفتاح فلسفته

٤ – الحلول التى تقترحها

﴿ الحل السيكولوجى – نظام التهذيب ﴾ فما هو السبيل إلى تحقيق هذا الغرض الأسمى ؟ نشرع بالاستيلاء على كل الأطفال الذين دون العاشرة (٥٤٠) إذ ليس فى الطاقة إنشاء الفردوس الأرضى ما زال الصغار يفسدون كلّ ساعة باقتفاء آثار كبارهم . يجب أن نفسح أمام كل طفل ميدان المساواة فى الحصول على التهذيب لأننا لا نستطيع أن نقرر فى أي سنٍّ يلمع مصباح العبقرية فى نفوسهم وعقولهم . فعلينا أن نبحث عنهُ فى كل طبقة من الطبقات وكل عمر من الأعمار والخطوة الأولى على طريقتنا هى « التعليم العام »

ثم قسّم مراحل التعليم . فجعلهُ تعليماً بدنيًّا محضاً فى السنوات العشر الأولى وقضى أن يكون فى كل مدرسة دار وميدان للألعاب الرياضية على اختلافها (الجمناز) وهكذا نخزن فى أجسامهم صحة تجعل الطبّ فنًّا يستغنى عنهُ . اننا لا نستطيع أن نكوّن جمهوريتنا من أفراد معتلى الأبدان . ففردوسنا الأرضى يجب أن يبدأ فى جسم الانسان

ولكنّ التمرين الرياضىّ ينمى الانسان فى جهة واحدة « فما هو السبيل إلى الحصول على طبيعة لطيفة تدغمها شجاعة عظيمة – لانهُ يظهر أن الاثنين لا يجتمعان » (٣٧٥) . لعلّ الموسيقى تحلّ هذا المشكل المعقد . فبالموسيقى تتعلم النفس الايقاع والاتساق وينشأ فيها ميل إلى العدل لأنهُ « أيستطيع من كان ذا نفس متسقة أن يكون متعدياً » . ان الموسيقى تهذب الأخلاق ولذلك تجد لها أثراً كبيراً فى تعيين الأحوال الاجتماعية والسياسية . ثم يتناول أفلاطون أثر الموسيقى فى الصحة على منوال مذهب القائلين « الشفاء بالاستهواء » وينتقل إلى تعليل الأحلام على منوال فلسفة فرويد – أى أن مصدرها هو رغبات النفس

المكبوتة . ففى كلٍّ منا حتى فى الرجال الصالحين تكمن طبيعة الوحش البرّى وتظهر فى أثناء النوم (٥٧٢)

فالموسيقى والايقاع يحبوان النفس والجسد صحة واتساقاً . ولكن التمادى فى الموسيقى كالتمادى فى الألعاب الرياضية يفسد النفس . لأن هذا يجعل الرياضى كالوحش وذاك (أى الموسيقىّ) يُلينهُ ويضعفه (٤١٠) فيجب الجمع بين الاثنين ولذلك متى تجاوز الفتى السادسة عشرة يجب أن يقلع عن إنفاق وقته فى تعلم الموسيقى

وهو لا يقصد بالموسيقى الأنغام فقط بل عرض الموضوعات التى لا يفهمها الفتى فى قالب يستهوى كالقالب الشعرى مثلاً . وحتى هذه « القوالب » يجب أن لا يرغم على حفظها لأن أفلاطون يرى ما يراه ديوى وغيره من فلاسفة هذا العصر فى طرق التعليم . انهُ يقول : « فيجب تلقين تلاميذنا . . . . . مع الاعتناء بتلقينهم العلم بطريقة غير إجبارية . . . لأنهُ لا يجوز أن يمزج تهذيب الحرّ بشىء من ملابسات الاستعباد . إن إرغام الجسد على الأعمال الجسدية لا يحدث تأثيراً فى الجسد . أما فى أمر العقل فلا يتأصل علم فى الذاكرة إذا أتاها بطريق الإرغام فيجب إعطاء الدروس للأحداث بأسلوب الألعاب والتسلية . . . (٥٣٦٠)

هذه العقول الناشئة المتفتحة عن أزهار الفكر تفتحاً حرّاً ، وهذه الأجسام القوية المتسقة فى جمالها وقوتها ، هى أساس الدولة النفسى والفسيولوجى . ولكن يجب أن نضيف إلى هذين الأساسين أساساً أدبيًّا لأن أعضاء المجتمع يجب أن يعيشوا عيشة وئام . على أن نفس الانسان تتنازعها الشهوات والرغبات : فكيف تقنع أصحابها بأن لا يطلقوا العنان لشهواتهم . بنبابيت يتقلدها المحافظون على الأمن العام ؟ انها طريقة وحشية تثير النزاع وتستدعى نفقات طائلة . فماذا تفعل — يقول أفلاطون : يجب أن نمدّ القوانين الأدبية بسلطة من وراء الطبيعة : — أى يجب أن يكون لنا دين

وهو يعتقد كل الاعتقاد أن الأمة لا تكون أمة قوية إلاّ إذا كانت تؤمن بإلهٍ — ليكن قوة كونية ، أو سبباً أوليًّا ، أو اندفاعاً حيويًّا ، ولكنهُ إذا لم يكن مجسماً فى شخص فلا يستطيع أن يثير فى صدور الناس رجاء أو عطفاً أو تضحية . انهُ لا يستطيع أن يعزى القلوب الجريحة ولا أن يشجع النفوس الحائرة . وهكذا ترى أفلاطون يسير بأدلتهِ على منوال أدلة بسكال ، مع أنه سبقهُ بنحو ألفى سنة

بعد هذا يقدّم أحداثنا للامتحان ، فى الامور النظرية والعمومية . ويجعل الامتحان على طريقة تمكن كل ذى موهبة من إظهار موهبتهِ ، وكل ذى ضعف ضعفهُ ، على وضح النهار . فالذين يسقطون فى هذا الامتحان الأول يعين لهم عمل الدوله الصناعى — الكتاب وعمال المصانع والفلاحون . والذين يجتازون هذا الامتحان الأول يقضون عشر سنوات أخرى فى التعليم والتمرن . ثم يتقدمون لامتحان آخر أصعب من الأول أضعافاً مضاعفة

فالذين يسقطون فيه يعينون لمناصب مساعدى الحكام (التنفيذ) وضباط الجيش

وهنا — هنا يتعرض العمل لأعظم المخاطر . إذ كيف تقنع هؤلاء بوجوب قبول مصيرهم والاخلاد إلى السكينة . ماذا يمنعهم من أن يجتمعوا مع العمال فيؤلفون دولة مصدر سلطتها الأكبر كثرة العدد ؟ هنا نعمد إلى الدين فنقنع هؤلاء الشبان أن تقسيم الدولة إلى هذه الأقسام منزل لا يتغير — وتقص عليهم خرافة المعادن :

« كلكم إخوان فى الوطنية . ولكن الإله الذى جبلكم وضع فى طينة بعضكم ذهباً يمكنهم من أن يكونوا حكاماً . فهؤلاء هم الأكثر احتراماً . ووضع فى جبلة المساعدين فضة . وفى العتيدين أن يكونوا زراعاً وعمالاً وضع نحاساً وحديداً . ولما كنتم متسلسلين بعضكم من بعض فالأولاد يمثلون والديهم . على أنه قد يلد الذهب فضة . والفضة ذهباً . . . . فاذا ولد الحاكم ولداً ممزوجاً معدنه بنحاس أو حديد فلا يشتق والدوه عليه بل يولونه المقام الذى يتفق مع جبلته . فيقصونه إلى ما هو دونهم من الطبقات : فيكون زارعاً أو عاملاً . وإذا ولد العمال أولاداً ، ثبت بعد الحك أن فيهم ذهباً أو فضة ، وجب رفعهم إلى منصة الحكم . . . . » (٤١٥)

بقى لدينا عدد ضئيل من الناس اجتاز أفراده الامتحان الأول والثانى . هؤلاء نعلمهم الفلسفة . والفلسفة تقوم على عمادين . الأول التفكير الصافى الصحيح — وهو علم ماوراء الطبيعة . والثانى الحكمة فى الحكم — وهو السياسة . ولتحقيق الغرضين يجب أن يتعلما مذهب أفلاطون فى الصور والحقائق وهذا المذهب الذي يفيض عليه أفلاطون أنواراً من شعره وحكمته . كالتيه لابن هذا العصر يدخل فيه ولا يعرف أن يخرج منه . ولا بد أنه كان كوراً يمتحن فيه الطامحون إلى مناصب الأحكام

وبعد ما يقضون خمس سنوات يدرسون هذه الفلسفة ، يتعلمون كيف يميزون الحقائق وراء الصور وبعد ما يقضون خمس سنوات أخرى يتعلمون تطبيق هذا المذهب على شؤون الناس ، أى بعد أن يقضوا خمساً وثلاثين سنة يستعدون هذا الاستعداد العظيم نقول ولا شك أنهم صاروا جديرين بأن يكونوا الملوك الفلاسفة الذين نطمع بهم

ولكن أفلاطون لا يكتفي بذلك . ان تعليمهم فى نظره لم يكمل بعد . لأن تعليمهم كانت تغلب عليه حتى الآن الصيغة النظرية . فلينزلوا من قمم الفلسفة إلى ظلمات الكهف — إلى عالم الناس والأشياء ، فان النظريات والمذاهب العامة لا تجدى نفعاً إذا لم تمتحن فى عالم « الواقع » فيجب أن يخوضوا معمعة الحياة يتنافسون مع التجار والصناع ، ويصطدمون برجال الحيلة والدهاء — وفى ميدان هذا النزاع يتعلمون من كتاب الحياة المفتوح أمامهم . قد يؤذي الكفاح أصابعهم ، وقد تجرح حقائق الحياة بعض مذاهبهم الفلسفية ، ولكن لا بد أن يتعلموا أن يكسبوا خبزهم بعرق جبينهم . هنا يقضون خمس عشرة سنة ، هى المحك

الأخير فيفشل بعضهم ويفوز البعض الآخر . فالفائزون يكونون قد بلغوا الخمسين — وقد هذّبهم السنّ والاختبار وخفض من كبريائهم النظرية خوضُ معمعة الحياة فيخرجون وقد تحلّوا بالحكمة الناشئة عن التقاليد والخبرة والتهذيب والتأمل والنزاع فى ميدان الحياة — هؤلاء هم غايتنا المنشودة — حكام الدولة المثلى

﴿ الحل السياسى أو نظام الجمهورية ﴾ ومن غير أن نعمد إلى الخدعة السياسية التى يسمونها « انتخاب » يصبح هؤلاء الرجال حكام الدولة . فكل ابن من أبنائها انفسح أمامه الميدان ليبلغ القمة العليا . فالذين خاضوا المعمعان وخرجوا منهُ سالمين يحقُّ لهم أن يتقلدوا زمام السلطان من غير أن يكون لاخوانهم فى طبقات الشعب الأخرى رأي فى ذلك

فهل هذه هى الارستقراطية ؟ ولماذا نخاف التلفُّظ بهذه اللفظة ، إذا كانت الحقيقة التى تنم عليها صالحة ومفيدة ؟ اننا نريد أن يحكمنا أفضل الأفاضل . وهذا هو معنى الارستقراطية . على انها فى عرف العصر الحاضر وراثية وهذا ما نخافه فيها . فليعلم القارىء ان ارستقراطية أفلاطون ليست كذلك . حتى ليصح أن ندعوها ارستقراطيــة دمقراطية . لأن الشعب فى جمهوريته لا يختــار — كما يحدث فى بعض البلدان الآن — أهون الشرّين من رجلين مرشحين للرآسة مثلاً — بل يكون كل منهم مرشحاً والزمن هو الذى يختار . فالانتخاب هو انتخاب التهذيب . ومن يجرى فى نظام أفلاطون التهذيبى إلى غايته من غير أن يسقط فى الطريق يصبح بحكم الطبع حاكماً وفيلسوفاً فى آن واحد . إنك لست تجد فى هــذا النظام طبقة تمتاز على طبقة من هذا القبيل ، فلا المنصب ولا الثروة ولا الامتيازات تغنى فى هذا الميدان . وصاحب الموهبة لا يطمس موهبتَهُ الفقرُ . ولا ضعف النفوذ . فابن الحاكم يبدأ حيث يبدأ ابن الجندى وابن التاجر وابن الفلاح وابن الاسكاف . ومجال التقدم مفتوح امام الموهبة التى هي أسمى المواهب كائناً صاحبها من كان . هذه هي ديموقراطيــة المدارس . ديموقراطيــة التعليم والتهذيب . وهى ألف ضعفٍ أفعل وأحكم من دمقراطية صناديق الانتخاب

يصرف هؤلاء الحكام نظرهم عن كل عمل إلاّ عمل الحكم ، ويقفون نفوسهم على محافظة حرية الدولة فتكون هذه صناعتهم ويصدون عن كل صناعة أخرى لا علاقة لها بها . فيكونون الشارعين والمنفذين والقضاة فى آنٍ واحد . حتى القوانين المسنونة لا تربطهم بحكم من الأحكام إذا رأوا أن تغيُّر الأحوال يقضى بتغيير القوانين . وركن حكمهم هو « المعرفة المرنة » ، ورغم تقدمهم فى السن يفوزون بهذه الصفة لأنهم من محبي الفلسفة وبالفلسفة يعنى أفلاطون الثقافة الفعالة — الحكمة تدعمهــا معرفة مقتضيات الحياة العمليّة — ولا يقصــد بالفيلسوف من يقتصر على درس ما وراء الطبيعــة فى عزلة عن سمع الجمهور وبصره ، وما يتنازع حيــاة هذا الجمهور من بواعث ورغبات وانفعالات

[اشتراكية الملك] ولكن ألا يحمل هؤلاء الحكام تيار القوة والسلطان على

السطو على أملاك غيرهم حين تحدثهم النفس بتوفير الثروة وتوسيع الملك ؟ ان أفلاطون احترز من الوقوع فى هذا فجعل الحياة اشتراكية فى طبقة الحكام . واليك ما يقول :

« ١ : أن لا يمتلك أحدهم عقاراً خاصاً ما دام ذلك فى الامكان

« ٢ : ولا يكون لأحدهم مخزن . . . . . ويجب أن يتقاضوا من الاهلين دفعات قانونية أجرة خدمتهم ، بحيث لا يحتاجون فى آخر العام ولا يستفضلون . ولتكن لهم موائد مشتركة كما فى ثكنات الجنود . وأن يخبروا أن الآلهة ذخرت فى نفوسهم ذهبًا وفضة سماويين فلا حاجة بهم إلى الركاز الترابى . . . . ان نقود العامة فيها دخل كثير وهى مجلبة لكثير من الشرور ولكن ذهب الحكام السموى عديم الفساد . فهم وحدهم من بين كل رجال المدينة مستثنون من مسّ الفضة والذهب . فلا يدخلونهما تحت سقفهم ولا يحملونهما ولا ولا يشربون بكؤوس صيغت منهما . وبذلك يصونون أنفسهم ودولتهم . ولكنهم إذا امتلكوا أراضى وبيوتًا ومالاً وملكاً خاصًا صاروا مالكين وزراعًا عوض كونهم حكامًا فيصبحون سادة مكروهين لا حلفاء محبوبين . . . يُكاد لهم ويكيدون . فيقضون الجانب الأكبر من حياتهم فى هذا العراك . . . . »

[شيوعية النساء] ولكن ماذا تفعل نساؤهم ؟ هل يكتفين بالصدّ عن أسباب الرفاهية والترف ؟ فيجيبك أفلاطون « لا يكون للحكام نساء » . فاشتراكيتهم — أو شيوعيتهم — يجب أن تتناول النساء أيضًا . لأنهُ يجب أن يتجرروا من حب الذات ومن حب الأسرة . ويجب أن لا تنحصر مطالبهم فى تحصيل الرزق كما يفعل رب البيت . ويجب أن يقفوا حياتهم على المجتمع لا على المرأة « يجب أن تكون النساء بلا استثناء أزواجًا مشاعًا لأولئك الحكام ، فلا يخص أحدهم نفسهُ باحداهنّ . وكذلك أولادهم يكونون مشاعًا فلا يعرف والد ولدهُ ولا ولد والده . . . . وحال ولادة الأطفال يتسلمهم موظفون مختصون بهذا الغرض . فيحمل الموظفون أولاد الوالدين الممتازين إلى المراضع العامة » . . . وتعنى نساء كل الحكام بأولاد الحكام من غير فرق . وهكذا ينشأ الأولاد أخوة بالحق فيكون كل ولد أخًا لكل ولد آخر . وهذه الشيوعية خاصة بطبقة الحكام فقط

[مساواة النساء بالرجال] ولكن من أين نأتى بهؤلاء النساء ؟ لا شك أن بعض الحكام يخطبون ودّ بعض النساء من طبقات العمال ولكن غيرهنّ يصبحن من طبقة الحكام لأنهنّ يجتزن الامتحانات التى تقدم ذكرها مع الرجال ، إذاً لا يغرب عن بالنا أن ميدان التعليم فى جمهورية أفلاطون مفتوح للجميع — لأبناء الجنسين ولابناء كل الطبقات على السواء — على مصراعيه وحين يعترض غلوكون قائلاً ان قبول النساء فى المناصب العامة (بعد اجتيازهنّ الامتحانات) يناقض مبدأ توزيع الأعمال التى سبق لأفلاطون فبسطهُ ، يجيبهُ هذا أن تقسيم الأعمال يجب أن يبنى « على الميل الطبيعى والمقدرة الخاصة لا على

الجنس » . فاذا أبدت المرأة مقدرة فى الادارة السياسية فلتحكم وإذا أثبت الرجل أنه لا يستطيع أن يعمل عملاً أفضل من غسل الصحون فليمنع عن كل عمل إلاّ غسل الصحون!

على أن أفلاطون أحكم من أن يرضى بأن تكون المزاوجة عملاً لا رقابة عليه . لأنه يعرف من درس الحيوانات أن التأصيل له أكبر أثر فى إنتاج الصفات العالية التى يتوخاها أصحابها . لذلك يقول بتطبيق هذا المبدأ على الناس . وهذا هو مذهب اليوجينية لأن التعليم فى رأيه لا يكفى بل يجب أن يكون الفتى من أصل أصيل . وأن يكون من أرومة متينة العقل والجسم . فالتعليم يجب أن يبدأ قبل الولادة — أى بانتخاب الزوجين — ولذلك لا يسمح لرجل ولا امرأة أن يُعقبا إلا إذا كانا متمتعين بصحة جيدة . وكل امرأة يجب أن تبرز شهادة قبل زواجها . ما أقل الحكومات التى تحتم ذلك الآن ! والرجال لا يحق لهم أن يُعقبوا إلا إذا كانت أعمارهم تتراوح بين الثلاثين والخامسة والخمسين والنساء متى كنّ بين العشرين والاربعين . والمزاوجة قبل هذين الحدين وبعدهما فى الرجال وفى النساء يجب أن تكون من غير عقب . وإذا حملت المرأة فيجب أن تجهض أو أن لا يرى وليدها النور (٤٦١) كذلك يمنع الزواج بين الأقارب ويجب أن « نكثر من تزويج أفضل الرجال بأفضل النساء وأن نقلّ من تزويج أدنياء الرجال بمثيلاتهم من النساء (٤٦٠)

ويعهد فى الذبّ عن حياض الدولة إلى طبقة متوسطة بين العمال والحكام هى طبقة الجند . ولكن يجب أن نحترز من الأسباب التى تؤدى إلى الحرب وأهمها زيادة السكان (تحديد النسل) . وثانيها التجارة الخارجية والمنازعات التى تثيرها (كأن أفلاطون ابن القرن التاسع عشر أو ابن القرن العشرين)

وهكذا نرى أن بناء الدولة السياسى هرمىّ الشكل أعلاه طبقة قليلة من الرجال والنساء ، هى طبقة الحكام يحميها ويدافع عنها فريق الجند . والقاعدة هى طبقة العمال والصناع والتجار ، وأفرادها يحق لهم أن يمتلكوا امتلاكاً خاصًّا وأن يكون لهم أزواجٌ وأسرٌ . ولكن الحكام يضبطون سير الصناعة والتجارة حتى يمنعوا التمادى فى الثروة والتمادى فى الفاقة وقد يمنعون الربا كما أبان أفلاطون فى غير مكان من محاوراته

﴿ الحل الأدبى ﴾ أما وقد أتينا على تحليل الاستطراد السياسى فلنرجع إلى المسألة الأدبية التى بنى عليها الكتاب : ما هى العدالة ؟

يرى أفلاطون أن العدالة فى الدولة هى أن يلزم كل فرد العمل الذى يجيده وأن يتناول منها قدر ما يعطيها . فالرجل العادل فى الدولة هو الرجل الذى ينزل فى منصبه المعدّ له ، وفيه يبذل وسعه ليعطى الدولة قدر ما يأخذ منها . إن دولة كهذه هى بالحق جماعة متسقة اتساقاً موسيقيًّا لأن كل عنصر من عناصرها يجب أن يكون فى مكانه يقوم بعمله كما يقوم الموسيقى بعمله فى الجوق أما إذا خرج الناس كلٌّ من مكانه الخاص به ،

فأصبح الجندى حاكماً والعامل جندياً تصدعت أركان الدولة وتفككت عراها وفسد قوامها وانحلت وقضى عليها . فالعدالة هى التعاون الفعال

والعدالة فى الفرد هى التعاون الفعال — على المنوال المتقدم — بين العناصر المختلفة التى تتألف منها طبيعة الانسان — فكل إنسان عالم من الرغبات والشهوات والآراء والعواطف . فاذا إتسقت هذه الظاهرات النفسية وتعاونت ظهر صاحبها رجلاً حكيماً عادلاً . وإذا اختل التوازن بينها وسيطرت العاطفة على سائر القوى أو نزل منها العقل مجرداً منزل الملك المستبد تصدعت أركان الشخصية وسرى اليها الفساد . فالعدالة هى النظام والجمال فى النفس . انها للنفس بمقام الصحة للجسد .

وهكذا يرد أفلاطون رداً أبدياً على تراسيماخس ونيتشه وأتباعهما . العدالة ليست القوة مجردة . وانما هى القوة المتسقة . العدالة ليست حق الأقوى ولكنها تعاون كل الاجزاء تعاوناً فعالاً متسقاً على ما فيه خير الكل

* * *

الجمهورية — كما أثبت التاريخ — هى أولى المحاولات التى حاولها عقل بشرى ليخلق دولة مثلى ، توضع فى عالم الفكر والسياسة ، مع البارثنون فى عالم الفن . فالكتاب كله أبلغ مثل على معنى العدالة حسب مذهب أفلاطون — انه قطعة من الفن متسقة الأجزاء كأنها لحن موسيقي خرج من أيدى أربابه — فمن مقدمتها إلى آخر سطر فيها يتبع الرأى الرأى ويأخذ الدليل السابق بعنق الدليل اللاحق ، وذلك فى دقة وإتقان ومنطق وجمال . إنك لا تستطيع أن تحذف جزءاً منها من غير أن تفقدها جانباً من كامل روعتها . لأن أفلاطون يكاد يكون الوحيد بين الفلاسفة الذى جمع بين الفلسفة والفن وهذا هو سر عظمته الخالدة المتجددة على كر الأيام

القاهرة ٧ أغسطس ١٩٢٩

فؤاد صروف

مقدّمة المترجم

الدولة برجالها، والأمة بآحادها. على هذا المحور يدور القسم الأكبر من مباحث الجمهورية، والتاريخ كله أدلة قاطعة تثبت هذه النظرية. فقد أنشأ الاسكندر المكدونى الدولة اليونانية، وشارلمان بابين الدولة الفرنسية، وبطرس الكبير الدولة الروسية، وغاريبالدى ورفقاؤه الدولة الايطالية. وقس على ذلك مئات الشواهد فى كل العصور

تحيا الأمة أو تموت، وتعلو أو تسفل، وتسعد أو تشقى، بقياس ما فيها من الآحاد — النوابغ — وبقياس معاملتها أولئك الآحاد. فامّة، أو دولة، تقدر آحادها أقدارهم، وتطلق أيديهم فى إبراز ما أوتوا من علم أو فنٍّ أو ابداع، وتمهّد لهم الوسائل للفوز والفلاح، هى أمة، أو دولة، سعيدة خالدة. أما الدولة التى تغل أيدى نوابغها، وتقيم العقبات فى سبيلهم، فهى دولة متعسفة تاعسة

فتربية الرجال، ومكانتهم، ورعايتهم، وما لهم من النفوذ فى الدولة، يشغل القسم الخيالى فى جمهورية أفلاطون، وقد رمز بذلك إلى الرجل الفذ الأريحى، الحكيم الشجاع العفيف العادل، الذى يدعوهُ «المثَل الأعلى» وهو ركن الدولة المثلى. فاذا سرّح القارىء رائد طرفهُ فى الجمهورية، رأى أمامهُ جوًّا صافيًا، حافلاً بالمثُل، مزدانًا بغرر الأفكار، فتثور فى نفسهِ محبة الجمال، وتنطبع تلك النفس بطابع الجمال الذى رأت مثلهُ فى تفكيرأفلاطون، من نزاهة نفس، وسديد رأى، وثاقب نظر، وعالى همة، وترفُّع عن التقليد والزلفى، وعن مسايرة البيئة، وبالاجمال عن كل ما يغلّ الفكر من عادات وتقاليد وأوهام. ففي هذا الموقف يتجلّى للذهن جمال الحقيقة الخلاّب، فتصير ضالتهُ المنشودة، وإلاهتهُ المعبودة. هذا هو الرجل الذى يفتقر شرقنا اليهِ. وهو ما أرجو أن نكون هذه الجمهورية من وسائل خلقهِ وتنشئتهِ

فالنتيجة الصحيحة لهذه المقدّمة، فى منطق القارىء النبيه، هى أن تكون ترجمتى سهلة المأخذ، واضحة البيان، لتكون فى متناول العامة إذا أمكن، فتقود النفس بسهولة إلى رؤية الجمال. ذلك ما توخّيته فى الترجمة. وقد علّقتْ على صفحات الكتاب الهوامش، وبدأت كل فصل منهُ بتمهيد يشتمل على خلاصته، ووضعت فى الهوامش الأرقام التى تسهّل على المطالع المراجعة والاستشهاد. كل ذلك لتسهيل فهمه على مطالعيهِ

وقد كان بين يدىّ ثلاث ترجمات انكليزية. هى ترجمة تيلر، وترجمة سبنس، وترجمة داڤيس وفوغان، فكنت أقابل كل جملة فيها، من أول الكتاب إلى آخرهِ. وأقف على صورة التعبير فى كل منها، وقد بذلت وسعى فى اختيار أصحّها، لأنها تختلف فى كثير من

موافقها اختلافاً كبيراً : فكنت أوثر أقربها لروح أفلاطون ، معتمداً بالأكثر ترجمة داڤيس وفوغان ، لأنى علمت أنها معتمدة فى جامعة اكسفرد ، ولأن أكابر الكتاب والفلاسفة والعلماء يعتمدونها ، كدورانت ورسل والانسكلوبيديا

ولا يسعنى إلا التنبيه إلى ما ورد فى كتاب الجمهورية من الأشعار ، من نظم هوميروس وهسيودس ، وغرض أفلاطون فى ذلك نقدها وتفنيد ما تتضمنه من المبادىء الفاسدة ، والتعاليم المنكرة . فلا يضعنَّ القارىء قلبه عليها ، فإن مسألة شاعريتها وبلاغتها غير مرادة هنا

ولا يفوتنى اثبات شكرى الوافر لحضرة فؤاد افندى صرّوف رئيس تحرير المقتطف صاحب الفضل فى نشر هذا الكتاب ، وفى معاونته لى فى مراجعة مسوداته . وقد راجعت مع ابنى توفيق (ب . ع .) مدرس الترجمة فى كلية غوردون بالخرطوم — بالسودان — كل الكتاب والترجمات الثلاث بين أيدينا . فأصلح وعدَّل فى الترجمة شيئاً كثيراً . فاذا شام القارىء فى الترجمة شيئاً من الضبط والاتساق فالفضل بالأكثر لشريكيَّ المذكورين ، أما الاغلاط والخطيئات الواردة فيه فهى على مسؤوليتى وحدى

ورجائى إلى القارىء النبيه أن لا يسرع فى تقليب صفحات هذا الكتاب ، لأنهُ ليس كتاب تسلية ولهو . بل هو من تحف الأدهار ، وكما هو من نتاج أزكى العقول ، فهو عشيق أزكى العقول . وحسب مؤلّفه أفلاطون فخراً أنه قد مرَّ على تأليفه نحو ٢٣٠٠ سنة وهو يدرَّس اليوم فى أرقى جامعات الدنيا ، مع أن ملايين من المؤلَّفات التى صدرت من عهد أفلاطون إلى اليوم ، قد أصبحت نسياً منسيًّا ، وكأىّ من مؤلِّف ضربت العناكب على تأليفه ولم تفسد أكفانه ، وهذا كتاب الجمهورية يحسبونهُ كتاب الكتب فى عصر بلغ النقد فيه أسمى مبالغه فأرجو القارىء أن يتأنَّى فى قراءته وأن يعطيه حقه من الروية والامعان . لأنهُ خير كاشف عن باطن أكبر فيلسوف عاش فى كل الأجيال

أجل اننا لسنا نوافق أفلاطون فى كل نظرياته ، وقد نشرناها على مسؤوليته ، ولكننا معجبون ، وأكثر من معجبين ، بنظام تفكيره ، ورحابة صدره ، وضبطه فى الاحكام ، وفيض بلاغته وبيانه . ونشاركه فى غرض التأليف العام وهو « السعادة » وفى الوسيلة الخاصة المؤدية إلى ذلك الغرض وهى » الفضيلة » ونوافقه فى أن الفضيلة تراد لذاتها ونتائجها . وفى أن الفرد دولة مصغَّرة والدولة جسم كبير ، وأن ما يسعد الدولة يسعد الفرد ، وأن الرجل الكامل — المثل الأعلى — هو الذى تحكَّم عقله فى شهواته ، وانقادت حماسته إلى حكمته ، وعاش ومات فى خدمة المجموع ؟

حنا خباز

فهرست

الكتاب الأول

العدالة

خلاصته

لما انحدر سقراط وغلوكون (Glanco) إلى بيرايوس (Piraeum) لحضور حفلة العيد، الذى اقتبسوهُ حديثًا من التراكيين، التقى بيوليمارخس (Polemarchus) واديمنتس (Adimantus) ونيسيراس (Niceratus) وغيرهم من الأصحاب. فأقنعهما هؤلاء أن يصحبونهما إلى بيت سيفالس والد بوليمارخس. وتحادث سقراط وسيفالس فى محن الشيخوخة وآلامها. فأفضى بهما الحديث إلى هذه المسألة — ما هى العدالة — فانسحب سيفالس، تاركاً ميدان البحث لولده بوليمارخس

فبدأ بوليمارخس البحث بايراد حد العدالة المأثور عن سيمونيدس. وخلاصته: العدالة هي أن يردَّ للانسان ما هو له: فاعترضتهما مسألة أخرى وهي — ماذا عنى سيمونيدس بكلمة «لهُ» أو حقه — لأنه واضح انه أراد بها أكثر قليلاً من حق التملُّك. وعنده ان طبيعة الحق تتوقف على طبيعة العلاقة بين المتعاملين. وعليه جعل العدالة «نفع الأصحاب ومضرَّة الأعداء»

فسألهُ سقراط أن يحدِّد «الأصحاب». ولما أجابهُ بوليمارخس أن الأصحاب «هم الذين نعتقد فيهم الأمانة والصلاح» ردَّ عليه سقراط قائلاً: لما كنا معرَّضين للخطأ فى الحكم فى صفات الناس، فان ذلك، ولا شك، يجرُّنا، إما إلى مضرَّة الصالحين، وهو تعليم فاسد، وإما إلى أن العدالة هى مضرَّة الأصحاب، وهو ضد حدّ سيمونيدس على خط مستقيم

فللتخلُّص من هذا المشكل عدَّل بوليمارخس موقفه، وأفرغ نظرية سيمونيدس بهذا القالب: العدالة هى مساعدة الأصحاب الأمناء ومضرَّة الأعداء الأشرار

فبرهن سقراط فى رده على ان الإضرار بالانسان يجعله أكثر شرًّا وأقل عداله. فكيف يمكن أن يُضعف الانسان العادل بعدالتهِ، عدالة الآخرين؟. فحدُّ سيمونيدس، حسب التعديل الأخير، غيرُ صحيح

فتعرَّض ثراسيماخس للبحث، وبعد اللتيا والتى، حدَّد العدالة بأنها: منفعة الأقوى: وأسند تحديده إلى البرهان الآتى:

انتهاك حرمة الشريعة يُحسب تعديًا عند كل حُكومة

تسن الشرائع لصيانة مصلحة الحكومة
الحكومة أقوى من الرعيَّة
والنتيجة ان العدالة هي مصلحة الأقوى . أو « الحق للقوَّة »

فردَّ سقراط بأن الحكومة قد تخطىء في سنها شرائع مضرة بمصلحتها . والعدالة في رأي ثراسيماخس توجب على الرعية إطاعة الشريعة في كل حال . فاذاً : كثيراً ما تكون العدالة إضرار الرعية بمصلحة الحكومة . فتكون العدالة ضد مصلحة الأقوى . فلا يمكن قبول هذا الحد

فهربًا من هذه النتيجة تراجع ثراسيماخس من موقفه هذا وقال : ان الحاكم اصطلاحًا لا يغلط باعتبار حاكميته . فالحكومة كحكومة تسن دائمًا ما هو في مصلحتها ، وذلك ما توجب الشريعة على الرعية إطاعته . فأثبت سقراط في رده أن كل فن ، وبالجملة فن الحكم لا يتناول مصلحة أربابه أو الأعلى . بل مصلحة المحكوم أو الأدنى . فاقتضب ثراسيماخس الكلام محوّلاً الموضوع إلى أن الحكام يعاملون الشعب معاملة الراعي لقطيعه . فانه يرعاه ويسمنه لمصلحته هو ولذلك فالتعدي أفضل ، وأنفع كثيراً ، من العدالة

فأصلح سقراط هذا القول ، بأن الراعي لا يسمّن المواشي لمصلحته الخاصَّة ، وأخذ من قاعدة ثراسيماخس أن غرض الرعاية الخاصّ توخّي مصلحة الرعية . زد على ذلك : كيف نعلل قبض الحاكم راتبًا على عمله إن لم يكن ذلك العمل لخير الشعب وليس لخيره ؟ ؛ فكل فنيّ ، بأدق معاني الكلام ، يكافأ بفنه مكافأة غير مباشرة ، ولكنه يكافأ مباشرة بما أسماه سقراط « فن الأجور » . وهذا يصحب غيره من أنواع المكافأة ، ثم أعاد النظر في القول : التعدي الكلي أنفع من العدالة التامة ؛ فاستخرج من فم ثراسيماخس الاعتراف بـ « ان العدالة فطرة صالحة » و « التعدي سياسة حسنة » . وبالتالي سياسة حكيمة صالحة فعّالة ؛ فقاده سقراط بذلاقة لسانه إلى التسليم بما يأتي :

١ً : يحاول المتعدي خدعة العادل والظالم معًا . أما العادل فيقتصر على خدعة الظالم فقط

٢ً : كل حصيف في فنّ ، وهو صالح وحكيم ، لا يحاول غلبة الحصيف بل غلبة الغبيّ

٣ً : فلا يحاول الصالحون سبق أمثالهم ، بل سبق الأغيار ، فينتج من ذلك ان العادل حكيم وصالح ، والمتعدي شرير وجاهل . وحينذاك تقدّم سقراط لتبيان أن التعدي يلد النزاع والانقسام ، أما العدالة فتؤدي إلى الاتساق والوئام . وأن التعدي يقضي على كل ميل إلى الاتحاد في العمل ، في الأفراد وفي الجماعات . لذلك كان التعدي عنصر ضعف لا قوّة

وأخيراً أوضح سقراط أن النفس كالعين والأذن وغيرهما من الحواسّ ، لها عمل أو وظيفة تتمها ، ولها أيضًا فضيلة بها تتمكن من ذلك الاتمام . وتلك الفضيلة في النفس هي العدالة . فلا تستطيع النفس إتمام عملها إتمامًا حسنًا دون سلامة فضيلتها . لذلك لا يمكن أن

يكون التعدي أنفع من العدالة . مع ذلك صرَّح سقراط أن هذه الحجج غير قاطعة لأنه لم يتوصل بعد إلى اكتشاف طبيعة العدالة الحقيقيَّة

متن الكتاب

المتكلمون : سقراط ، وسيفالس ، وبوليمارخس ، وغلوكون [1] ، واديمنتس ، وثراسيماخس

الرواية بلسان سقراط . المكان بيت سيفالس فى بيرايوس

قال سقراط : — انحدرت البارحة إلى بيرايوس ، صحبة غلوكون ، بن اريسطون ، لتقديم العبادة للإلاهة . مع الرغبة فى مشاهدة حفلات العيد ، وكيفية إقامتها ، وقد اعتزموا على ممارستها للمرة الأولى[2] . فسرَّنى موكب مواطنىَّ الاثينيين ؛ على ان موكب التراكيين لم يكن دونهُ بهاء . وبعد الانتهاء من مراسم العبادة ، وإشباع عاطفة حب الاستطلاع ، قفلنا راجعين إلى أثينا . فرآنا بوليمارخس ، بن سيفالس ، عن كثب ، ونحن راجعون . فأرسل غلامهُ يستوقفنا ، ريثما يصل هو . فأمسك الغلام بأطراف ردائى من وراء قائلاً : سيدى بوليمارخس يرجوكما انتظاره قليلاً . فالتفتُّ وسألتهُ : أين هو ؟ . قال ها هو قادم ، فانتظِراه . قال غلوكون : إنَّا منتظران . وللحال وصل بوليمارخس ، واديمنتس أخو غلوكون ، ونيسيراتس بن نيسياس ، وآخرون غيرهم ، كانوا راجعين من الحفلة . فبدأ بوليمارخس الكلام

بوليمارخس : — يا سقراط ، إذا لم أخطىء الظن فأنتما عائدان إلى المدينة

سقراط : — لم تخطىء الظن

بوليمارخس : — أفلا تريان وفرة عددنا !

سقراط : — دون شك اننَّا نراها

ب[3] : — فعليكما إمَّا أن تبرهنا على أنكما أقوى منا ، فتسيران ، أو مكانكما

س : — بل ان هنالك رأياً آخر . وهو أن نقنعكم انهُ يجب أن تأذنوا لنا بالذهاب

ب : — أوَ يمكنكما إقناعنا إذا نحن أبينا الاصغاء ؟ غلوكون : — كلا

ب : — فكونا على يقين إننا لن نسمع لكما

اديمنتس : — أو لا تعلمان انهُ سيكون الليلة طراد بالمشاعل إكراماً للالاهة ؟

---

(١) غلوكون واديمنتس أخوا أفلاطون اولاهما خالد الشهرة يذكرهما في مقالاته. ذكر ذلك فلوطرخس

(٢) اكراماً لبنديس إلاهة التراكيين والارجح انها ارطاميس (٣) سنكتفي في الحديث التالي بحرفي ب و س اشارة الى بوليمارخس وسقراط ونجري على ذلك مع سائر المتكلمين

س : — أعلى متون الخيل ؟ انه شيء جديد . أفعازمون هم على تبادل المشاعل بالأيدي والخيول مغيرة بهم ؟ أو ماذا تعني ؟

ب : — انه كما تقول . عدا ذلك سيكون عندنا الليلة احتفال يستحق التفرج فسنقوم عقب العشاء ، ونشهد الحفلة . فنجتمع بكثيرين من الشبان ، نطارحهم الحديث . فالمرجو أن لا ترفضوا التماسنا غلوكون : — يظهر أن بقاءنا لازم

س : — فلنبق إذا شئت

صورة الحياة اليونانية قبل ٢٣٠٠ سنة

فسرنا إلى بيت بوليمارخس . حيث لقينا أخويه ليسياس وانيثيديموس ، وثراسيماخس ، وشارمنتيدس البيوني ، وكليتيفون بن اريستونيموس . وكان سيفالس والد بوليمارخس أيضاً في البيت . وقد تبينت فيه ملامح الهرم ، إذ لم أكن قد رأيته من عهد بعيد . وكان جالساً في سريره مكللاً باكليل الكهنوتي ، لأنه كان يقدم الذبائح في السراى . فجلسنا حوله . ولما رآني حياني قائلاً :

سيفالس : — أطلت الغيبة يا سقراط ، فلم تزر بيرايوس . والأمل انك لا تبخل بزيارتنا . ولو كان الصعود إلى المدينة سهلاً عليَّ لما كان عليك أن تتحمل مشقة المجيء الينا . أما وأنا على ما ترى فأتوقع أن تواصل افتقادنا . وأؤكد لك اني وجدت ضعف الملذات الجسديّة يتناسب مع زيادة ميلي إلى المحادثات الفلسفية ، والرغبة في المسرة الناشئة عنها . فلا ترفض طلبي ، ولا تحرم هؤلاء الشبان فوائد الاجتماع بك . بل زرنا كأصدقاء حميمين

تأدب أفلاطون

س : — حقاً أيها السيد سيفالس ، إني أسرّ بمحادثة الشيوخ ، رغبة في الافادة منهم كسابقين تقدمونا في طريق ربما بلغناها بعدهم ، فنعرف منهم ما هي ، أوعرة أم سهلة ، هينة أم عسرة . ويسرني أن آخذ عنك ، وأنت قد بلغت الموقف الذي يدعوه الشاعر « عتبة الأبديّة » ، فأعرف ما هو رأيك في هذا الطور ، أثقيلة فيه الحياة أم ماذا ؟

٣٢٩

سيفالس : — إني أفضي اليك باختباري الخاص يا سقراط . فاننا ، معشر الشيوخ ، نجتمع معاً حيناً بعد حين . ونحن أقران سناً ، طبقاً للقول « شبيه الشيء منجذب اليه » . فيندب أكثرنا سوء حاله ، أسفاً على مسرات الصبا ، وما فيها من ولائم وغرام ، وحلقات شرب وطرب ، وما إلى ذلك . فينـدبون زمن الفتوّة ، وخسرانهم مسراته المستحبّة . وانهم كانوا حينذاك يعيشون عيشة راضية ، أما الآن فيحسبون أنفسهم في عداد الموتى . ويشكو بعضهم ما يلقى ضعفهم من ازدراء الأقارب ، حاسبين الهرم علة هوانهم . على إني ، يا سقراط ، لا أراهم يلمّون بسبب تعاستهم الحقيقي . فلو ان الهرم هو العلة لكنت شريكهم فيها ، ولكان كل هرم من مذهبهم . والواقع خلاف ذلك ، كما أكد لي كثيرون من الشيوخ ، أخص بالذكر منهم صفوكليس الشاعر . فانه لما سئل في حضرتي : ما هو شعورك

بلذائذ الغرام يا صفوكليس ؟ أقادر أنت على التمتّع بها ؟ : أجاب السائل قائلاً : — يا صاح ، يسرّني اني نجوتُ من تلك اللذات . نجاتي من سيد غبيّ غضوب . فرأيت انهُ بحكمة أجاب . لأن في دور الهرم سلاماً طافحاً ، وحرية تامة من القيود الثقال . فمتى خفّت حدة الشهوات ، وهانت مغالبتها ، حقّ قول صفوكليس ، وتحررنا من سادة عُنُف . أما الشكاوى التي ذكرها رصفائي ، وما يلاقونهُ من معارفهم من صنوف الهوان . فلها سبب واحد لا غير — ليس هو الهرم يا عزيزي سقراط — بل هو خلق الشيوخ . فلو ان لهم عقولاً حسنة الاتّزان ، لينة العرائك ، لما كان الهرم عليهم حملاً ثقيلاً . وإلا ، فكلا الامرين ، الشيخوخة والشباب ، ثقيل

رأى صفوكليس في الهرم

قال سقراط . فاعتبرت ما أملاهُ عليّ سيفالس ، ورغبت في استدراجه ، استزادة للفائدة ، فقلت لهُ

: — أظن يا سيدي سيفالس أن الكثيرين لا يوافقونك في ذلك . بل يرون انك استسهلت الشيخوخة ، لا لحسن خلقك ، بل لثروتك الطائلة ، لأن في الغنى تعزيات جمّة

سيفالس : — أصبت في قولك انهم لا يوافقونني في ذلك . وفي ما قالوهُ شيء من الحق ، ولكن ليس بقدر ما توهموا . فلقد أجاد ثموستكليس القول ردّاً على من ازدراهُ من السيرافيين ، زاعماً أن شهرتهُ لم تستند إلى كفاءته الشخصية بل إلى قوميته . قال : — « لو كنتُ سيرافيّاً نظيرك لما اشتهرت . ولا أنت لو كنت أثينيّاً نظيري » . وهو قول ينطبق على فقراء الشيوخ الذين يئنون تحت أثقال الهرم : لا يهون حمل الهرم على الفقير وإن كان ذا كفاءة ، ولا يريح الثراء عديمها

٣٣٠

س : — أوَ طارف ثراؤك أم تالد ، يا سيدي سيفالس؟

سيفالس : — تسألني هل جنيت ثروتي ، فأجيبك . اني من حيث المال ، بين أبي وجدي ، فلما كان جدي وسميّي « سيفاليس » في سنّي كان يملك ما أملك الآن : وقد ضاعف ثروته أضعافاً . أما والدي ليسياس فأنقصها عما هي الآن . وأنا راضٍ بأن يرث أولادي ، ليس أقل مما ورثت عن والدي بل أكثر قليلاً

س : — سألتك هذا السؤال لاني أراك معتدلاً في حب الثروة ، شأن الذين ثراؤهم تالد . أما الذين جنوه فحرصهم عليهِ أضعاف حرص أولئك . وكما يولع الشعراء بحب ما نظموا ، والوالدون بحب من نسلوا ، هكذا الذين جنوا ثروة هم كلفون بها ، لا لمجرّد استخدامها كما يفعل السويّ ، بل لأنها جنى حياتهم . وذلك يجعلهم عشراء سوء . لأنهم لا يمتدحون إلا الثروة . سيفاليس : — هذا صحيح

فوائد الثروة

س : — فقل لي بحقك . ما هو الخير الأعظم الذي جنيتهُ من الثروة ؟

سيفالس : — إذا أبديت رأيي فقلائل هم الذين يوافقونني فيهِ . فكن على يقين

يا سقراط ، انهُ متى شعر المرء بدنو الأَجَل خامرت قلبهُ المخاوف والهموم التى لم تكن تروعه فيما سلف . يوم كان يهزأ بروايات ما وراء القبر ، ومعاقبة الانسان عما جنى . أما الآن فانه يضطرب جزعاً ، مخافة أن تكون تلك الروايات صحيحه . ويزيده تصديقاً لها . إما ضعفهُ الناشىء عن الهرم ، وإما قربهُ منها فعلاً . ومهما يكن العامل فانه تملأه المخاوف والريَب ، فيأخذ يفكر ترى هل أساء إلى أحد بشىء ؟ . فان كان قد أساء كثيراً فى حياتهِ فانهُ يستيقظ حينذاك من غفلته ، يقظة الأحداث من نومهم ، وقد علت فوقهم الصيحات فيسوده الذعر والشقاء . أما إذا لم يشعر بأنهُ أساء فهو كما قال بندار : —

٣٣١

يظل مبتهجاً مهما يطل أجلاً وفى الرجاء له بشرٌ وتهليل

الثروة تجعل صاحبها أميناً عادلاً

وكلماتهُ البديعة ، يا سقراط ، توضح إيضاحاً جميلاً أن كل من اتصف بالعدالة والطهارة ففيهِ القول : —

نور الرجاء جلا داجى الخطوب وقد أحيى مسرته فى لجة الهرم[1]

وإن نأت عن سواه كل تعزية فقلبهُ راتع فى دوحة النعم

ففى شعر بندار هذا أدب ناضج ، وحكمة بالغة . وعليهِ أرى أن الثروة جزيلة النفع ، ربما ليس لكل إنسان ، بل لصلحاء القلوب . لأنها تحررنا من التعرض للغش والخداع . فتنقذنا من مخاوف الانتقال من هذا العالم مدينين بشىء من الذبائح للآلهة ، أو بشىء من الأموال للناس . وللثروة فوائد كثيرة غير ذلك . أما أنا ، فبعد أن وزنت كلاًّ منها ، فإنى أرى أن ما ذكرتهُ منها هو أقل فوائد الثروة للحكيم

ما هى العدالة

س : — أحسنت البيان يا سيدى سيفالس ، ولكن ماذا تفهم بالعدالة ؟ . وماذا تقول فيها ؟ — أنحدّها بأنها ليست أكثر ولا أقل من صدق المقال ، وردّ ما للغير ، أم تقول أن الفعل الواحد يُحسب فى بعض الأحوال عدلاً ، وفى بعضها تعدياً ؟ . أعنى أن كل انسان يسلم انهُ إذا استعار من صديقه أسلحة خطرة ، وصديقه سليم العقل ، فليس من العدالة أن يردها لهُ ، وقد أصيب فى عقلهِ ، وصار وجودها فى يده خطراً على حياتهِ فلا يحسب من ردها عادلاً ، كما لا يحسب عادلاً من أخبر إنساناً كهذا ، فى حال كهذه ، كل الحقيقة

سيفالس : — أصبت

س : — فردّ العارية ، وصدق القول ، ليس تحديداً صحيحاً للعدالة

بوليمارخس : — يجب أن يكون صحيحاً يا سقراط ، إذا كنا نثق بسيمونيدس

سيفالس : — وعلى كلٍّ فانى أترك الحديث لكما إذ قد حان وقت ذهابى للذبائح

س : — فيرثك بوليمارخس فى الحديث ، أليس كذلك ؟

---

(١) هذه الأبيات من كتاب مفقود لبندار

سيفالس (متبسماً) : — من كل بد — قال ذلك وخرج لاتمام فريضة الذبائح

العدالة حسب تحديد سيمونيدس

س : — قل لى يا وارث الحديث ، ما هو حد العدالة المأثور عن سيمونيدس ؟

بوليمارخس : — العدالة هى أن يُرد لكلٍّ ماله . وأرىِ أن سيمونيدس قد أجاد بهذا التحديد

س : — يعزّ عليَّ أن أرفض تحديد سيمونيدس ، لانهُ حكيم وملهم ، وربما تفهم أنت معناه يا بوليمارخس ، أما أنا فلم أوفَّق إلى فهمهِ . لأنهُ واضح أنهُ لا يعنى شيئاً مما ذكرنا أى « ردّ الانسان لصديقه ، مجنوناً ، ما أودعهُ إياهُ عاقلاً » . مع انى اسلم أن الوديعة هي لصاحبها ، اليست لهُ ؟ ب : — بلى

٣٣٢

س : — ومع ذلك فاذا طلبها فى حال جنونهِ ، فلا يجوز ردها لهُ ، أيجوز ؟

ب : — حقًّا انهُ لا يجوز

س : — فالظاهر ان سيمونيدس قصد شيئاً آخر بقولهِ : « ان العدالة هى ان يُرَدّ للمرء ما هو لهُ » :

ب : — مؤكّد انهُ قصد شيئاً آخر . لأنهُ يرى انهُ على الأصدقاء أن يفعلوا لأصدقائهم خيراً لا شرًّا

س : — فهمت ، فمن ردّ ذهباً أودعهُ . وكان فى الرد والاسترداد مضرّة للصديق فليس ردّهُ عدالة ، مع ان الذهب هو لمن استردّهُ . أليس هذا ما ترى ان سيمونيدس يعنيه ؟

ب : — هذا هو بالتأكيد

س : — حسناً ، أفترد لأعدائنا ما هو لهم ؟

ب : — دون شك نرد ما هو لهم . فللعدو على العدو دين ، قد يكون ضارًّا . والضرر مأثور فى موقف كهذا

س : — فيظهر ان سيمونيدس أعطانا حدًّا مبهماً كاللغز فى ما هى العدالة ، وظاهر انهُ يفهم جيداً ان العدالة هى إعطاء كلٍّ ما يوافقهُ . ذلك ما أسماهُ « حقه » أو ما هو « لهُ » فاسمَح لى أن أسألك أن تجود عليَّ هنا برأيك . لو أنّ سائلاً سأله قائلاً : — يا سيمونيدس ، إذا كان ذلك كذلك ، فما هى الأشياء المقدّمة للناس كواجبةٍ ومفيدةٍ فى فنّ يدعونهُ طبًّا ، وما الذى يتناولها ؛ فماذا تظن انهُ يجيب ؟

ب : — لا ريب فى انهُ يجيب ان المتناول هو الجسم ، والاشياء المقدمة هي العقاقير والطعام والشراب

س : — وما هو الفن الذى يؤتى المواد ما يلائمها ، ويدعى طهياً ، وما الذى يتناولها ؟

ب : — الأشياء هى التوابل والبهارات ، تتناولها أنواع الطعام

ما تقدمه العدالة ومن هم الذين يتناولونه

س : — حسناً ، فماذا يقدم الفن الذى يدعى عدالة ؟ ومن الذين يتناولونه
ب : — إذا رمنا الصواب يا سقراط ، باعتبار ما قررناه آنفاً ، فالجواب هو : ان العدالة تقدم النفع والضرر ، والذين يتناولونهما هم الأصحاب والاعداء
س : — فسيمونيدس يحسب نفع الصديق ، ومضرة العدو ، عدالة ، أهذا معناه ؟
ب : — هكذا أظن
س : — من هو الأقدر على منفعة أصحابه ، ومضرة أعدائه إذا مرضوا ، باعتبار الصحة وعدمها ؟ ب : — هو الطبيب
س : — ومَن هو الأقدر على صنع الخير للأصدقاء ، أو الضرر للاعداء ، فى أسفار البحار بالنسبة إلى أخطارها ؟ ب : — هو الربّان
س : — حسناً . ففى أى عمل ، وأية حال ، يكون العادل أقدر على نفع الصديق ومضرة العدو؟
ب : — فى حال الحرب ، بمحالفته الفريق الواحد ، وعدائه الفريق الآخر

منافع الفنون

س : — حسناً ، فالطبيب يا عزيزى بوليمارخس عديم النفع للأصحاء ب : — حقيقة
س : — والملاّح عديم النفع لمن هم على اليابسة ب : — نعم

٣٣٣

س : — فهل العادل أيضاً عديم النفع لمن ليسوا فى حرب ؟ ب : — لا أظن
س : — فالعدالة إذاً مفيدة حتى فى وقت السلم ب : — مفيدة
س : — وكذلك الزراعة ، أليس كذلك ؟ ب : — بلى
س : — وذلك لاجتناء ثمر الأرض ؟ ب : — نعم

في كل فن منفعة

س : — كذلك فن السكافة نافع ب : — نعم
س : — كواسطة للحصول على الأحذية ب : — حقيق
س : — فأى نفع ، أو نيل ، تضمن العدالة فى السلم ؟ ب : — العهود يا سقراط
س : — الشركة تعنى بالعهود أم شيئاً آخر ؟ ب : — الشركة لا غير
س : — إذن هل العادل هو الشريك الأنفع فى لعب النرد ، أم اللاعب البارع ؟
ب : — اللاعب البارع
س : — وفى رصف الحجارة ، وتنضيد القرميد ، العادل أنفع أم البنّاء القانونى ؟
ب : — البنّاء القانونى
س : — فباعتبار أية شركة يمتاز العادل على العوّاد ، ما دام العواد أمهر منه بضرب الأوتار؟ ب : — أظن فى الشركة الماليّة
س : — ربما يستثنى من ذلك ، يا بوليمارخس ، حال استعمال المال ، كما فى شراء حصان أو بيعه . فحينذاك يكون تاجر الخيل انفع من العادل ب : — ظاهر انه أنفع
س : — وفى شراء سفينة أو بيعها ، بانيها أو ربانها أنفع من العادل ب : — هكذا أرى

س : — فوالحالة هذه ، متى يكون العادل أنفع الناس طراً فى أمر الفضة والذهب ؟
ب : — حين تروم إيداع أموالك ، فى حرز حريز ، يا سقراط
س : — أي حين حفظه فى الخزانة وعدم استعماله فى أى عمل ؟ ب : — تماماً هكذا
س : — ففائدة العدالة ماليًّا محصورة فى حال عدم التصرف بالمال ب : — هكذا يظهر
س : — والعدالة مفيدة أيضاً للفرد والشركة حين حفظ المكسحة ، ولكن فى حال استعمالها تخلى العدالة الميدان لفن التشذيب لأنه هو الأنفع ب : — الأمر جلي
س : — أوَ تعنى أن العدالة نافعة فى حال حفظ الدرع والناى ، وعدم استعمالها ، ولكن فى حال استعمالها تحتاج إلى فن الجندي والموسيقي ؟ ب : — لا بدّ

متى تنفع العدالة

س : — وهكذا الحال باعتبار كل شىء ، العدالة عديمة النفع حين استعماله ، ولكنها نافعة فى حال اهماله ؟ ب : — هكذا يظهر
س : — فلا يمكن أن تكون العدالة يا صاحبي أمراً ذا شأن كبير ، إذا انحصر نفعها فى حال الاهمال . ولكن دعنا نبحث هكذا : — أليس الخبير فى الملاكمة ، حرباً أو لعباً ، خبيراً أيضاً فى تلقّى الضربات ؟ ب : — أكيد
س : — أوَ ليس أكيداً أيضاً ان الأخصائى فى دفع المرض ، وصد هجماته ، بارع أيضاً فى نفثه فى الآخرين ؟ ب : — هكذا أظن

٣٣٤

س : — ولا ريب فى أن الخفير ، الساهر على الجيش هو قادر أيضاً على سرقة خططه وحركاته ب : — بالتأكيد
س : — فكلما كان الانسان بارعاً فى حفظه كان بارعاً فى سرقته ؟ ب : — هكذا يظهر
س : — فاذا كان العادل خبيراً فى حفظ الدراهم فهو خبير أيضاً فى سرقتها
ب : — اعترف ان المحاورة تمشى فى هذه الوجهة
س : — فأدى بنا البحث إلى أن العادل لص باعتبار ما . والظاهر إنك أخذت ذلك عن هوميرس . فانه قد أعجب باوتوليخوس ، جد اولسيس لأمه ، لانه فاق الجميع فى السرقة والبهتان . فبناء على كلامك ، وكلام هوميرس وسيمونيدس ، تظهر العدالة نوعاً من اللصوصية ، والغرض منها نفع الصديق ومضرة العدو . أهذا ما تعنى ؟
ب : — كلاّ . لكننى لا أعرف ما عنيته . وعلى كلٍّ أرى أن نفع المرء أصحابه ومضرته أعداءه ، عدالة

حقيقة الصديق

س : — أفمن يبدون الصداقة تحسبهم أصحاباً ، أم الذين هم حقيقة أمناء ، وإن لم يبدوها ؟ . وعلى القياس نفسه تحدّد الاعداء ؟
ب : — أتوقع أن يحب الانسان كل من يحسبهم أمناء ، ويبغض من يعتقد أنهم خبثاء
س : — أوَ لا يخطىء الناس فى ظنهم ، فيعدّون الخائنين أمناء والأمناء خائنين ؟

ب : — يخطئون

س : — فيصير الصالحون أعداءهم ، والأشرار أصدقاءهم . ألا يصيرون ؟

ب : — يصيرون بالتأكيد

س : — فالعدالة والحالة هذه ، عندهم هي مساعدة الشرير ومضرة الصالح

ب : — واضح انهُ هكذا

س : — ولكنّ الصالحين عادلون ، والتعدى غريب عن طبعهم ب : — حقيق

س : — فينتج من كلامك أن العدالة هي الاساءة إلى العادلين

ب : — لا سمح الله يا سقراط . والظاهر أن ذلك تعليم فاسد

س : — فالعدالة مضرّة المتعدى ونفع العادل ؟ ب : — هذا القول أفضل من سابقه

س : — والنتيجة يا بوليمارخس ، انهُ قد يخطئ كثيرون من الناس في كثير من الأحوال ، لجهلهم حقيقة صحبهم جهلاً مطبقاً ، فيحسبون مضرة أصحابهم الأبرار عدالة ، لأنهم توهموهم أشراراً ، ويوجبون نفع أعدائهم لحسبانهم إياهم صالحين . فتكون العدالة عكس المعنى الذى نسبناه إلى سيمونيدس على خط مستقيم

ب : — هذه هى النتيجة،فدعنا نستأنف التحديد، فان تحديدنا الصديق والعدو غير صحيح

س : — فكيف حددناهما يا بوليمارخس ؟ ب : — ان من يظهر أميناً فهو الصديق

س : — فما هو التحديد الجديد

ب : — ان من دلّ ظاهر أمانته على حقيقة باطنه فهو الصديق ، أما من أظهر الأمانة وأضمر نقيضها فليس بصديق ، بل هو متظاهر بالصداقة تظاهراً.وعلى القياس نفسه يحدّد العدو

س : — فالصالح ، بحسب هذا الكلام هو الصديق ، والشرير هو العدو ب : — نعم

٣٣٥

س : — فتروم أن نضيف إلى مدلول العدالة معنىً آخر ، علاوة على ما أعطيناها لمّا قلنا انها نفع الصديق ومضرة العدو ؟ وإذا كنت قد فهمتك فأنت تبغى جعل حدّ العدالة هكذا : العدالة نفع الصديق صالحاً ، ومضرة العدو رديّاً

ب : — بالتمام هكذا . وأظن أن هذا تعبير صحيح

س : — أمفروض على العادل أن يضرّ أحداً ؟

ب : — بلى . فيجب أن يضر أعداءهُ الأشرار

س . — إذا ضُرّت الخيل فماذا تصير ، أأفضل أم أردأ ؟ ب : — أردأ

س : — وبأى اعتبار ؟ أخيل أم ككلاب ؟ ب : — خيل

س : — أفتزداد الكلاب رداءة ككلاب لا خيل ؟ ب : — دون شك

س : — أفلا تقول بحكم القياس يا صديقى ان الناس إذا ضُرّوا صاروا أردأ انسانيًّا ؟

لا خير في مضرّة الآخرين

ب : — بالتأكيد

س : — أوَ ليست العدالة فضيلة إنسانية ؟

ب : — انها كذلك بلا شك

س : — فاذا ضرّ الناس ، يا صديق ، صاروا أقلّ عدالة ب : — هكذا يظهر

س : — أفيقدر الموسيقيون أن يجعلوا الناس ، بالموسيقى ، غير موسيقيين ؟

ب : — لا يقدرون

س : — أوَ يجعل الخيّالة الناس ، بطرادهم ، ضعاف الفروسية ؟ ب : — لا

س : — وعليه ، أفيقدر العادلون ، بعدالتهم ، أن يجعلوا الناس ظالمين ؟

ب : — لا : ان ذلك مستحيل

تأثير الاشياء يتفق مع طبائعها

س : — حقًّا . فاذا لم أكن مخطئًا فليس من خصائص الحرارة أن تجعل الأشياء باردة ، بل ذلك من خصائص ضدها ب : — نعم

س : — وليس من خصائص الجفاف أن يجعل المواد رطبة بل ان ذلك من خصائص الضدّ ب : — أكيد

س : — فليس من خصائص الصالحين أن يضرُّوا أحداً ، بل ان ذلك من خصائص الطالحين ب : — واضح انهُ هكذا

س : — فهل العادل صالح ؟ ب : — يقينًا انهُ كذلك

س : — فليس من خصائص العادلين يا بوليمارخس أن يضروا أحداً . بل ان ذلك من من خصائص المعتدين ب : — يظهر أنك مصيب كل الاصابة يا سقراط

٣٣٦

الصالحون دائماً نافعون

س : — فاذا قال قائل : إن العدالة إعطاء كلٍّ حقهُ : وهو يفهم بذلك ان من الحق مضرة العدو ونفع الصديق ، فليس هو بحكيم . لأن هذا التعليم ليس حقًّا ، إذ قد اكتشفنا انهُ ليس من العدالة ، فى حال من الأحوال ، أن نضرّ أحداً

ب : — أسلم بأنك مصيب

س : — فلندفع متحدين ، كل من ينسب إلى سيمونيدس ، أو بياس ، أو بيتاكس ، أو أى إنسان آخر من الحكماء المنعَمين ، ما هو من هذا القبيل

ب : — حسن جدًّا ، انى على تمام الأهبة لمشاركتك فى الدفاع

س : — أفتعلم لمن أعزو هذا القول : العدالة نفع الصديق ومضرة العدو؟

ب : — لمن ؟

س : — أعزوهُ لبِرياندر ، أو لبرديكاس ، أو زركسيس ، أو اسمانياس الثيبى ، أو غيرهم من الأغنياء ، ممن ظن فى نفسه المقدرة ب : — أنت مصيب كل الاصابة

س : — وإذ حبط سعينا فى تحديد العادل والعدالة ، فأى حدٍّ آخر يمكن اقتراحه ؟

مثل من السفسطائيين في عهد أفلاطون

ب : — وكان ثراسيماخس قد همَّ مراراً بمقاطعتنا فى عرض الحديث ، باعتراضاته الشديدة ، ولكن الحضور منعوهُ ، رغبة منهم فى سماع تتمته . فلما قلت عبارتى الأخيرة ، وتوقفنا عن الكلام لم يقدر أن يضبط نفسه بعد . فجمع قواه ، وانقض علينا كوحش ضار ، يروم أن يمزقنا . فذعرنا كلانا ، أنا وبوليمارخس لمّا صاح فى وسط الجماعة قائلاً : — أى كلام فارغ يشغلكما ، يا سقراط ويا بوليمارخس . ولماذا تخدعان الناس بتأنقكما المتبادل ؟ فاذا كنت حقيقة ، تريد تحديد العدالة فلا تقتصر على توجيه الأسئلة ، وتتسلى بافساد الأجوبة الواردة عليها . لأنك عالم أن توجيه الأسئلة أسهل من إجابتها . فأجب أنت ، وقل ما الذى تدعوه عدالة ؟ وحذار أن تقول إنها هى ما يجب ، أو ما ينفع ، أو يربح ، أو يليق . بل اجعل حدَّك جامعًا مانعًا . فلن أقبل لك جوابًا ، وهو من لغو الكلام . قال سقراط ، فلما سمعت الكلام دهشت . ورفعت نظرى اليه مذعوراً . ولو لم أكن قد سبقتهُ بالنظر لأبكمت[1] ، وجمدت كالصنم ، ولكن كانت قد حانت منى التفاتة اليه ، لما بدأ بالقول فسبقتهُ بالنظر . ولذا تمكنت من محاورته . فقلت بقليل من الرعشة

٣٣٧

س : — لا تقسُ علينا يا ثراسيماخس . وإذا كنا أنا وبوليمارخس قد أخطأنا فى بحثنا فكن موقنًا أن ذلك لم يكن تعمداً . ولا يبرحنَّ فكرك اننا لو كنا نبحث عن الذهب لما تساهل أحدنا مع الآخر مستسلمًا فضلَّ عن العثور عليه . فأرجوك أن لا تظن اننا ونحن نبحث فى العدالة ، وهى أثمن كثيراً من شذور الذهب ، نكون أقل دقة فى تمحيص الآراء، بغية إدراك الحقيقة . ويمكنك أن تعلم يا صديقى ان الموضوع فوق طاقتنا . فنحن ، باشفاق حصيف نظيرك ، أجدر منا بملامه وتعنيفه

فقهقه ثراسيماخس أوقح قهقهة لما سمع جوابى وقال

ث : — يا لهرقل . انها إحدى مظاهر الاتضاع التهكمى المتمكنة من نفس سقراط . ولقد عرفت ذلك فيك ، وقلتهُ لمن حولى ، أعنى انك لا تجيب عن مسألة البتة ، إذا سئلت، بل تتجاهل

مثل من صور المحاورات قديماً

س : — أنت حكيم يا ثراسيماخس . وتعلم جيداً أنك لو سألت أحداً : كم هى أضلاع العدد اثنى عشر : وقلت لهُ حذار أن تقول انها ضعفا الستة ، أو ثلاثة أضعاف الأربعة ، أو أربعة أضعاف الثلاثة ، وقلت له انك لا تقبل منهُ هذه السخافات . فانى أجرؤ على القول انك تعلم أن لا أحد فى الدنيا ، يجيب على سؤال مقدم على هذه الصورة : فاذا قال لك المسئول : — يا ثراسيماخس ، أوضح فكرك ، أيمكننى أن أجيب بغير ما ذكرت ؟ أو أن أجيب بغير الحق ؟ وإلا فماذا تعنى ؟ فبماذا كنت تجيبهُ ؟

ث : — لو أن هذه كتلك لأجبت . ولكن أين هذا من ذاك ؟

(١) اشارة الى الخرافة الشائعة عندهم « ان من سبقه الذئب بالنظر بلى بالخرس »

س : — انهما سيان . ولكن هب انهما ضدّان ، والمسئول ظنّ أن أحد هذه الأجوبة صحيحة ، أفتظن أن إنكارنا عليه جوابهُ يحوّله عن إعطاء الجواب الذى يراهُ معقولاً ؟

ث : — ألا تعنى أن ذلك ما تنوى أن تفعله الآن ؟ وإنك ستجيب بأحد الأجوبة التى أنكرتها عليك ؟

س : — لا يُستغرب أن أفعل ذلك ، إذا لاح لى ، بعد الامعان انهُ صواب

ث : — وما قولك إذا أريتك طريقًا أصلح ، وجوابًا أوضح من الأجوبة التى نبذتها فى حقيقة العدالة ، وهو يفوقها جمعاء ؟ فأى قصاص ترى أنك تستحق ؟

س : — قصاص الجاهلين ، وهو أن يتعلموا من الحكيم . هذا هو القصاص الذي أرى انى أستحقه مع زملائى

شأن السفسطائيين

ث : — حقًا انك شخص طروب . ولكن عليك علاوة على الارشاد ، أن تدفع مالاً

س : — سأدفع حين أملك شيئًا من المال

غلوكون : انك تملك ، فاذا كان الأمر متوقفًا على المال فقل ذلك يا ثراسيماخس . فان كلاً منا مستعد أن يقرض سقراط

ث : — ذلك مؤكد . وعليه ، فيمكن سقراط أن يتبع معى أسلوبه الخاص ، أي انهُ لا يجيب ، بل ينتقد ويفند أجوبة غيره

٣٣٨

س : — وأنى يجيب المرء يا ثراسيماخس الجزيل الاحترام ، إذا كان أولاً لا يحسن الجواب . وقد أقرّ بعجزهِ . وثانيًا إذا كان عنده آراء ولكن حظر عليه إنسان غير غبيّ إيراد شيء منها . فالأقرب ، إلى حكم العقل إذاً أن تكون أنت المجيب ، لأنك قلت انكَ عالم بالأمر ، وان عندك ما تقوله لنا . فلا تتأخر ، بل تفضل عليّ بالجواب . ولا تتردّد فى إفادة غلوكون والآخرين . عندها سأله غلوكون والرفاق أن يجيب . وظهر انهُ يميل إلى التكلم ليربح الاستحسان . إيماء ، إلى أن عنده فصل الخطاب . فطلب أولاً أن أكون أنا المجيب . على انه أخيراً عدل عن ذلك ، وارتضى أن يكون هو المجيب . قال

ث : — هذه حكمة سقراط . فانه إذ لا يريد أن يعلّم ، يجول مقتبسًا عن الغير ، ولا يشكره على الدروس

س : — أما انى أتعلم من الغير ، فقد قلت الحق يا ثراسيماخس . وأما قولك انى لا أعوّضهُ شكرى فهو خطأ منك . فانى أدفع كل ما فى إمكانى . وإذ لا مال لى فانى أرد الشكر . وسرعان ما أشكر إذا رأيت المتكلم مصيبًا . كما ستتبين ذلك سريعًا ، لأنى واثق انك ستحسن القول

ث : — فاسمع إذاً . تعليمى هو ان العدالة انما هي « فائدة الأقوى » . حسنًا . فلماذا لا تشكرنى ؟ انك لا تريد ذلك

العدالة هى فائدة الأقوى

س : — كلاَّ . بل انى انتظر أن أفهم معناك ، فاني لم أدركهُ بعد . انك تقول ان فائدة الأقوى عدالة . فماذا تعنى بذلك يا ثراسياخس ؟ فانى أرتئى انك لا تعنى هذا — إذا كان بوليداماس الرياضى أقوى منا ، وكان أكل لحم الخنزير مفيداً لهُ لتقوية جسمه . كان ذلك الطعام مفيداً لنا نحن الضعفاء ، ولذا فهو عدالة

ث : — ذلك عيب يا سقراط . لأنك فهمت تعليمى بصورة تسهّل عليك إفساده

س : — لا لا يا صديقى الفاضل . فزد إفصاحاً عما تعنى

ث : — ألا تدرى أن بعض المدائن يحكمها الخاصّة ، وبعضها الديمقراطيون . وغيرها الارستقراطيون ؟

س : — من المؤكد انى أعلم ذلك

ث : — أو لا تستقر القوة فى كل بلد فى الطبقة الحاكمة ؟ س : — مؤكّد أنها تستقر

ث : — وإن شرائع كل حكومة مصوغة فى قالب يضمن فائدتها ؟ فشرائع الديموقراطيين ديموقراطية ، وشرائع الأوتقراطيين استبدادية . فكأن هذه الحكومات بعملها هذا تصرّح أن ما فيه مصلحتها عدل لرعيتها . ومن انحرف عن ذلك عاقبوهُ كمجرم ضد العدالة والقانون . فمعناه يا سيدى انهُ فى كل بلد منفعة الحكومة هي العدالة . وأرى أن القوة العليا فى حيازة الحكومة . فنتيجة البحث الحق هى أن منفعة الأقوى هى العدالة فى كل مكان

٣٣٩ الشرائع مرآة من يسنها

س : — قد فهمت ما تعنى ، وسأرى صحيح هو أم لا . فأنت يا ثراسياخس ، منفعة العدالة ، مع انك أنكرت عليَّ هذا القول إلاَّ أنك أضفت اليه كلمة « الاقوى »

ث : — ولكنها إضافة زهيدة

س : — سترى هل هي زهيدة أو عظيمة . ولكنا مرتبطون بهذا الأمر : أحقٌّ كلامك أم لا ؟ : فقد سلم كلانا أن العدالة نافعة . لكنك زدت على ذلك انك حصرت نفعها فى « الأقوى » وأنا أرتاب فى صحة ذلك . ولذا نحن ملزمون أن ندرس الموضوع

ث : — أرجو أن ندرسهُ

س : — فتفضّل أجبنى عن هذه المسألة : — لا ريب فى أنك مصرٌّ على أن من العدالة إطاعة الحاكمين ث : — انى مصرّ على ذلك

س : — أفمعصوم الحاكمون فى مختلف المدائن ، أم معرضون للخطإ ؟

الحكام غير معصومين

ث : — لا شك فى أنهم معرضون للخطإ

س : — أفيعرض لهم فى اشتراعهم أن يسنوا بعض الشرائع صواباً وبعضها خطأ ؟

ث : — هكذا أظن

س : — وهل الصواب فى سنّها كونها نافعة لهم ، والخطأ كونها ضد مصلحتهم ، أو ما هو حكمك ؟ ث : — كما تقول تماماً

س : — أمصر أنت على ان ما سنه الحكام هو العدل الواجبة اطاعته على الرعية

ث : — مصر من كل بد

س : — فينتج عن حكمك أن العدالة لا تنحصر في ما يفيد الأقوى ، بل قد تكون في ما يضره : وبعبارة أخرى انها « نقيض المطلوب » .

ث : — ماذا تقول ؟

س : — أظن أني أقول نفس ما قلته أنت ، فلنفحص عن المسألة بأكثر تدقيق : ألم نقرر أن الحكام قد يخطئون أحياناً في ما هو الأفضل لمصلحتهم ، في ما يسنونه من الشرائع ؟ وان ما سنوه هو العدالة الواجبة اطاعتها ؟ ث : — هكذا أظن

خطأ الحكام في الشرع

س : — فقد اعترفت إذاً بعدالة غير النافع للحكام « والأقوى » . لأن رجال هذه الطبقة ، إمّا جهلاً وإمّا سهواً ، قد يوجبون ما يضرهم . ولما كنت مصراً على انه من العدالة أن يطيع الناس ما أوجبه حكامهم في كل حال ، أفلا ينتج عن ذلك حتماً ، أيها الفائق الحكمة ثراسيماخس ، انه قد يكون من العدالة أن نفعل ضد ما قلته على خط مستقيم؟ لانه قد يتحتم على الأضعف أحياناً عمل ما يضر مصلحة الأقوى

بوليمارخس : — نعم يا سقراط ، ان ذلك غاية في الوضوح

كليتيفون : — نعم ، إذا كنت أنت شاهد سقراط المزكّي

٣٤٠

ب : — وما الحاجة إلى شهود ؟ فقد سلم ثراسيماخس أن الحكام قد يوجبون مايضرهم وان من العدالة أن تطيعهم الرعية

ك : — لا يا بوليمارخس . ان ثراسيماخس قرّر ان إطاعة أمر الحكام هو العدالة

مثل من المحاورات قديماً

ب : — نعم يا كليتيفون . وقد قرّر أيضاً أن منفعة « الأقوى » هي عدالة . وبعد ما قرّر هذين الركنين سلّم أيضاً ان « الأقوى » قد يأمر « الاضعف » — رعاياه — أن يعملوا ما هو ضارٌ بمصلحته . ونتيجة هذه المقرّرات ان منفعة «الاقوى» ليست أعدل من مضرته

ك : — ولكنه أراد بمنفعة الأقوى ما فهم « الأقوى » انه لفائدته الخاصة . فمركزه هو ان هذا ما يجب على « الأضعف » أن يعمله ، وان هذه هي وظيفة العدالة

ب : — ليس ذلك ما قاله

س : — لا بأس يا بوليمارخس ، فاذا كان ثراسيماخس يختار أن يورد رأيه الآن بهذه الصورة فلا نضادنّه

فقل يا ثراسيماخس ، أهذا هو حدّ العدالة الذي عنيته ؟ : ان ما لاح « للأقوي » انه في مصلحته ، نفعه أو ضره : أفتحسب ذلك تحديداً منك للعدالة ؟

ث : كلا البتة . أفتظن اني أحسب من يخطئ أقوى في حال خطإه ممن لا يخطئ ؟

س : — هكذا ظننت ، لما سلمت ان الحكام غير معصومين ، وانهم قد يخطئون

خطأ الفنان ليس خطأ الفن

ث : — انك تحرّف الكلم عن مواضعه ، يا سقراط ، فى معرض الادلال . أفتدعو من أساء معالجة المرضى طبيباً باعتبار إساءته ؟ أو تدعو من أخطأ فى الحساب محاسباً باعتبار خطاءه ؟ من المؤكّد أننا نقول ان الطبيب أخطأ ، وان المحاسب أو الكاتب مخطىء . على انى أرى ان كلاً من هؤلاء لا يغلط فى فنه ما دام كما ندعوه . فلا يخطىء فى فنه كفنى .

٣٤١

وعليه فبأدق معانى الكلم — لأنك تحاج بالتدقيق — لا فنىّ يخطىء كفنىّ . ومن خطىء فقد خطىء لنقص علمه بالفن . فلا يكون فنيًّا فى حال خطاءه . فلا فنىّ ولا فيلسوف ، ولا حاكم ، يخطىء إذا كان اسماً لمسمّى . مع انه يقال عادة ان الطبيب يخطىء وان الحاكم يخطىء . فاعلم انى بهذا الاعتبار جاوبتك لتفهم رأيي . ولكن اضبط صورة للجواب هي ان الحاكم كحاكم لا يخطىء . وبما انه لا يخطىء ، فهو يسنّ الأفضل لنفسه . وذلك ما يجب على الرعية اعتباره . فأنا عند قولى الاوّل : ان العدالة هي منفعة الأقوى

س : — لا بأس يا ثراسيماخس ، أفتزعم أنى أتلاعب فى الكلام ؟

ث : — نعم ، وتلاعباً كبيراً

س : — أو تظن انى وجّهت اليك هذه المسألة لقصد سيء لافساد حجّتك ؟

ث : — ذلك ما أتيقّنه . ولكنك لن تجنى منه نفعاً . فلا تضرّنى بأخذك إيابى على غرّة . ولا تتمكن من الفوز علىّ فى ميدان المحاورة

س : — لم أفكر فى ذلك يا صديقى العزيز . وأرجو أن لا يتكرّر ذلك فيما بعد . فقل الآن : هل تعنى « بالحاكم » و « الأقوى » ما يدل عليه المعنى المألوف ، أو ما يدل عليه أدق معانى الكلم ، وانك بهذا الاعتبار تقول إن على الأضعف أن يعمل ما هو لمصلحة الحاكم لكونه الأقوى ؟

ث : — بل أعنى « الحاكم » بأدق معانى الكلمة . فتلاعب ما شئت إلى التلاعُب والتحريف سبيلاً . فلست لاسترحمك ، ولكن محاولتك عقيمة

س : — أفتظننى أحمق فأحاول أن أحلق الأسد ، بتحريفي أقوال ثراسيماخس ؟

ث : — لقد حاولت ذلك ، ولكن ساء فألك

الطبيب هو شافي المريض لا جامع المال

س : — كفى مزاحاً ، فقل هل الطبيب الذي تعنيه بأدقّ معانى الكلمة هو جامع المال أو شافى المريض ؟ ولا يفوتنك انك عن الطبيب الحقيقي تتكلّم

ث : — هو شافى المريض

س : — ومن هو الربان ؟ أأحد البحّارة أم رئيسهم ؟

ث : — رئيسهم

غرض الفن الخاص

س : — فلا نهتم بكونه يقلع بالسفينة ، أو فى كونه ملاّحاً . لأنه ليس لهذا السبب يدعى ربّاناً ، بل باعتبار فنه وسلطته على الملاّحين ث : — هذا حق

س : — أفليس لكل من هؤلاء الأشخاص نفع خاص فى فنّه ؟
ث : — بالتأكيد
س : — أو ليست الغاية القصوى فى فنهم ، أن يطلبوا ما هو لمصلحة كلٍّ منهم ويحرزوه ؟
ث : — بلى
س : — وهل للفنون غاية أخرى تنشدها غير كمالها الأسمى ؟
ث : — ماذا تريد بهذا السؤال ؟
س : — لو سألتنى ، أيكفى الجسم الانسانى كونهُ جسماً أم يحتاج إلى شيء آخر ، لأكّدت لك انهُ يحتاج إلى شيء آخر . لذلك لزم استنباط الطب ، لأن الجسم ناقص ، فلا يكفيه كونهُ جسماً . فلامداده بما يتطلبهُ من المنافع وُضع الطب ، أمصيباً ترانى بكلامي أم مخطئاً ؟ ث : — مصيباً

غرض الفن كفن

٣٤٢

س : — أفناقص فن الطب ، وكل فن آخر فى ذاته ، فيحتاج إلى مزيّة إضافية ، افتقار العيون إلى البصر والآذان إلى السمع ، فتحتاج هذه الأعضاء إلى فن يتقصّى إبلاغها غاياتها ؟ : — أفى الفن نقص فيفتقر كل فن الى فن آخر يرعى مصالحه ؟ وهل هذا الفن بدوره يفتقر إلى فن ثالث للغرض نفسه ، وهلمّ جرًّا ؟ أو ان كل فن يتقصى مصلحته لنفسه بنفسه ؟ وهل هو غير ضرورى للفن ، ولا لغيره من الفنون ، أن يبحث عن علاج ناجع لشفاء أدوائه ؟ إذ ليس هنالك من نقص فى فن ما من الفنون ، ولأنه ليس من واجب الفن السعى فى مصلحة غير ما لأجله كان فنًّا ؟ لكونه حراً وسليماً كفنّ حقيقى ما دام فى حال سلامته التامة ؟ فاعتبر المسألة بأدق معانى الكلم ، كما سبق الاتفاق ، أفهكذا هو الحال أم لا ؟ ث : — ظاهر انهُ هكذا
س : — فلا يهمّ الطب ما هو لنفعه كفنّ ، بل ما هو لنفع الجسم ث : — نعم
س : — ولا يُعنى فن سياسة الخيل بما ينفع الفن ، بل بما ينفع الخيول . وليس من فن آخر يتناول ما هو لنفعه الخاص . إذ ليس من حاجة فيه إلى ذلك بل يتناول ما لأجله وضع
ث : — هكذا يظهر

الفن حاكم وخادم

س : — جيداً ، ويمكنك أن تسلم يا ثراسيماخس ان الفن يسوس ويحكم . وانه أقوى مما وُضع لأجله . فبصعوبة عظيمة سلّم ثراسيماخس بهذه القضية
س : — فلا علم يتوخى مصلحة الأقوى أو يوجبها . بل يتوخى ويوجب منفعة الأضعف — المحكوم —
وبعد ما أفرغ ثراسيماخس وسعه فى المقاومة ، سلّم
فاستأنفت على الأثر كلامي قائلاً : — أليس حقًّا أيضاً أن لا طبيب ، كطبيب ،

يوجب ما هو لمصلحته . بل كل الأطباء يسعون الى ما فيه خير مرضاهم ؟ لأننا اتفقنا أن الطبيب الحق هو حاكم الأجسام لا حاشد الأموال . ألم تتفق ؟ فسلم انا اتفقنا.

س : — وأن الربان ، بحصر المعنى ، هو رئيس الملاحين لا أحدهم ث : — اتفقنا

س : — فربان أو حاكم كهذا لا يطلب فائدته الشخصية ولا توجبها هذه الفائدة ، بل يطلب فائدة البحارة والمحكومين . فأذعن ثراسيماخس مرغماً

س : — وهكذا يا ثراسيماخس كل أرباب الأحكام فى مناصبهم لا يكترثون لمصالحهم الشخصية ولا يوجبونها ، بل يكترثون لمصالح الرعية التى لأجلها يمارسون مهنتهم . وفى كل ما يقولون ويفعلون يصرفون النظر عن أنفسهم ، وعما هو مفيد وملائم لهم

٣٤٣

فلما بلغنا هذا الحد فى البحث ، ووضح للجميع أن تحديد العدالة هو عكس ما قاله ثراسيماخس ، قال عوضاً عن الجواب : —

ث : — أفلم تكن لك مرضع يا سقراط ؟

س : — ولم هذا السؤال قبل أن تجيب . أفما كان الأجدر بك أن تجيب عن أسئلتى من أن تسأل ؟

ث : — لأنها أهملت أنفك ، فلم تمسحه ، وأنت فى حاجة إلى ذلك . ونتيجة إهمالها انك صرت لا تميز بين الراعى والرعية

س : — وما الداعى إلى هذا الظن ؟

سفاهة السفسطائيين ومنطق المتعجرفين

ث : — لأنك تقول ان رعاة المواشى يرعونها ويسمّنونها ، وعيونهم على غير منفعتهم الخاصّة ، ومنفعة أربابها ، فتزعم ان الذين يحكمون الامصار يهتمون بالمحكومين لغير اهتمام الرعاة بالمواشى ، وانهم يسهرون عليها أثناء الليل وأطراف النهار لغير أرباحهم ومنافعهم الشخصية . فأنت فى أقصى البعد عن مواطن الصواب فى أمر العدالة والتعدى ، وأمر العادل والمتعدّى . ولذا يفوتك ان العدالة انما هى لمصلحة الغير ، أى لمصلحة الحاكم والأقوى ، وان خسارتك انك تابع وعبد . أما المتعدى ، فعلى الضدّ من ذلك ، يسود العادلين والبسطاء ، فيعملون ، كرعية ، ما هو لمنفعة المتعدى ، الذى هو أقوى منهم . فيزيدون سعادته بخدماتهم ، دون سعادتهم الخاصة . ويمكنك أن ترى أيها الساذج سقراط فى ما يلى من الأمثلة ، أن العادل ، فى كل الأحوال ينال أقل مما يناله المتعدى . أولاً فى معاملتهما المتبادلة ، كالشركة بينهما ، فلا ينال العادل أبداً قسطاً زائداً عن قسط أخيه ، فى حل الشركة ، بل دائماً ، يأخذ أقل منه . كذلك فى المصالح المدنية ، حيث يجب دفع رسوم متساوية عن حاصلات متساوية . فالعادل يدفع دائماً أكثر مما يدفعه الظالم ، ولكن حين القبض تنقلب الآية ، فيؤوب العادل صفر اليدين ، ويطمع الظالم بالكل . ومتى تربع كلاهما فى دست الأحكام خسر العادل ، على

الأقل ، ادارة مصالحه الخاصَّة ، اشتغالاً بالمنصب ، فيعمل فيه التشويش والضرر . زد على ذلك انهُ لا يجنى من المنصب نفعاً ، لأنهُ عادل ، فتمنعهُ عدالته من أن يمدّ يده إلى أموال الدولة . ثم انهُ يصير مكروهاً من خدمه . وصحبه كما أبى أن يؤثر مصالحهم على العدالة . أما المتعدى فعلى الضدّ من ذلك . اشير في ما سبق بيانهُ الى المتعدى الذي في طوقه أن يجعل ميدان التعدى واسعاً . إلى هذا يجب أن توجّه تأملك اذا رمت أن تحكم حكماً صائباً فى مدى الفائدة ومتى يجنيها المتعدى بعروجه عن سنن العدالة . ويمكنك أن تفهم ذلك بأتمّ درجات السهولة ، إذا وجهت نظرك الى أفظع صور التعدى ، التى تجعل مقترفها المتعدى سعيداً ، والمظلومين الذين أبوا الانتقام شرّ التاعسين . هذا هو الاستبداد الذى ينتزع الأرزاق من أيدى أربابها إما جهراً أو سراً ، سواء كانت مقدسة أو محرمة ، شخصية أو عمومية — فيفضى الأمر به إلى جرائم لو ارتكبها أحد الافراد لحلّ به العقاب ، ونزل به احتقار الناس . ويلقّب من اجترح واحدة من هذه الجرائم باسم ما اجترحهُ — سارق هياكل — لص — ناقب — سالب ، الخ

٣٤٤

اختلاف العواقب والفعل واحد

واذا تعدّى على الاشخاص أنفسهم بدلاً من ممتلكاتهم لُقّب ، بدل تلك الألقاب الشائنة ، بصاحب السعادة والغبطة . لا بلسان مواطنيه فقط ، بل أيضاً بلسان الكثيرين من الناس ، الذين علموا ما اقترفهُ من الجرائم

وحين ينبذ الناس المنكرات فلا يكرهونها لذاتها ، بل مخافة تبعتها المقوتة . فقد وضح يا سقراط ، ان التعدى أوفر حرية ونفوذاً وقوة من العدالة . وكما قلت فى البداءة ان العدالة هى مصلحة الأقوى . ولكن التعدى هو مصلحة الانسان ، وفائدتهُ الشخصية

قال ثراسيماخس ذلك وهمّ بالذهاب ، بعدما صبّ كلامهُ فى آذاننا صبًّا ، كما يفعل خادم الحمام ، بسيل منهمر من حديثه المتواصل فلم يدعهُ الأصحاب ، بل حملوهُ على البقاء للمناقشة في ما قال ، وأنا نفسى ألححت عليه كثيراً فقلت لهُ

الهرب من البحث

س : — يا ثراسيماخس البار ، أتتركنا بعد ما ألقيت على مسامعنا هذا البحث الغريب قبلما تكمّل تعليمنا ، أو قبلما تعلم هل كلامك فى محله أو لا ؟ أتظن انك تعانى أمراً طفيفاً هو دون المبادئ التى عليها يشيد كل منا حياتهُ ليبلغ أوج السعادة ؟

ث : — ليس هذا هو الواقع فى حسابى

س : — هكذا يظهر ، وإلا فلا يهمك أمرنا ، وسيَّان عندك أشقياء عشنا أم سعداء ونحن نجهل ما قلت انك تعرفهُ . فأرجوك يا ثراسيماخس الصالح أن تجود علينا بأن نشاطرك تلك المعرفة . ومهما تسبغ على هذه الجماعة الغفيرة من نفع فلن يضيع لك فضل . أما أنا فأصارحك انى لم أقتنع بصحة ما قلتهُ ، ولا أصدّق ان التعدي أنفع من العدالة ، ولو أطيلت يد المتعدي دون ما قيد أو نظام ، فعمل ما تشتهيه نفسه بلا معارض . وبالعكس يا سيدى

٣٤٥

الافلاح الوقتى لا يغير الاحكام

الكريم ، هب ان إنساناً تعدى فأفلح بالتعدي ، إما بالتستر أو بالقوة . مع ذلك لا يمكنك أن تقنعني ان التعدي أنفع من العدالة . وربما كان بعض الحاضرين من رأيي ، فأقنعنا ، يا صديقي الفاضل ، اننا مخطئون بوضعنا العدالة فوق التعدي

ث : — وكيف أقنعكم إذا كان ما قلته آنفاً لم يقنعكم ، أفأحقن عقولكم بأدلتي حقناً ؟

الحاكم راع، وعيته الشعب

س : — لا سمح الله أن تفعل ذلك . ولكن قبل كل شيء اثبت ما قلته ، وإذا كنت تروم أن تغير فكرك فغيّره صراحة ولا تغشنا لأنك يا ثراسيماخس (دعنا لا نحيد عن بحثنا) لما حددت الطبيب الحقيقي ، لم تر أن من الضرورة قياس الراعي الحقيقي عليه في خدمة قطيعه، بل بالعكس ترى أنه ، كراع ، يرعى قطيعه غير ناظر إلى ما هو خير النعاج بل كالنذير المزمع أن يؤدب مأدبة يأكله بها راغبه في نيل الثناء والمديح ، أو كتاجر يربح من بيعه . على أن فن الرعاية ليس له غرض آخر إلاّ ما وُضع لأجله . أي ليوافي المواشي بالعلف على قدر ما يتطلبهُ كمالها . وذلك على ما أري كل ما يشتمل عليه لقبه الخاص . وعلى نفس القياس يخيل إليّ أن الضرورة تحتم علينا أن نسلّم أن كل حكومة لا تطلب لحكومة ، إلا ما هو خير المحكومين ، الذين أنيط بهما أمرهم ، خصوصية كانت تلك الحكومة أو عمومية . أو تظن أن السياسيين ، وحكام الدول ، الذين هم حكام بمعنى الكلمة ، يحكمون باختيارهم ؟ ث — : لا أظن ذلك ظنـاً ، بل أتيقنه يقيناً

٣٤٦

س : — ألا تلاحظ يا ثراسيماخس أنهُ في الحكومات الراقية ، لا أحد يتقلد منصب حاكم إذا أمكنهُ التنصّل منهُ ؟ وان كلاً منهم يطلب المكافأة على الحكم ؟ لأن فائدتهُ لا تعود على الحكام بل على المحكومين . أو لم نقل ان كل فنّ يمتاز على غيره من الفنون بمزية خاصة ؟ فتفضل وأجبني ، يا سيدي العزيز ، عن هذه المسألة . ولا تجب ضد اقتناعك ، وإلا فلا يمكننا أن نحرز شيئاً من الفوز في هذا البحث ث : — نعم ان ذلك مايميز كل فنّ

س : — أوَ لا يسدينا كل فن فائدة ممتازة ؟ فيهبنا فن الطب الصحة ، وفن الملاحةَ السلامة في الأسفار البحرية ، وهكذا بقية الفنون ث : — بالتأكيد

غايات الفنون

س : — أوَ لا يسدي فن المرتزقة مكافأة مالية ، وهو غرضه الخاص ؟ . فهل الطب والملاحة عندك سيّان ؟ . فانك إذا حددتهما تحديداً تامـاً ، كما أوجبت ذلك سابقاً ، فانك ترى انهُ وان ربح الملاح صحّته بأسفار البحار ، فان حصوله على الفائدة الصحيـة ، بصفة استثنائيّة ، لا يجعل الملاحة طبـاً . أيجعلها ؟

ث : — حقاً انهُ لا يجعلها

الفوائد الاضافية لا تغير صفة الفن

س : — ولا أراك تدعو فن المرتزقة طباً ، لأن المرتزق يحتفظ بصحته وهو يتقاضى اجوره

ث : — كلا، لا أدعوه

س : — أفتدعو الطب مرتزقاً لأن الطبيب يقبض مكافآت مالية على تطبيبهِ ؟

ث : — كلاً

س : — أفلم تعترف بوجود فائدة ذاتية فى كل فن ؟ ث : — وهو كذلك

س : — فكل نفع خاص ، يعود على أرباب الفنون كافة ، وبسعى واحد

ث : هكذا يظهر

س : — وقد أصررنا على أن هؤلاء الأشخاص استفادوا بقبض الأجور . فذلك عائد إلى فن الربح ، وهو إضافى للفن الخاص . فسلّم ثراسياخس بذلك مرغماً

فوائد الفنون الخاصة التى لأجلها وجدت

س : — أفلا تشمل هذه الفائدة قبض المكافأة — كل ذى فن بفنه ؟ . ففائدة الطب عند الحضر هي سلامة الصحة ، وفائدة المرتزقة حشد الأموال . وفائدة البنّاء الحصول على المسكن . ولكن قبض الأجرة فائدة ترافق الفائدة الخاصة ، فلكل فن فائدته الخاصة ، ومنفعته الخاصة ، التى لأجلها وجد . فاذا لم تكن هنالك مكافأة . فهل من فائدة للفنى فى فنه؟

ث : — واضح أنه ليس من فائدة

س : — أفلا يفيد إذاً عمل مجاناً ؟ ث : — بلى ، على ما أرى

٣٤٧

هى فوائد لمن تعمل له لا لمن يعملها

س : — فترى واضحاً يا ثراسياخس ، أن كل فن ، أو حكومة يسعى ، أو تسعى ، ليس للمنفعة الذاتية ، بل كما قلت آنفاً ، انها توجب حصول تلك الفائدة للأدني أو المحكوم، وليس للأقوي . ولذا قلت يا عزيزى ثراسياخس انه لا أحد يحكم مختاراً ، أو يتحمل مشقة إصلاح شؤون الآخرين المختلة ما لم يتقاض أجرة . لأن من رام النجاح فى فنه فلا تتناول تلك الممارسة فائدته الشخصية : ولا يروم فى حكمه ما هو أفضل له ، بل ما هو لخير الآخرين الذين يحكمهم ، ما دام ضمن حدود فنه . ولذلك وجب اغراء رب الفن بالمال أو بالشرف ، لقبول الوظيفة ، أو بالقصاص إذا هو رفضها

غلوكون : — وكيف ذلك يا سقراط ؟ . فقد فهمت نوعين من المكافأة . أما أن يكون القصاص مكافأة ، وانك تدرجه فى صف المكافآت ، فذلك أمر لم أفهمه

س . — انك لم تعرف مكافأة أفضل الناس ، التى لأجلها يرضى أكثرهم جدارة ان يحكم . ألا تعلم أن الطمع والنهم محسوبان عاراً ؟ وحقاً انهما عار

لماذا يحكم ذوو الجدارة

غ : — أعلم ذلك

س : — فلذلك لا يسعى الأفاضل إلى تبوء المناصب رغبةً منهم فى حشد المال ، ولا طمعاً فى إحراز الشرف . أما الأول فلأنهم لا يريدون أن يدعوا مأجورين بقبضهم المال علناً ، أو لصوصاً بقبضه سراً . وأما الثاني ، أى انهم لا يرغبون فى المنصب لأجل الشرف ، فلأنهم ليسوا من ذوى الأطماع . فبالضرورة إذاً انهم يتربعون فى دست الأحكام مخافة العقوبة إذا هم أبوا . وربما كان هذا السبب فى حسبان قبول الانسان منصب الحكم مختاراً . وعدم انتظاره حتى يُرغم على قبوله ، عاراً عليه

وأثقل مصائب الناس أن يحكمهم أسافلهم إذا رفض فضلاؤهم الأحكام . فأرى أن الأفاضل يتبوأون منصات الحكم تفاديًا من حصول هذه النتيجة ، فيقبضون على أزمة الاحكام ، لا لأنها خير بالذات ، ولا ليجنوا منها نفعًا ذاتيًا ، بل لأن الحاجة المعنوية اضطرتهم إلى قبولها . لا لمسرة ذواتهم ، بل لأنهم أكثر فضلاً وأقل شرًا . فاذا عم الفضل العالي أمة من الأمم رغب رجالها عن مناصب الأحكام . وصار النزاع بينهم ، ليس على نيل الوظائف ، كما هو الواقع بيننا ، بل على الانسحاب منها ، بنفس الرغبة التي بها يتهافت الأدنياء على تسلّم مقاليدها . وحينئذ يتضح أن من يقبل وظيفة حاكم لم يرم فيها إلى خير نفسه ، بل إلى خير المحكومين . وكل رجل ، حكيم القلب ، يؤثر نفعه الذاتي على نفع الآخرين . وذلك في رأيي لا ينطبق على مذهب ثراسيماخس « ان العدالة هي منفعة الأقوى » . وسننظر في ذلك فيما بعد . أما الآن فنخص بالنظر ما قاله ثراسيماخس وهو : « ان حياة المتعدين خير من حياة العادلين » . لأن هذا عندي أجدر بالاهتمام . ففي أي الجانبين أنت يا غلوكون ؟ . وأي الرأيين تؤثر وتراه الأقرب إلى الصواب ؟

غ : — أرى أن حياة العادل خير من حياة المتعدي

س : — أو سمعت كم عدّد ثراسيماخس من الجواذب المغرية في حياة المتعدي ؟

غ : — سمعت ، ولكنني لم أقتنع

٣٤٨ س : — أفتستحسن أن أقنعه ، إذا كان إبراز الحجج ميسوراً لنا ، انه ليس من صحّة في ما قال ؟ غ : — بلا شكّ أستحسن

موازنة العدالة والتعدي باعتبار نتائجها

س : — فاذا قرعنا الحجة بالحجّة والبرهان بالبرهان ، — فنحصي منافع العدالة ، وثراسيماخس يردّ علينا . فنعيد الكرّة بالرد عليه — فيلزمنا احصاء مزايا كلّ من الجانبين والموازنة بينهما . وأخيراً يلزمنا حكَم يصدر قراراً بالفصل بيننا . ولكن إذا بدأنا أبحاثنا كما عملنا مؤخّراً ، بنظام التسليم المتبادل ، فاننا نجمع في أشخاصنا وظائف المحكمين والمحامين

غ : — حتماً هكذا

س : — فأية خطة تؤثر ؟ غ : — الأخيرة

س : — فهلمّ يا ثراسيماخس نستأنف البحث ، وتفضّل علينا بالجواب . أتدعي أن التعدي الكلي ، خير من العدالة التامة التي توازنه ؟

ث : — بأعظم تأكيد ادعيت ، وقد أوردت الحيثيّات

س : — فكيف تنعتهما باعتبار آخر . الأرجح انك تدعو أحدهما فضيلة والآخر رذيلة

ث : — بلا شك

س : — أي ان العدالة فضيلة والتعدّي رذيلة

ث : — على كيفك يا صديقي المازح ! — لأني اسلم ان التعدّي مفيد، والعدالة بالعكس

س : — فماذا تقول إذاً ؟ ث : — بالعكس فيهما تماماً
س : — افتدعو العدالة رذيلة ؟ ث : — لا . بل ادعوها فطرة صالحة خارقة
س : — أفتدعو إذاً التعدى فطرة رديَّة ث : — لا ، بل ادعوهُ حسن سياسة
س : — افتظن يأثراسياخس ان المتعدّين ، حتماً ، حكماء وصالحون ؟
ث : — نعم ، القادرون منهم أن يمارسوا التعدى إلى حد التمام ، ولهم قوة على اخضاع مدن وأمم برمتها ، واستعبادها . ربما تظن انى أتكلّم فى النشالين . ولكن حتى عمل هؤلاء ، اسلم بأنهُ مفيد إذا ظل أمرهم مكتوماً . على انهم لا يستحقون المقابلة مع مَن ذكرتهم الآن

حسبان الفوز فضيلة ولو تعدياً

س : — فهمت مرادك تماماً ، وأتعجّب من إدراجك التعدى فى سلك الفضيلة والحكمة ووضعك العدالة فى ما هو عكس ذلك ث : — ولكنني هكذا ارتبهما
س : — انك اتخذت الآن موقفاً أكثر تعنّتاً ، فلم يبق سهلاً علينا الكلام معك . ولو انك جعلت التعدي مفيداً ، وحكمت انهُ رذيلة ، كما يفعل بعضهم ، لكان عندنا ما نجيبك به ، بناءً على المبادىء المسلَّم بها عموماً . ولكنهُ واضح تمام الوضوح انّك مصرّ على حسبانه جميلا وفعّالاً ، وتنسب إليه كل ما تنسبه إلى العدالة ، حتى بلغت بك الجرأة انك تحسبهُ قسماً من الفضيلة والحكمة . ث : — انك تتكهَّن بدقّة فائقة

٣٤٩

التعنت في مدح التعدى

س : — ولأنى أراك تعنى ما تقول فلا انتكّب عن البحث معك ، لأنى ، إذا لم أكن مخطئاً ، لا أراك تمزح يأثراسياخس ، بل تقول ما تعتقدهُ حقّاً
ث : — وما الفرق عندك اعتقدتهُ أو لم أعتقده ، أفلست بقادر على دفع حججي ؟
س : — لا فرق عندي . ولكن أتريد أن تجيبنى عن مسألة أخرى وهي : أتظنّ ان العادل يرغب فى تجاوز عادل نظيره ؟ ث : — كلاَّ ، وإلاَّ لما كان ساذجاً كما هو
س : — أفيتجاوز العادل حد العدالة فى سلوكه ؟[1] ث : — لا . ولا فى هذا يرغب
س : — أفيرمي إلى تجاوز حدود المتعدّى دون تردُّد ، حاسباً ذلك عدلاً أو لا ؟
ث : — بل يحسبهُ عدلاً ، لا يتردّد فى فعله . لكنهُ لا يقدر
س : — لم أسأل عن ذلك ، بل هل يروم العادل أن يتجاوز رجلاً متعدياً ، لا رجلاً عادلاً ، وبرغبة يفعل ذلك ؟ . ث : — هذا هو الواقع

العادل يتجاوز المتعدى

س : — وكيف الأمر مع المتعدى ؟ . هل ينوي تجاوز العادل ، وتجاوز حد العدالة فى تصرفه ؟ ث : — دون شك ، عندما يأخذ على عاتقه سبق كل أحد ، فى كل شىء
س : — أفلا يتجاوز المتعدى حدود متعد آخر نظيره ، موغلاً فى التعدى ، قصد بلوغ ما لم يبلغهُ سواه ؟ ث : — بلى ، يتجاوز

المتعدى يتجاوز كل واحد

(١) ذلك ليس مفهوماً تماماً . على اننا لم نتمكن من افراغ الكلام في غير هذه الصيغة . وهو في الاصل اليوناني من نوع التورية — دافيس وفوغان

س : — فلنفرغ الجملة فى هذه الصيغة : ان العادل لا يتجاوز ندّهُ ، بل ضده : أما المتعدى فيتجاوز الإثنين ، ندّه وضدّه ث : — أحسنت

س : — وان المتعدي حكيم وصالح ، والعادل خلافه فى الأمرين

ث : — وبهذا أيضاً أحسنت

س : — أفلا يماثل المتعدّي الحكيم والصالح ، بينما العادل لا يماثلهما

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

ث : — من كل بد . فان من كان ذا سجية ، فانهُ يماثل أربابها ، أما ضدّهُ فلا يماثلهم

س : — فسجية كل امرئ بادية فى من يماثلهم هو ث : — أو عندك غير ذلك ؟

س : — جيداً ياثراسيماخس ، أفتدعو أحدهما موسيقيًّا ، والآخر لا موسيقيًّا ؟

ث : — نعم أدعوهما

س : — فأي الاثنين تدعوه حكيما ، وأيهما غير حكيم ؟

ث : — الموسيقىّ حكيم ، واللاموسيقى غير حكيم

س : — أفلا تحسب هذا صالحـاً بقياس كونه حكيما ، وذاك شريراً بقياس جهله ؟

ث : — بلى

س : — أوَ تقول هذا القول فى الطبيب ؟ ث : — أقوله

س : — أفتظن ياصديقي الفاضل ان الموسيقىّ يرمى حين دوزنة أوتاره إلى تجاوز موقف موسيقىّ نظيره ، وادّعاء التفوّق عليه ث — لا أظن

س : — أيروم أن يدعى التفوّق غير الموسيقى ؟ ث : — لا ريب فى أنهُ يروم

٣٥٠

س : — أو يروم أن يتجاوز طبيب طبيباً آخر ، ويفوت حدود الطبابة فى ما يتعلق بالأطعمة ؟ ث : — كلا البتة

س : — فهل يبغى أن يتجاوز غير الطبيب ؟ ث : — نعم

لا يتجاوز الند نده

س : — فانظر الآن ، باعتبار كل أنواع المعرفة واضدادها . هل تحسب العالم عالمـاً من أى نوع كان إذا هو اختار أن يتجاوز عالمـاً آخر ، قولاً أو فعلاً ، غير مكتفٍ بمماثلته فى فعله ، وهو ندّهُ فى حذقهِ ؟ ث : — الرأى الثانى هو الصحيح

س : — وما قولك فى الجاهل ؟ ألا يتجاوز العالم وغير العالم على السواء ؟

ث : — أرجح ذلك

س : — ولكن العالم حكيم ث : — نعم

س : — والحكيم صالح ث : — نعم

س : — فالحكيم الصالح لا يرغب فى تجاوز من ماثله ، بل من غايرهُ وضادّه ؟

ث : — هكذا يظهر

س : — أمّا الشرير الجاهل فيروم تجاوز الاثنين، ندّه وضدّه ث : — بكل وضوح

س : — حسنًا يا ثراسياخس ، أفلا يتجاوز الجاهل حدود ندّه وضده ؟ أليس هذا حكمك ؟ ث : — هذا هو

س : — ولكن العادل لا يروم سبق نده ، بل سبق ضده فقط ث : — نعم

س : — فالعادل يشبه الصالح الحكيم،أما المتعدى فيشبه الشرير الجاهل ث:— هكذا يظهر

س : — ولكنا اتفقنا ان صفات كل منهما تحكى صفات ندّه ث : — اتفقنا

العادل حكيم وصالح

س : — فوضح ان العادل حكيم وصالح ، والمتعدى شرير وجاهل . فسلم ثراسياخس بهذه القضايا ، ولكن ليس بالسهولة التى بها أروى الحديث ، فكان يسلم بعد تردد كثير وعرق غزير . كما لو كان فى فصل الصيف الحار . هنا رأيت فى ثراسياخس ما لم أره قط . وهو انهُ قد احمرّ خجلاً . ولما تقرّر أن العدالة من الفضيلة والحكمة ، وان التعدى رذيلة وجهل،استأنفت الكلام قائلاً : — حسن جدًّا ، فقد انتهت المسألة ولكنَّا قلنا ان التعدىّ شديد الساعد ، ألا تذكر ذلك يا ثراسياخس ؟

استئناف البحث في التعدى والعدالة

ث : — اذكرهُ ولكنى غير مقتنع باستنتاجاتك الأخيرة . وعندى ما يقال فيها . على انى إذا أفصحت عن أفكارى فانى مؤكد انك تقول انى أخطب خطابة . فاختر لنفسك إذاً أحد أمرين ، إمَّا أن تأذن لى بأن أتكلَّم قدر ما أشاء ، أو انى التزم جانب السؤال إذا كنت تؤثر ذلك . وأتصرّف معك تصرّف العجائز فى حال القصص . فأقول « حسنًا » . وانغض رأسى مصادقة ، وأهزه إنكاراً ، حسب مقتضى الحال

س : — اذا كان هكذا فلا تسىء إلى آرائك

ث : — انى أعمل ما يسرُّك،لأنك لا تأذن لى أن أتكلَّم ، أفتريد منى أكثر من ذلك

س : — أؤكد لك انى لا أريد أكثر ولا أقل . ولكن إذا كنت تفعل ذلك فافعلهُ ، وأنا أسألك ث : فابتدىء إذاً

٣٥١

س : انى اكرّر السؤال الذى قدّمتهُ سابقًا، فنستأنف البحث فيه، فبماذا تقوم المقابلة بين العدالة والتعدى ؟ فقد قيل ان التعدى أقوى من العدالة وأعظم فعلاً : أما الآن ، وقد رأينا أن العدالة حكمة وفضيلة والتعدي جهل مطبق ، فبسهولة يثبت انها أقوى من التعدى ، وليس من يجهل ذلك . ولكنى لا أختار فصل الخطاب بهذه الصورة الجازمة، يا ثراسياخس ، بل اعالج القضية بهذه الصورة : أتسلّم أن الدولة المتعدية قد تستعبد غيرها ظلمًا . وتنجح فى ذلك ، فتخضع لها الأمصار ؟

الاستعمار والعدالة

ث : — دون شك انى اسلم . فان أفضل الدول — أي أكثرها غزواً — هي أكثر من سواها اغتصابًا

س : — فهمت ان هذا مركزك . ولكن المسألة التى نعالجها هي : أتتوطّد صولة الدولة الغاصبة دون عدالة ، أم بحكم الضرورة ، لا غنى لها عن التزام العدالة ؟

ث : — اذا صح رأيك أن العدالة حكمة ، فمن اللازم الحصول على نجدتها . ولكن اذا صح رأيي ، فالتعدى هو المستند

س : — ويسرني انك لم تكتف بانغاض الرأس وهزه ، بل أراك تجيب بكل وضوح

ث : — وقد فعلت ذلك لأسرك

س : — فلك عليّ الفضل والمنة ، فسرني أيضاً بالاجابة عما يلي : هل من مدينة أو جيش ، أو عصابة لصوص ، أو أية جماعة أخرى ، وطنت النفس على انتهاج منهج التعدي بالتضامن ؛ أتنجح في مسعى ، وقد فشى التعدي في ما بين أفرادها ؟ ث : — مؤكد لا

الانصاف ركن النجاح

س :— وإذا عرجوا جميعاً عن الشنآن المتبادل، أفليس ميسوراً نجاحهم ؟ ث : — بلى تأكيداً

س : — لأن التعدي ، يا ثراسيماخس ، ينشيء انقساماً وبغضاء بين الانسان وأخيه ، أما العدالة فتوثق أواصر الصداقة والوفاق . أليس هذا أثرها ؟

ث : — ليكن كذلك ، لكي لا أنازعك

س : — شكراً لك يا صديقي الفاضل ، فقل لي إذا كان شأن التعدي ، أين فشا ، خلق العصيان والشنآن ، أفلا يلزم عن ذلك انه متى شجر النزاع بين الأفراد ، أحراراً كانوا أو عبيداً ، ابغضوا بعضهم بعضاً ، فتوترت علاقاتهم وتخاذلوا ، فعجزوا عن العمل ؟

الشقاق أصل الدمار

ث : — هكذا الحال بالتأكيد

س : — وفي حالة سقوط العدالة بين فردين ، ألا يدب بينهما دبيب الخلاف، فيبغضان أحدهما الآخر ، ويبغضان العادلين من الرجال أيضاً ؟ ث : — يبغضان

س : — أفيفقد التعدي في الفرد الأثر الذي له في الجماعة ، أم يحتفظ به ؟ قل يا ثراسيماخس الحبيب ث : — تقول انه يحتفظ به

س : — أفليس ذلك الأثر هو هو أين حل ، سواء في مدينة ، أم في عائلة ، أم في جيش ، أم في غير ذلك ؟ فان التعدي يستحيل معه التعاون في العمل ، لما ينشيء بين الناس من الشقاق والنزاع ، بل انه يجعل المرء عدو نفسه ، وعدو كل انسان ، ولا سيما العادلين . اليس هكذا ؟ ث : — مؤكد هكذا

٣٥٢

التعدي يفرق الاصحاب

س : — فاذا ملأ التعدى قلب امرء ، كانت مآتيه الطبيعية ما يأتي : — أولاً : العجز عن العمل لسبب النزاع ؛ والتقسم في داخله . ثانياً ؛ يصير عدو نفسه ، وعدو العادلين . اليس كذلك ؟ ث: — بلى

س : — ولكن الآلهة عادلة أيها الصديق ث : — هكذا نفرض

س : — فحليف البطل والتعدى عدو الآلهة ، أما العادل فصديقها

ث : — علل النفس بالحجج ، فاني لن أعارضك لئلا أكون خصماً لجماعة (الآلهة)

س : — فلنكمل التعلل ، فأجبني كما فعلت آنفاً . ان العادلين أوفر حكمة وفضلاً ،

في شر الناس بقية من العدالة

أو أوفر قوة على العمل متساندين . أما المتعدون فيتعذَّر عليهم السير معًا ، وما أوردناه من ان الأشرار يعملون متعاونين هو غير واقع . فانهُ لو بلغ الظلم فى نفوسهم حده الأقصى لاستحال عليهم الاتفاق ، أو أن يسلم أحد منهم من شر الآخر . فواضحٌ ان في نفوسهم بقية من العدالة تؤذن بالتئامهم ، وتهيب بهم عن إيقاع كلٌّ بأخيه وبفئته ، وبهذه البقية الباقية من العدالة يتلاءمون . أما الذين تفاقم شرُّهم ، وفقدوا العدالة والانصاف كلَّ الفقد ، فتستحيل عليهم التعاون والاتفاق . هذا هو الواقع على ما أعلم . ولننظر الآن فى هل يحيا العادلون حياة أفضل من حياة المتعدين وأسعد . وقد سبق القول اننا سننظر فى الأمر . فقد حان وقت النظر . أما أنا فأرى انهم يحيون حياة أفضل . ومع ذلك يجب أن ندقق البحث فى هذه النقطة ، لأننا لسنا نعالج مسألة ثانوية ، بل ما يتعلق بكيفية قضاءِ المرء حياته

ث : — فباشر فى البحث

س : — سأباشره . فقل : أندعو ما يعمله الحصان ، أو غيره من الحيوان ، عمله الخاص إذ كان هو آلة إتمامهِ الوحيدة ، أو الآلة الفضلى ؟ ث : — لم أفهم

س : — فانظر إذاً على هذا النمط : أيمكنك تبغير العين ؟ ث : — كلاً

س : — وهل تقدر أن تسمع بغير الأذن ؟ ث : — لا

خصائص الاعضاء

س : — أفليس بحق ندعو النظر والسمع وظيفتي هذين العضوين ؟ ث : — هذا أكيد

س : — ثم انه يمكنك تشذيب أغصان الكرمة بسكين ، أو بأزميل ، أو بأي آلة حادة

ث : — دون شك ان ذلك فى الإمكان

٣٥٣

س : — ولكن لا آلة تحسن تشذيب الأغصان كالمقضاب المصنوع خصيصًا لهذا النوع من العمل ث : — هذا حقيق

س : — أفلا تحدد التشذيب، أو التقليم ، بأنهُ عمل المقضاب الخاص؟ ث : — من كل بد

س : — فأراك تفهم ما استفسرتك إياه ، لما سألتك : أليست وظيفة الشيء هي العمل الخاص الذي هو آلة إتمامهِ الوحيدة أو آلته الفضلى ؟

ث : — فهمت تمامًا . وظهر لى أجلى ظهور ان هذه وظيفة الشيء فى كل عمل

س : — حسنًا جداً ، أفلا ترى ان كل ماله وظيفة خاصة له أيضًا فضيلة أو مزية ، ملائمة ؟ فلنعد إلى المثل نفسه : أفليس للعينين وظيفة خاصة ث : — لهما

س : — ولهما أيضًا فضيلة أو مزية خاصة ؟ ث : — نعم

الخاصة والمزية الفضيلة المزية او شرط لازم لاتمام الشيء

س : — أوتخص الأذنين بوظيفة ؟ ث : — نعم س : — وهل لهما فضيلة ؟ ث : — نعم

س : — أوَ هذا هو الواقع فى كل الأشياء ؟ ث : — هذا هو

س : — فتأمل الآن ، أتستطيع العينان إتمام وظيفتهما الخاصة دون فضيلتهما الملائمة ، أي إذا حلَّ محلها علة ؟ ث : — وكيف يمكنهما ذلك ؟ فقد تعني حلول العمى محل البصر

وظيفته

س : — أية كانت فضيلتهما ، لم اسأل عن ذلك . بل سألت هل تم العينان وظيفتهما بواسطة مزيتهما ، أو انهما تعجزان عن إتمامها بسبب علتهما ؟ ث : — تعجزان

وظيفة النفس وفضيلتها

س : — افتعمّم هذا الحـكم فى كل المسائل من هذا النوع ث : — هكذا أظن

س : — فهلم ننظر فى النقطة الثانية . فهل للنفس البشرية وظيفة خاصّة ، لا يمكن إتمـامها إلاّ بها ؟ ث : — مؤكد

س : — مهما يكن من أمر ذلك الغـير . مثلا : أيمكنك أن تعزو عادلاً ، الترأس والحـكم والتبصُّر ، وما شا كلها من الأفعال ، إلى غـير النفس ، أو انك تقول ان هـذه الأفعال خاصة بها ؟ ث : — لا نقدر أن نعزوها إلى غير النفس

فضيلة النفس ولزومها

س : — وما قولك فى الحياة؟ أيمكنك أن تعزوها لغير النفس ؟ ث : س انها خاصة النفس

س : — أو تجزم أيضاً أن للنفس فضيلة ؟ ث : — بلى

س : — أتستطيع النفس إتمـام وظيفتها دون فضيلتها ، أم انك ترى ذلك مستحيلاً ؟

ث . — أراه مستحيلاً

س : — فيلزم إذاً ، ان النفس المعتلة تسوس سياسة خرقاء ، وتعنى شر عناية . والنفس السليمة تتم هذه الوظائف أفضل إتمـام ث : — من كل بد

س : — فالنفس العادلة ، والرجل العادل ، يحيا حياة راضية ، والمتعدي يحيا حياة ردية

٣٥٤

ث : — هذا أكيد حسب ادلالك

العادل سعيد ومبارك وعكسه المتعدى

س : — فيمكننا القول « إن من يحيا حياة العدالة هو سعيد ومبارك . وعلى الضدّ من ذلك من يحيا حياة التعدي » ث : — من كل بد

س : — فالعادل سعيد والمعتدي تاعس ث : — فلنقُـلْ انهما كذلك

س : — ومعلوم أن السعادة هى النافعة لا التعاسة ث : — دون شك معلوم

العدالة هى النافعة

س : — فليس التعدي ، يا ثراسيماخس الفاضل ، أنفع من العدالة !

ث : — حسناً يا سقراط ، فليكن ذلك تعللك فى وليمة بنديس

س : — وعليّ أن أشكر لك ذلك يا ثراسيماخس ، لأنك استعدت خلقك ، وعدلت عن السخط عليّ . مع ذلك لستُ أتعلّـل التعلّـل التام . على أن اللوم فى ذلك عليّ لا عليك . لأنه كما أن النهمين يذوقون كلّ صحن أولاً ، ليروا ما يختارون بعدهُ ، هكذا أنا أرانى أهملت المسألة الأولى التى كنا نفحصها ، فى ما يختصُّ بطبيعة العدالة ، قبلما آخذ الجواب عنها . مندفعاً نحو هذا الشيء المجهول ، لأرى أفضيلة هو أم رذيلة ، أوَحكمة ام جهل . ثم برزت مسألة « أن التعدّى أنفع من العدالة » فلم يمكنى . إلاّ الخروج عن حدود المسألة الأولى ، والدخول فى البحث الجديد ، ولذلك كانت نتيجة بحثنا الحـالى إنى لم أعرف شيئاً . لأنى إذا كنت لا أعرف ما هى العدالة فلا يمكنني أن أعرف أفضيلة هى أم رذيلة ، أوَسعيد صاحبها أم تاعس .

الكتاب الثانى

المدينة السعيدة

خلاصته

يشغل غلوكون واديمنتس ، فى أول الكتاب ، ميدان البحث الذي أخلاه ثراسياخس . وهما يسرّان باليقين ان حياة العدالة تؤثر على حياة التعدي . على انهما لا يمكنهما التعامى عن مغالاة المدافعين عن العدالة فى صفاتها العارضة ، معرضين عن صفاتها الذاتية . أفليس الانسان ميّالاً للتعدى متى أمن العواقب ؟ أو ليست العدالة تسوية قضت بها الضرورة الاجتماعية ؟ وهل مدحها الشعراء لذاتها ؟ وبناء على اعتقاد وجود الآلهة ، فكيف نعامل هذه الآلهة العادلين والمتعدّين من بنى الانسان ؟ ألا تصفح عن آثام الأشرار بواسطة ذبائح التكفير ؟ فيكون المتعدُّون كالعادلين من حيث السعادة الأخروية ، وهم أوفر سعادة منهم فى العالم الحاضر ؟

فاعترف سقراط بصعوبة المسألة ، واقترح أن يفحص عن طبيعة العدالة والبطل فى ميدان أوسع ، ووسط أكبر . ألا تنصف الدول العدالة كالأفراد ؟ . وعليه أفليس تجليها فى الدول أتم وأوضح ؟ فلنقتف أثر الدولة منذ نشأتها ، فنتمكّن من تبيُّن نشأة العدالة والتعدى

ان المرء لا يستغنى عن اخوانه . هذا هو منشأ الهيأة الاجتماعية والدولة . ولا بد فيها من أربعة أو خمسة رجال ، على الأقل ، يمثلون العناصر الأولى فى توزيع الأعمال ، ويتسع مجال ذلك كلما نمت الجماعة . فتحتوى الحياة فى بدء نشأتها على الزرّاع والبنائين والحاكة والأساكفة . يضاف إلى هؤلاء ، لأوّل وهلة النجارون والحدادون والرعاة . ومع الزمان تنشأ التجارة الخارجية التى تستلزم زيادة المنتوجات فى الوطن ، لدفع بدل الواردات من الخارج . وازدياد المنتوجات يستلزم وجود طبقات من الباعة وأصحاب المخازن والصرافين . وتحتاج الأمة إلى تجار ، وبحارة ، ومستخدمين وعمال . وإذا نشأت الأمة على هذا النسق حصلت على حاجاتها ، إذا لم يزد عددها على ثروتها نسبيًا . على إنها إذا جهّزت بالكماليات مع الحاجيات لزمها طهاة ، وحلوانيون ، وحلاقون ، وممثلون ، وراقصون ، وشعراء، وأطبّاء. وذلك يستلزم طبعًا مجالاً شاسعًا ، وقد يفضى إلى اشتباكها فى الحرب مع جيرانها . فتحتاج الدولة إلى جيش دائم وطبقة حكام . فكيف تختار هؤلاء الحكام ؟ . وما هى الصفات اللازمة لم ؟ يجب أن يكونوا أقوياء ، سراعًا ، شجعانًا ، حماسيين ، ولكن ودعاء وفيهم ميل إلى الفلسفة . فكيف يهذبون ؟ . أو لا يجب أن نكون غاية فى التأنق فى انتقاء القصص التى

تملى على أسماعهم فى حداثتهم ؟ فلا يباح فى هذه القصص ما يمس كرامة الآلهة . فلا يقال فيها انها تُشهر حرباً بعضها على بعض . أو انها تنقض العهد والميثاق ، أو انها تنزل الكوارث بالناس ، أو انها تتلوّن فى مظاهرها فى الأرض ، أو انها تخدعنا بكذبها

متن الكتاب

قال سقراط لما قلت ما قلت خلت اننا انتهينا من المباحثة . والظاهر انهُ لم يكن سوى المقدّمة . لأن غلوكون الشجاع فى كل معمعان ،لم يستحسن انسحاب ثراسيماخس من الميدان، فبدأ الكلام قائلاً :—

غلوكون : — يا سقراط ، ألمجرّد الظهور تروم أن تقنعنا ، أم لأجل الاقناع الحقيق ، ان العدالة خير من التعدي ؟

انواع الخيرات الثلاثة

سقراط : — إذا كان فى إمكانى ، فانى أوثر إقناعكم إقناعاً حقيقياً

غ : — فلست عاملاً ما تهوى إذاً . فقل ما رأيك فى ما يأتى : أتوجد خيرات يسرّنا امتلاكها لذاتها لا للمنافع الناجمة عنها ؟ . كعاطفة السرور ، واللذات البريئة . فمع انه لا ينشأ عن هذه اللذات نفع فمجرّد امتلاكها يسرّنا

س : — نعم توجد خيرات من هذا النوع

غ : — أو ترى انهُ توجد طائفة أخرى من الخيرات ، وهى ما يراد لذاته ولنتائجه ؟ كالحكمة ، والصحة ، والبصر ، فاننا نرغب فى هذه الخيرات طلباً للغرضين

س : — نعم توجد خيرات من هذا النوع

غ : — أو تظن انهُ توجد طائفة من الخيرات ، كالرياضة البدنية ، واحتمال المعالجة الطبية فى حال المرض ، والطبابة ، وكل الأعمال المنتجة . فهذه الأشياء مزعجة ولكنها تفيدنا ، فمع انها لا تطلب لذاتها فاننا نقبلها لأجل الفوائد والمكافآت الناجمة عنها ؟

س : — لا شك فى أنه يوجد خيرات أيضاً من هذا النوع . فماذا تقصدان بعد ذلك ؟

غ : — ففي أى هذه الأنواع الثلاثة تدرج العدالة ؟

تطلب العدالة لذاتها ونتائجها

س : — أظن انها تدرج فى أفضلها ، أى انها من الخيرات التى يقدّرها من ينشد السعادة الحقيقة ، فتطلب لذاتها ولنتائجها

٣٥٨

غ : — ولكن الكثيرين من غير رأيك ، فهم يرون أن العدالة من الأشياء المزعجة، فهى فى ذاتها مكروهة ومنبوذة ، ولكنها تُطلب لما فيها من الثقة بالمكافآت ، والصيت الحسن

س : — اعلم انها تظهر هكذا ، ولذلك فنّدها ثراسيماخس ، وزكّى التعدّى، فالظاهر انى تلميذ خامل :

غ : — فاسمعني إذاً ، وقل هل توافقني في رأيي . فاني أرى انك قد رقيت ثراسياخس كما يرقى الحاوي الحية ، بأسرع مما يلزم . أما أنا فلا أرى ما قيل فى شرح العدالة والتعدّى كافياً . فأحب الوقوف على ماهية كل منهما ، وما لهما من النفوذ فى النفس ، مع صرف النظر عن الجزاء ، والنتائج الناشئة عنهما . فاذا كنت تريد ، فانى أبدأ البحث على المنوال الآتي بيانه : استأنف حديث ثراسياخس . فاخبرك أولا رأي الناس العام في طبيعة العدالة وأصلها . وثانياً أبيّن ان جميع الذين أرادوها لم يرغبوا فيها لذاتها . بل قبلوها مرغمين لحاجة لا غنى عنها ، لا لأنها خير بالذات . وثالثاً ان تصرّفهم هذا نشأ عن تعقّل وروية ، لأن حياة الإنسان المتعدى ، على قولهم ، أفضل كثيراً من حياة العادل . إني لا أذهب مذهبهم ياسقراط ، ولكن كلمات ثراسياخس ، وألوف من اضرابه ، مازالت تطنّ بها أذناى ، فأرانى في حيرة من أمرى ، فاني لم أسمع حديثاً مفعماً فى أفضلية العدالة ، فأروم أن أسمع امتداحها منك وحدك ، على ما هى فى ذاتها ، وسأطنب فى امتداح حياة المعتدين ، وأفضليتها على حياة العدالة . فأهب لك نموذجاً به أحب أن أسمعك تفنّد البطل وتوجب العدالة . أفتستحسن رأيي ؟

الحقيقه بنت البحث

س : — كل الاستحسان . فماذا يسرّ العاقل أكثر من المداولة فى موضوع كهذا ، المرّة بعد المرّة

زعمهم في أصل العدالة

۳٥۹

غ : — أحسنت فاسمع إذاً كلامى فى القضية الأولى وهو « طبيعة العدالة وأصلها » يقولون ان التعدى مأثور لذاته ، ولكن عاقبته رديّة . لأن الشر الناشيء عن وقعه يربى كثيراً على الخير الناجم عن اقترافه . ولذا بعدما ظلم الناس بعضهم بعضاً زمناً طويلاً ، وتحملوا ثقل وطأته على النفوس ، واختبروا العدالة والتعدى كليهما ، رأوا ان الأفضل للذين لا يقدرون أن ينبذوا أحدهما ويختاروا الآخر ، أن يتفقوا أن لا يَظلموا ولا يُظلموا . هذا منبت الشرائع والمعاهدات بين الإنسان وأخيه ، فحسبوا ما أوجبته الشرائع عادلاً مشروعاً . قالوا : هكذا نشأت العدالة ، وهى حلقة متوسطة بين الأفضل ، وهو التعدى دون عقوبة ، وبين الارذل ، وهو الانظلام مع العجز عن الانتقام . فالعدالة المتوسطة بين هذين الطرفين مرغوب فيها . لا لأنها خير بالذات ، بل لأنها التحفت بشرف دفع التعدى . ويقولون انهُ متى امتلك المرء المقدرة على التعدى ، مع اكتسابه أوضاع الرجال ، فانهُ لا يرضى قطعياً أن يستضعف ، فيتقيّد بنبذ التعدّى . هذا ما قيل فى طبيعة العدالة وفى أصلها . الحقيقة الثانية فى بيانى : يتبع الناس سنن العدالة غير مختارين . وينكبون عن الضرر لعجزهم عن إضرام ناره ، ويمكن إيضاح ذلك إيضاحاً تاماً بالشاهد التالى .

العدالة وسط بين طرفين

لو أطلقنا أيدي العادلين والمتعدين سواء ، وأبحنا لكل منهم أن يعمل ما تهوى نفسه . وتتبعنا آثارهما لنرى إلى ماذا قادت كلاً منهما ميوله لوجدنا العادل منحدراً بكليته فى

تيار التعدى كعديم العدالة تماماً ، راغباً فى إحراز ما تجوع إليه نفسهُ من الملاذ ، وتنشده كل خليقة كالخير المراد بالذات . ولكن الشرائع هى التى ردعتهُ عن مطاوعة الشهوات ، وأرغمتهُ على احترام المساواة

٣٦٠ اسطورة خاتم جيجيس

ويمكن تحقُّق ذلك ، إذا تمتع الناس بالحرية التامة فى العمل ، من الأسطورة التى يروونها عن جيجيس الليدى . تقول الأسطورة : —

كان راع يرعى مواشى ملك ليديا في ذات يوم هطلت الأمطار ، وثارت العواصف فتصدَّعت الأرض بفعل زلزال شديد ، وحدثت فى أرض المرعى هوَّة عميقة . فتعجب الراعى مما حدث . وانحدر إلى أسفل الهوَّة فرأى غرائب جمة جاء وصفها فى الأسطورة منها حصان نحاسى مجوَّف ، فى جانبيهِ كوى ، أطلَّ منها الراعى فرأى فى جوف الحصان جثة ميت أكبر من جسم الإنسان العادى . فلم يأخذ منها سوى خاتم ذهب كان فى إحدى الأصابع ، ثم صعد من الهوَّة . فلما اجتمع الرعاة على جارى عادتهم الشهرية ، لينظموا قراراً يرفعونه إلى الملك فى تبيان ما حدث لقطعانهِ ، كان صاحبنا بينهم ، والخاتم فى يدهِ . وفيما هو جالس فى الجماعة ، وهو يلعب بالخاتم ، عرض انهُ ادارهُ فى اصبعهِ فلما صار الختم إلى باطن اليد اختفى لابس الخاتم عن النظر . فصار الرعاة يذكرونهُ بصيغة الغائب ، فأدهشهُ منهم ذلك . وجعل يعالج الخاتم ليرده إلى موضعه ، وحينذاك عاد فظهر للناظرين . وكرَّر التجربة ، ليرى الخاتم هذه المزيَّة ، فتكررت النتيجة . فثبت له انه كلما دار الخاتم إلى باطن الكف غاب لابسهُ عن النظر ، وإذا عاد إلى موضعهِ عاد لابسه إلى الظهور . فتطوع الراعى لمرافقة الوفد الذى يحمل التقرير إلى الملك . ولما وصل القصر راود الملكة ، وكاد معها للملك فاغتاله وانتزع عرشهُ

فلو ان فى الدنيا خاتمين من هذا النوع ، أحدهما فى يد العادل والآخر فى يد المتعدى لما تشبث أحدهما بالحرص على الانصاف ، فنسكب عن سلب أموال جيرانهِ ، وفى طاقة يدهِ الحصول عليها ، وعلى ما يريد ، فى الأسواق وفى البيوت ، دون رهبة . فيدخل البيوت ويواقع من أرادها منهنَّ ويقتل من يشاء ، أو يفك أغلال من يشاء . ويفعل فى الناس فعل الله فى خلقهِ . فلا يختلف بذلك عن المعتدي ، بل يسير كلاهما فى سنن واحد ، وذلك دليلٌ قاطع على ان لا أحد يعدل مختاراً ، بل مرغماً . لأن العدل ليس خيراً للأفراد . وكلٌّ يتعدي حيث يكون التعدى مستطاعاً ، لأنهم يرون أن التعدى أنفع كثيراً من العدالة ، وهم مصيبون حسب هذا القسم من بحثنا ، فلو ان لكل هذه الحرية ، ولم يمس ما للغير ، لحسب فى نظر العقلاء ذا مس من الجنون ، مع انهم يمدحونهُ فى الوجه مخافة ان تصيبهم أضرار تعدياتهِ

والظلم من شيم النفوس

أما ما يتعلق باختلاف حياة الرجلين المار ذكرهما ، فيمكننا بلوغ نتيجة صحيحة فيه إذا قابلنا أعظم الناس عدالة بأوفرهم تعدياً . وبذلك فقط يمكننا حل المسألة . فكيف نقابل بينهما؟ دعنا لا ننزع شيئاً من تعديات المتعدى ، ولا من عدالة العادل . بل يكون كل منهما كاملاً فى سجيته ، أولا ليتصرَّف المتعدى تصرُّف رب الفن الحاذق ، كربان من الطراز الأول أو كنطاسى خبير فى ما يمكن أن يعمل وما لا يمكن أن يعمل ، فى فنه ، فيفعل هذا ويعرض عن ذلك . وإذا ذلّ فى خطوة كانت له قدرة على إصلاح الزلل . على هـذا النحو يجرى المتعدّى تعدياته بمهارة خارقة . ويتمكن من إخفاء عمله عن الأنظار ، إذا أراد أن يكون ظلاّماً . وإذا ظهرت حقيقته حسبناه أخرق . وأقصى حدود الارتكاب أن يتلبس صاحبه بالعدالة ، وهو خلو من حقيقتها . فنسلم للكلّى التعدى أوسع الميادين فى دوس العدالة . وانه مع ارتكابه الكبائر يربح اسم العادل وشهرته . ويتمكن من ترقيع ما تمزق من سياسته ، بواسطة البلاغة فى الخطابة . فيقنع الناس بعدالته ، إذا فشا أمر ارتكاباته . أو يقنعهم بالقوة والشجاعة والأصحاب والمال ، حيث يلزم ذلك

اشتهار المرء بعكس حقيقته ٣٦١

وبعدما صورنا رجلاً بكل هذه الأوصاف فلنضع بازائه لاستيفاء البحث ، رجلاً طيب القلب ، وليكن هذا الرجل عادلاً حقيقياً ، طاهر الوجدان ، ويرغب فى العـدالة كما قال اسخيلس ، لا ظاهراً بل حقيقة ، ولنجرّد هذا العادل من ظاهرات بره وصلاحه ، لانه إذا اشتهر بالعـدل ، فنال من الناس مكافأة وشرفاً ، لا يمكن التيقن إذ ذاك ، هل رغب فى العدالة لذاتها ، أو لنتائجها . فلنجرِّده من كل شىء إلاّ العدالة . وليكن فى عكس حال الرجل الآخر إلى جانبه . ومع سلامته من كل مغايرة يشاع عنه انه مرتكب من الطبقة الأولى . فتمتحن عدالته امتحاناً شديداً ، فيشهَّر ، برهاناً على سوء السمعة ، وما ينتج عنها ، فيعاقب بالتعذيب ، عملاً بأحكام العدالة . ولكنه لا يثنيه عن كماله خزى ولا عار ، بل يظل ثابتاً حتى الموت . وقد ظهر لنظر الناس غير مستقيم فى حياته ، مع فرط استقامته وبره . وبهـذا الاعتبار يبلغ كلا الرجلين أقصى مداه ، الواحد عدالة ، والآخر تعدياً . وعندئذ يمكننا أن نعرف أيهما أسعد حالاً

البار بصورة مجرم

س : — ما أعجب تجريدك كلاً منهما لحكمنا كمثالين عريانين .

غ : — على قدر الامكان . وبعدما وصفناهما ، كما سبق ، لا تبقى صعوبة فى معرفة الحياة التى تترصَّد كلاً منهما . فدعنى أصفها ، وإذا بدأ الوصف سمجاً فلا تنسبنَّه إلىّ كأنه منى يا سقراط ، إنما هو ممَّن يؤثرون التعدي على العـدالة . فانهم يقولون ، أنه فى موقف كهذا يجلد العادل المتَّهم ويعذَّب ، ويوثق بالأغلال ، وتسمل عيناه بأسياخ حديدية محمية بالنار . وبعد أن يذوق كل صنوف العذاب يُصلَب . فحينذاك يعلم أن الأفضـل له ، ليس

٣٦٢

العادل المتهم بالشر

فقط أن يكون عادلاً بل ، أن يعرف انه عادل . وان كلمات اسخيلس هي أكثر انطباقاً على المتعدى منها على العادل . لانهُ تأيّد وتزكى كعادل لاذ بالحقيقة ، ولم يعش حسب أهواء الناس الشريرة ، وانهُ لم يظهر ظهوراً بل كان بالحقيقة متعدياً . وهذا هو قوله : —

مستغلاً دوحة النفس وقد أينعت باللب خير المشورات

المتعدى المتلبس بالعدالة

فتمكن أولاً من تبوؤ المناصب لاشتهاره بالعدالة وثانياً يختار من شاءها زوجاً له . ويصاهر أولاده الأسر التى يريدها . ويعقد الاتفاقات المالية ، والشركات التجارية مع من اختار . وفوق الكل ينمى ثروتهُ بالدخل الوافر . ولا يعثر بما فى نفسه من كوامن الخداع . ويكون فوّازاً فى كل مضمار سراً وجهراً . ويتفوّق على مزاحميه ويكيد أعداءهُ ويتوشح بجلباب الفضيلة والتقى . فيقدم القرابين الثمينة إكراماً للآلهة . وله حظ الرجل العادل ، بواسطة تقدماته للآلهة ، ولمن اختار من الرجال . فهو أدنى من العادل الحقيقى لربح رضا السما . ولذا قالوا أيها العزيز سقراط : ان حياة المتعدى خير من حياة العادل عند الله والناس

ولما قال غلوكون ذلك هممت بالجواب . ولكن قبلما أفتح فمى قال أخوه أديمنتس

اد : — لا تتصور يا سقراط انهُ قد قيل ما يكفي لشرح التعليم

س : — ولماذا لا ؟

اد : — لأنهُ ينقصهُ القسم الاعظم مما يجب إيراده فى هذا المقام

س : — فقد أحسن من قال : الأخ عضد قريب . فأنت عضد أخيك ، تقيه شر الانحدار ، وسنده المتين ، فتصونهُ من غوائل العثار . مع ان ما أبداهُ غلوكون كاف لسقوطى فى الميدان ، وغل يدىّ عن نصرة العدالة فى ساحة الرهان

اد : — انك تتهكم ، فاسمع ما يلى . فان علينا أن نورد من الشواهد ما يعاكس منهج غلوكون ، فنمدح العدالة ، ونذم البطل ، لتجلية ما أظن انهُ المعنى الحقيقي الذى أراد الاعراب عنه فأقول : —

٣٦٣

يحثّ الوالدون أولادهم ، والمعلمون تلاميذهم ، وكل من تعاطى تهذيب الأحداث أحداثهُ ، على أتباع سنن العدالة . ولكنهم لا يوجبونها لذاتها ، بل لما تهب لهم من كرامة واحترام فمرادهم أن يربح المرء لاشتهاره بالعدالة . فيضمن لهُ هذا الاشتهار الفوز بالمناصب ، وبالزواج ، وبكل ما ذكرهُ غلوكون انهُ مضمون للعادل بسامى صفاته . على أن الاشتهار بالعدالة يؤدى بأربابها إلى أبعد من ذلك . فان فوزهم برضا الآلهة ينيلهم ، على ما قالوا ، سعادات لا توصف ، تسبغها على الناس . كما قال هسيودس وهيرميرس الحكيمان . قال أولهما(١) : — ان الآلهة تجعل أشجار العادلين السنديانية

انواع مكافآت العدالة

أفنانها بالجنى تزداد زينتها وتحتها ما جناهُ النحل من عسل
وشاؤهم بجزاز الصوف زاهية كأنها الثلج يكسو ذروة الجبل

---

(١) هسيودس الأعمال والأيام ٢٣١

وقال ثانيهما[١]

فيجلس سيّداً مثل الاله محاطاً بالمفاخر والمباهى
كثيراً خيره زرعاً وضرعاً وصيداً لا يدانيه تناهى

جزاء الالهة للابرار

وقد وصف الإلهين موزيوس وابنه اومولبوس ، انهما يسبغان على الأبرار بركات اسمى مما ذكر . فقد حملاهم إلى هادز . فاتكأوا مع جماعة الأبرار ، فى الولائم المعدّة لهم ، مكللين باكليل المجد . وقضوا الزمان برشف كؤوس الصفا ، حاسباً رشف الكؤوس إلى الأبد اسمى مجازاة الفضيلة . على أن بعضهم لم يقف عند هذا الحد فى وصف البركات التى تسبغها الآلهة . فقالوا ان التقى ، حافظ العهود ، يترك وراءه احفاداً وذرارى خالدة : هذه بعض الخيرات التى ينالها المرء جزاء اتصافه بالعدالة

عقوبات الاشرار الدينونة والاخروية

أما الفجار والظالمون فيغوصون فى أوحال المستنقعات فى هادز ، ويقضى عليهم أن ينقلوا الماء بالغربال جزاء ما صنعت أيديهم ، وأن يلتحفوا ، فى حياتهم ، بالفضيحة والعار ، فيحل بهم كل ما ذكره غلوكون من العقوبات التى حلّت بالعادل الذى حسب متعدياً . فيُحلّون بالمعتدين هذه العقوبات ، ولا يستطيعون حمل أكثر منها . هذا هو نمطهم فى اطراء الصفة الواحدة وذم الأخرى

٣٦٤

واعتبر أيها العزيز سقراط ، فى أمر العدالة والتعدى ، نوعاً آخر من البحث وهو ماورد فى كتابات الشعراء ، وفى الحياة العادية . فقد أجمع الناس على ان الاتصاف بالعدالة والعفاف فضيلة عسرة المرتقى ، وان الانغماس فى التعدى والفجور لذة سهلة المنال ، ولكن الشرائع والرأى العام تنكرها ، ويقولون ان الأمانة عموماً أقل نفعاً من الخيانة . ويغالون فى تغبيط الأشرار وفى إكرامهم سرّاً وجهراً ، من أغنياء ومتسوّدين . وفى نفس الوقت يزدرون الفقراء والضعفاء ويحتقرونهم ، وهم يعلمون انهم أفضل من أولئك

امتداح الاشرار لغنائم وازدراء الفضلاء لفقرهم

وأغرب من كل ما ذكر ما قالوه فى الآلهة . وفى الفضيلة من هذا القبيل . ومنه : ان الآلهة تبلو كثيرين من الأبرار بالكوارث والمحن ، وتسبغ على الأشرار سوابغ النعم . فيقرع المملقون والدجّالون أبواب المثرين ، ويؤكدون لهم نيلهم السلطان الإلهى ليغفروا لهم ما اجترحوه هم وآباؤهم من المظالم والفجور . لقاء القرابين والتسابيح والولائم وحفلات السرور . وإذا أراد أحدهم الإيقاع بعدوه أمكنه ذلك بنفقة زهيدة ، باراً كان خصمه أو مجرماً . فيقول لهم أولئك المداهنون انهم يسترضون الآلهة بالتوسلات والطلاسم ، فيحملونها على إجابة سؤلهم . ويستشهدون بالشعراء لاثبات ادعائهم فى تسهيل الارتكاب ، ومنها قول أحدهم[٢]

الامة الراشية والالهة المرشية

كن كيف شئت فان الله ذو كرم وما عليك وان أخطأت من باس

(١) هوميرس : اوديسا ١٩ : ١٠٩ (٢) هنسيودس : الإيام والاعمال ٢٨٧

ان الخطيئة سهلاً بات مرتعها   تزينهُ فائحات الورد والآسِ
أما الفضيلة فالخلاّق يقرنها   بما يذيب الحشا فى أفضل الناسِ

ويقولون ان سبل الفضيلة عسرة المرتقى كالشم الرواسى ، ويستشهدون بهوميرس لإثبات تأثير الناس فى نفوس الآلهة ، وتحويلها عن مقاصدها . قال(١) : —

حتى الالاهات ترشى فى محاكمها   فتعلن الصفح عما قد جنى الرجلُ
تجود بالعفو عنهُ بعد نقمتها   حتى غدا برضاها يضرب المثلُ

وقد أصدروا عدداً عديداً من الكتب من تآليف موزيوس واووفيوس ، ابنى القمر والزهرة ، اثنتين من إلاهات الفنون على مايزعمون . فيها طقوس — لاقناع الأمم والأفراد فقط ، انهُ بواسطة الذبائح والولائم للأحياء والأموات ، وبواسطة الرياضات الروحية ، التى يدعونها أسراراً ، تغسل ذنوبهم ، وتستر عيوبهم ، وتطهر قلوبهم . وان هذا هو سر نجاتهم من العذاب الأبدى الذى يحل بمن لم يستعدوا للفوز بالبر ، بواسطة الذبائح والقرابين . فماذا عسانا أن نتصوَّر ياسقراط ، أن يكون تأثير هذه الأفايل وأمثالها ، فى الفضيلة والرذيلة وجزائهما ، فى عقول شبابنا ، وهى تملى على مسامعهم كل يوم ، بصور عديدة متنوّعة ؟ وبعضهم حصفاء ، أرباب فطن ، قادرون على بلوغ قنن الأفكار ، كما تبلغ الجوارح قنن الجبال ، فيتذوّقون هذه الأقوال ، ويفكرون بأية طريقة ، وأية أوصاف ، يمكنهم أن يجتازوا معارج الحياة ؟ فمن أرجح الممكنات أن يناجى الشاب نفسه بقول بندار(٢)

٣٦٥

تأثير الاقاويل فى نفوس الشبان

سيّان ان كنت طوداً للعلى شمخت   فيهِ العدالة والآداب والحُلُمُ
أو كنت ذا نقمة يغتال صاحبه   فالله يرضى بذا والشرع والأممُ

فالرأى العام يقول : لا فائدة فى كونى باراً ، إذا لم يذع فضلى ، ويشتهر برى وصلاحى فى الملأ ، فلا يصيبنى من جرّاء ذلك سوى الاضطراب والخسران . مع انى لو كنت متعبداً وانتحلت شهرة عادل ، فلى حياة سعادة لا توصف . فما دامت المظاهر الخارجية راجحة على الحقيقة الداخلية كما أوحى إلىّ الحكماء وهى أول معارج السعادة ، فيجب أن استسلم بكليتى إليها ، متستراً برداء الفضيلة ، وأجر ورائى ذيلاً ثعلبياً(٣) من المكر والدهاء على قول ارخيلوخس

البروبجندا السياسية فى أجلى ظاهراتها

ورب قائل : انهُ ليس من السهل استتار المنافقين طويلاً . فنردّ عليهِ ان ليس شئ من العظائم سهلاً . وإذا رمنا السعادة فهذا هو سبيل الفوز بها ، كما أثبت بحثنا ذلك . فلكى نخفى حقيقة خداعنا يجب أن نؤلف جمعيات سريّة ، وننشىء أندية أدبيّة . وهنالك

(١) هوميرس : الالياذة ٩ : ٤٩٧ (٢) لا وجود لهذا الاقتباس في كتابات بندار التي بين أيدينا (٣) تزداد الصعوبة في فهم هذا التعبير ، لجهلنا أسطورة الثعلب التى ذكرها ارخيلوخس ، ونقلها عنه أفلاطون ، والارجح ان مغزاها ان الثعلب مثل في الخداع والحيل

أساتذة بارعون ، تجرى البلاغة على ألسنتهم ، قادرون على الافحام فى ميادين الشرع والبيان، وبهذه الوسائل الاقناعية ، تحسنت أو ساءت ، نفوز بأغراضنا . ونواصل أعمالنا الخداعية دون عقوبة . على انهُ يقال ان مخادعة الآلهة والتغلُّب عليها مستحيلان . فنجيب : — إذا كانت الآلهة غير موجودة أو إذا كانت موجودة ولكنها عديمة الاكتراث لشؤون الخلائق ، فلماذا نزعج أنفسنا مخافة مراقبتها أعمالنا ، ومعرفتها سرنا وجهرنا ؟ وإذا كانت الآلهة موجودة ، وساهرة على مراقبة أمورنا ، فلسنا نعرف عنها شيئاً غير أساطير الشعراء . الذين أوردوا أنسابها . فقد أخبرنا هؤلاء الثقات ان الآلهة تسترضى فتؤمن غوائلها وتحوّل عن مقاصدها بالذبائح والنوافل والتضرعات فاما أن نؤمن بالقولين كليهما ، أو نرفضهما كليهما . فاذا قبلناهما سلكنا سبل التعدى . وترضينا الآلهة بالذبائح المقتناة بالأموال التى ربحناها بجناياتنا . لانهُ إذا كنا عادلين نجونا حقاً من العقاب بين أيدى الآلهة ، ولكنَّا بذلك ننفض أيدينا من الفوائد الناجمة عن التعدى . أما إذا كنا متعدين فلا نحرز هذه الفوائد فقط ، بل نتمكن من التأثير فى الآلهة بصلواتنا المرفوعة اليها بعد ارتكابنا المعاصى والآثام ، فتعفو عنا . على انهُ يُعترض بأننا سنعاقب فى هادز عن خطايا هذه الدار ، التى نرتكبها نحن أو أحفادنا ، بل بالحرى يا صديقي — يستمرُّ بطل الجدل فى كلامه — ان الطقوس السرّية ، والآلهة الغَفورة ، لها فاعليتها العظمى ، كما اتصل بنا من أعظم الدول ، ومن أبناء الآلهة الذين تجسدوا شعراء وأنبياء ملهمين ، فاثبتوا لنا صحة ذلك

٣٦٦

ترضى الالهة بعد الخطية

فماذا بقي إذاً من الاعتبارات التى تحملنا على إيثار العدالة على شرّ صور التعدى ، ما دام الحال معنا اننا إذا قرنّا تعدينا بخشوع زائف فزنا برضاء الآلهة والناس ، فى هذه الحياة وفى الأخرى، استناداً إلى شهادة أكثر الثقاة عدداً وأعلاهم كعباً ، باعتبار كل ما تقدم يا سقراط ، علام يحترم العدالة رجل هو على شيء من المزايا ، كالمواهب السامية أو الثروة ، أو الشخصية البارزة ، أو شرف المحتد ، عوض أن يستخفُ بها حين تتلى محامدها على سمعه ؟ فلو ان إنساناً تمكن من كشف زيف ما قلناه ، مقتنعاً اقتناعاً تاماً بأفضلية العدالة ، لاغتفر الكثير من الخطيئات ، ولم ينقم على الجناة . لعلمه أن لا أحد بارٌّ باختياره إلاَّ الذين فيهم روح إلهية تحملهم على نبذ الفجور . أو الذين فى نفوسهم من تأثير العلوم والفنون ما يصرفها عنهُ . إلا انهم يطَّرحون التعدى لجبنهم ، أو لهرمهم ، أو لعلة أخرى تجعلهم عاجزين عن اقترافه والدليل على صحة ذلك انهُ متى امتلك أحد هؤلاء العاجزين قوة تمكنهُ من التعدى كان أول من تهافت عليه بكليته . والعامل فى كل ذلك هو ما أوردناه أنا وأخى فى مستهل هذا الخطاب يا سقراط . قائلين مع الاحترام اللازم انكم أنتم المدعون نصرة العدالة ، ابتداءً من أبطال القديم الذين انتهت أخبارهم إلى أبناء هذه العصور ، قد

رادعات الناس عن المعاصى

تصورات أنصار العدالة

جعلتم ، بلا استثناء أحد منكم ، امتداح العدالة وذم التعدى ، وسيلة توسلتم بها لنيل الشهرة والمجد والنعم الناشئة عنهما . ولكن ماهية كل منهما ، بما فيه من قوة خاصة ، كامنة فى نفس صاحبها ، خافية عن أعين الآلهة والناس ، هذه الماهية ، لم توف حقها من البحث نظماً أو نثراً ، فترينا أن التعدي أقتل سم يتسرب إلى الجسم ، وأن العدالة أعظم بركة . فلوكانت

٣٦٧

هذه لهجتكم بادىء ذى بدء ، وحاولتم أن تقنعونا بها منذ حداثتنا ، لما كانت ثمة حاجة لمراقبة أحدنا الآخر خشية تعديه . بل كان كلٌّ رقيباً لنفسه ، لئلا يصمها بالعار بارتكابه التعدى

فهذا يا سقراط ، وربما أكثر من هذا ، يمكن أن يقوله ثراسيماخس وغيره ، وأجرؤ على القول ، فى العدالة والتعدى ، فيقلبون ، على ما أرى جهلاً منهم ، التأثير الطبيعى لكل منهما ، أما أنا فأعترف لك ، (لأنى لست أريد أن أخفي عنك شيئاً) . انى شديد الرغبة فى أن أسمعك تدافع عن الوجهة المناقضة ، ولذلك تكلمت بأقصى ما فىّ من قوة

فلا تحصر دفاعك فى أن العدالة أسمى من التعدي ، بل أرنا تأثير كل منهما فى نفس صاحبه ، بحيث يكون أحدهما خيراً والآخر شراً . واحذف شهرة كل منهما على النحو الذى رغب فيه اليك غلوكون ، لأنك إذا تمنعت عن حذف شهرة كل منهما . وإحلال ضدها محلها ، قلنا انك تمدح ظاهر العدالة لا حقيقتها ، وانك تقدح فى ظاهر التعدى لا فى حقيقته . وانك ، انما ، تنصح المرء بارتكاب التعدى مستتراً ، وانك توافق ثراسيماخس فى أن العدالة هى لخير الغير ، لأنها لمصلحة الأقوى . وان التعدي هو منفعة المرء الذاتية ، لكنهُ ضد مصلحة الضعيف . لأنك سلمت أن العدالة فى مرتبة أسمى الخيرات ، وان امتلاكها بركة ثمينة لذاتها ونتائجها — كالبصر والسمع والعقل والصحة ، وغير هذه البركات التى هى خير بالذات لا بالاسم فقط — فخص بمدحك هذه الوجهة من العدالة ، أريد بها فائدتها التى تسبغها على صاحبها ، بازاء الضرر الذى يحلهُ التعدي فى نفس صاحبه . ودع مدح الشهرة والمكافأة لغيرك . لأنى أتسامح مع الغير فى مدحهم العدالة وذم التعدى ، وهو منهم عبارة عن اطراء الظاهرات والنتائج المقارنة لها أو ذمها . أما معك فلا أتسامح هذا التسامح ، إلا إذا كنت تطلبهُ . لأنك أفنيت الحياة فى فحص هذه المسائل . فلا تكتف بأنك تبرهن لنا على ان العدالة أفضل من التعدى ، بل أرنا تأثيرهما الخاص فى نفس صاحبهما ، الذى به يكون أحدهما بركة والآخر شراً ، سواء عرف أمره عند الله والناس أو لم يعرف

مسؤولية الحكيم الكبرى بازاء العدالة

٣٦٨

قال سقراط : — فاحترمت مواهب غلوكون واديمنتس كليهما . وعندها صارحتهما

ان بيانهما سحرنى . وقلت لهما : — بحق قال فيكما من أعجب بغلوكون ، يا ابنَى الرجل الوارد ذكره فى أول بيت من الياذته على أثر فوزكما فى معركة ميغارا

ان أبناء اريسطو أقدس الأبناء أصلا
ولدَىْ شهم كريم بلغ النجم وأعلى

فأراه أصاب كبد الحقيقة بهذا النعت يا صديقىَّ . لأن فى عقليكما أثراً إلهيًّا واضحًا ، إذ لم تسلما بأن التعدي خير من العدالة وأنتما قادران أن توردا فيه ما ذكرتماه الآن . وانى لواثق بأنكما لن تسلما ذلك التسليم ، لاستدلالي بما تبينته من مجموع سجاياكما . ولو اقتصر الأمر على خطابيكما لكانت لى فيكما غير هذه الثقة . على انى كلما زدت ثقة بكما زدت حيرة فى كيف أتصرَّف بهذا الموضوع لأنى مع كونى لا أدرى كيف أساعدكما بناء على عدم جدارتى الظاهر فى رفضكما ما قلته لثراسياخس ، وأنا أزعم انى أثبتُّ أفضلية العدالة على التعدى . أقول ، مع حيرتى هذه ، لا أجرؤ على التنكب عن النجدة لأنى أخشى أن أرتكب إثمًا عظيمًا إذا أنا سمعت العدالة تمتهن ، فانحلَّت عزيمتى وتخليت عنها وفىَّ نسمة . فأرى من الحزم أن أنصرها بما لى من حول

التزام الحكيم ان ينجد العدالة

فالحف علىَّ غلوكون ، وكل من حضر ، أن أنصر العدالة بكل ما فى وسعى ، ولا أسمح بانصرام الحديث . بل أن أبحث بالتدقيق ، فى طبيعة كلٍّ من العدالة والتعدى ، وما هو التعليم الحق النافع فى كل منهما . فأبديت حينذاك شعورى ، وهو انى لا أرى البحث الذى نخوض عبابه أمراً زهيداً . بل أراه يحتاج إلى ثاقب النظر . ولما كنت غير حصيف استحسنت صيغة خاصَّة للبحث تمكننا من إيضاحه . وهذا بيانها : —

استجلاء الحقيقة بالمظهر الكبير

افرض اننا سئلنا قراءة كتابة بحروف من قطع صغير ، عن بعد ، ولم نتمكن من تبينها . ولكن أحدنا اكتشف ان تلك الكلمات نفسها مكتوبة فى موضع آخر بحروف كبيرة ، وعلى رقعة أوسع ، فمن المعقول اننا نقرأ الكلمات كبيرة الحروف أولا ، ثم نحوِّل نظرنا إلى الكتابة ذات الحرف الصغير ، ونفحصها لنرى هل الكتابة واحدة فى الرقعتين

اديمنتس : — لا شك فى ان ذلك واجب . ولكن أية علاقة بينه وبين بحثنا الحالى فى العدالة ؟

نوعا العدالة

س : — سأريك العلاقة بينهما : العدالة عدالتان ، عدالة فى الفرد ، وعدالة فى الدولة . أليس كذلك ؟ اد : — أكيد

٣٦٩

س : — والدولة وسط أكبر من الفرد اد : — أكبر

الفرد والدولة

س : — فالأرجح أن العدالة أظهر فى الوسط الأكبر ، وأسهل تبيّنًا . فاذا شئتم فانا نبحث أولاً فى العدالة فى الدولة . وبعدئذ نطبق البحث على العدالة فى الفرد ، بالأسلوب نفسه ، ملاحظين وجه الشبه فى الإثنين

اد : — أراك على هدى فى رأيك

س : — فاذا تتبعنا فى أفـكارنا ، نشأة الدولة التدريجية ، أفلا نرى فيها نشأة العدالة ونشأة التعدى ؟

اد : — الأرجح اننا نرى

س : — أوَ لا يكون لنا أساس للثقة بأننا سنجد ما ننشدهُ بأوفر سهولة ؟

اد : — أسهل جداً

س : — فهل من رأيكم أن نجـدّ فى إنفاذ خطتنا ، لأن الأمر ليس قليل الشأن ؟ فتأملوهُ جيداً

اد : — اننا لمتأملون . فجدّ كل الجدّ

منشأ الدولة

س : — أرى ان الدولة تنشأ لعدم استقلال الفرد بسد حاجاتهِ بنفسهِ ، وافتقاره إلى معونة الآخرين . أتتصوَّر سبباً آخر لنشأة الدول ؟

اد : — كلا . فأنا أوافقك

س : — ولمـا كان كل إنسان محتاجاً إلى معونة الغير فى سد حاجاته ، وكان لـكل منا احتياجات كثيرة ، لزم أن يتألب عـدد عديد منا ، من صحب ومساعدين ، فى مستقر واحد . فنطلق على ذلك المجتمع اسم مدينة أو دولة(١) الا نطلقه ؟

اد : — بلى من كل بدّ

س : — فيتبادل أولئك الأشخاص الحاجات وكل منهم عالم انهُ سواء كان آخذاً أو معطياً ، فى ذلك التبادل ، فالأمر عائد إلى فائدتهِ الشخصية اد : — مؤكد

س : — فلنختط ، فى بحثنا ، مدينة خياليّة . مبتدئين بها من أول أركانها . فيظهر إذاً انها أنشئت سداً لحاجاتنا الطبيعية اد : — بلا شك

اول الحاجات

س : — وأوّل تلك الحاجات وأهمها القوت ، قوام حياتنا كمخلوقات حية

اد : — من كل بد

الزراع والبناؤون والحاكة والاساكفة

س : — وثانى تلك الحاجات المسكن ، وثالثها الـكسوة ، وهكذا اد : — حقاً

س : — فلننظر كيف يمكننا أن نجعل مدينتنا تقوم بسد حاجات عـديدة . أفلا نبدأ بالزارع ، ثمَّ البنّـاء فالحائك . أ فيكفى هؤلاء أم نضيف إليهم الاسكاف واثنين أو ثلاثة من العمال القائمين بسد حاجاتنا الجسدية الضرورية ؟ اد : — من كل بدّ

س : — فاصغر ما يمكن تصورهُ من المدن يتألف من أربعة رجال أو خمسة

اد : — هكذا نرى

(١) يستعمل افلاطون الـكلمتين فى « الجمهورية » مترادفتين لان المدينة كانت فى عهده مملـكة كما لا يخفى على متصفح التاريخ

س : — فلنتقدم فى البحث . أفيعمل كلٌّ من هؤلاء الاربعة ما يلزم للجميع من منتوجه ، فيعد الفلاح مثلاً وهو أحدهم ، ما يحتاج اليه أربعة أشخاص من الطعام ، فيقضى فى إعداد طعامهم أربعة أضعاف الوقت اللازم لهُ لاعداد طعامه . ثم يقاسم اخوانه الثلاثة منتوجه . أم انهُ يهملهم ويعمل ما يسدّ حاجته . فيقضى ربع وقته فى إعداد ربع مقدار الطعام ، ويقضى الثلاثة الأرباع الباقية من وقته فى إعداد مسكنه وكسوته وحذائه ، ولا يتعب نفسه فى مبادلة اخوانه الحاجات بل يعمل ما يحتاج اليه بذاته لذاته ؟ اد. — الأرجح باستقراء أن التعاون أسهل من الاستقلال بالعمل

توزيع الأعمال

٣٧٠

س : — رأيك غير بعيد عن الصواب . فقد خطر على بالى ، على أثر كلامك ، ان كل اثنين غيران ، وكل واحد يختلف عن غيره موهبة . ففي الواحد من الناس استعداد خاص لنوع من الاعمال . وفى غيره استعداد لعمل آخر . ألا تظن هكذا ؟ اد : — أظن

التخصص

س : — فأى أنجح ؟ أتوزيع قوى الفرد العقليــة على أعمال عديدة ، أم حصرها فى موضوع واحد ! اد : — الأنجح حصرها فى موضوع واحد

س : — وأراه أمراً بيناً أن الانسان إذا أهمل الفرصة السانحة للعمل فانها لن تعود

اد : — واضح

س : — لأن العمل فى رأيى ، لا ينتظر وقت فراغ العامل ، بل يجب أن يلوذ بعمله بحكم الضرورة ، ولا يستهتر ، أو يحسبه أمراً ثانويًّا اد : — ذلك واجب

نتيجة توزيع الأعمال

س : — فينتج مما تقــدم ان كل الأشياء تكون أوفر مقــداراً وأجود نوعًا ، وأسهل انتاجًا ، إذا التزم العــامل ما يميل اليه طبعــه من الأعمال ، وأتمَّهُ فى وقتهِ الخــاص ، غير متشاغل عنهُ فى ما سواهُ اد : — بكل تأكيد

س : — ولــكنا يا اديمنتس نحتاج الى أكثر من أربعـــة رجال أو خمسة لاعداد ما ذكرنا من الحاجات . لأن الفلاَّح لا يصنع محراثه بنفسه ، اذا أريد به أن يكون محراثًا متقنًا ، ولا يصنع معوله ، ولا غيره من آلات الحراثة . وكذلك البنَّـاء ، لا يمكنه أن يصـنع الآلات العديدة اللازمة له ، وهكذا الحائك والاسكاف اد : — حقيق

س : — فيلزمنا نجارون وحدادون ، وغيرهم من الصنّـاع على أنواعهم ، فيصير هؤلاء أعضاء دولتنا الصغيرة ، ويؤلفون واخوانهم شعبًا اد : — مؤكد

الرعاة والصناع

س : — على ان المدينة لا تــكبر كثيراً ، إذا أضفنا إلى هؤلاء رعاة المواشى ، ومَن هم من هذا القبيل ، لامداد الفلاحين بالثيران وغيرها من الحيوانات لجر المحراث ، ومواد البناء للبنائين ، ونقل الجلود والأصواف للأساكفة والحاكة

اد : — فليست إذاً مدينة صغيرة وفيها كل هؤلاء

الواردات

س : — على انهُ يندر اختطاط مدينة ، فى أى موقع كان ، دون افتقارها الى واردات

اد : — يندر

س : — فيلزمنا أشخاص آخرون ، يجلبون ما نحتاج اليه من المدن الأخرى

٣٧١ اد : — يلزم

س : — اذا ذهب المندوب فارغ اليد مما يحتاج اليه الأقوام الذين نستمدّ منهم ما نفتقر اليه من المواد عاد بخفي حنين ، أليس كذلك ؟ اد : — هكذا أظن

العادرات

س : — فلا تقتصر المدينة على ما تستهلكهُ بل يلزم أن يزيد منتوجها على استهلاكها ، ليكون لها ما تدفعهُ بدل ما تستوردهُ من الخارج اد : — يجب ذلك

س : — فتحتاج مدينتنا الى زراع وصنّاع ، أكثر مما سبق ذكرهُ

اد : — تحتاج

نشوء التجارة

س : — والى وكلاء كثيرين لتصدير البضائع وتوريدها ، وهؤلاء هم التجار أليسوا كذلك؟

اد : — بلى

س : — فاذاً تحتاج الى تجار أيضاً اد : — مؤكد

الملاحون

س : — واذا كانت التجارة بحريّة لزمنا كثيرون غيرهم من حذاق الملاّحين

اد : — كثيرون حقّاً

س : — فاخبرني : كيف يتبادل أهالى المدينة أنفسهم المنتوجات ؟ فانك عالم انه لأجل تبادلها ألفنا الجماعة وأسسنا الدولة

اد : — واضح ان ذلك يتم بالبيع والشراء

النقود

س : — وهذا يؤدى الى فتح الأسواق وتداول النقود لتسهيل المعاملات اد: بالتأكيد

س : — فاذا فرضنا أن الفلاح ، أو غيره من الصنّاع جلب بضاعتهُ الى السوق ، ولم يحضر من يبادله إياها ، أفلا يلبث فى السوق كل الوقت ويعطل شغله ؟ اد : — من كل بد

س : — فهنالك أناس يرقبون هذه السانحة ، وقد وقفوا أنفسهم لاغتنامها ، ورجال هذه الفئة فى المدن الكاملة التنظيم ، هم على العموم هزال الابدان . لا يصلحون لعمل آخر . وشغلهم الخاص هو الاقامة فى الأسواق ، يعدّون من يروم بيع بضاعته بالدراهم لقاء تسلّمهم إياها . وقبض الدراهم ممّن يروم شراء بضاعة وتسلّمها . ويستدعى ذلك وجود تجار المفرّق فى المدينة . أفلا ندعو المقيمين فى السوق للبيع والشراء « الباعة بالمفرق » والذين يجولون من مدينة إلى مدينة تجاراً ؟ اد : — بالتمام هكذا

باعة المفرق

س : — وهناك طبقة أخرى ممن ليست لهم قوى عقلية تؤهلهم لمصاف من ذكرنا ولكن لهم قوة بدنية تمكنهم من العمل الشاق فيبيع هؤلاء قدرتهم البدنية ، ويدعون ثمنها « أجوراً » وهم يدعون « عمالاً » أليسوا كذلك ؟ اد : — حتماً

العمال

س : فالعمال المأجورون هم تتمة المدينة اد : — هكذا أظن

س : — أفتقول يا اديمنتس ان مدينتنا بلغت معظم نموها ؟ اد : — على الارجح

٣٧٢

س : — فأين نجد العدالة والتعدى فيها ؟ إلى أىّ العناصر التى ذكرناها ينسرّبان ؟

اد : — لا أدرى يا سقراط ، إلا إذا كان فى العلاقات المتبادلة بين الأشخاص المذكورين أنفسهم

س : — من الممكن انك مصيب . ولكن علينا فحص المسألة دون احجام

حياة الفطرة السليمة الهنية

فلننظر أولاً فى نوع الحياة التى يحياها الناس المجهزون بما ذكرناهُ . وأظن انهم يجنون ذرة وخمراً ويصنعون ثياباً وأحذية ، ويشيدون لأنفسهم بيوتاً ، ويمكنهم العمل صيفاً أكثر الوقت بدون أحذية ، ولا أردية . أما فى الشتاء فيجهّزون بما يلزمهم منها . ويقتاتون بالقمح والشعير ، ويصنعون خبزاً وكعكاً . وينشرون الخبز الجيد والكعك اللذيذ على حصر محبوكة من القش . أو على أوراق الأشجار النظيفة . ويجلسون على أسرّة مصنوعة من أغصان السرو والآس . ويتمتعون بصفاء العيش مع أولادهم ، راشفين الخمور ، مكللين بالغار ، مسبحين الآلهة ، معاشرين بعضهم بعضاً بسلام . ولا يلدون أكثر مما يستطيعون أن يعولوا ، احتساباً من الفاقة والحرب

تحديد النسل

فقاطعنى غلوكون الكلام قائلاً

غ : — يظهر انك حصرت ولائم صحبك بالخبز ، دون ادام وتوابل

س : — بالصواب تكلّمت ، فانى نسيت انهُ سيكون لهم من كل بدّ ادام وتوابل ، كالملح والزيتون والجبن والبصل والملفوف . وسنضع أمامهم الفواكه والحلويات من تين وحمّص وفول . ويشوون حب الآس والجوز ، ويأكلون ويشربون باعتدال . ويقضون حياتهم بصحة وهناء ويموتون ميتة صالحة ، تاركين للذرارى بعدهم أساساً لحياة سعيدة كحياتهم

غ : — ولو انك اختططت مدينة للخنازير فماذا كنت تطعمها غير ذلك ؟

٣٧٣

س : — فكيف تريد أن يعيشوا يا غلوكون ؟

الرفاهية بعد العيشة الفطرية

غ : — عيشة مدنية فيتكئون على الأسرة إذا لم يرضوا شظف العيش ، ويأكلون على الموائد ألواناً من الأطعمة والحلويات من الطراز الحديث

س : — حسناً جداً ، لقد فهمتك ، فاننا لسنا نبحث فى مجرّد إنشاء مدينة . بل فى كونها سعيدة رخية . ولا أرى ذلك فكرة سيئة لأننا باعتبار هذا البحث قد نتبين منبت العدالة والتعدى فى المدن . فمدينة كالتى وصفناها هى حقيقية وصحية . وإذا رمت النظر فى جعلها ضخمة رفيهة فليس ثمّة مانع . فان بعض الناس لا يكتفون بالضروريّات على ما مر بك وصفهُ بل يرومون أيضاً أن يقتنوا أسرّة وموائد ، وكل أنواع الرياش ، مع اللحوم والطيوب والعطور والحظايا والحلويات مع الإكثار من هذه الطيبات . فلا نحصر أنفسنا فى

الضرورى من المواد التى ذكرناها ابتداءً — القوت والمسكن والـكسوة والحذاء ، — بل يلزمنا النقش والرسم والذهب والعاج وكل متاع ثمين . الا يلزم إحراز كل هذه الأشياء ؟

غ : — يلزم

الانتقال الى ميدان التمـدن الـكثير الشعاب

س : — فنضطر حين ذاك إلى توسيع المدينة ، لأن المدينة الأولى الصحية ضاقت عن وسع كل ما ذكر . واستدعى الأمر مدَّ أطرافها ، وأن تملأ بالمهن المتنوِّعة ، التى لا توجد فى المدن لمجرَّد سدّ الحاجات الطبيعية . مثال ذلك الصيادون وأرباب الفنون النقلية — بما فيهم من مصورين ودهانين وموسيقيين — والشعراء والمنشدون والممثلون والراقصون والقصّاصون ، والمقاولون ، وصناع الأدوات على أنواعها ، وصانعو البهارج وحلى النساء ، فيلزمنا عمال كثيرون . أو لا نحتاج أيضاً إلى المربين والمراضع والممرضات والوصائف والحلاقين والطهاة والحلوانيين ؟ . ونحتاج أيضاً إلى رعاة الخنازير — طبقة من الناس لم نكن نحتاج إليها فى مدينتنا الأولى ، ولكننا نحتاج إليها فى هذه . ويلزمنا أيضاً كثير من المواشى ، لأجل من يرغبون فى أكل لحومها . الا نحتاج ؟

المواشى

غ : — من كل بد

الاطباء

س : — أو لا نحتاج فى هذه الحال إلى الأطباء أكثر من ذى قبل ؟

غ : — بالتأكيد

الاراضى

س : — أفلا تضيق أرباض المدينة ومسارحها الآن ، بعدما كانت كافية للقيام بأود سكانها الأولين ؟ أنقول هذا القول ؟　　غ : — بالتأكيد

س : — أفلا نضطر إلى التسطى على أصقاع جيراننا الواسعة ، لمد نطاق مراعينا وحقولنا ، اضطرار أولئك إلى عمل المثل ، إذا كنا فى سعة وهم فى ضنك ، فيتجاوزون حدود الضروريات ، ويوغلون فى طلب الثروة بغير حد ؟

غ : — لا مندوحة عن ذلك يا سقراط

الحرب

س : — أفنحارب يا غلوكون ، أو ماذا نفعل ؟　　غ : — كما تقول

س : — ولنعرض فى هـذا الموقف من بحثنا عن الحكم بمضرَّة الحرب أو نفعها ، مقتصرين على القول اننا قد تتبعنا أصلها ومنبتها إلى أسبابها ، وهى مصدر شر الويلات التى تحل بالدولة جماعة وأفراداً　　ع : — تماماً هكذا

س : — فيلزم دولتنا إضافة أراضٍ واسعة لـكى تسع جيشاً لجباً يجول ويصول لصد غارات الغزاة ، والذود عن الأرزاق والنفوس التى أتينا على ذكرها

غ : — ألا يكفى الأهالى وحدهم لذلك ؟

٣٧٤

س : — كلا . لأننا اتفقنا جميعاً ، أنت والآخرون ، فى تصديق الخطة التى قررناها لانشاء الدولة . فقد سلمنا إذا كنت تذكر ، انه يستحيل على الفرد أن يتم أعمالاً عديدة معاً

غ : — حق س : — وما قولك فى الحرب ؟ ألا ترى انها فن قائم بذاته ؟

غ : — دون شك

س : — أو ليس لنا داع كاف للاهتمام بفن الحرب كما بفن السكافة مثلاً ؟

غ : — بالتمام

الاخصاء والمرانة في الحكام

س : — ولكننا شرّطنا على الاسكاف أن لا يكون مزارعًا ولا صانعًا ولا بنّاء ، إذا رمنا أن يتقن صنع أحذيتنا . وعلى القياس نفسه انطنا بكل صنف من الصنّاع نوعًا واحداً من الأعمال حسب جدارته وأطلقنا يد كل منهم فى الحرفة التى اختارها ، دون غيرها ، ليجيد صنعها ، واقفًا حياتهُ لها ، وغير مضيع الفرص . والآن نتساءل بخصوص الحرب ، اليس اتقانها من أهم المصالح ؟ أو سهلة هى فيستطيع أى واحد أن ينجح فيها ، ويكون فى الوقت نفسه ، فلاّحًا واسكافًا وعاملاً بحرفة أخرى مع الجندية ؟ مع انهُ لا يمكن أحداً فى الدنيا أن يبرع فى العاب النرد والداما ، إذا اقتصر على مزاولتهما ساعات الفراغ ، بدل اتخاذهما موضوع درس خاص منذ حداثته . أفيستطيع المرء بمجرّد تقلد السيف والترس وغيرهما من أدوات الحرب ، أن يصير بارعًا فى فن الضرب والكفاح ، قادراً على تمثيل دور كبير فى الملاحم الكبرى ، أو فى غيرها من الأعمال العسكرية ؟ مع ان مجرّد استعمال أدوات أخرى لا يؤهله إلى اتقان الصناعة أو الرياضة دون مرانة . ولن تكون هذه الآلات مفيدة لمن لم يدرس اغراضها ، ويتمرّس باستعمالها

غ : — إذا كان الأمر هكذا فآلات حربية كهذه ثمينة جداً

س : — وقياسًا على كون ادارة المدينة أهم الأعمال التى يقوم بها هؤلاء الحكام يلزم أن يتفرغوا لها ، وأن يعيروها انتباهًا وحكمة فائقين

غ : — هكذا أرى تمامًا

س : — أو لا تستلزم أيضًا صفات فطرية تتناسب مع هذا العمل الخاص ؟

غ : — بلى دون شك

أوصاف الحاكم

س : — فواضح انه علينا ، ان أمكن ، اختيار الأوصاف الخاصة ، التى تؤهل أربابها لادارة الدولة غ : — علينا أن نفعل ذلك

س : — واؤكد لك اننا أخذنا على عاتقنا عملاً ليس طفيفًا . على اننا لن ننكص ما دام فينا رمق من الحياة غ : — لن ننكص

٣٧٥

س : — أو تظن انهُ يوجد فرق بين كلب أصيل وبين شاب شجاع ، باعتبار الصفات اللازمة للحراسة ؟ غ : — لم أفهم

مزايا الكلب والحاكم

س : — أقول انهُ يلزم كليهما ان يكون نبيهًا فى اكتشاف العدو ، وثّابًا فى ميدانه ، بطّاشًا فى نضاله إذا التحما غ : — حقًا ان كل هذه الأوصاف لازمة

الشجاعة
س : — فيجب أن يكونا شجاعين يحسنان النضال غ : دون شك

س : — أو يخفى عليك شأن الحماسة التى لا تقهر ، وبما تبثهُ فى نفس صاحبها يكون كل مخلوق غير هيّاب فى اقتحام الاخطار ؟ غ : — قد أدركت ذلك
الحماسة

س : — فقد عرفنا المزايا الجسدية اللازمة فى حاكمنا غ : عرفنا ذلك

س : — وعرفنا ايضاً المزايا العقلية التى تضرم فيه روح الهمة غ : — نعم

س : — وإذا كانت هذه أوصافهم يا غلوكون ، أفيحظَر عليهم أن يكونوا شرسين بعضهم مع بعض ومع بقية الأهالى ؟ غ : — يحظر

الوداعة
س : — فمن الضرورى ان يكونوا ودعاء مع أصحابهم ، شداد الشكائم مع الاعداء فقط . ولا ينتظروا هلاك العدو بيد غيرهم ، بل يكونوا السابقين إلى القضاء عليه بأيديهم

غ : — حقيق

فيه اجتماع الضدين
س : — فماذا نعمل ؟ أين نجد خلقاً حماسياً ووديعاً معاً ؟ لأن الوداعة تنافى الحماسة على ما أرى غ : — واضح انها كذلك

س : — وإذا تجرد المرء من إحدى هاتين الصفتين ، الوداعة والحماسة ، لم يصلح للحكم . ولما كان اجتماع الضدين محالاً ، فالحاكم الكامل غير موجود غ : هكذا يظهر

ويعد الذهول هنيهة ، وترديد الفكر فى ما تقدَّم من البحث ، قلت :

س : — حقاً يا صديق اننا ذهلنا ، إذ شطَّ بنا المزار عن المثال الذى وضعناه أمامنا

غ : — وكيف ذلك ؟

س : — ألم يطرق سمعنا انهُ توجد طباع تجمع بين هاتين المزيتين المتضادتين ، وقد توهمنا عدم وجودها ؟ غ : — وأين يجمع الضدان ؟

مزايا الكلب
س : — ترى ذلك فى كثير من الحيوانات ، ولا سيما فى الحيوان الذى اتخذناه مثالاً لحكامنا . فانى أثق انك تعرف انَّ صفة الكلب الطبيعية ، إذا تربَّى تربية حسنة، أن يكون غاية فى الوداعة والرقة مع أصحابه ومعارفه ، وعلى الضدّ من ذلك مع الغرباء

غ : — أعرف ذلك بالتحقيق

س : — فذلك من الممكنات ، ولسنا بمعاكسين الطبيعة إذا أوجدنا هذا الخلق فى حاكمنا غ : — هكذا يظهر

فلسفي النزعة
س : — أو أنت من الرأى القائل انه يجب أن يكون حاكمنا فلسفي النزعة مع حماسته، ليكون أهلاً لمنصب الحكم ؟ غ : — وكيف ذلك ؟ فانى لم أفهم

س : — صفة أخرى تلاحظها فى الكلب ، وهي أمر عجيب فى الحيوان

غ : — وما هى ؟

٣٧٦
س : — حين يرى إنساناً غريباً يثور غضبه عليه ، ولو لم يلق منهُ اساءة . ولكنهُ

إذا لقى من يعرفهُ أبدى الدعة والتحبُّب ، ولو لم يلق منــه معاملة حسنة . الا تتعجَّب من ذلك ؟

غ : — لا ريب فى ذلك . على انى لم أنتبه لهُ قبلاً

س : — وهذه الفطرة حكيمة جداً فى الكلب ، وهى ظاهرة فلسفية حقيقية

غ : — وكيف ذلك ؟

س : — تعليقهُ الصداقة والعداء على مجرَّد معرفته هــذا وجهلهِ ذاك . أفليس ذلك كناية عن محبَّة المعرفة فى الكلب ، فجعلها أساس الأُلفة ، وجعل عدمها أساس الجفاء ؟

غ : — انهُ محب المعرفة

س : — أو ليست محبة المعرفة ميلاً فلسفيًّا ؟ غ : — بلى

محب المعرفة

س : — ألا تقول واثقين أيضًا فى أمر الإنسان انهُ إذا أبدى الوداعة لذويهِ ومعارفهم كان ولا بدَّ ذا ميل للمعرفة والفلسفة ؟ غ : — فليكن كذلك

س : — فالحاكم الكفؤ ، فى عرفنا ، الذى تعِدُّ مواهبه بسيرهِ نحو الكمال ، فلسفى النزعة ، عظيم الحماسة ، سريع التنفيذ ، شديد المراس غ : — دون شك

تربية الحكام وتهذيبهم

س : — هذه هى أوصاف الحكام الفطرية فكيف نربيهم ونهذبهم ؟ وهل فى تتبُّعنا هذا البحث شىء من المساعدة لنا ، فى فهم غرضنا الخاص فى كل هذه الأبحاث؟ أعنى معرفة نشوء العدالة والتعدى فى الدولة ، لكى لا يفوتنا قسم من البحث ، ولا نشغل أنفسنا بما لا طائل تحته ؟

هنا قال اديمنتس أخو غلوكون

اد : — حسنًا . أنا أرى ذلك جزيل المساعدة لنا فى استجلاء موضوعنا

س : — حقًّا يا عزيزى اديمنتس ، انهُ إذا كان الأمر هكذا ، وجب أن لا نغفل البحث ، ولو كان مطولاً اد : — حقًّا لا نغفله

س : — فلنصف كيفية تهذيب هؤلاء الرجال ، كما يفعل القصاصون الكسالى فى محادثاتهم

اد : — فلنصفها

الجمناستيك والموسيقى لتهذيب الحكام

س : — فماذا يجب أن يكون تهذيبهم ؟ ربما يشق علينا أن نجد تهذيبًا أفضل مما جلاَّه الاختبار . وهو مؤلَّف ، على ما أتيقن ، من الجمناستك للجسد ، والموسيقى للعقل

اد : — يشق

س : — أفلا نؤثر الابتداء بتهذيبهم بالموسيقى ، على الابتداء بالجمناستك ؟

اد : —دون شك نؤثر ذلك

الغناء القصصى

س : — أو تدرج فى الموسيقى القصص أو لا ؟ اد : — ادرجهُ

س : — وهنالك نوعان من القصص ، حقيقىٌّ ووهمىٌّ اد : — نعم

س : — فنهذب تلاميذنا بالنوعين ، ولكنا نبدأ بالوهمى

اد : — لم أفهم ماذا تعنى

س : — ألا تفهم اننا نبدأ بالقصص الوهميّة فى تعليم الأطفال ؟ ويقال إجمالاً فى هذا النوع من القصص انهُ وهمى ، لكن مغزاه حقيقى ، فنلقن الأحداث الأساطير قبلما نمرنهم بالجمناستك

اد : — حقيق

س : — ذلك ما عنيتهُ بقولى « تقديم الموسيقى على الجمناستك » اد : — انك مصيب

خطورة البداءة

س : — أو لا تعلم ان البداءة فى كل شىء هى على أعظم جانب من الخطورة ، ولا سيما فى ما هو متصف بالحداثة واللين ، لكونهِ فى أوفق الأوقات لسهولة طبع مايراد طبعه عليهِ

اد : — حتماً هكذا

س : — أفتأذن لأولادنا أن يسمعوا كل أنواع الأساطير من أى شاعر كان بلا استثناء ؟ وأن يقبلوا فى قلوبهم آراء تتنافى مع ما يجب أن يرعوه متى بلغوا رشدهم ؟

اد : — لا تأذن بذلك بوجهٍ من الوجوه

الاساطير والاطفال

س : — فأول واجب علينا هو السيطرة على ملفقى الخرافات ، واختيار أجملها ونبذ ما سواه . ثمّ نوعز إلى الأمهات والمرضعات أن يقصصن ما اخترناه من تلك الخرافات على الأطفال . وأن يكيفن بها عقولهم أكثر مما يكيفن أجسادهم بأيديهنّ . ويجب أن نرفض القسم الأكبر مما يملى عليهم من الخرافات فى هذه الأيام اد : — وأيها تعنى ؟

س : — يجب أن نتبين أصغر الأساطير من أكبرها ، لأن شكلها واحد ، وكلها كبيرة وصغيرة ، واحدة الصيغة والأثر . ألا تظن هكذا ؟

اد : — بلى . على أنى لم أفهم ما تعنى « بالأكبر »

اقاصيص الشعراء الكاذبة

س : — أعنى ما رواه هسيودس وهوميرس وغيرهما من الشعراء فقد نظموا روايات خيالية للبشر ، ونشروها فى الملأ ، وما زالت تملى على الأسماع

اد : — وأيها تعنى ؟ وماذا تجد فيها من الخطأ ؟

س : — الخطأ المستوجب أكبر وأثقل دينونة ولا سيما فى الأسطورة عديمة الجمال

اد : — وما هو ذلك الخطأ

س : — هو تمثيل المؤلف صفات الآلهة والأبطال تمثيلاً مشوهاً . فهو كالمصور الذى لا يشبه رسمه ما صوّره من الأشياء

اد : — يحق لك أن تلومهم على ذلك . فزدنى إيضاحاً واضرب مثلاً

ليس كل مايعلم يقال

س : — أولاً أخلاق الشاعر قصة قبيحة ، فيها أشنع كذب ، فى أهم المواضيع ، كما أخبرنا هسيودس[1] ما صنع اورانوس . وان كرونس انتقم منهُ . وكذلك ما روى عن كرونس[2] . فلو إن كانت فعال كرونس ، ومعاملة ابنه لهُ حقائق بيّنة لا أرى من

٣٧٨

(١) هسيودس : انساب الآلهة ١٥٤ (٢) ابيد ٤٥٩

الحكمة أن تتلى على السذج والأطفال ، دون أى تحفظ بل بالعكس أرى انهُ يجب حذفها بتاتاً . وإذا مست الحاجة إلى تلاوتها فلتتل سراً . وعلى أقل عدد ممكن من الناس وليس بعد تضحية خنزير (١) بل بعد ذبح عظيم مقدس ، فلا يسمعها إلا القليلون

اد : — حقاً انها أساطير ردية

ما لا يليق بالآلهة لا يليق بأبناء الانسانيــة

س : — نعم ردية ، ولذلك يا اديمنتس لايجوز أن تتلى فى مدينتنا . ولا نقولنَّ لسامعنا الفتى انهُ لم يجن نكراً إذا ارتكب شرّ الموبقات ، أو إذا عاقب والدهُ على جرائمهِ بأبلغ صنوف الهوان ، لأنهُ لم يفعل إلاَّ ما فعلهُ كبار الآلهة قبلهُ

اد : — أؤكد لك انى أوافقك كل الموافقة فى أن قصصاً كهذه غير لائقة

ما يخجل به الناس لا تليق نسبته الى الآلهة

س : — وكذلك القول ان الآلهة تشهر حرباً بعضها على بعض ، وتكيد ، وتتقاتل ، فلا يناسب أن تقال مثل هذه الترهات فى حال من الأحوال ، لأنها غير صحيحة . وإذا كان حكام دولتنا يحسبون التباغض والنزاع فيما بينهم ، لأسباب تافهــة ، أمراً خسيساً ، فانهُ أمر أكثر خساسة وعيباً أخبار منازعات الأبطال ، والضغائن المنسوبة اليهم والتحام القتــال بين الأبطال والآلهة ، وبين أقاربهم وذويهم ، واتخاذها موضوع نسج الأسـاطــير وتزويق القصص . وإذا كان فى الامكان إقناعهم انهُ عيب وحرام أن يبغض المتمــدين أخاهُ أو يحاربهُ ، لان ذلك عمل غير مقدس ، ولا يرتكبهُ أحد أبناء الآلهة ، فتلك هى الصيغة التى بها يجب أن تتلى على أسماع أولادنا فى زمن الحداثة ، بألسنة الشيوخ والشيخات . وهــذا هو القيد الذى يجب أن يتقيــد بهِ الشعراء فى صوغ منظوماتهم . أما أخبار الالاهة هــيرا التى قيدها ابنها بالقيود ، وكبلها بالاغلال ، وقصـــة طرد هيفاستس من السماء لأنه حاول انجاد والدتهِ لما كان والدهُ يجلدها ، وكل حروب الآلهة التى رواها هوميرس ، يجب حظرهــا فى دولتنا ، سواء صيغت فى قالب الحقيقة أو فى قالب المجاز . لأن الطفل لايميز بين الحقيقة والمجاز ، فيطبع فى عقله ما سمعهُ فى هذا السن ، ويرسخ فى نفسهِ حتى يتعسَّر نزعهُ ، وغالباً يتعذَّر . ولهذه الأسباب أرى انهُ يجب كل الاحتراس فى ما يسمعه الأحداث لئلاَّ يكون فى صيغــة لا تلائم ترقية الفضيلة

اد : — ولذلك سبب كاف . فاذا سئلنا ما هى الأســاطير والقصص التى يوافق أن يلقنوها ، فبماذا نجيب ؟

٣٧٩

س : — يا عزيزى اديمنتس لا أنت ولا أنا فى موقف شعراء ، بل فى موقف مؤسسى دولة . ويجب أن يعرف مؤسسو الدولة الصيغة التى يجب على الشعراء أن يصوغوا بها أساطيرهم ، ويحظروا عليهم تجاوز حدودها . على ان المؤسسين غير ملزمين أن ينظموا لهم الأسـاطــير

(١) تضحية الخنزير عندهم ذبيحة عادية يحضرها العموم

اد : — أنت مصيب . ولكنى أستعمل كلماتك نفسها فأقول : ماذا يجب أن تكون تلك الصيغ فى اللاهوت ؟

أوصاف الله

س : — أرى أن تكون كما يلي : يوصف الله فى كل حال على ما هو فى ذاته . سواء كان ذلك فى الشعر القصصى أو الغنائى أو الروائى . هذا هو الحق اد : — نعم انه حق

س : — فمن المؤكد ان الله صالح ، ويجب وصفه بالصلاح والحق الذى فيه

اد : — لا شك فى ذلك

س : — جيداً . ولا شيء من الصالح ضارٌ . أيكون ضاراً ؟ د : — لا أظن

س : — وما ليس بضار هل يصنع ضرراً ؟ اد : — كلاًّ البتّة

إله صالح فلا يصنع شراً

س : — ومن لا يضر هل يصنع شراً اد : — أجيب كما سبق . لا

س : — ومن لا يصنع شراً لا يسبب شيئاً من الشرور

اد : — وكيف يمكن أن يسبب شراً

س : — حسناً . وهل الصالح نافع اد : — نعم

س : — فهو إذاً علة الخير اد : — نعم

س : — فليس الصالح علة كل شيء ، انما هو ، كما هو الواجب ، بريءٌ من ابتداع الشر

اد : — بالتمام

الله علة الخير ليس إلا

س : — وإذا كان الأمر كذلك ، فالله على قدر ما هو صالح ، لا يمكن أن يكون علة كل الاشياء كما هو الشائع ، بل على الضدّ هو علة القليل من أحوال الناس . وليس هو علة القسم الأكبر منها ، لأن شرورنا تفوق خيراتنا عدداً ، فلا نسند الخيرات إلى غيره ، بل نفتش عن علة الشرور فى غيره لا فيه اد : — يظهر لى ان هذا هو الحق الصراح

نقد افلاطون هوميرس

س : — فيجب أن نبدى انكارنا تعدي هوميرس أو غيره من الشعراء ، على حقوق الله بقوله(١)

على باب رب العرش حوضان فيهما ... نرى البرّ والآثام كلاًّ بتربةِ
وقد مزج الآثام من كل عنصرٍ ... لذلك كان الله أصل الخطيئةِ
فطوراً ينيل المرء خيراً ونعمةً ... وطوراً يوافيه بأثقل لعنةِ

أما الانسان الذى ليس فى جبلته هذا المزج ، بل جبل من عنصر واحد فقال فيه : —

يتيه بأرباض السعادات فى الدُّنى ... بجوعٍ وعريٍ وابتئاس ومحنة

ولسنا نقبل ما يأتى

وقد وزّع الآلاء والشرّ فى الملا ... إله تسامى فوق هذى البريّة

(١) الياذة ٢٤ : ٥٧

وإذا زعم أحد ان زفس وأثينا نكثا العهود والمواثيق(١) التى وضعها بَنْداروس فلا نوليه استحساناً . ولا نأذن أن يقال ان طاميس وزفس اثارا النزاع ، واستعمال القوَّة بين الآلهة(٢) ولا نأذن للشبيبة أن تصغى إلى القول المنسوب لاخلّس(٣)

٣٨٠

وان أراد الله قلب أمة أنبت شراً وشقاقاً بينها

وإذا نظم أحد الشعراء آلام نيوب ، كما فعل أخلّس فى الرواية التى اقتبست منها هذا البيت ، أو كارثات بيت نيوب ، ونكبات طروادة ، أو ماهو من هذا النوع ، فعليه إما أن يبحث عن الباعث له تعالى على ذلك ، أو ان الذين تألموا فلخيرهم ومنفعتهم كان ألمهم. ولكننا لا نسمح لشاعر أن يقول ان الله سبَّب العقاب الذى آل إلى شقاء عبده . كلاَّ . ولكن إذا كان يقول : لأن الأشرار تاعسون لزم أن يتألموا ، وان الله أحسن إليهم بأنهُ آلمهم لأجل خيرهم ، فلا نعارض فى ذلك . أما الادعاء ان الإله الصالح علَّة شرّ كائن من الناس فهو قول يجب أن نحاربهُ بما أوتينا من قوَّة . لأن المبدأ الذى تتضمنهُ أسطورة كهذه شعراً أو نثراً ، لا يقال ولا يسمع فى المدينة ، ولا يبيحهُ من يروم خير الدولة وارتقاءها ، شيخاً كان أو فتًى . لأنها أقوال تنافى طهارة الحياة . وهى ضارَّة ومتناقضة (٤)

الله اصل خير وسعادة البشرية

اد : — أثنى على اقتراحك سن هذا القانون ، فإنهُ يسرُّنى

س : — فأولى الشرائع الإلهية ، التى توجب على خطبائنا ومؤلفينا أن يطبّقوا خطبهم وتآليفهم عليها ، هى ان الله تعالى صانع الخير ليس إلاَّ

اد : — ولقد أقمت الدليل القاطع على صحتها

س : — وثانى تلك الشرائع الجديرة بالاعتبار : —

أتظن ان الله تعالى « مشعوذ » فيظهر بمختلف المظاهر ، فى مختلف الأغراض ؟ فتارة يظهر فى شكل ما ، ثمَّ يغير شكله ويتخذ صورة جديدة . وآونة يخدعنا ويقودنا إلى الاعتقاد بأن تلك الصور حقيقة . أفتسلّم بذلك ؟ . أو ترى ان الله جوهر بسيط ، فلا يتكيف ، ولا يخرج عن المظهر اللائق بذاته ؟ اد : — لا أقدر أن أجيب فوراً

عدم تغير الله تغير الجسد

س : — فأجبنى عما يأتى . إذا تغير كائن عن شكله العادى ، أفليس بالضرورة ان ذلك التغيُّر قد حصل ، حتماً ، بفعله هو ، أو بتأثير كائن آخر ؟ اد : — حتماً

س : — أوَ ليس أفضل الأشياء فى الوجود أقلّها قبولاً للتغير بتأثير خارجى ، كتغير الجسم بالطعام والشراب والاجهاد ، وكتغير النبات بحرارة الشمس والرياح والعواصف ، ونحوها من العوامل . أو ليست التأثيرات على أضعفها فى أقوى الأجسام وأصحها ؟ اد : — بلى دون شك

٣٨١

تغير الجسد

(١) الياذة ٣:٦٩ (٢) الياذة ٢٠ (٣) من مأساة مفقودة

(٤) ليذكر القارىء ان هذه اقوال رجل نحسبه وثنياً وقد عاش فى القرن الرابع قبل المسيح

تغيير العقل

س : — ومن جهة العقل : أليست الاضطرابات الخارجية أقل تأثيراً فى العقل الأوفر شجاعة وحكمة ؟ اد : — بلى

س . — ويصح هذا القول فى كل مصنوع ، من أثاث وبيوت وثياب ، فأمتنها صنعًا أقلها تغيراً بتأثيرات الزمان وغيره من العوامل

اد : — هذا هو الواقع

س : — فكل ماهو فى حال حسنة ، باعتبار الطبيعة ، أو باعتبار الفن ، أو باعتبار كليهما ، هو أقل تعرضًا للتغير بتأثير غيره فيه اد : — هكذا يظهر

س : — فالله والأشياء المختصه بالألوهية هى أفضل الحالات وأكملها

اد : — دون شك

س : — فهو تعالى أقل الأشياء تغيراً وتبدُّلاً بفعل المؤثرات الخارجية

اد : — نعم أقلها

س : — أفيغيّر تعالى ذاته بذاته ؟

الاكمل أقل تغيراً

اد : — الأمر واضح انهُ إذا كان تغيُّرهُ تعالى ممكنًا فهو الفاعل فى ذلك التغيُّر

س : — أفالى مثل أفضل وأجمل يغيّر الله ذاته ، أم إلى مثل أقل جمالاً وصلاحًا مما هو؟

اد : — لو كان تغيُّرهُ تعالى ممكنًا فلا يمكن أن يكون ذلك التغيُّر إلاَّ إلى مثل أدنى ، لأننا لا نقدر أن نقول بوجه من الوجوه ان فيه تعالى شيئًا من النقص جمالاً وسمواً

س : — أصبت ، وإذا تقرَّر ذلك أفتظن يا اديمنتس ان عاقلاً ، إلهًا كان أو إنسانًا ، يختار تغيير نفسه إلى ماهو أدنى اد : — مستحيل

س : — فمستحيل ، إذاً ، أن يرضى إله بأن يغيّر نفسه ، بل ان كل إله ، على قدر ماهو فائق جمالاً وسمواً ، يرغب فى استمرار جماله وسموه ، بدون تغيير مظاهره

اد : — وأظن ان هذا الاستدلال ضرورى

س : — فلا ندعنَّ شاعراً ، أيها الوقور اديمنتس . يقول فيه تعالى ماورد فى هذا البيت

يغيّر شكلهُ فى كل حين كسفَّارٍ يجول بكل أرض(١)

ولا نسمح لأحدٍ أن يكذّب بروتيوس وثاطيس ، ولا أن يصف الالاهة هيرا ، فى المآسى أو فى غيرها من الأشعار انها تنكّرت فى شكل كاهنة

تجول جامعـة احسان ذى سعة لكى تعول بنى ارجيف عن سغب(٢)

ولا ندعنَّ أحداً يلى على المسامع أكاذيب كهذه ، ولايجوز أن تقوى الأمهات ضلالات الشعراء فيروّعن أولادهنَّ بقصص وهمية . منها ان الآلهة تتجوَّل ليلاً فى شكل غرباء فى كل بلدٍ بزي السائحين بكل قطر بمختلف المظاهر والمجالى

(١) هوميرس ١٧ : ٤٨٥ (٢) من رواية ضائعة لاسخيلس

لئلاً تكون قصصهنّ قذفاً بالآلهة ، فيغرسن فى قلوب صغارهنّ الخوف والجبانة

اد : — فلنحظر ذلك

س : — ولكن الآلة مع كونها عديمة التغير فى ذاتها ، قد تغيرنا بالسحر والخديعة ، لتحملنا على الاعتقاد بأنها تلوّن فى مظاهرها ؟ اد : قد تفعل الآلهة ذلك

٣٨٢

الله لا يخدع ولا يكذب

س : — أفتظن ان إلهاً يكذب قولاً أو فعلاً ، فيضع مثلاً شبحاً نصب عيوننا

اد : — لا اؤكّد ذلك

س : — الا تؤكّد ان الكذب الصريح ، إذا جاز استعمال هذا الاصطلاح ، مكروه من الله والناس ؟ اد : — لا أدرى ما تعنيه

س : — لا أحد يقدم باختياره على استخدام اسمى ما فيه للخديعة ، فى اسمى مطالب الحياة . بل بالضد ، كل واحد يحذر تسرُّب الخديعة إلى ذلك القسم ، كل الحذر

اد : — لم أفهم مرادك

س : — لأنك تتصوّر انى اتكلم فى الغوامض والأسرار ، بينما أنا أقول بكل بساطة ان الكذب ، أو كون المرء فريسة الكذب ، وخلو عقله من المعرفة فى ما هو من أثبت اليقينيات ، أن يسكت عن تسرُّب الكذب إلى نفسه ، هو أبعد ما يرضاهُ عاقل لأنَّ كلَّ الناس يكرهون الباطل فى النفس كلَّ الكره

اد : — كرهاً شديداً

س : — جسناً . ولكن كما كنت اتكلَّم الساعة ، ان هذامايدعى بأكثرتدقيق كذباً صريحاً ، أى جهلاً مستقرًّا فى عقل الرجل المخدوع . لأن الكذب باللسان هو من نوع التقليد ، وتجسيم ما كان مصوراً فى عقله وليس كذباً صراحاً أفمخطىء أنا ؟

اد : — لا بل أنت غاية فى الاصابة

س : — فالكذب الصريح ممقوت من الآلهة ومن الناس أيضاً

اد : — هكذا أظن

لا داعي في الله للكذب

س : — فلنعد إلى المسألة ثانية ، متى تظن ان الكذب مفيد ، ولمن يكون كذلك ؟ أى متى لا يكون مكروهاً ؟ أيكون كذلك حين استعماله ضد الأعداء ، أو حين يكون الأصحاب فى خطر الأضرار بأنفسهم ، وهم فى حال جنون أو نزق من أى نوع كان ؟ أفلا يحسب الكذب حين ذاك مفيداً كعلاج لتحويلهم عن عزمهم ؟ وفى الأساطير التى نحن فى صددها ، ولا ندرى حقيقتها القديمة ، أليس الكذب مفيداً ، لأنهُ يقربنا إلى الحقيقة ؟

اد : — انهُ كذلك تماماً

كلما ارتقى العاقل زاد صدقا

س : — فنى أى هذه الأحوال يكون الكذب مفيداً لله ؟ أفيكذب فى حكم تقريبى لأنهُ لا يعلم ما فى القدم ؟ اد : — ذلك سخيف

س : — فليس فى الله مجال لكذب الشعراء اد : — لا أظن
س : — أفيكذب تعالى خوفاً من أعدائه اد : — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً
س : — أو تنازلاً لجنون أصفيائه وحماقتهم ؟
اد : — لا مجنون ولا أحمق صفيّ للآلهة
س : — فلا باعث فى الآلهة للكذب اد : — لا باعث
س : — فطبيعة الآلهة وما ماثلها من الطبائع ، على كل حال ، خالية من آثار الكذب
اد : — كل الخلو
س : — فالله تعالى كلّى النقاوة والحق فى القول والفعل ، فلا يغير ذاته ، ولا يخدع الآخرين ، لا بالرؤى ، ولا بالكلام ، ولا بالظواهر الخادعة ، فى يقظة ولا فى منام
اد : — حقاً انهُ يبدو لى هكذا ، بعد ان قلت ما قلت
٣٨٣ س : — أفتوافقنى إذاً فى ان المبدأ الثانى الواجب اتباعه فى ما نقوله ، أو ننظمهُ ، فى الآلهة ، هو انها لا تتلوّن تلوُّن المشعوذين ، ولا تضلنا بالكذب لا قولاً ولا فعلاً
اد : — أوافقك
س — : فلو إن أجزنا أشياء كثيرة فى أشعار هوميرس ، فلا نجيز الحلم الذي ألقاه زفس على اغممنون(١) ، ولا قول اسخيلس (٢) الذى عزاه إلى ثاطيس ، تصف به إنشاد ابولون فى زفافها

بعد الولادة قامت	ذات البها بالصفاء
غنّى ابولو ولاحت	فيه مجالى الهناء
انت ملاذى ونخرى	ومنيتى ورجائى
وبالشفاه حياة	قدسية اللألاء
قد كان قبلاً عدوًّا	واليوم رب ولائى
أراش سهماً فأصمى	بنبله كبريائى
فاغتال مهجة قلبى	توغلا بالعداء
واليوم صار قرينى	وفيه طاب ثنائى

فحين يستعمل لغة كهذه فى وصف الآلهة نغضب منهُ ، ولا نأذن له باعتلاء المسرح (٣) ولا نأذن لمعلمينا أن يستعملوا كتاباته فى تهذيب الأحداث ، إذا كنا نروم أن يكون حكامنا أتقياء روحيين خائفي الآلهة ، على قدرما يتاح للإنسان
اد : — انى أوافقك فى تأييد هذه المبادىء . وسأدرجها فى الدستور

(١) الياذة ٢ : ١ (٢) من رواية مفقودة (٣) كانت الحكومة اليونانية تنفق كثيراً على المسرح

الكتاب الثالث

دستور المدينة

خلاصته

(تتمة ما ورد فى الكتاب الثانى فى تهذيب الفتيان المعدّين للحكم)

ولا يجوز تشجيع مخاوف الموت فى قلوبهم ، باخبارهم أن الحياة فى العالم الآتى مظلمة ، ولا تمثيل صفات أكابر الرجال لبصرهم وسمعهم بصورة محقّرة أو مضحكة أو دنيّة . بل يجب أن تكون الشجاعة ، والحق وضبط النفس ، لحمة كل القصص المستعملة فى تهذيبهم وسداها . وفى المقام الثانى ، ان الصورة التى بها تُزفّ القصص إلى عقولهم تؤثر فى طبيعة نفوذها أعظم تأثير . فيجب أن يكون قرض الشعر إما تمثيليًّا صرفًا ، كما فى الرواية ، أو قصصيًّا صرفًا كما فى خمرية باخس ، أو مركبًا من النوعين كما فى الشعر القصصي . ولا يمكن الشخص الواحد أن يعمل أو يجيد تمثيل أشياء كثيرة . فمن ثمّ أن أتيح لهم درس التمثيل فليقتصروا على تمثيل رجال الصفات السامية المحترمة . والنسق الذى يستعمله أناس هذه الطبقة فى الالقاء ، وفى والتأليف ، بسيط فعّال ، يندر أن يتلبّس بالتمثيل . فهذا هو النسق الذى يجب أن يؤذن للحكام بأن يستعملوه فى القائهم ، والذى يتبعه الشعراء القائمون على تهذيبهم ، ويجب أن يسنّ لهم نظام شديد التدقيق فى الاغانى والالحان ، والآلات الموسيقيّة فلا يسلّم لأمة كاملة آلات موسيقية تنشىء فيها الرخاوة وثبط العزائم . فيحظر عليهم كل الآلات الموسيقية ، إلا العود والقيثارة والزمر . ويحظر عليهم أيضًا كل الألحان المركبّة والبسيط من هذه هو المباح لهم . وغرض كل هذه القوانين هو أن يتربّى ويرتقي فى عقول التلاميذ الشعور بالجمال والاتساق والاتزان ، وهي صفات تؤثر فى سجيتهم وفى علاقاتهم المتبادلة

وبعدما بحث سقراط بحثه السابق فى الموسيقى ، الاغريقيّة ، تقدم للنظر فى الجمناستيك فقال يجب أن يكون طعام الحكام بسيطًا ومعتدلاً وصحيًّا . وذلك يغنيهم عن الاستشارة الطبية ، إلاّ فى أحوال استثنائية . وقد نخطىء فى هذا الموقف إذا اعتبرنا أن نسبة الجمناستك للجسد هى نفس نسبة الموسيقى للعقل . ويجب القول ان الجمناستك يراد لترقية العنصر الحماسى ، فى طبيعتنا ، كما تراد الموسيقى لترقية العنصر الفلسفى . وأقصى أغراض التهذيب باعداد هذين العنصرين ، ومزجهما معًا على نسبة عادلة متزنة

هذا ما يقال فى شأن تهذيب الحكام وتدريبهم . فمن هذه الطبقة العالية يجب انتقاء

القضاة . ويلزم أن يكون من أكبر أعضاء الجسم الاجتماعى سنًا وأوفرهم فطنة ، وأعظمهم جدارة ، وأعرقهم وطنية ، وأقلهم أنانيّة . هؤلاء هم الحكام الحقيقيون . والذين دونهم يسمّون مساعدين . ولكى تقنع الأمة بعدالة هذه الأنظمة وحكمتها ينبغى لنا أن نقصّ عليهم القصة التالية وهى : انهم كلهم قد نُسجوا أولاً فى أحشاء الأرض ، امهم الكبرى . وقد سرّت الآلهة أن تمزج بجبلة بعضهم ذهباً ، وفى جبلة بعضهم الآخر فضة ، وفى غيرهم نحاساً وحديداً . فالفئة الأولى هم الحكام ، والثانية المساعدون ، والثالثة الفلاحون والصنّاع. ويجب رعاية هذا القانون وتخليده ، وإلاّ حلّ بالدولة الدمار

وأخيراً يجب وقف محلة فى المدينة لهؤلاء الحكام ومساعديهم ، يعيشون فيها عيشة شظف وتقتير ، ساكنين الخيام لا البيوت ، معتمدين على تبرّعات الأهالى . وأخيراً يجب أن لا يمتلكوا ملكاً خاصاً . وإلاّ انقلبوا ذئاباً بدل كونهم كلاباً حارسة

متن الكتاب

قال سقراط : — فهذه الأشياء ، وأمثالها هى ما يقال وما لا يقال فى الآلهة ، على مسامع الجميع ، منذ الحداثة فصاعداً ، ممن يتوقع أن يكرموا الآلهة والوالدين ، ولا يزدرون حقوق الصداقة والوداد

اديمنتس : — نعم . وأظن أن آراءنا صائبة

من رام الشجاعة فليقص عنه مخاوف الموت

س : — فاذا كنا نروم أن ينشأ شبابنا على الشجاعة والبطولة أفلا يجب أن نضيف إلى ذلك دروساً تحررهم من مخاوف الموت ؟ أو تظن انه يُمكن أن يكون أحد شجاعاً ما دامت المخاوف مستولية عليه ؟ اد : — حقاً انى لا أتصور إمكان ذلك

س : — أو تظن ان من يؤمن بوجود « هادز » وأهوالها يمكنهُ أن يعيش حراً من مخاوف الموت ، فيؤثره فى ساحة القتال على هون الانكسار وذل الأسر ؟

اد : — كلاّ البتة

س : — فيتحتم علينا أن نسيطر على الذين أخذوا على عاتقهم تلفيق هذه الأساطير وأمثالها . فنلحف عليهم أن لا يشنعوا بوصف العالم الآخر تشنيعاً فظيعاً ، بل يحسنوا فيه المقال ، لأن ذلك غير مفيد ، ولا صحيح ، ولا يوافق الذين سيكونون جنوداً

اد : — ذلك واجب علينا بالطبع

س : — فلنلغ هذه الأبيات وكل ما ماثلها . ومنها : —

فأرى استعباد نفسى لفقير فى الأنام(١)
هو خير من عروش فى أعاميق الظلام
وهذا : — ويكره الله داراً خصّ بالميت حيث الخاوف زادت وحشة البيتِ (٢)
وهذا : — يالهول الموت فى داجي اللحودْ حيث أمسى دون بشر أو سعود (٣)
وهذا : — يستمرُّ المرءُ فرداً فى قتام وقيود (٤)
مالهُ خلٌّ صفيٌّ فى مخيفات اللحود
وهذا : — فتترك النفس مغنى الجسم فى كربٍ وتسكن الرمس ادهاراً بلا أملِ (٥)
تبكى مصيبتها فى دار محنتها إذ بثَّ شرخَ صباها اقتل العللِ
وهذا : — ونفسى كالدخان بلا سكونِ تروّعها مخيفات المنونِ (٦)
وهذا : — تصيح أرواحهم فى دار محشرهم كأنها سَرَبٌ فى موضعٍ عالِ (٧) ٣٨٧
يود كل جناحًا يستعين بها على النجاة ولكن ساءَ من فالِ

حرية النفس اس العظمة

ونرجو أن لا يسوء هومير ، ولا غيره من الشعراء حذفنا هذه الأبيات وأمثالها . لأننا نحذفها لا انكاراً لشاعريتها ، ورغبة الكثيرين فى سمع تلاوتها ، بل قياساً على مافيها من الشاعرية نحظر سمعها على الكبار وعلى الصغار ، الذين يجب أن يظلوا أحراراً . وعندهم الموتِ ولا ذلّ الاستعباد اد : — فلنحظرنّها

يجب ان يكون الحكام احراراً من الخوف

س : — ويجب أن نحذف كل الأسماء المخيفة المرجفة ، المتعلقة بهذه الموضوعات ، مثل كوكيتوس ، وستيكس ، والزبانية ، وتمزيق الأوصال ، وكل الألفاظ المصوغه فى هذا القالب لأنها تروع سامعيها ، وتهزُّ أعصابهم . قد تصلح ألفاظ كهذه لمقصدٍ آخر ، أما حكامنا فنخشى أن يصيروا فاتريِ العزم مخنثين فوق الحد

اد : — وليس خوفنا هذا بدون أساس

س : — أفنحذف هذه الاصطلاحات ؟ اد : — نعم نحذفها

س : — أو يجب أن يكون الكلام والكتابة على عكس هذه الصيغة ؟

اد : ذلك واضح

من يندب

س : — ونحذف أيضًا عويل مشاهير الأبطال وندبهم

اد : — ذلك ضرورى أيضًا إذا حذفنا ما قبلهُ

س : — وتأمل فى هل نصيب أونخطىء فى حذفهِ . والذى تتوخاهُ هو ان الرجل الصالح لا يحسب موت صديقهِ الصالح فاجعة اد : — تتوخى ذلك

(١) اوديسا ١١ : ٤٨٩ (٢) الياذة ٢٠ : ٦٤ (٣) الياذة ٢٣ : ١٠٣
(٤) اوديسا ١٠ : ٤٩٥ (٥) الياذة ١٦ : ٨٥٦ (٦) اوديسا ٢ : ١٠٠
(٧) اوديسا ٢٤ : ٦

س : — فهو لا يندب شخصاً كهذا كان الخطب به جلل

اد : — لا يندب

س : — ونقول ان رجلاً كهذا لهُ فى نفسهِ أوفر نصيبٍ من كل ما هو ضرورى لسعادة الحياة . و يختلف عن باقى الناس باستقلاله الخاص عن المصادر الخارجية

الاستناد الى الغير

اد : — حقًّا

س : — فهو أقل الناس ذعراً لفقد ابنٍ ، أو أخ ، أو ثروة ، وما شاكل

اد : — حقًّا

س : — فهو أقلهم ندبًا وعويلاً ، ويهون عليهِ تحمُّل الخطوب بوداعةٍ وصبر

اد : — بالتمام هكذا

٣٨٨

س : — فيحسن بنا أن نلغي ما عزي من النـدب إلى مشاهير الرجال وفضلائهم ، ونعزوه للنساء ، ولأدنى طبقات الرجال . فيربأ المرشحون للحكم بأنفسهم أن يكونوا ناديين ، على هذه الصورة الشائنة اد : — يحسن بنا أن نصنع هكذا

س — : وثانيًا نطلب إلىهوميرس وغيره منالشعراء ،أنلايصفوا اخلس ابن الالاهة انهُ

قد غدا يبكي وحيـداً خوف أهوال اللحود (١)

باضطجاع وانـكبابٍ وقيـام وقعـود

ولا انهُ : —

فيـذري بيـديه حزَناً من رماد النار فوق رأسه(٢)

ولا انهُ أوغل فى العويل ، كغيره من الضعفاء ، كما نسب إليهِ هوميرس . ولا ننسب إلى بريامس سليل الآلهة انهُ كان ينغمس بالارجاس

الالهـة لا توصف بالنذالة

داعيـاً كل شـجاعٍ باسمهِ كي ينجـدوه (٣)

ونلحف على الشعراء بالأكثر انهم مهما يكن من أمرٍ ، فلا يصفوا الآلهة انهم تذمروا وقالوا : —

ويلنـا ممـا ولدنا فاق بالشر الجميع (٤)

ونرجوهم انهم ، إذا لم يوقروا الآلهة كافَّة ، إلى هذا الحد ، فعلى الأقل لا يصوروا اسماها صورة لا تليق بجلالة قدرها كالقول : —

دار محبوبى باسوار البـلاد وأرانى شرَّ ما راع العباد (٥)

والقول : —

ويح قلبى قد ردى بتروكلو سربدونًا خير من حلَّ الفؤاد (٦)

---

(١) الياذة ٢٤ : ١٠ (٢) الياذة ١٨ : ٢٣ (٣) الياذة ٢٢ : ١٦٨ (٤) الياذة ١٨ : ٥٤

(٥) الياذة ٣ : ١٦٨ (٦) الياذة ١٦ : ٤٣٣

لانهُ يا عزيزى اديمنتس ، إذا أصغى شبابنا إصغاءً جديًّا إلى أقوال كهذه ولم يهزأوا بها كأوصاف سخيفة . ندر أن يحترم أحد منهم نفسهِ كرجل ، مترفعًا عن إتيان نظيرها قولاً أو فعلاً ، متى توافر الداعى اليها . فيتمادى ، إذا لم يردعهُ الحزم أو الحياء ، فى النواح والعويل لأصغر مصيبة اد : — كلامك غاية فى الصواب

احترام النفس ركن الرجولة

س : — وذلك ينكر عليه ، كما تعلمنا من بحثنا الحالى . وسنحرص عليه ، إلى أن يقنعنا أحد مما هو أفضل منهُ اد : — حقًّا انه ينكر عليه

س : — ولا يجوز لحكامنا أن يغربوا فى الضحك لأن استسلام الانسان للضحك المفرط يعقبهُ رد فعل عنيف اد : — هكذا أظن

من الضحك المفرط

س : فاذا مثَّل شاعر كبار الرجال ، مغربين فى الضحك ، أبدينا الأنفة من ذلك وبالأحرى جدًّا إذا وصف الآلهة بهِ اد : — بالأحرى ، نعم

٣٨٩

س : — فلا تأذن لهوميرس أن يقول فى الآلهة : —

علت ضجاتهم بالضحك لما رأوا هيفست يخمع كالظليع(١)

لانهُ ، جريًا على مبادئك ، لا يجوز استعمال لهجة كهذه

اد : — إذا شئت أن تحسبها مبادىء فلا شك فى إنهُ لا يجوز

س : — ويجب الاحتفاظ بقدر الصدق . لأنه إذا كنا قد أصبنا فى ما قررناه ، وكان الكذب عديم النفع للآلهة ، وانحصرت فائدته فى الناس كعلاج ، فواضح انهُ ينبغى حصر وسيلة كهذه فى أيدى الأطباء ، ولا يتدخل بها غيرهم من العامة

من الكذب

اد : — واضح

س : — فان جاز الكذب لأحد فللحكام فقط ، في مخادعة الاعداء ، أو فى إقناع الأهالى بما هو لخير الدولة . ولا يباح لأحد الاشتراك معهم فى هذا الامتياز ، بل نحسب كذب الناس فى ما يضير الدولة ، مساويًا ، على أقل تقدير ، كذب العليل على طبيبهِ ، والتلميذ على مدربه فى أمر صحتهِ وكذب الملاح على ربانهِ فى ما يتعلق بحال السفينة وبحارتها ، ووصف حاله أو وصف حال رفقائهِ اد : — غاية فى الاصابة

لا خير في الكاذبين

س : — فاذا وجدت الحكومة كاذبًا فى المدينة

من جماعات الاطبا أو أساطين الفنون(١)

أنبياء أو رغام ساء ما يبتدعون

وجب أن تعاقبه لأنه أحلّ بالأمة من عوامل الدمار ما يضارع تعطيل سفينة

اد : — نعم إذا كان الفعل يتلو القول

س : — أو لا يفتقر شبابنا إلى العفاف ؟ اد : — دون ريب

أن يكونوا أعفاء

(١) الياذة ١ : ٥٩٩ (٢) اوديسا ١٧ : ٣٨٣ .

س : — أو لا يدرج تحت الرصانة ، بمنطوقها العام ، المبادىء الآتية : أولاً إطاعة الحكام ، ثانياً قمع اللذات التي تستلزم استرسالهم في الطعام والشراب والهوى ؟

اد : — هكذا أرى

س : — نخص بالاستحسان من كل أقوال هوميرس ما رواه ديوميدس

اسمعوا قولي صحبي بهدوء ووقار (١)

وقال في البيت التالي

أظهر اليونان بأساً طوع قواد كبار

وما ماثل ذلك من الأقوال اد : — نستحسنها

س : — ولكن أيمكننا استحسان لهجة كهذه

يا شارباً مثل كلب والغ قلق وقلبه كغزال في الورى شردا(٢)

٣٩٠ وكل ما يتلو هذا البيت من التقريع شعراً ونثراً ، إذا وجهه العامة ، نحو حكامهم

اد : — كلاً . لا يمكننا استحسانها

س : — فاني أظن ان سمعها لا يرقى صفة الرزانة في الشباب ، وإذا نشأت فيهم مسرات جمة فلا عجب . أهذا رأيك ؟ اد : — هذا هو .

س : — فاذا صوّر أحكم الرجال ، يتلو ما يحسبه أبهى منظر في الدنيا بقوله : —

كثرة الخبز مع اللحم ووفرة الشراب(٣)

حولها الولدان تملا من دنانها القعاب

أفتظن أن هذه الأقوال تؤدي بالشاب إلى ضبط النفس ؟ وكذلك القول التالي

ساء حظ المرء حظاً حينما يهلك جوعا(٤)

وما قولك في وصف زفس ، وقد ثارت فيه الشهوة الجنسية فذهل عما سواها وظل ساهراً وجميع الآلهة والناس نيام . فخلبت لبه رؤية الالاهة هيرا ، حتى خانه الصبر فلم ينتظر دخولها البيت قائلاً انه قد تملكه الهيام ، تملكاً أشد منه حين اجتمعا لأول مرة

في خفية عن عيون الوالدين كما يخفي اللصوص بأكناف الفراديس

وما قولك في مباغتة هيفاستس(٥) الحبيبين اريس وأفروديت في مثل هذا الحال ، فكبلهما بالأصفاد ؟ اد : — وذمتي ان قصصاً كهذه لهي أدنى من أن تقال

س : — أما أفعال الشجاعة التي تحمل كل أنواع المحن المنسوبة إلى أحاد الرجال بالأفعال والأقوال ، فاليها نصغي وبها نفكر . كالبيت التالي مثلاً

قرع الصدر بعنف قائلاً احتمل يا قلب ما جنيته(٦)

(١) الياذة ٤ : ٤١٢ (٢) الياذة ١ : ٢٢٥ (٣) اوديسا ٩ : ٨ (٤) اوديسا ١٢ : ٣٤٢
(٥) اوديسا ٨ : ٢٦٦ (٦) ٢٠ : ١٧

اد — : من كل بد

س : — ولا يسمح لأحد رجالنا أن يقبض رشوة أو يكون محبًّا للمال

واحرارا من حب المال

اد : — كلاً بالتأكيد

س : — ولا ننشدهم بيتًا كهذا : —

ترجع الرشوة قلب الآلهة وملوك الأرض أرباب الجلال(١)

٣٩١

ولا نمدح فينكس مهذّب اخلس ، أو نجيز القول انهُ كان حكيماً بمشورته(٢) عليه أن يساعد الاخائيين إذا قدموا له هدايا ، وأن لا يخمد غضبهُ حتى يتسلَّم المال . ولا نصدق ، ولا نسمح أن يقال ان اخلس جشع ، حتى انهُ قبل هدايا اغممنون ، وانهُ لم يسلم الجثث دون فدية اد : — ليس من الصواب اباحة قصص كهذه

س : — ولا يؤخرني ، إلا احترامي هوميرس ، عن القول : ان اسناد مثل هذه الأشياء الى اخلس خطية عظيمة . كذلك تصديقها إذا رويت ، أو تصديق القول ان اخلس قال لأبلو : —

قد دهاني طعنكم ياذا الاله فقت أجناد الأعالي ضررا(٣)

ليتني أملك أقصى قوة لانتقام فيه أقضي الوطرا

او انهُ أبدى شكاسة نحو نهر ارجيفً ، (٤) الذى هو إله ، حتى انهُ هبَّ لنضاله وانهُ أبدى سماجة أخرى لنهر سبرخس قائلاً :

انى أهدم هاتيك السدود فتلاقى بتركولو فى اللحود(٥)

وذلك حين كان الجبَّار بتركولو صريعًا ، وانهُ فعل ما قال (هدم السدود) . وكذلك الروايات المتعلقة بجرِّه جثة هكتور حول ضريح بتركولو(٦) . ولا نصدّق انهُ ذبح الأسرى فى مأتم الجنازة

ولا ندع شباننا يعتقدون ان اخلس سليل إلاهة وبيليوس — الأمير الحصيف ، المحسوب ثالث زفس — وقد هذبهُ شيرون الكلى الحكمة ينشأ فيه تشويش معيب ، فتتفشى فى نفسه علتان متضادتان هما الطمع تدنيًّا ، واحتقار الناس والآلهة غطرسةً

اد : — انَّك مصيب

س : — فلا نقبلنَّها فيما بعد ، ولا نسمح أن يقال ان ثيسوس بن بوسيدون ، وبيريثوس بن زفس ، يرتكبان اغتصابًا كهذا . ولا أن أحد أبناء الآلهة الأبطال يقدم على فعال خسيسة ، كالتى أشاعوها عنهم كذبًا فى هذا الزمان . فلنوجب على شعرائنا إما أن ينفوا عن أولئك السامين ما نسبوه اليهم من الأعمال ، أو أن يقولوا انهم ليسوا

لا خساسة في أبناء الآلهة

(١) يظن انه لهسيودس (٢) الياذة ٩ : ٥١٥ (٣) الياذة ١٢ : ١٥ (٤) الياذة : ٢١ : ١٣٠

(٥) الياذة ٢٣ : ١٥١ (٦) الياذة ٢٢ : ٣٩٤

أبناء الآلهة . والأفضل أن يعرضوا عن هـــذه وتلك ، فلا يؤلهوهم ، ولا يذموهم ، وأن يعرضوا عن تعليم أولادنا أن الآلهة ولدت الشرور ، وان الأبطال ليسوا أفضل من الناس . وقد أسلفنا انهُ يستحيل أن يصدر مثل ذلك من الآلهة ، وان هذه الأمور سفيهة وكاذبة

اد : — لا شك فى اننا أسلفنا ذلك

س : — زد على ذلك ان هـــذا الكلام يخدّش آذان سامعيه ، ويحمل الناس على الاستباحة ، حين يرون ان هذه الأشياء كان يمارسها حتى المقرَّبون من الله الذين : —

من ذراري زفس قد تسلسلوا وبهم روح الأعالى تلمحُ
والألى فى رأس إيدا قد بني لأبيهم زفس نعم المذبح (١)

فنستأصل أساطير كهذه لئلا تنشىء فى ناشئتنا ميلاً عظيماً إلى الشر

اد : — أوافقك فى ذلك كلّ الموافقة

٣٩٢ س : — فأى نوع من البحث بقى علينا ، فى ما يباح وما يحظر من الأساطير ؟ . فقد ذكرنا القوانين الواجبة مراعاتها فى الكلام فى الآلهة ، والجبابرة ، والأبطال ، وأرواح الموتى ؟ اد : — ذكرنا ذلك

كيف يصاغ الكلام

س : — فالباقى يختص بصيغة الكلام فى الناس . أليس كذلك ؟ اد : — واضح

س : — لكنهُ يتعذَّر علينا ، أيها العزيز ، انجاز ذلك فى الدور الحالى من بحثنا

اد : — وكيف ذلك ؟

افتراءات المتشائمين

س : — لأنى أري ان الشعراء والناثرين سيَّان خطلاً فى الكلام فى أهم مصالح البشر ، كقولهم ان أكثر الناس سعداء حال كونهم غير عادلين ، وان العادلين تاعسون ، وان فعل الشر يفيد فاعله كثيراً إذا خفي أمره ، وان العـــدالة تفيد الغير وتضر فاعلها ، فنحظر هـــذه الأقوال ، وما لا يحصى من أمثالها . ونأمر جميع الكتَّـاب أن يعربوا عن نقيض هذه المعانى فى أغانيهم وفى أساطيرهم . ألا تظن كذلك ؟

اد : — لا بل أؤكدهُ

س : — فاذا كنت تسلم انى مصيب فيه أفلا يجوز فى أن أؤكد انك سلمت معى فى الفرض الذى هو موضوع بحثنا ؟ اد : — فرضك صحيح

س : — أفلا يجب أن نؤجل أمر الاتفاق اللازم اعتبارهُ فى الكلام فى النـاس ، لكي نكشف أولاً طبيعة العـدالة الحقيقية ، ونبرهن على انها مفيدة لصاحبها ، عُرِف عادلاً أو لا اد : — انك مصيب كل الاصابة

س : — فلنختم إذاً البحث فى الأقاصيص

صيغة الكلام

وخطوتنا الثانية ، على ظنى ، هى فحص الصيغة اللازمة لهـا ، وإذا تسنى لنـا ذلك

(١) من نيوب اسخليس .

وجهنا كل التفاتنا إلى ما يقال والصيغة التى بها يقال اد : — لم أفهم ماذا تعني بذلك

القصص

س : — ومن المهم أن تفهم ، قد تفهم أكثر إذا أنا أفرغته فى هذا القالب : أليس كل ما أملاه الشعراء أو كتاب الأساطير أقاصيص عن الماضى والحاضر والمستقبل ؟

اد : — وماذا يكون غير ذلك ؟

أنواعه ثلاثة

س : — أو لم يوردها مؤلفوها بصورة القصص ، أو بصورة التمثيل ، أو بالصورتين معاً ؟

اد : — وهذا أيضاً يجب أن أفهمه أتم فهم

س : — يظهر انى معلم عيّ ولذا أتقدم لشرح كلامى ، كمن يعوزه البيان . ولا أتناول موضوع البحث إجمالاً ، بل أقتصر على وجهة خاصة منه ، وأجهد فى جعل كلامى واضحاً لك . فقل : أتعرف مطلع الالياذة ، حيث يقول الشاعر : — « فرجا كريسس اغممنون أن يطلق سراح ابنته ، فغضب اغممنون عليه ، فلما رأى كريسس ان طلبه قد رفض سأل إلهه أن ينتقم له من الاخائيين » ؟ اد : — اعرفه

س : — فتعرف إذا ما تقدم هذا البيت فدعا على كل الاخائيين لكن خصص ابنى أتريوس القائدين

مع ان الشاعر نفسه هو المتكلم . ولم يورد أقل إشارة لافهامنا أن المتكلم شخص آخر غيره . لكنه فى ما تلا يتكلم بلسان كريسس . وقد بذل الجهد ليحملنا على الاعتقاد ان ليس هوميرس المتكلم ، بل الكاهن العجوز

وعلى هذه الصورة نظم تقريباً كل وقائع طروادة واثكا ، وكل كارثات الأودسى

اد : — هذا أكيد

القصص

س : — فهى قصص . أليست كذلك ، سواء كان الشاعر يروى خطباً تاريخية ، أو يصف الحوادث المتوالية اد : — لا شك فى أنها قصص

التمثيل

س : — ولكن إذا تكلم بلسان رجل آخر الا نقول انه فى كل موقف كهذا يقصد أن يمثل الشخص الذي كان يتكلم بلسانه أقرب تمثيل ؟

اد : — نقول دون شك

س : — ولكن حين يتكلم أحد بلسان غيره ، ويبدى أعظم مماثلة له فى نغمته وأشاراته ، ألا نقول ان ذلك تمثيل ؟ اد : — لا شك فى أنه تمثيل

نقد أسلوب رواية هوميرس

س : — فاذا لم يخف الشاعر نفسه كل الاخفاء لم يكن شعره ، أو قصته ، تمثيلاً ، ولئلاً تقول أنك لم تفهم أيضاً أفيدك . لو أن هوميرس تكلم بلسانه ، لا بلسان كريسس ، بعدما قال كيف ألتمس كريسس من اليونانيين ، وخاصة من ملوكهم ، أن يطلقوا سراح ابنته وهو يحمل إليهم فديتها ، لكان كلامه قصصاً لا تمثيلاً . ولكانت الحكاية هكذا (انى أوردها نثراً لأنى لست بشاعر) : —

« فجاء الكاهن ، وتضرَّع إلى الآلهة ، أن يفتح اليونان طروادة ، ويعودوا سالمين ، إذا أطلقوا ابنته ، وقبضوا الفدية ، خائفين الله . فعندها شملت الرهبة جميعهم ، ومالوا إلى إعطائه سؤله . على أن اغممنون امتعض ، وأمره أن ينصرف حالاً ، ولا يعود ، لئلا ينثلم صولجانه ، ويذوى اكليل الغار المقدَّس . فانه لن يردَّ له ابنته حتى يدركها الهرم عنده في ارغس . فليبرح ، وليكفَّ عن إزعاجه إذا أراد أن يغنم سلامته . فخاف الشيخ لما سمع ذلك وانصرف صامتاً ، ولما خرج من المحلة ، رفع تضرُّعات حارة لابلو متوسلاً بأسماء الله الحسنى ، ومواعيده الكريمة ، أن يستجيب له دعاءه بأن ينتقم منهم لدموعه بقوته الإلهية. قال ذلك وأطلق سهمه في الهواء نحوهم ، رمزاً لحلول النقمة عليهم »

٣٩٤

فذلك قصص بسيط أيها الصديق لا تمثيل اد : — فهمت

س : — أريدك أن تفهم أيضاً أنه قد يعكس الحال ، وتحذف كلمات الراوى — الشاعر — الواردة بين أقسام الكلام ، بحيث لا تبقى إلا واقعات الحادثة

اد : — فهمت . والمأساة هي من هذا النوع

س : — أصبت ظناً . وأظن انى أقدر أن أوضح لك الآن ما لم أقدر أن أوضحه قبلاً وهو أنه في الشعر ، كما في الأساطير ، ثلاثة أقسام : أحدها تمثيلى كالمأساة والكوميديا ، والآخر رواية الشاعر نفسه رواية بسيطة . وتجد هذا النوع بالأكثر في خمريات باخس . والثالث يجمع بين هذين النوعين ، القصصى والتمثيلى ، وهو يلاحظ في الشعر القصصى وكثير من أمثاله ، إذا كنت قد فهمتني اد : — الآن فهمت تماماً ما عنيته باشارتك السالفة

أسلوب الانشاء

س : — فاذكر ما قلناه سابقاً ، وفيه المسألة المتعلقة بمادة الإنشاء . بقى علينا النظر في أسلوبه اد : — انى أذكر

س : — وهذا ما عنيته بالضبط انه حتمٌ علينا أن نتفق في هل نأذن لشعرائنا أن يوردوا قصصهم تمثيلاً كليًّا أو جزئيًّا (وما هو المقياس الذى يتبعونه إذا جاز لهم التمثيل) أو انه لا يجوز لهم التمثيل مطلقاً ؟

اد : — أظن أنك تفكر في هل نبيح المأساة والكوميديا في مدينتنا

س : — ذلك ممكن . وقد ينظر في قضايا أخرى عدا المأساة والكوميديا . حقًّا انى ما زلت متردداً ، ولكن علينا أن نستسلم للبحث استسلام السفينة للرياح الهابَّة

اد : — انك مصيب تماماً

الحكام والتمثيل

س : — فاليك مسألة تنظر فيها يا اديمنتس — أيحسن بحكامنا أن يمثلوا أم لا ؟ أو ترى انه يلزم عن أبحاثنا السالفة أن يختص الإنسان بنوع واحد من الأعمال لا أكثر ، وانه إذا حاول ذلك فاشتغل بأمور عديدة معاً فشل فيها كلها ، ولم يبلغ أرباً ولا بواحد منها ؟

اد : — لا شك في ان هذا هو الواقع

الاخصاء فى فن التمثيل ٣٩٥

س : — الا يتمشى هذا الحكم نفسهُ على فن التمثيل ؟ أى هل يمكن الفرد الواحد أن يجيد أنواعًا عديدة من التمثيل ، كما يجيد النوع الواحد منه ؟ اد : — مؤكد انه لا يمكنهُ

س : — فمن أندر الأمور أن من يشغل منصبًا مهمًّا يتمكن معهُ من التمثيل على أنواعه فيكون ممثلاً بارعًا مع عمل منصبه . لأنهُ حتى فى نوعى التمثيل ، المأساة والكوميديا ، وهما لصيقان ، لا يمكن الفرد الواحد أن يبرع ، كما فى تأليف المأساة والكوميديا . وقد صرّحتَ الآن أن النوعين تمثيل . ألم تصرح ؟ اد : — بلى

س : — وبحق نقول ان الإنسان لا يمكنهُ أن يجمع بين النوعين معًا . ولا يمكن الإنسان أن يكون روائيًا فى الشعر القصصي وممثلاً معًا . اد : — حقيق

س : — بل أنهُ لا يمكن الممثل الواحد أن يمثل المأساة والمهزلة معًا ، مع أن كليهما تمثيل . أليسا تمثيلاً ؟ اد : — انهما تمثيل

تقسيم الاعمال

س : — وأرى ، يا صديقي اديمَنتس ، ان الطبع الإنساني ، يذهب فى تقسيم الأعمال إلى أبعد من ذلك . فلا يمكن أن يحسن المرء تمثيل أشياء عديدة معًا ، أو يقوم بما يرمز إليه التمثيل من الأعمال المنوّعة اد : — بكل تأكيد

الحاكم حاكم لا غير

س : — فاذا أصررنا على رأينا الأول ، وهو أنهُ يجب إعفاء حكامنا من كل مهنة أخرى غير الحكم ، ليمكنهم أن يبلغوا أعلى مراتب الحذق فى إحراز حرية الدولة ، غير متعاطين إلا ما يؤدي إلى هذه النتيجة ، فلا يُرغب فى أن يمثلوا أو يمارسوا أى عمل آخر ، وان عرض لهم أن يمثّلوا ، فليمثّلوا منذ حداثتهم ما ينطبق على مهنتهم — كتمثيل الرجل الشجاع الرزين المتدين الشريف ، وأمثاله . ولا يمارسوا أو يمثلوا الدناءة وكل أنواع السفالات ، لئلاَّ يلصق بنفوسهم ما مثَّلوهُ ، فيرى لهم سجية . أو لا تدري أن التمثيل يتمكَّن فى النفس بتأثير الإشارات ، ونغمة الصوت . وطرائق الفكر ، إذا مارسوه منذ الحداثة ، فيصير عادة فيهم كطبيعة ثانية ؟ اد : — أدرى بالتأكيد

س : — فلا نأذن لمن صرحنا أننا نهتم بهم ، ونرغب فى صيرورتهم صالحين ، أن يمثلوا ، وهم رجال ، واحدة من النساء ، صبية كانت أو عجوزاً ، فى حال مهاترتها الرجل أو تبجحها لدى الآلهة اعتداداً ببرّها ، ولا فى فى نوائبها وأحزانها وشكواها . ولا نأذن لهم أن يمثلوا مريضًا أو عاشقًا أو عاملاً اد : — هكذا بالتمام

س : — ولا يؤذن لهم أن يمثلوا عبيداً ، ذكوراً أو إناثًا فى حال ممارستهم ما تقضى به العبودية اد : — كلا ، لا يجوز لهم

٣٩٦

س : — ولا يمثلوا أسافل الناس كالجبناء ، والذين سلوكهم ، على العموم ، ضدُّ ماذكرناهُ الساعة ، كشتمهم بعضهم بعضًا ، وتحقيرهم أحدهم الآخر ببذيء الكلام ، صاحين

كانوا أو سكارى ، فى حال اقترافهم إحدى هذه الاساءات ضد الآخرين ، أو بعضهم ضد بعضهم ، مما يجعل الرجال مجرمين قولاً أو فعلا . وأرى أنهُ لا يجوز أن تبيح لهم أن يمثلوا المجانين فى عملهم وكلامهم : لأنهُ وان جاز لهم أن يعرفوا المجانين فلا يجوز لهم أن يعملوا أعمالهم ، ولا أن يمثلوها

اد : — بكل تأكيد

س : — وهل يمثلون الحدادين وغيرهم من الصنّاع كالمجذفين بالسفن ، أو رؤسائهم أو ما هو من هذا النوع ؟ اد : — غير ممكن . ولا نسمح لهم بالالتفات إلى هذه المهن

س : — وهل يمثلون صهيل الخيل ، أو جئير الثيران ، أو خرير الأنهار ، أو قصف الرعود ، أو هدير البحار ، ونحو ذلك من الظاهرات ؟

اد : — كلا . فقد حظرنا عليهم الجنون وتقليد المجانين

أسلوبا الصالح

س : — فاذا كنت قد فهمت كلامك ، فهنالك أسلوب خاصّ من القصص ، يختاره الرجل الشريف الحلو الشمائل إذا لزم أن يقص أى قصص . وهناك أسلوب ضدّه يلوذ بهِ من كان على خلاف هذه السجايا فى طبعهِ وتهذيبهِ

اد : — وما ذلك النوعان ؟

س : — أولهما : إذا بلغ الرجل الحسن الخلق فى قصصهِ كلام الصالحين أو فعالهم تلاها عن رغبة ، دون خجل ، لأنهُ يؤثر أن يمثل الرجل الصالح ، إذا اقترن ذلك التمثيل بالرصانة والتعقل . ولكنهُ حين يمثّل رجلا اختلّ اتّزانهُ ، لمرض أو عشق أو سكر ، مثّلهُ بأقل رغبة . ومتى بلغ فى تمثيله ما لا يليق بكرامتهِ فانهُ يخجل من تمثيله ، عوض الظهور بمظهر من هم دونهُ ، إلاّ إذا كان التمثيل قصير المدى ، لأنهُ متصف بالصلاح ، ولأنهُ لم يألف مثل هذا النوع من التمثيل ، أو لأنهُ لدى إمعان الفكرة ينفر من التبذّل والتدانى ، على منوال السفلة ، إلا إذا كان على سبيل التسلية اد : — ذلك ما ينتظر منهُ

س : — أفلا يستعمل الأسلوب القصصى ، الذى ذكرناهُ فى كلامنا السابق ، لمّا أشرنا إلى أشعار هوميرس ؟ فيشتمل أسلوبهُ على الشعر الذى يجمع بين التمثيلى والقصصى العادى . وقلما يرد النوع الأول فى سياق كلامه المطول . أفمخطىء أنا فى كلامي ؟ ٣٩٧

اد : — كلا . بل قد أبنت بمزيد التدقيق ، الصيغة الواجب اتباعها فى قصص كهذا

تمثيل الرجل السافل

س : — ومن الجهة الأخرى ، ان الإنسان الذى يختلف سجية عمن ذكرنا ، لا يجنح إلى حذف شيء من قصصهِ كلما زاد خساسة . ولا يترفّع عن شيء مهما يسفل . فيمثل كل شيء بمزيد الجد ، حتى على مرأى الكثيرين من الناس ، بلا استثناء شيء مما ذكر آنفًا ، كقصف الرعود ، ودمدمة العواصف ، وتساقط البرَد ، وقعقعة العجلات ، وأصوات الزمور ، وكل آلات العزف ، وعواء الكلاب ، ومعاء الأغنام ، وتغريد الطيور . فاما ان

يكون كل همّه تقليد الأصوات والملامح المقترنة بها ، أو يقتصر على مزجها بالقليل من القصص

اد : — بالضرورة القصوى

س : — فهذان هما الأسلوبان اللذان عنيتهما

اد : — حقًا انهُ يوجد هذان الاسلوبان

استعمال الاساليب القصصية

س : — وهل ترى التنوعات الحاصلة فى أحدها طفيفة ؟ وإذا طبّقت اللحن والايقاع على الأسلوب فقد يمكن فى الالقاء الصحيح أن تبتدىء بدون تعديل فى الأسلوب ، وفى نغم واحد — لأن التنوعات غير مهمة — وإيقاع واحد أيضًا   اد : — هذا هو الواقع حتماً

س : — أو لا يستلزم الأسلوب الآخر كل أنواع الألحان والايقاع إذا أريد القاؤه القاءً لائقًا ، لكثرة ما فيهِ من التبرعات ؟   اد : يستلزم

س : — وهل يستعمل جميع الشعراء والقصّاصين أحد هذين الأسلوبين ، أو واحداً مؤلفًا من كليهما ؟   اد : — يلزم أن يستعملوا أحد هذين

س : فماذا نعمل ؟ أنقبل فى مدينتنا كل هـذه الصور ، أم نقتصر على إحداها ، أعنى البسيطة ، أو المركبة ؟

اد : — إذا كان رأيي مقبولاً فأرى أن نختار الصور البسيطة التى تمثل الرجل الصالح

النوع المركب

س : — ولكن الصورة المركبة جذّابة يا أديمنتس ، ولا سيما للأطفال ، ومن هم فى حكم الأطفال ، والسوقة . وذلك غير ما آثرتهُ   اد : — حقيق

س : ولكن قد تقول انهُ لا يلائم طبيعه دولتنا لأن ليس فينا رجل متعدّد المنازع ، لاقتصار كل واحد على نوع خاص من العمل   اد : — أنت مصيب انهُ لا يلائم

الاختصاص خلاصة جمهورية افلاطون

س : — أفلا نرى فى دولتنا لهذا السبب ، دون غيرها من الدول ، ان الاسكاف اسكاف فقط ، وليس هو ربّانًا مع السكافة . والزارع زارع فقط ، وليس قاضيًا مع زراعتهِ . والجندى جندىٌّ فقط وليس تاجراً مع جنديتهِ . وهكذا بقية الصنّاع

اد : — هذا حقيق

٣٩٨

لا محل للخنفشارية فى المدينة السعيدة

س : — فاذا عرض أن مرّ بدولتنا إنسان بارع ، قادر أن يتلبس بكل مظهر ، وأراد اعلان مواهبهِ ، ونتائج أدبهِ بيننا ، فاننا نبدى نحوه كل احترام كانسان مقدّس معتبر فنّان ، فنخبره انهُ لا يقطن مدينتنا شخص نظيره ، وان قانوننا المدنى قاضٍ باقصاء من كان على شاكلتهِ ، فنرسله إلى بلد آخر بعد أن نسكب على رأسهِ الأدهان والطيوب ، ونزين رأسهُ بعمامة صوفية بيضاء دليل الاكرام . ونستخدم بدلاً منه شاعراً بسيطًا ، ميثولوجيًّا ، أقل فتنة وأكثر ترصنًا . فيفرغ قصصه فى القالب الذى وصفناه فى مستهل حديثنا حين تكلمنا فى ما يتعلق بتهذيب جنودنا .

اد : — هكذا نفعل إذا كان الأمر راجعًا الينا

س : — يظهر يا صديقي العزيز اننا قد أنجزنا البحث فى القسم الموسيقى المختص بالوهميات وغيرها من القصص . فقررنا ما يجوز أن يقال ، وكيف يجب أن يقال

اد : — هكذا أظن

س : — فموضوعنا التالى فى الأغانى والالحان أليس كذلك ؟ اد : — الامر واضح

القسم الحقيقي من التهذيب الموسيقي

س : أفيعسر على أحد اكتشاف ما يجب أن تقول فيها ، وفى صفتها إذا رمنا الاعتصام بما سبق فقررناه ؟

غلوكون : — ضاحكاً — انى أخاف يا سقراط انى لا أدخل تحت كلة « أحد » . أى اننى لا أقدر الساعة أن أبلغ نتيجة مرضيــة فى ما هى الأنواع التى نعتمدها . لأنى على شيء من الريبة

اركان النشيد

س : — أظنك على كل حال قادراً أن تعلم أن النشيــد مؤلف من ثلاثة أركان ، هي الألفاظ واللحن والايقاع(١) غ : نعم ، انى أقدر أن أؤكد ذلك

الالفاظ

س : — لا تختلف الألفاظ الغنائيـــة عن غيرها من الألفاظ فى شيء ، باعتبار انها منظومة فى نفس الأساليب التى رسمناها غ : — دون شك

الوزن

س : — وتسلم ان اللحن والايقاع يجب أن يلائما الالفاظ غ : دون شك

اللحن

س . وقد أسلفنا أن لا محل للندب والتذمر فى المنظومات غ : — لا محل

الالحان الشجية

س : — فما هى الألحان الشجية ؟ قل ، فانك موسيقي

غ — هى الليدي المركب والهيبر ليدى وما ضارعهما

س : — تلك ألحان يجب نبذها لأنها باطلة ، لا تليق بالنساء ، فضلاً عن الرجال

غ : — أكيد

س : — وأنت مسلّم أن السكْر والتخنث والكسل أقل الأشيا لياقةً بحكامنا ؟

غ : — لا شك فى ذلك

الالحان الرخوة

س : — فما هى الألحان الانثوية المطربة

غ : — هى الأيونى والليدى اللذان ندعوهما اللحنين « الرخوين »

٣٩٩

س : — أفتستعمل هذين اللحنين ، يا صديق ، فى تهذيب رجال الحرب ؟

الالحان التى آثرها افلاطون

غ : — كلاّ ، فاذا لم أكن مخطئاً فلم يبق لك إلا اللحن الدورى ، والفرنجى

س : — أنا لا أعرف الألحـــان . ولكن اترك لي اللحن الخاص الذي يمثل رنة صوت الجندى الشجاع وهديره فى حملة حربيـــة ، وفى اقتحامٍ شديد الخطر ، حيث

---

(١) يصعب تعيين الاصطلاحات الموسيقية القديمة . فترجمنا الكلمة اليونانية « ارمونيا » بكلمة « لحن » مع انها في الأصل اليوناني تختلف عنها قليلا — دافيس وفوغان

يضع الجندي روحه فى كفه ، إذا يئس من الفوز ، أو إذا أصيب بالجراح ، وقارب الموت ، أو نزلت به أية كارثة ، تراهُ فى كل هذه الملمات يدفع نوازل القدر بعزيمة لا تخور . واترك لي أيضًا لحنًا آخر ، يعلن شعور رجل منهمك فى شغل غيرعنيف ، بل هادئٍ لا إكراه فيه . فقد يكون إقناعًا وتوسلاً أو ابتهالاً لله ، أو تعلماً وإرشاداً . وقد يكون تقبُّل الابتهال أو الإرشاد أو الاقتناع من آخر . ويلى ذلك فوزه بالمرام . فلا يتصرف بغطرســة ، بل يعمل فى كل هذه الأحوال بترصن واعتدال راضيًا ما يأتى عليهِ . فاترك لي هذين اللحنين المثير والهادىء ، اللذين يمثلان ، بأبدع أســلوب حاليّ الرجل فى الشــدة وفى الرخاء ، فى الشجاعة وفى الهدوء

غ : — انك تحتم عليّ أن أترك لك ما ذكرتهُ الساعة من الالحان

س : — لسنا نحتاج فى أناشيدنا وألحاننا إلى أوتار كثيرة : غ : — كلاَّ ، كما أثق

آلات الموسيقى

س : — فلا نعبأ بصانعى العود والسنطير ، وغيرهما من الآلات الكثيرة الأوتار التى تعطى ألحانًا متنوعة غ : — كلاَّ

الناى

س : — وهل تقبل فى دولتك صانعى الناي والعازفين بهـا ؟ وهل ترانى مصيبًا فى قولى انها أكثرأصواتًا من كل آلة موسيقية ، وإن «البنهر مونيوم» ليس إلا تقليدالناي ؟

غ . — واضح انك مصيب

العود والقيثارة

س : — بقى العود والقيثارة ، وهما ذات فائدة فى المدينــة . أما فى الارياف فيستعمل الرعاة نوعًا من القصب غ : — هذا هو مؤدى البحث فى أقل تقدير

س : — فلا بدع يا صديقى إذا آثرنا « ابلو » وآلاته على « مارسياس » وآلاته

غ : — لابدع فى ذلك

س : — اقسم اننا على غفلة منا نظفنا المدينة التى قلنا الساعة انها فى حال أعظم رفاهية .

غ : — وبحكمة فعلنا

٤٠٠

الشعور أولا

س : — فدعنا ، إذاً ، نكمل التنظيف . فالأمر الثانى بعـد الالحان هو قانون الإيقاع ، ممـا يوجب علينا الا نتبع كثرة الأنواع منها ، أو أن ندرس كل الحركات دون تمييز . بل يجب أن نلاحظ الإيقاع الطبيعى الملائم حيـاة الرجولة المتزنة . ومتى اكتشفنا هــذا وجب تطبيق التفعيل والنغم على شعور حياة كهذه ، لا ذلك الشعور على التفعيل والنغم . ولـكن ما هو هذا الإيقاع ؟ هذا هو شغلك ، لأنك ملحن

الانغام والالحان

غ : — كلاَّ وذمتى لا أقدر أن أقول ، أجل انى أستطيع أن أقول ، بناء على سابق ملاحظاتى واختباري انهُ يوجد ثلاثة أنواع رئيسية ترجع إليها كل الأنغام الموسيقية . كما انهُ توجد أربعة أصوات إليها ترجع كل الألحان . ولـكن أي نوع من الايقاع يعـبر عن أي حال من أحوال الحياة ؟ ذلك ما لا أعلمه

أوزان العروض

س : — حسنًا ، فنستدعي دمون للمشورة في هذه المسألة . فيهدينا إلى أنواع الإيقاع التي تتفق مع الدناءة والسفاهة والجنون ، ونحوها من الرذائل ، والتي تتفق مع اضداد هذه الأوصاف . وأظن اني سمعته يذكر ثلاثة أنواع منها ، هي إيقاع حربي مركب ، وإيقاع عروضي ، وآخر بطولي — ولا أدري كيف رتبها ليبين ان التفاعيل يوازن بعضها البعض الآخر في ارتفاعها وفي انخفاضها بحلّها إلى مقاطع طويلة أو قصيرة . وسمّى بعضها « رجزاً » وبعضها « خفيفًا » . واضعًا لبعضها علامات طويلة أو قصيرة . ويستهجن في بعضها سير التفعيل أو يستحسنه . وكذلك يفعل بالإيقاع . وربما يدمج الإثنين في حكم واحد . وحكمي في ذلك ليس قاطعًا ، فلنترك هذه المسائل كما أسلفت لحكم دمون ، لأن تسويتها تستلزم بحثًا مستفيضًا ، أتخالفني في ذلك ؟ غ : — كلاً . لا أخالفك

الاجادة والركاكة

س : — على انك في أقل الدرجات تقدر أن تقرر هذه المسألة ، وهي ان الاجادة والركاكة ترافقان صحة الإيقاع أو فساده غ : — ذلك أكيد

س : — وأما صحة الإيقاع وفساده فينتجان عن حسن الأسلوب أو قبحه ، ويتمشى الحكم نفسهُ على اللحن الصحيح أو الفاسد . أي ان الإيقاع واللحن يطاوعان الألفاظ ، إلاّ ان الألفاظ لا تطاوعهما . غ : — يطاوعان الألفاظ

س : — وما قولك في الأسلوب والألفاظ ؟ ألا تعينهما نزعة النفس الأدبية

غ : — طبعًا تعينهما

س : — وهل يعين الأسلوب بقية الأشياء ؟ غ : — نعم

الطبيعة الصالحة

س : — فحسن البيان ، وصحة الوزن ، والجزالة ، والإيقاع كافّةً ، تتوقف على الطبيعة الصالحة . ولا أقصد بها السذاجة التي ، مجاملةً ، ندعوها طبيعة صالحة ، بل أقصد بها العقل السليم سلامة حقيقية . تجلّت سلامتهُ في السجية الأدبية الشريفة . غ : — حتماً هكذا

س : — أفلا يجب أن يتصف شبّاننا بهذه الخلال ، في كل حال ، إذا كنا نروم أن يتموا عملهم الخاص غ : — بلى ، يجب أن يتصفوا بها

٤٠١ علاقة الخلق بالفن

س : — وأظن ان هذه المزايا تدخل ، إلى حدّ بعيد ، في فن النقش ، وفي كل الفنون التي تحاكيه ، كالحياكة والتطريز والبناء ، والصنائع المنوّعة بمختلف الآلات . بل في بناء الاجسام الحية وكل أنواع النبات لأن للرشاقة والمعاظلة دخلاً في كل هذه الأوساط . وفقدان الجزالة والإيقاع واللحن حليف الأسلوب الفاسد والخلق الرديء . أما وجودها فحليف الخلق الحميد أي الشجاعة والرزانة ، واعلان لهُ

غ : — مصيب كل الاصابة

حب الجمال سبيل الرشاد

س : — وإذ الحال هكذا ، أفنحصر أنفسنا في مراقبة شعرائنا ، فنوجب عليهم أن يطبعوا منظوماتهم بطابع الخلق الحميد ، وإلاّ فلا ينظموا ، أو نوسع نطاق مراقبتنا فتشمل

أساتذة كل فن ، فنحظر عليهم أن يطبعوا أعمالهم بطابع الوهن والفساد والسفالة والسماجة ، سواء فى ذلك رسوم المخلوقات الحية ، أو الأبنيـة ، أو أى نوع آخر من المصنوعات ، ومن لا يستطيع غير ذلك فننهاهُ عن العمل فى مدينتنا . لكي لا ينشأ حكامنا فى وسـط صور الرذيلة نشوء الماشية فى مراع رديّة ، فتتسرّب الأضرار إلى نفوسهم ، فتفسدها ، بما تلتهم يوماً فيوماً من الأقوات من مختلف المواقع . فيتجمّع فى نفوسهم مقـدار وافر من الشرّ وهم لا يشعرون . وعلى الضدّ من ذلك أو لا يجب علينا أن نستدعي فنيين من طراز آخر ، فيتمكّنون بقوة عبقريتهم من اكتشاف أثر الجودة والجمال . فينشأ شبانـا بينهم كما فى موقع صحّى ، يتشربون الصلاح من كل مربَع تنبعث منهُ آى الفنون ، فتؤثر فى بصرهم وسمعهم ، كنسمات هابة من مناطق صحية ، فتحملهم منذ حداثتهم ، دون أن يشعروا . على محبة جمال العقل الحقيقى ، والتمثّل بهِ ، ومطاوعة أحكامهِ

غ : — ان ثقافة كهذه هي من أفضل الثقافات

٤٠٢ س : — أفلهـذا يا غلوكون ، نعزو إلى تهذيب الموسيقيّ شأناً خارقاً ؟ فان الايقاع واللحن يستقرّان فى أعماق النفس ، ويتأصلان فيها ، فيبثّان فيها ما صحباهُ من الجمـال ، فيجعلان الانسان حلو الشمائل إذا حسنت ثقافته . وإلاّ كان الحـال بالعكس . ومن حسنت ثقافتهُ الموسيقية فلهُ نظر ثاقب فى تبيُّن هفوات الفن وفساد الطبيعـة فيفنّدها ويمقتها مقتاً شديداً . ويهوى الموضوعات الجميلة ، ويفتح لها أبواب قلبـهِ ، فيتغذّى بهـا ، فينشأ شريفاً صالحـاً . وإذا كان منهُ ذلك وهو بعد فتىً ، دون سن الرشاد ، قبلمـا يبرز فى تلك الأمور حكماً عقليـاً ، فانهُ متى بلغ رشدهُ يزداد ولعاً بها ، عن معرفة ، إذ تربّى عليها وألفها

محبة الجمال قبل الرشاد وبعده

غ : — لا أرتاب فى أن هذه هى أغراض التهذيب الموسيقيّ

س : — ولست تجهـل اننا فى تعلمنا القراءة لا نحسب اننا قد أتقناهـا حتى نحيط علماً بالحروف التى منها تتألف الكلمات . فلا نحتقر تلك الحروف ولا نهملها . فى كلمة كبيرة أو صغيرة ، كأنها شيء لا يستحقّ الالتفات اليهِ . بل نبذل الجهـد فى تمييزها حيث ثقفناها موقنين انه يستحيل علينا أن نحسن التعلّم ما لم يكن هذا ديدننا

غ : — حق

الاصل أولا

س : — أو ليس حقّاً أيضاً اننا لا نتمكن من تبيُّن صور الحروف ، معكوسة عن مرآة صقيلة ، أو عن سطح ماء ساكن ، ما لم نعرف أولاً الأصل الذى عنهُ انعكست ، لأن معرفة الأصل ومعرفة ما انعكس عنهُ ترجعان إلى فن واحد ودرس واحد ؟

غ : — حق بكل تأكيد

الفضائل أس الجدارة

س : — فقل لى ، لكي أنتقل من المثل إلى ما أروم تبيانهُ بهِ ، اليس على القياس نفسه، نعجز عن أن نكون موسيقيين حقيقيين ، نحن والذين نعنى بنشئتهم حكاماً ، ما لم نعرف

الصور الجوهرية للعفاف والشجاعة والحرية والأريحية ، وكل نسيبات هذه الفضائل . وما لم نميزها عن أضـــدادها أين عثرنا عليها ، إما هي بنفسها أو صورها فلا نستهينن بكبيرها ولا بصغيرها . عالمين أن معرفة الصيغ الأصلية ، ومعرفة صورها المنعكسة عنها ، ترجعان إلى فن واحد ودرس واحد ؟

غ : — يجب أن يكون الأمر هكذا بلا نزاع

الجمال الـكامل

س : — فليس أجمل في عين كل ذى لب وإدراك ، من الرجل الذي جمع بين جمال الظاهر ، وجمال النفس الباطن ، وقرن هذا بذاك ، لأن كليهما منسوج على منوال واحد

غ : لا أجمل من ذلك

الجمال والحب

س : — وأنت تسلّم ان أجمل الأشياء أحبها إلى القلب ؟

غ : — دون شك انها كـذلك

الجمال الادبي

س : — فالموسيقىُّ الحقيقيُّ يهوى الذين جمعوا ، جمعًا تامًّا ، الجمال الأدبي والجمال الطبيعي . ومن سادهُ التنافر فلا يُحَبّ

غ : — كلاً لا يُحَبّ لأن فى نفسهِ عيبًا أما إذا كان العيب محصوراً فى جسده فانهُ يُحَبُّ تلطفًا

س : — فهمت ان لك حبيبًا ، أو انهُ كان لك حبيب من هـــذا النوع ولذا أسلّم بذلك . ولـكن قل لى ، هل للتطرف فى الملذات من صلة بالعفاف ؟

اللذائذ والعفاف ٤٠٣

غ : — وكيف يمكن أن يكون ذلك ، والعقل ، وقد برحهُ العفاف . حليف التألم ؟

س : — أوَ لها صلة بالفضيلة عامّة ؟ غ : — مؤكد ، لا

س : — حسنًا ، أفلها صلة بالسفالة والفجور ؟ غ : — بكل تأكيد

س : — أفيمكنك أن تذكر لذة أعظم وأقوى مما يصحب التمتع بلذة الحب ؟

غ : — لا يمكننى ذلك ، ولا يوجد من تجاوز حدود العقل فيحاول ذلك

س : — أوَ ليس من طبع الحب المشروع الرغبة فى الجميل المتّزن بطبع رصين متّزن؟

غ : — مؤكد انهُ كـذلك

وقاية الحب

س : — فلا يجب أن يلامس الحبّ الشرعىّ شىءٌ من الجنون والدعارة

غ : — يجب أن لا يلامسهُ جنون ولا دعارة

الحب لافلاطوني

س : — فاللذة التى نحن فى صددها لا تدانى الحب ، ولا يأتى المحب وحبيبهُ ، الذى يبادلهُ الودّ المستقيم شيئًا من هذا النوع . غ : — حقًّا انهُ لا يجوز أن يأتياهُ يا سقراط

س : — فمن الواضح إذاً انك تسن فى شريعـة الدولة ، التى تنظّـمها الآن . ما يتعلق بهذا الشأن : انهُ مع ان الحب يلاصق محبوبه ، ويرافقه ، ويقبلهُ قبلة الأب ابنـــه لسبب جمـــاله ، إذا ارتضى المحبوب منهُ ذلك ، يجب أن ينظم علاقاته به على وجهٍ لا يأذن

بتجاوز هذا الحد إلى ما وراءه ، وإلا عذل لفظاظته وعدم ذوقه . غ : — سنسن ذلك

س : — أفتشاركني في ظني ان نظريتنا الموسيقية انتهت ؟ وعلى كل قد انتهت حيث يجب . لأن الموسيقى ، في مذهبي ، يجب أن تنتهي في محبة الجميل

غاية الموسيقى محبة الجميل

غ : — أوافقك في ذلك

س : — للرياضة البدنية المقام الثاني في تهذيب شباننا .

غ : — حقيق

الجناستك

س : — لا شك في أن التمرين الجناستكي كالتمرين الموسيقي يجب أن يبدأ منذ نعومة الأظفار ، وأن يستمر مدى الحياة . ولكن ما يأتي هو الرأي القويم فيه حسب ظني ، فبيّن رأيك . أما رأيي فهو ان الجسد مهما يكن من أمره لا يجعل النفس صالحة ، وبالعكس ان النفس الصالحة هي التي بفضيلتها تجعل الجسد كاملاً على قدر الإمكان . فما رأيك ؟

غ : — رأيي فيه كرأيك

أولا العقل

س : — فاذا بدأنا أولاً بالمعالجة اللازمة للعقل ، ثم فوضنا إليه وصف المعالجة المختصة بالجسد ، أفلا نكون مصيبين إذا اقتصرنا على ملاحظة المبادىء العمومية حذراً من التلبّك ؟

غ : — تماماً هكذا

س : — فقد قلنا ان على الرجال المذكورين أن يتجنبوا المسكر ، لأن الحاكم ، على ما أرى ، هو آخر شخص في الدنيا يباح له أن يشرب فيفقد صوابه

غ : — حقاً ان من السخافة أن يحتاج الراعي إلى من يرعاهُ

س : — ومن جهة الطعام — ان رجالنا مجاهدون في أهم الميادين . أليسوا مجاهدين ؟

غ : — بلى مجاهدين

٤٠٤ /

س : — أفيناسب أشخاصاً كهؤلاء عادة الجرى على النظام المتبع في تمرين الأجسام في مدرسة الرياضة ؟ غ : — ربما ناسب

أطعمة المجاهدين

س : — ولكنهُ طعام يجلب النعاس ويهدد الصحة . ألا تلاحظ ان الرجال ، في أثناء التدريب يقضون الحياة نياماً . وإذا حادوا عن أطعمتهم قيد أنملة انتابهم شر الأمراض ، في أشد حالاتها خطراً ؟ غ : — انى ألاحظ

س : — فيلزم أفضل طعام لرجالنا الحربيين الذين يجب أن يكونوا يقظين كالكلاب الحارسة ، وأن يكون لهم أسرع سمع وأحدّ بصر . لأنهم معرّضون في أثناء تأدية الخدمة لتغيُّر طعامهم وشرابهم ، وتقلبات الحرّ والقرّ ، لئلاً تفقد أجسادهم مناعتها ، فلا يوافق أن تكون لهم صحة مهدّدة غ : — أثقُ انك مصيب

س : — فهل أفضل جمنازك هو صِنو الموسيقى التي وصفناها آنفاً ؟

غ : — ماذا تعنى ؟

س : — أعنى به النظام البسيط المعتدل ، ولا سيما المعين لجنودنا

غ : — وكيف يكون ؟

أطعمة الابطال بسيطة

س : — يمكننا أن نأخذ درساً فى هــذه الأمور حتى من هوميروس . فانك تعلم انهُ لم يقدم لابطاله ، فى الولائم فى الميــدان ، شيئاً من السمك ، مع انهم كانوا على ضفاف الدردنيل . ولا سلقوا لحماً بل شووه شيًّا ، وهو عند الجنود أسهل اعداداً ، لأن المرء يرى إضرام النار أين حلّ أسهل من حمل قدور الطبخ والمقالى . غ : — بالتأكيد

س : — وإذا لم تخنّى الذاكرة فهوميرس لم يذكر المرق قطعيًّا . لأنهُ معلوم عنــد جميع المدربين ، حسب وصف هوميرس ، ان من يروم أن يبقى فى حال الصحة فليتجنّب كل استرسال من هــذا القبيل ، أليس كذلك غ : معلوم ، ولذلك أصابوا فى إمساكهم

التهتك غير مستحسن

س : — فاذا استحسنت الإمساك أيهــا الصديق الصالح ، فلا أراك تستحسن موائد السيراقوسيين ، ولا كثرة أنواع الطعام عند الصقليين . غ : — لا أظن انى أستحسنها

س : — وتنــكر على الرجال الذين يحبّون أن يحرصوا على سلامة أجسادهم ، تسرّى القتيات الـكورنثيات . غ : — بكل تأكيد

س : — وهل تنـكر على الاثينيين تأنقهم في صنوف الحلوى ؟ غ : — تأكيداً أنـكرهُ

س : — فليس من الخطأ مقارنة نظام المعيشة والطعام بنظام الموسيقى والغناء المنطبق على البنهرمونيوم والمستعمل في مختلف الأوزان . غ : — لا شك في انها مقارنة صحيحة

ثمار الجناز البسيط

س : — أو ليس صحيحاً أيضاً انهُ كما يولـّدالتنوّع الموسيقى فجوراً في النفس تولدالأطعمة عقلاً في الجسد ، أما البساطة في الجناز فتولد صحة ، كما انها في الموسيقى تولد العفاف ؟

غ : — بكل تأكيد

٤٠٥

الطب والحقوق

س : — وإذا انتشرت في المدينة الأمراض وصورالفجور أفلا نضطر لانشاء المستشفيات والمحاكم ؟ أوَ لا يتيه الطب والحقوق عجبًا متى وقف كثيرون من الشرفاء حياتهم على هــذه المهن بوافر الرغبة ؟ غ : — وماذا عسانا أن نتوقع غير ذلك ؟

المرض والاجرام من أدلة الانحطاط

س — فأية حجة على سوء تهذيب المدينــة وانحطاط سكانها أقطع من افتقار أهاليها إلى نطس الأطبّاء وأساطين القضاة ؟ ليس فقط بين طبقات العمال الدنيــا ، بل أيضاً بين من يدّعون شرف النبعة . أوَ لا تراهُ انحطاطاً أدبيًّا ، ودليــل نقصٍ وعدم تهذيب ، اضطرارنا إلى شريعة يسنها الأجانب كسادةٍ وقضاة لنا بسبب فقر الوطن ؟

غ : — لا إهانة أعظم من ذلك

تعظم الصغائر في عين الصغير

س : — أوَ تظن انهــا إهانة أخف على الإنســان أن يقضى الجانب الأكبر من حياتهِ في المحاكم ، بين مدّعٍ ومدعًى عليــهِ ، بل انهُ زاد على ذلك انهُ ، جهلاً

منهُ ، يفتخر بأنهُ حريف فى ارتكاب الكبائر ، واستاذ فى الحيل والمواربة والدهاء والمكر ، بتملصه من قبضة العدالة ، والنجاة من براثن العقاب ، وكل ذلك لقاء أشياء طفيفة تافهة ، جاهلاً أفضلية الحياة المنظمة المستقيمة وجمالها على مثوله امام قاضٍ خامل ؟

غ : — تلك إهانة أعظم مما سبق ذكرها

س : — أو لا تحسب الاحتياج إلى المعالجة الطبية عيبًا ، اللهم إلا ما كان لجرح أو لمرض موسمى وافد ؟ أعنى به احتياجنا إلى المعالجة بسبب كسلنا ونوع معيشتنا ، فتملأنا الرياح والأخلاط كما تملأ المياه القذرة الحمأة . فيلزم أبناء اسكولابيوص (إلاه الطب عندهم) أن يستنبطوا أسماء جديدة للأمراض كتطبّل البطن والزكام ؟

غ : — حقًا ان هذه أسماء جديدة غاية فى الغرابة

٤٠٦

س : — مما لم يعرف فى عهد اسكولابيوس ، على ما أظن : استنتج ذلك من انهُ لما جرح يوربيلس فى طروادة ، لم يلُم أبناؤهُ المرأة التى قدمت لهُ جرعة مصنوعة من خمر براميني ممزوجًا بدقيق الشعير والجبن ، ولا أنّبوا بتروكلس الذى ضمد الجراح . وغنى عن البيان أن جرعة كهذه يظن انها تسبب الالتهاب

المعالجة البسيطة

غ : — حقًا انها جرعة غريبة لمن كان فى مثل حاله

س : — كلاً ، إذا اعتبرت ان تلاميذ اسكولابيوس وأولادهُ لم يستعملوا طريقة المعالجة الحالية إلى عهد هيروديكس . وهى الطريقة القائمة بخدمة الامراض خدمة العبيد أولاد أسيادهم ، ولكن هيروديكس ، وهو استاذ ماهر ، حلّ بهِ السقم ، فجمع بين الطب والجمناز، فكان أول من أزعج نفسه بها ، وقفّى الآخرون على مثالهِ

معالجة هيروديكس

غ : — وكيف ذلك

س : — بتأجيلهِ مصرعهُ ، إذ تتبّع مرضهُ الخطر حذو القذة بالقذة . ولما كان عاجزاً عن نيل الشفاء ، على ما أظن ، وقف كل وقتــه لمعالجته . فعاش معذبًا كل يوم ، بالامساك عن الطعام ، ومصارعة الموت زمنًا طويلاً ، فتمكن ببراعته من بلوغ طور الهرم

غ : — يا لها من مكافأة أحرزها بفنّهِ !

س : — ذلك ما ينتظر ممّن جهل ان اسكولابيوس لم يكتشف هذه المعالجة ولم يورثها لذريتهِ ، جهلاً منهُ أو نقص خبرة ، بل لأنهُ عرف انهُ فى الهيئة المنظمة لكلٍّ عمل خاص يجب أن يتمه ، وليس لأحد وقت فراغ يضاع بين يدى الطبيب . هذه حقيقة نفهمها فى حياة العمال . ومن التناقض المضحك اننا لا ندركها فى حياة المترفين المحسوبين أغنياء سعداء

معالجة اسكولابيوس

غ : — وكيف ذلك ؟

س — : إذا مرض النجار ، مثلاً ، تناول من طبيبه علاجًا لطرد مرضه بالقئ ، أو بالاسهال أو بالكي ، أو بعملية جراحية . أما إذا أشار عليهِ طبيب بالمعالجة الدائمة ،

مرض الصناع

كالإمساك عن الطعام ، والأربطة على الرأس ، ونحو ذلك من أساليب العلاج ، نفر حالاً ، وأجاب مشيره الطبي ان لا وقت عنده لملازمة الفراش ، وان الحياة على هذا النظام لا تستأهل عناء الآلام الدائمة والمخاوف الشديدة ، مهتمًّا بمرضه ، مهملاً عمله ، فيودّع طبيبه ويعود إلى حياته العادية . فاما أن يستعيد صحته ويستمرّ في عمله ، أو ، إذا لم تحتمل بنيته ذلك ، أراحهُ الموت الزؤام من شقائه

٤٠٧ غ : — نعم ، ذلك ما يظن انهُ نفع المعالجة الطبية لرجل في مثل هذه الحال

س : — أو ليس ذلك لأن الرجل ذو عمل لا يجدر به ان يحيا ما لم يتمه ؟ غ : — واضح .

س : — على ان الفنيّ لا شغل لهُ من هذا النوع ، بحيث انهُ إذا أهملهُ كانت الحياة عندهُ لا قيمة لها غ : — يظن ان ليس لهُ

شرع فوسيوليوس

س : — فلم ننتبه لقول فوسيليدس وهو : متى حصل المرء على الكفاف فعليهِ أن يمارس الفضيلة : غ : — نعم ، بل وقبل حصوله على الكفاف أيضًا

س : — فلا نشاجرنَّه في ذلك ، بل دعنا ننظر في هل يمارس الأغنياء الفضيلة كغرض الحياة ، أو ان المرض ، وان عرقل عقل النجار وإخوانه الصنَّاع ، فلا يعرقل كل امرىء عن إطاعة وصية فوسيليدس ؟

غ : — لا وذمتي . انى لم أجد عائقًا في سبيلها أعظم من العناية بالجسد ، عناية زائدة عما يفرضهُ الجمناز . لأنهُ سيَّان عند المرء ، عائقًا له اشتغاله بمصالح البيت ، أو بالعمل في الحقل ، أو بمنصب القضاء المدني

س : — وشرّ ما في الأمر هو أن توقُّع الصداع والدوار عائق خطير لكل أنواع الطلب والتبحر والإمعان ، فينحي المرء باللائمة على الفلسفة ، كأنها السبب في ذلك . ولما كانت الفضيلة تمارس وتؤيد بالدرس العقلي كان المرض قيداً لها . لأنهُ يحمل المرء على التوهم الدائم انهُ مريض ، فيقضُّ مضجعَه قلقهُ على صحته

غ : — نعم هذا هو فعلهُ الطبيعي

الذين يعالجهم اسكولابيوس والذين لا يعالجهم

س : — أفلا نصرّ على أن اسكولابيوس لما فهم ذلك وضع فن الطب لفائدة الذين بنيتهم سليمة بطبيعتها ، ولم يتلفوها بالعادات الضارة ، إنما طرأ عليهم توعك خفيف ، فيحاولون استئصاله بالعلاجات والفصد ، دون تعرض لاشغالهم اليومية ، لئلا تتعطل مصالح الدولة . على انهُ لم يُعن بشفاء البنية التى تغلغلت فيها الادواء والعلل . فلم يبلغ إطالة حياة شقية بتعيين نوع خاص من الطعام ينقصه حينًا ويزيده حينًا آخر بالتدريج . آذنًا لمرضاه أن يلدوا أولاداً ، يغلب أن يكونوا مصابين بأمراضهم ، لأنهُ ظن ان المعالجة الطبية هي في غير محلها إذا تناولت عليلاً لا أمل في استئنافهِ أعماله العادية . لأن مريضًا كهذا عديم المنفعة لنفسه وللدولة

غ : — انك تجعل اسكولابيوس سياسيًّا كبيراً

٤٠٨ أولاد اسكولابيوس في طروادة

س : — كونه كذلك أمر واضح . ولا يفوتنَّك انهُ لهذا السبب برهن أولادهُ على انهم صناديد في معارك طروادة . ومارسوا الطب على ماسبق بيانهُ . أنسيت انه لما جرح بنداروس منلاوس «غسلوا الجراح وضمدوها جيداً(١)» ولم يصفوا لهُ ما يتعلق بطعامهِ وشرابهِ ، إلاَّ ما وصفهُ يوربيلس ، عالمين انَّ العقاقير والحشائش كافية لشفاء صحيحي البنية منتظمي المعيشة ، ولو انهم شربوا على أثر جراحهم مزيج خمر وجبن ودقيق . أما ضعاف البنية والمتهتكون فان أبناء اسكولابيوس لا يرون ان بقاءهم غنمٌ لهم وللدولة ، لأنهم عالمون ان فنهم لا يراد بهِ معالجة أناس كهؤلاء . ولذا رأوا من الخطأ محاولة شفائهم ، ولو كانوا أغنى من ميداس غ : — فأبناء اسكولابيوس دهاة بناءً على إفادتك

سداد افلاطون

س : — كونهم كذلك أمر مسلم بهِ ، ولكن مؤلفي المآسي و «بندار» يخالفوننا . فانهم يقولون ان اسكولابيوس هو ابن ابلو ، ومع ذلك يدعون ان الذهب أغراه فعني بشفاء غنيّ كان في فم الموت ، ولهذا السبب أصيب بالصاعقة . ونحن لا نسلم بالأمرين احتفاظاً بمبدئنا . بل نصرّ على القول انهُ إذا كان ابن إله فلم يكن طماعاً وإن كان طماعاً ، فليس ابن إله

غ : — فنحن في جانب الصواب في ذلك .. وما رأيك يا سقراط في ما يأتي : ألا يجب أن يكون في مدينتنا نطس الأطباء ؟ واني أرى جريًا على القياس نفسهِ ، ان أبرع القضاة هم الذين امتزجوا بكل طبقات الناس

الاطباء المدنيون

س : — حتماً أسلّم بأن يكون لنا أطباء . ولكن أتعلم من هم الذين أحسبهم نطسًا ؟

غ : — أعلم إذا كنت تقول لي

س : — سأحاول ذلك . على اني مقدّمة لهُ أقول انك ترمي إلى أمرين مختلفين بنص واحد

غ : — وكيف ذلك؟

س : — صحيح ان الأطباء يحرزون مهارة عظيمة إذا قرنوا ، منذ الحداثة ، درس الطب بمعالجة عدد وافر من شر الحوادث المرضية ، واختبروا في أشخاصهم كل أنواع المرض ، ولذلك لا تكون لهم صحة جيدة . لأني لا أظن ان جسد الطبيب هو الذي يشفي أجساد الآخرين — وإلاَّ لما جاز لهُ أن يكون ذا علة أو أن يمرض — ولكن عقلهُ هو الذي يشفي . فاذا أصيب في عقلهِ تعذّر عليهِ أن يكون طبيباً ماهراً

غ : — انك مصيب

٤٠٩ القاضي غير الطبيب

س : — ولكن القاضي يا صديقي يحكم العقل(٢) بالعقل . فلا يجوز أن ينشأ عقلهُ منذ نعومة أظفاره ، في بيئة فاسدة العقول ، ويألف معشرها ، ويقترف كل أنواع الشرور

(١) الياذة : ٤ : ٢١٨ (٢) وردت في بعض الترجمات « النفس » بدل العقل فلا ينس القارىء ذلك

اقتداءً بها ، لـكي يختبر فى نفسه ماهية الاجرام ، فيتمكن بهذا الاختبار من اكتشاف زلأت الآخرين بقياسهم على نفسه ، على نحو تصرُّف الطبيب فى الأمراض الجسدية . بل بالعكس يجب أن يكون الحاكم منذ الحداثة حرًّا من هذا الاختيار ، وبمعزل عن عوامل الشر والفساد ، إذا أريد أن يتصف بالـكمال الفائق ويحسن رعاية العدالة . وهـــذا هو السبب فى سهولة انخداع الصالحين فى شبيبتهم ، إذ ليس فى نفوسهم مثل يقيسون شرور الارديا به . غ : — نعم . وهم معرضون كثيراً لهذا الانخداع

طهارة القضاة

س : — ولذا لا يكون أفضل القضاة شابًّا بل شيخًا عرك الدهر وخـــبر البطل لا كشيء استقرَّ فى نفسه ، بل كأمر خارجيٍّ أدركهُ ودرسهُ درسًا طويلاً مدققًا فى حياة الآخرين ، وبعبارة أخري انهُ يقاد بالمعرفة لا بالاختبار الشخصى

غ : — حقًّا ان ذلك أشرف نوع فى الحـكام

القاضى الفاسد الروح

س : — وهو صالح أيضًا ، هـــذه هي نقطة البحث . لأن ذا النفس النقية صالح . أما القاضى المريب ، الذى اقترف كثيراً من موبقات الآثام ، وهو يزعم انهُ بارع لـكونه عاشر أمثاله من الشبان ، فيبدى شديد الحذر ، قياسًا على ما فى داخله من نماذج الشرّ ، وهى نصب عينيه كل يوم . على انهُ متى اجتمع بالشيوخ والأبرار ظهر بازائهم غرًّا أحمق ، بريبته الشاذة ، وجهله السجية الـكاملة ، لفقدانه مثلاً لها فى نفسه . وانما لأن علاقاته بالأشرار أكثر منها بالأبرار لاح لهُ ولأمثاله انهُ حاذق لا أحمق .

غ : — غاية فى الصواب .

الفضيلة أوسع نظرا

س : — فلا تنشدنَّ حاكمنا الصالح فى هـذا الصف بل فى سابقه . لأن الرذيلة لا يمكنها أن تعرف نفسها والفضيلة معًا . أما الفضيلة فى الـكامل التهذيب فانها بمرور الزمن تتمكن من معرفة الأمرين ، نفسها والرذيلة . فالقاضى الحـكيم ، فى مذهبى ، هو هذا الفاضل لا ذاك الرذيل . غ : — أوافقك فى ذلك

٤١ - رأس نبع فلسفة نيتشه

س : — أفلا تنشيء فى مدينتك إدارتين ، طبية وقضائية ، تتصف كل منهما بما ذكرناهُ من الأوصاف ؟ فتسبغان بركات خدمتهما على أصحاء الأبدان والعقول ، مع إهمال سقماء الأبدان فيموتون ، وإعدام الأشرار الفاسدين ، غير القابلين إصلاحًا ؟

غ : — نعم ، وقد تبرهن ان ذلك خير للدولة ولأولئك السقماء

س : — وواضح ان الشبان يحترسون من افتقارهم إلى هـــذه الشريعة ، ما داموا يمارسون الموسيقى البسيطة التى قلنا انها تنشيء رزانة النفس . غ : — دون شك

س : — فاذا اتَّبع الرجل المـكمل فى التهذيب الموسيقيّ هذا النوع من الجمناز أفلا يمكنهُ أن يستغنى عن الطب ، إلا فى الأحوال الشاذة غ : — أظن انهُ يمكنهُ ذلك

س : — وغرضهُ فى التدريب (الرياضة) وفى الأعمال الشاقة التى فرضها على نفسه .

تربية حماسته لا ازدياد قوته البدنية . فلا ينحو نحو الرياضيين بالتقيد فى أمر الأطعمة . بل يقصر جهوده على تقوية عضلاته .

غ : — انك مصيب تاماً

النفس غاية غايات التهذيب

س : — أو مصيب أنا ياغلوكون ، فى قولى ان الذين وضعوا نظام التهذيب « الموسيقىّ الرياضى » لم يكونوا مدفوعين إلى وضعه بالمقصد الذى يعزوه إليهم الآخرون وهو ترقية النفس بأحد الفنّين والجسد بالآخر ؟

غ : — فماذا قصدوا ، إذا يكن هذا مقصدهم ؟

س : — الأرجح انهم وضعوا الفنين معاً لأجل النفس . غ : — وكيف ذلك ؟

س : — ألا تلاحظ الصفات التى تميز عقول الذين ألفوا الجمناز كل الحياة ، دون اتصال بالموسيقى ، وأيضاً عقول الذين جروا على نقيض هذه الخطة ؟

غ : — إلى ماذا تشير ؟

كمال التهذيب

س : — إلى الخشونة والقسوة فى الفريق الواحد ، واللين والرقة فى الفريق الآخر

غ : — أجَل . فالذين لاذوا بالجمناز دون سواه ، صاروا خشنى الطباع فوق حد الاحتمال ، والذين اقتصروا على الموسيقى هم أكثر ليناً مما يليق

س : — وعلى كل ، فاننا نعلم ان الخشونة ثمرة طبيعية للعنصر الحماسى ، الذى إذا حسن تهذيبهُ كان صاحبهُ شجاعاً ، أما إذا تجاوز حده اللازم ، كان شرساً مشاغباً

غ : — هكذا أظن

س : — أو ليس لين العريكة من أوضاع الخلق الفلسفي ؟ فاذا تجاوزت هذه الصفة حدها غالت فى الرقة واللين ، فزادت نعومة عما يليق . ولكنها إذا هذبت تهذيباً صحيحاً أفرغت فى قالب اللياقة غ : — حقاً

س : — ولكننا نرى أن حكامنا يلزم أن يجمعوا بين هاتين الصفتين

غ : — ذلك واجب

س : — ألا يجب التلاؤم المتبادل بينهما ؟ غ : بلا شك

٤١١

س : — وحيث كان ذلك التلاؤم كانت النفس شجاعة وعفيفة غ : — مؤكّد

س : — وحيث لا يكون فالنفس جبانة سمجة غ : — تماماً هكذا

الموسيقى تغير قساوة النفس

س : — وعليه ، فحين يسلم الإنسان نفسه للموسيقى ، ويقبل ، عن طريق الاذن ، أن تفيض على نفسه سيول الأنغام الشجية البديعة التى مرّ بك وصفها ، ويقضى الحياة مرنماً هائماً بالألحان ، فمهما يكن فى إنسان كهذا ، من النزق الشديد القسوة كالفولاذ ، فانهُ يلين ويصير حرّاً ، بدل كونه قصماً غير نافع . وإذا ثابر على ذلك منذ طفولته ، دون فتور ، وسرّ به نفسهُ ، أذاب فعل الموسيقى ما فيه من نزق وغضب ، وحللها تحليلاً ، ولطف

أخلاقهُ تلطيفاً تامّاً فيستأصل من أعماق نفسهِ جذور طبع غضوب ، ويجعلهُ محارباً دمثاً
غ : — بالتمام هكذا
س : — فاذا كانت نفسهُ بطبيعتها عديمة النزق حصلت فيها هذه النتيجة سريعاً . وإذا كانت نقيض ذلك فانهُ بهذه الوسيلة يخفف حدتها ، ويلطف حماستها ، فتصير سهلة القياد ، تثار وتهدأ لأقل سبب . رجال كهؤلاء يصيرون شكسين غضوبين ، فريسة نكد الطبع ، عوض كونهم ذوى حماسة غ : — حتماً هكذا

ضرر الاقتصار على الجمناز

س : — ومن الجهة الأخرى إذا واظب المرء على الجمناز ، بمزيد الجهد ، وعاش عيشة الترف ، مع الاعراض عن الموسيقى والفلسفة ، أفلا يوحى إليهِ حسن صحتهِ الجسدية الاعتداد بالذات والحماسة فيتشجع فوق طورهِ ؟ غ : — بلى أنه يصير هكذا
س : — فماذا تكون نتيجة الاشتغال بعمل كهذا مع هجر الموسيقى الهجر كلهُ ؟
حتى ولو فرضنا انهُ كان فيهِ أولاً شيء من الذوق العلمى ، ولكن إذا لم يتغذَّ ذلك الذوق باكتساب المعرفة ، أو طلب العلوم ، ولم يشترك في المباحث العقلية ومنازع العرفان ، ألا تضعف نفسهُ فيصبح أصم وأعمى البصيرة لافتقاره إلى المنبهات ، والغذاء الروحى ، ولأن ذهنهُ لم يتنقَّ التنقية التامة ؟ غ : — تماماً هكذا

تسفل من هجر الموسيقى

س : — فيصبح رجل كهذا أمياً ، يمقت البحث والطلب ، ويهجر كل ما هو من ملكوت العقل ، ويعمد إلى حلّ مشاكله ، كالوحش الضاري ، بالقوة والخشونة ، ويعيش بالجهل وسماجة النفس ، بلا اتزان ولا جمال غ : — هذا هو الحال تماماً

٤١٢

س : — فلاصلاح الخلقين ، الحماسي والفلسفي ، أعطى أحد الآلهة ، على ما أري ، فنيّ الموسيقى والجمناز لا لإصلاح الجسد والنفس مستقلين ، إلاّ في أحوال ثانوية ، بل للتوفيق بين هذين الخلقين ، بشدّ الواحد ورخى الآخر (كأنهما وترا الحياة) إلى الدرجة المطلوبة فيحصل التلاؤم المتبادل . غ : — هكذا يظهر
س : — فمن قرن الموسيقى بالجمناز ، على أفضل أسلوب ، وأحلّهما فى نفسه في أضبط مقياس ، دعوناهُ عن جدارة أكمل الموسيقيين وأرقى المنشدين . وهو أرقى كثيراً من الموسيقيّ الذي يدوزن الأوتار غ : — نعم ، وبتعقل عظيم تنطق يا سقراط
س : — أوَ لا تحتاج دولتنا احتياجاً لازباً إلى ناظر كهذا ، ياغلوكون ، إذا رمنا خلودها؟
غ : — حقاً أن موظفاً كهذا لا يُستغنى عنهُ .
س : — هذه هي خلاصة التهذيب والتدريب فى نظامنا . ولماذا يشتبك المرء فى إبحاث مستفيضة ، في ما يتعلق بالرقص ، في دولة كدولتنا ، وبالصيد والرياضات في الحقول والأرياف ، أو بالجمناز وسباق الخيل ؟ لأنهُ واضح انهُ يجب تطبيق هذه الأشياء على ماسبق بيانهُ ، وليس من الصعب إدراكها. غ : — الأرجح لا

الامور الثانوية

س : — حسناً. فما هي النقطة الثانية للبت فى أمرها؟ أليست هذه : — أى الأشخاص الذين تهذبوا على ما وصفنا يجب أن يكونوا حكاماً وأيهم رعايا؟

غ : — لا شك فى لزوم البت فيها

س : — ليس من شك فى أن الشيوخ يجب أن يكونوا حكاماً والشبان رعايا

غ : — حق

الحكم للشيوخ الفضلاء

س : — وأن يكون الحاكمون أفضل أولئك الشيوخ غ : — وهذا أيضاً حق

س : — أفليس أفضل الفلاحين أكثرهم ميلاً إلى الزراعة؟ غ : — بلى

س : — أوَ لا نجد أفضل الحكام الذين ننشدهم بين أكثرهم قدرة على إدارة الدولة؟

غ : — بلى

س : — أو لا يكونون لذلك ذوي فطنة وقوّة وحرص على مصلحة الدولة؟

غ : — يجب أن يكونوا هكذا

س : — والمرء كثير الحرص على ما يحب غ : — من كل بد

س : — ومن المؤكد أنهُ يحب أعظم حبٍّ الذين يعتقد أن مصلحتهم ومصلحتهُ واحدة وأن مصيرهُ مرتبط بسرائهم وضرائهم غ : — تماماً هكذا

السياسة الحكيمة

س : — فيلزم أن نختار من جمهور الحكام الأفراد الذين ظهر لنا بعد المراقبة اللازمة أنهم ممتازون بالغيرة على القيام بكل عمل مفيد للدولة مدى الحياة. وينبذون ما يحسبونهُ ضاراً

غ : — نعم هؤلاء هم الأشخاص المناسبون

س : — فأرى من اللازم أن نراقبهم فى كل أطوار الحياة، لنرى هل هم حكام ثابتون فى هـــذا اليقين، ولا تزحزحهم عنهُ قوة ولا رقية لاطراحهِ ظهريًّا، بل يحرصون على الأقناع بأنهم يجب أن يعملوا الأفضل للدولة؟

غ : — عن أي اطّراح تتكلم

الآراء والعقل

س : — سأقول لك. انى أرى أن الآراء تبرح العقل أما اضطراراً وأما اختياراً. فالرأي الفاســـد يبرح العقل عفواً، حين يقف صاحبــه على خطإهِ. أما الرأي السديد فيبرح العقل اضطراراً

٤١٣

غ : — فهمت البراح الأختياري، أما الاضطراري فلم أفهمه

س : — أفلا تسلم معى ان الناس يتجرّدون من الأشياء الحسنة بدون اختيارهم، لـكنهم باختيارهم ورغبتهم يهجرون الأشياء الرديّة؟ أو ليس شراً مستطيراً أن لا يكون الإنسان صادقاً حين يصف الأمور بما هي عليه

غ : — بلى. أنت مصيب، وأرى ان المرء يترك الآراء السديدة بغير اختيارهِ

س : — أو لا يحصل ذلك بالسرقة أو الرقية أو الارغام ؟ غ : — لم أفهم

س : — أخشى انى اتكلم كلاماً غامضاً ككلام المأساة . فانى أعني بمن سرقت أفكارهم الذين ضلوا أو نسوا يقينهم . لأن الحجة سرقتهم في الحال الأول ، والوقت خانهم في الثاني ، فأظن انك فهمت غ : — نعم

س : — والذين أرغموا هم الذين تغيرت آراؤهم بالآلام والأمراض

براح الاراء رغماً

غ : — وهذا أيضاً فهمته . وأراك مصيباً فيه

س : — والذين رقوا أظن انك تقول هم الذين أغرتهم المسرات ، أو ثبطت عزائمهم المخاوف غ : — نعم ، لأن كل ما يخدعنا يرقينا

براحها اغراء

أفضل الحكماء

س : — فكما قلت الساعة يجب أن ننشد أفضل الحكام ذوى الاقتناع الداخلى ، بأنهم يجب أن يفعلوا ما يحسبونه أفضل لمصلحة الدولة . ونراقبهم منذ حداثتهم ، فنعطيهم من الأعمال ما يسحر الناس عادة ، ويقودهم إلى النسيان . فمن غلب هواهُ عواملَ ضلاله ، وغلبت ذاكرته بواعث النسيان ، فإياه نختار للحكم ، ومن لم يكن كذلك نبذناه قصياً ، أليس كذلك ؟ غ : — بلى

س : — وعلينا أن نمتحنهم بالأعمال والآلام ، ونرقب خوضهم معمعانها لنرى ظاهرات صفاتهم غ : — بالصواب هكذا

امتحان المرشحون للحكم

س : — ونمتحنهم ثالثة بالنوع الخلاَّب ، ونرقب تصرُّفهم . وذلك كتعريض المهارى للصيحات والضجات لنبين جبنها . هكذا نمتحن الشبان بالمروّعات ثم بالمسرات ونمتحنهم ولا امتحان الذهب بالنار لنرى أصلب عودهم في كل الأحوال فلا يخدعهم التدجيل . فتثبت كياسة تصرفهم حسن الادارة لأنفسهم وللموسيقى التى ثقفوها ، مبرهنين فى كل حادثة على محافظتهم على قوانين اللحن والإيقاع ، ساعين جهدهم ، ليكونوا أعظم النافعين لأنفسهم وللدولة . فمن جاز الامتحان ، المرة بعد المرة ، حدثاً وشاباً وكهلاً ، وخرج من كور التجربة سليماً ، فهو الذى نختاره حاكماً ومديراً ، ويجب إكرامه فى حياته وفى مماته ، ويخوَّل أعظم الامتيازات ، بمراسيم الجنازة والذكريات بعدها . ومن كانت صفاتهم نقيض ذلك نرفضهم . هذا هو ، ياغلوكون ، النمط الأفضل لاختيار حكامنا الذين مرَّ بك وصفهم مختصراً ، دون تدقيق غ : — أنا من رأيك تماماً

القوة التنفيذية

س : — أو حقاً تسمية هؤلاء « بالحكام الكاملين » ؟ لاتصافهم بالعناية والسهر حتى لا يريد أصحابهم فى الوطن ، ولا يقدر أعداؤهم فى الخارج ، أن يحدثوا أدنى ضرر للدولة ؟ والشبان الذين دعوناهم الساعة حكاماً نسميهم « مساعدين » ، وهم الذين وظيفتهم انفاذ قرارات الحكام ؟ غ : — هكذا أرى

الاختلاف

س : — وإذا كان الحال كذلك أفيمكننا أن نختلق وسيلة حكيمة تمكّن بها من

تمثيل دور وهميّ ، كالقصص التى ذكرتها آنفاً ، فنقنص ، حتى الحكام ، بأفعل الذرائع ، وإلاّ فنقنع العامّة فقط ؟ غ : — أى نوع من القصص ؟

س : — ليس شيئاً جديداً ، بل قصة فينيقية ، تداولتها ألسنة الشعراء ، والناس موقنون بصحتها . على انها لم تحدث فى عصرنا ، ولا علم لى بأنها حدثت فى غيرهِ من العصور . ولكننا نقدر أن نجعلها خبريّة موثوقاً بصحتها ، فنحتاج إلى حيلة نافذة لاقناعهم

غ : — أرى انك تتردد فى الافصاح

س : — وسترى تردُّدى طبيعيًّا متى أخبرتك إياها غ : — فقل غير هيَّاب

أبناء الارض

س : — سأقول . ولا أدرى بأية جرأة وأى إيضاح أوردها ، فأولاً : أحاول إقناع الحكام أنفسهم ، ثم إقناع الجنود معهم ، وبعدهم سائر الأمة ، ان كل ما أمليناهُ عليهم لتهذيبهم حدث كأمرٍ واقعى ، ولكنهُ حلم ، وفى حقيقة الأمر انهم هذبوا وثقفوا فى جوف الأرض حيث طبعوا أسلحتهم وأدواتهم وكمل تهذيبهم ، وحين ذلك ولدتهم أمهم الحقيقية ، وهى الأرض ، — أى انها قذفت بهم إلى سطحها ، فيجب أن يهتموا بالمنطقة التى هم فيها كأمٍ وكمرضع ، فيصدون عنها الغزاة ، ويحسبون سكانها اخوتهم ، أبناء الأرض

غ : — ولسبب كاف كنت تخشى أن تورد هذه الخزعبلة

٤١٥

س : — فسمعاً لبقية القصة : سنخبر شعبنا بلغة ميثولوجية : — كلكم اخوان فى الوطنية . ولكن الإله الذى جبلكم ، وضع فى طينة بعضكم ذهباً ليمكنهم أن يكونوا حكاماً. فهؤلاء هم الأكثر احتراماً ووضع فى جبلة المساعدين فضة ، وفى العتيدين أن يكونوا زراعاً وعمالاً وضع نحاساً وحديداً . ولما كنتم متسلسلين ، بعضكم من بعض ، فالأولاد يمثلون والديهم . على انهُ قد يلد الذهب فضة ، والفضة ذهباً ، وهكذا يلد كلٌّ مَن يلد . وقد أودع الحكام من الله ، قبل كل شىء ، وفوق كل شىء ، هذه الوصية : — أن يخصوا أولادهم بالعناية ليروا أي هذه المعادن فى نفوسهم . فاذا ولد الحكام ولداً ممزوجاً معدنه بنحاس أو حديد فلا يشفقنّ والدوه عليهِ ، بل يولونه المقام الذى يتفق مع جبلته . فيقصونه إلى ما دونهم من الطبقات . فيكون زارعاً أو عاملاً . وإذا ولد العمال أولاداً ، ثبت بعد الحك ان فيهم ذهباً أو فضة ، وجب رفعهم إلى منصة الأحكام ، أصحاب الذهب حكاماً وأصحاب الفضة مساعدين . ولقد جاء فى القول الحكيم : ان المدينة التى يحكمها النحاس والحديد فهى إلى البوار : فهل عندك من حيلة لاقناعهم بهذه الخزعبلة ؟

الناس معادن فأثمنها يجب أن يحكم

غ : — لا حيلة فى إقناع أبناء هذا الزمان . على انى سأبتدع حيلة تقنع أبناءهم وأحفادهم وكل الأجيال التالية بصحة هذه الأسطورة

س : — وحتى هذه قد تفيد فى جعلهم أكثر اهتماماً بالدولة وبعضهم بالبعض الآخر. فانى أظن انى فهمتك . ولكنّا سنترك الأسطورة إلى ما قضي بهِ عليها . وإذا تقلدنا زمام

أبناء هـذه الأرض فلنتقدم إلى الامام ، بادارة قوادهم . ومتى بلغوا المدينة اختاروا فيها محلة تمكنهم من حفظ النظام . فيجلون عنها الأهالي ويحلون محلهم . وإذا وجد متمرد أو أجنبي دفعوا الأجانب والعصاة دفع الذئاب . ثم يضربون خيامهم فيها ويقدمون الذبائح للآلهة المحلية . وبعد ذلك يعدون مواقع مبيتهم . أصواب كل ذلك ؟

محلة الحكام

غ : — صواب

س : — ويلزم أن تكون تلك الخيام كافلة وقايتهم من تأثير الاقليم صيفاً وشتاء

غ : — حسناً . فيظهر انك تعني بها أن تكون بيوتاً لا خياماً ، هذا إذا لم أكن مخطئاً في ظني

س : — نعم ، ولكن بيوتاً عسكرية ، لا بيوت أغنياء غ : — فما الفرق بين هذه وتلك

س : — سأريك . فان من أفظع أعمال الرعاة وادعاها إلى الخزي في الرعية ان كلابهم التي ربوها لحراسة القطيع ، تهجم على الأغنام ، اما لسبب جوعها ، أو نهمها ، فتمزقها بأنيابها ، فتكون ذئاباً لا كلاباً حارسة غ : — حقاً انه أمر شائن

٤١٦

انقلاب الحراس ذئاباً

س : أفلا يلزم الاحتياط لئلاّ يفعل مساعدو حكامنا هكذا بالأهلين ، لأنهم أقوى منهم ، فيصيرون وحوشاً ضارية بدل كونهم حلفاء صادقين ؟ غ : — يلزم ذلك

س : — أوَ لا يتسلحون بأفضل ضمان إذا تهذبوا تهذيباً حسناً ؟

غ : — لقد سبق أن سلمنا انهم مهذبون

س : — ليس من الضرورة ، ياعزيزي غلوكون ، الوقوف عند هذه النقطة . ولكن الأمر الأجدر بأعظم أهمية هو الاصرار على ما قلناه . وهو انه يجب أن يهذبوا تهذيباً صحيحاً مهما يكن من أمرهم ، إذا أريد بهم الحصول على أعظم مؤهلاتهم للحنان واللطف ، نحو رفاقهم ونحو الذين يحكمونهم غ : — حق

كمال التهذيب لازم للحكام

س : — علاوة على ذلك التهذيب فان الرجل الحكيم يقول : — يجب أن تكون بيوتهم مما لا يحول دون كونهم حكاماً كاملين . ولا تمكنهم من الأضرار بالآخرين

غ : — وبحق يقول

س : — فاعتبر الرأي التالي : — أيوافق حياتهم وسكنهم ، إذا أريد أن يكونوا على ما ذكرت من الأوصاف ، الأمور التالية ؟

١ : — أن لا يملك أحدهم عقاراً خاصاً ما دام ذلك في الامكان

٢ : — ولا يكون لأحدهم مخزن أو مسكن يحظر دخوله على الراغبين . فليكونوا في اسمى ما يتطلبهُ الأعفاء الشجعان المدربون تدريباً حربياً . ويجب أن يقبضوا من الأهلين دفعات قانونية ، أجرة خدمتهم ، بحيث لا يحتاجون في آخر العام ، ولا يستفضلون ، ولتكن لهم موائد مشتركة ، كما في ثكنات الجنود . وأن يخبروا أن الآلهة ذخرت في نفوسهم ذهباً

وفضة سماويين فلا حاجة فيهم إلى الركاز الترابى . وعيب عليهم أن يدنسوا بضاعة الآلهة السامية بمزجها بالذهب الفانى . لأن نقود العامة فيها دخل كثير ، وهى مجلبة لكثير من الشرور . ولكن ذهب الحكام السموى عديم الفساد . فهم وحدهم من بين كل رجال المدينة مستثنون من مس الفضة والذهب . فلا يدخلونهما تحت سقفهم ، ولا يحملونها ، ولا يشربون بكؤوس صيغت منهما ، وبذلك يصونون أنفسهم ودولتهم . لكنهم إذا امتلكوا أراضى وبيوتاً ومالاً ، ملكاً خاصاً ، صاروا مالكين وزراعاً عوض كونهم حكاماً . فيصيرون سادة مكروهين لا حلفاء محبوبين . ويصبحون مُبغِضين ومبغَضين ، يُكاد لهم ويكيدون ، فيقضون الجانب الأكبر من حياتهم فى هذا العراك وخوفهم العدو الداخلى أكثر جداً من خوفهم العدو الخارجى

ففى حال كهذه يسرعون بالدولة إلى الدمار . فلأجل كل ما ذكر ، هل نبرم ما قررناه فى مصير حكامنا ، بالنظر إلى بيوتهم ، وغيرها ، ونربط ذلك بأحكام الدستور ، أم لا ؟

غ : — نبرمهُ ، ونربطهُ



الكتاب الرابع

الفضائل الأربع

خلاصته

هنا اعترض اديمنتس قائلاً : — ان حياة طبقة الحكام ، على هذه الحال ، لن تكون سعيدة . فأجابه سقراط : — ذلك ممكن ، ولكن ليس إسعاد الحكام غرضنا . فغرض الشارع الخاص إسعاد طبقات السكان الثلاث ؛ الحكام والمنفذين والمنتجين . فقاده ذلك إلى النظر في واجبات الحكام ، وهي : —

١ً : أن يحولوا دون الميل إلى إثراء بعض الأهالي وفقر غيرهم فقراً مدقعاً

٢ً : أن يسهروا ضد اتساع الأراضي ، اتساعاً سريعاً

٣ً : أن يشددوا في قمع البدع في فنيّ الموسيقى والجمناز ، مع ترك بقية القوانين لفطنة القضاة في وقتها . وتوكل الطقوس الدينية والحفلات لوحي أبلو (Apollo) إله دلفي وبعدما تتبع سقراط نشأة الدولة من أولها إلى آخرها أعاد الكرة على المسألة : ما هي العدالة وفي أي أقسام الدولة توجد ؟

الدولة اذا حسن تنظيمها كاملة الصلاح . وإذا كانت صالحة فهي ، ولا بد ، حكيمة شجاعة عفيفة عادلة . فاذا حسبنا فضيلتها عبارة عن الحكمة والشجاعة والعدالة والعفاف . فانا إذا وجدنا ثلاثة من هذه تمكنا ، بواسطتها ، من اكتشاف الرابعة . فحكمة الدولة تستقرّ في طبقة القضاة والحكام القليلة العدد . وتستقر شجاعة الدولة في المساعدين والجنود . وهي تقوم بقدرهم ، قدراً صحيحاً ، ما هو مخيف أو غير مخيف . ولباب العفاف ضبط النفس . وخلاصته سياسيًّا تقرير حق الحكام إطاعة الأمة وولاءها . فلا ينحصر العفاف في طبقة واحدة من الأمة كالحكمة والشجاعة بل ينبثّ في الأمة عامّة ، وهي عبارة عن رضا شامل بهذا الشأن . فعليه قد وجدت الثلاث فأين الرابعة ؟

فبعد اخراج الثلاث ، الحكمة والشجاعة والعفاف ، بقيت الرابعة ، وهي تؤول إلى تأصل الثلاث المذكورة في جسم الدولة وصيانتها . فهي ، ولا بدّ ، العدالة . ويمكن تحديدها بأنها : — التزام كلٍّ عمله الخاص ، وعدم التدخل في شؤون غيره

فهي تمزج طبقات الأمة الثلاث معًا ، وتحفظ كلاًّ منها في مركزها . ونقيضها التعدى السياسيّ وهو روح الفضول الذى يلابس الطبقات الثلاث ، فيقود كلاًّ منها إلى التدخل

فى وظائف غيرها وأعمالها وواجباتها. فلنطبّق هذه النتائج على الفرد. لأن فى الدولة ما فى الفرد، وانما وصل الدولة عن طريق الأفراد الذين منهم تتألف، فنتوقع أن نجد فى الفرد ثلاثة مبادىء تقارن طبقات الدول الثلاث. فلننظر هل كان ذلك الترفع على أساس!

فى العقل عاملان متضادّان، لا يمكن نشوؤهما عن أصل واحد. إنسان عطشان ولا يريد أن يشرب. ففيه إذاً مبدآن أحدهما يدفعهُ إلى الشرب، والآخر يصدهُ عنهُ. فالأول يصدر عن الشهوة، أو الرغبة، والآخر عن الذهن. فوجدنا فى النفس عنصرين متمايزين، الواحد عقلى، والثاني غير عقلى، فهو شهوي. وعلى المبدأ نفسه ترانا ملزمين بأن نجد عنصراً ثالثاً هو مقرّ الغضب والحماسة والغيظ. ويمكن أن يدعى القسم الغضبى، فاذا تنازع المبدآن العقلى، والشهوى، كان هذا الثالث، أبداً، فى جانب العقلىّ. فى الفرد ثلاثة عناصر، هى العقلى والغضبى والشهوي، يقابلها فى الدولة الحكام والمنفذون والمنتجون

فالفرد حكيم بفضيلة الحكمة فى عنصره العقلى، وشجاع بفضيلة الشجاعة فى عنصره الحماسى، وعفيف حين يسود عنصره العقلى، مع القبول التام من جانب العنصرين الآخرين. وأخيراً هو عادل حين تقوم كل من هذه الثلاث بعملها الخاص. غير متدخلة فى عمل غيرها. أوَ لا يتجلى اتفاق قوى العقل الداخلية باتمام كل الأعمال المحسوبة عادلة وتجنب التعدي؟

أما التعدي فيشوّش هذه الصفات ويربكها. ويتجلى هذا التشويش فى الأفعال الجنائية المتنوعة. فالعدالة نوع من الوئام الطبيعى، وهى حال العقل الصحية. والتعدى نوع من التنافر غير الطبيعى أو المرض. فمن تحصيل الحاصل السؤال أىّ الاثنين أنفع لصاحبه

متن الكتاب

قال سقراط: هنا تدخّل اديمنتس فى البحث قال: — وبماذا تدفع عن نفسك، يا سقراط، إذا احتجّ أحد عليك بأنك لم تبلغ برجال هذه الطبقة (الحكام) أوج السعادة؟ مع أن اللوم عليهم فى عدم سعادتهم، لأن الدولة دولتهم عند التحقيق، ومع ذلك فليس لهم فيها حظ الذين يملكون الأراضى، ويشيدون الأبنية الفخمة، ويفرشونها فرشاً يتفق مع فخامتها، ويضحّون للآلهة، ويولمون للأصحاب، ويملكون الفضة والذهب وكل ما هو ضرورى لاسعاد الناس. وقد يقال انهم كصغار المستخدمين ليس لهم فى المدينة إلا الخفارة

٢٤٠

تقييد الحكام

س: — نعم، بل يظهر انهم يقتصرون على القوت، ولا يأخذون معهُ مالاً كالآخرين. فلا يمكنهم السفر على نفقتهم، إذا أرادوه. ولا تقديم الهدايا للحظايا، وانفاق الأموال على الرغائب الأخرى، كما يفعل المحسوبون سعداء. وأمثال ذلك من الأمور مما طويت عنه كشحاً

ادينتس: — فأضيف ذلك إلى شكواى

س: — أفتسألنى أى دفاع أقدّم؟ ادينتس: — نعم

المصلحة العامة غاية النظام

س : — أظن اننا إذا استأنفنا السير ، فى الجهة نفسها ، أدركنا الدفاع المطلوب . مع انهُ لا يستغرب كون هؤلاء الحـكام أسعد السعداء ، حتى فى هذه الأحوال . على اننا لم نؤسس الدولة لمجرَّد اسعاد قسم من أهلها ، بل لاسعاد الجميع معاً على قدر الامكان . ففرضنا فى انشاء الدولة اكتشاف العـدالة . كما اننا فى دولة أخرى ساء نظامهـا نـكتشف التعـدى . وبعد اكتشاف هـذى وتلك يمكننا البتُّ فى تلك المسألة التى امامنا . فنحن جادُّون فى الوقت الحاضر فى انشاء دولة سعيدة . لا فى أن نخص أفراداً منها بالسعادة ، بل ان نسعـد جميع أفرادها على السواء . ثم ننظر فى دولة هي نقيض هذه أحوالاً . فلو صوَّرنا شخصاً بشريًّا ، فانتقدنا منتقد بانَّـا لم نزيِّـن أجمل أقسام الصورة بأبهى الألوان لأن العيون ، وهى أجمـل أعضـاء الجسم ، لم تلوَّن بالاراجوانىّ ، بل بالأسود ، فيجب أن نفـكر فى انهُ دفاعٌ كافٍ قولنا لهُ : — أيها الناقد مهلاً . لا تتوقع منا أن نلوّن العيون باللون الجميـل بحيث لا تبقى عيوناً . وهكذا يقال فى بقية أعضاء الجسم . ولـكن انظر انَّـا جعلنا الجسم كلهُ جميلاً ، بتلوين كل عضو فيه باللون الملائم . فجريًا على الطريقة نفسها ، فى مثَلنا الحالى ، توجب علينا أنْ نُسبغ صنوف السعادة على الحـكام ، فيصيرون غير ما هم لأنَّـا نعرف جيداً انهُ تمـكّنا على المبدأ نفسهِ أن نـكسو الفلاحين الملابس الفضفاضـة . ثمَّ نأمرهم أن يحرثوا الأرض على خاطرهم ، ونتوّجهم بتيجان الذهب . أو أن ندع الخزافين تجـاه الاتّـون ، مرخين أيديهم ، آكلين وشاربين ، مهملين دولاب الخزافة ، ولا يشتغلون إلا كما يروقهم . فاننا انما نسبغ البركات على الجميع لاسعاد الدولة بمجموعها . فلا تنصحنا نصحاً كهذا ، لأننا إذا وافقناك فى رأيك لا يبقى الفلاَّح فلاَّحًا . ولا الخزّاف خزّافًا ، ولا غيرهما من أصحـاب المهن اللازمة لتـكوين الدولة . اما بالنظر الى وظائف غير الحـكام فالأمر أقل شأنًا . فان عدم جدارة الاسكاف ، أو عدمها أو ادعاءهُ فوق جدارته . ليس فيهِ كبير خطر على الدولة . ولـكن اذا عدم الحـكام وحمـاة الدولة والقانون الحقيقـة ، واقتصروا على الظاهر ، فانك ترى مقـدار الدمار الذى يحلُّونهُ بالدولة . لأنهم هم وحدهم القادرون على توفير أسباب النجاح والسعـادة العمومية : فاذا عيَّـنا حكامًا للدولة أقل النـاس اضراراً بها ، فان الخصم ينشىء صفًّـا من الفلاحين ، يسرحون ويمرحون ، فى الولائم والحفلات الرسمية ، لا مدنيين ممتـازين ، وذلك يعنى شيئًا آخر غير الدولة ، فيلزم النظر فى هل غرضنا ، فى تعيين الحـكام أن نضمن لهم التمتع بأوفر نصيب ممكن من السعادة ، أو ان واجبنا باعتبار السعادة هو ان نرى الدولة كلها سعيدة ، موجبين عليهم كحكام مخلصين ، ومساعدين أمناء للحكام ، القيام بواجباتهم خير قيام ، وتحقيق غرض وجودهم . وعلى القاعدة نفسها نُـعامل جميع الطبقات . ومتى تمت المدينة وكمل نظامها . نفتح أبوابها للقبـائل ، فيدخلونها ويشـتركون فى السعـادة التى تشتهيها نفوسهم ، على قدر استعدادهم

الطبيعة رائدنا في أعمالنا

٤٢١

اد : — ان ما أبديتهُ هو فى أتمّ صور الهدى

س : — أو لا نراني على هدًى أيضًا في شقيق هذا الموضوع ؟ اد : — وما هو ؟

الغنى والفقر

س : — هو النظر في أرباب الحرف الأخرى ، هل فسدوا هم أيضًا بالحالات الآتية

اد : — أية حالات تعني ؟

س : — الغنى والفقر اد : — وكيف ذلك ؟

س : — هكذا : أثرى الخزاف ، وقد أثرى ، يظل مكترثًا لفنه اد : مؤكد ، لا

س : — أفلا يتهاون في فنه ، ويكسل ، خلاف ما كان عليه في سالف عهده ؟

اد : — كثيراً جداً

س : — أفلا يصير خزافًا أردأ حينذاك ؟ اد : بلى ، أردأ كثيراً

س : — ومن الجهة الأخرى إذا حاق به الفقر ، فغل يده عن إحراز ما تحسن به صنعته ، من آلات وغيرها من أدوات فنه ، انحطت صنعته ، وقصّر أولاده وصناعه في الفن اد : — لا مهرب من ذلك

س : — فبهذين الأمرين ، الغنى والفقر ، تنحط منتوجات الصنائع ويضعف الصنّاع

اد : — هكذا يظهر

س : — فقد اكتشفنا أشياء أخرى تستدعي سهر الحكام ، فيلزم أن يتيقظوا كل التيقظ لئلاّ تفوتهم ملاحظتها ، فتتسرب إلى جسم الدولة اد : — وأيّة الاشياء تعني ؟

٤٢٢

س : — الغنى والفقر ، ينشئ أولهما الرخاء والكسل والملاهي ، والثاني ينشئ ، عدا الملاهي، الخساسة ويفسد المصنوعات

الدولة والحرب

اد : — هكذا بالتمام : ولكن تأمّل يا سقراط كيف يمكن دولتنا أن تخوض غمار الحرب ، إذا عدمت الثروة ولا سيما إذا نازلت دولة غنية كثيرة السكان

س : — واضح انه يصعب عليها أن تحارب دولة واحدة كهذه . ولكن محاربة دولتين معًا أسهل اد : ماذا تقول ؟

س : — ان جنود دولتنا المدربة أحسن تدريب ستحارب رجال أثرياء مترفين

اد : — هذا صحيح

س : — أفلا تصدّق يا أديمنتس ان الملاكم الخبير ينازل اثنين ، أو أكثر معًا ، من الأغنياء وهم عديمو الخبرة في فن الملاكمة ؟ اد : — قد لا يستطيع ذلك مع الاثنين معًا

محاربة الدولة الواحدة دولتين

س : — كيف لا ؟ فانه يتراجع حتى يفصلهما ، ثم يبدأ في قتال الأقرب اليه — ثم يوالي هذه الحركة في حر الشمس . أفلا يستطيع ملاكم كهذا أن يغلب أكثر من اثنين على هذه الصورة ؟ اد : — مؤكد ، وليس في ذلك كبير غرابة

س : — أوَ لا تظن أن الغنيّ أكثر خبرة في فن الملاكمة نظريًا وعمليًا ، منه في فن الحرب اد : — أظن

س : — فالأرجح أنه يهون على جنودنا المدربة أن تحارب ضعفي عددها أو ثلاثة أضعافه

اد : — اسلّم معك ، لأني أراك مصيباً

محالفة الدولة الطامعة

س : — وإذا فرضنا أن جيوشنا أرسلوا سفارة إلى سكان إحدى الدولتين يخبرونهم بواقعة الحال ، وقالوا أننا لا نقتني فضة ولا ذهباً ، لأن اقتناءهما محظور علينا ، أما أنتم فمباح لكم ، فحالفونا في القتال ولكم المغنم — أفتظن أن أحداً ، سمع ذلك ، يكون أكثر رغبة في محاربة الكلاب الهزيلة منه في محالفة الكلاب على كباش سمينة رخصة ؟

اد : — أظن لا . أوَ لا تظن أن حشد المال في دولة ما خطر يهدّد دولة فقيرة ؟

س : — أهنئك برأيك ، فلادولة تستحق أن تدعى دولة إلا ما كانت على شاكلة الدولة التي تنظّمها

اد : — لماذا ؟ ماذا عندك ؟

فروع الدولة وعظمتها

٤٢٣

س : — يجب أن تدعى المدن الأخرى بأسماء أعظم ، لأن كلاً منها مؤلف من أقسام عديدة ، لا من قسم واحد ، كما في ألعاب المدائن(١) . ففي كل دولة قسمان ، قسم غني ، وقسم فقير ، وفي كل من هذين القسمين فروع عديدة . فاذا اعتبرتها كلها قسماً واحداً فقد خطئت خطئاً عظيماً . ولكن إذا اعتبرتها عديدة الأقسام ، وخصّصت أحد أقسامها لامتلاك الأرزاق والقوة ، حتى ونفوس الناس ، كنت أبداً كثير الحلفاء ، قليل الأعداء . وما دامت مدينتك محكومة بفطنة ، جرياً على المبادىء التي أسسناها عليها ، فيجب أن تكون كبيرة . ولا أقول أنها ستتمتع بالشهرة ، بل أنها تكون الكبرى ولو لم يزد حماتها على الألف ، لأنه يعزّ وجود بلد كهذا في اليونانيين والبرابرة ، مع أنه يمكنك أن تجد مدناً كثيرة تظهر أكبر منها أضعافاً

اد : — كلاّ ، لا يوجد

س : — فيمكن اتخاذ ذلك مقياساً لحكامنا في تنظيم حجم المدينة ، فتتفق مساحة أراضيها مع حجمها

اد : — وما هو ذلك المقياس ؟

س : — المقياس هو : مادامت المدينة محافظة على وحدتها فلا بأس في نموّها ، ولكن يجب أن لا تتجاوز ذلك الحد

اد : — حبذ القانون

س : — فيجب أن نلقي على عاتق حكامنا هذا القانون الأضافي ، وهو أن يعتنوا اعتناءً زائداً بأن لا تكون المدينة صغيرة ولا كبيرة ، بل تظل معتدلة الحجم مع حفظ وحدتها

اد : — الأرجح أن هذا واجب خفيف عليهم

الحكم حسب الجدارة لا وراثة

س : — وسنضيف إليه ما هو أخف منه كثيراً . وقد لمسناه آنفاً ، لما قلنا انه يجب اقصاء من سفل من مواليد الحكام إلى فئة أدنى ، ورفع من تفوّق من أنسال العامة إلى مصاف الحكام . والقصد من كل ذلك تأهيل كل فردٍ ، من سكان المدينة ، لممارسة الفن

---

(١) لعبة نجهلها

الذى أهّلته الفطرة له ، فيتمكن بذلك من انجاز عمله . ولا يكون متعدد الذاتية . بل إنساناً واحداً . وعلى هذا القياس تكون المدينة كتلة واحدة غير منقسمة

اد : — حقّا ان ذلك أخف مما سبق ذكره

س : — وليست أوامرنا هذه واجبات ثقيلة أيها العزيز اديمنتس ، يظنها الآخرون . ولكنها تهون إذا اعتصم حكامنا بالنقطة المهمة جريًا على القول مدينة مكتفية خير من مدينة عظيمة . اد : — وما هى تلك النقطة ؟

الاعالة والتهذيب

س : — هى الاعالة والتهذيب . فاذا صاروا بالتهذيب الراقى عقلاء تمكنوا من التبصر فى هذه الأمور بسهولة ، وفى غيرها مما نغضى عنه الآن : كالعلاقات الجنسية : والزواج : وانتشار النوع ، لأن فى هذه الأمور جميعها تجب إطاعة المثل القائل : —

«كل شيء مشاع بين الأحباب» : اد : — نعم ان ذلك أصوب رأى

٤٢٤

متانة الدولة المهذبة

س : — وإذا تألفت دولة على هذا النسق كانت كالحلقة محكمة الاتصال ، ومضمونة الثبات والسعادة ، استناداً ، إلى نظام الاعالة والتهذيب . وحيث توافرت الثقافة والتعليم أنشأ فطراً صالحة ، وإذا حازت الفطر الصالحة على التعليم الصالح صارت أفضل . وارتقت فى أبنائها صفة التوليد ، كما ترى ذلك فى طوائف الحيوان الدنيا اد : — بالطبع هكذا

س : — وإذا رمنا الاختصار قلنا ، يجب أن يحرص نظّار الدولة على هذا المبدإ لئلاّ يفسد على غفلة منهم ، بل يجب أن يسهروا عليه فوق كل شيء — أعنى به المبدإ الذى يحظر إدخال أية بدعة فى الموسيقى أو الجمناز على النظام المقرّر . ويحرصوا عليه كل الحرص مخافة ان : — يعشق النـاس نشيداً فيه للبدعة دخل (١)

انكار البدعة

وقد يظن ان الشاعر لم يعن أغنية جديدة ، بل أسلوباً موسيقيّاً جديداً ، فيبيح البدعة ، مع ان البدعة يجب أن لا تباح ولا تزكى ، ولا أن نفهم الألفاظ هكذا . ويجب الحذر من قبول نوع جديد من الموسيقى لأنه يهدّد كل الدولة فلا يحدث تشويش فى أساليب الموسيقى ما لم يُحدث ذلك أعظم أثر فى الدوائر السياسية . هكذا يجزم دمون وأنا أثق به

اد : — ويمكنك ادماجى فى عداد الواثقين بهذا الرأى

س : — وأظهر ما يكون انهُ يجب على حكامنا أن يشيدوا مخافرهم هنا فى ميدان الموسيقى

فى ميدن الموسيقى

اد : — وعلى كل فان الفوضى تتسرّب إلى هذا الميدان دون أن يُشعر بها

س : — نعم تتسرّب من باب التسلية حيث لا يتوقع ضرر

اضرار البدعة الموسيقية

اد : — لا . لا يتوقع منها ضرر ، إلاّ انها تتسرّب خلسة إلى المسالك والعادات . وتبرز فيهما بأعظم قوة ، وتتطرق إلى العقود . ومنها تتخطّى إلى الهجوم على الشرائع والقوانين مبدية فى ذلك صفاقة باسقراط . فينتهى بها الحال إلى قلب كل شيء فردى وعمومي

(١) اوديسى ١ : ٣٥١

س : — حسناً . أهكذا هو ؟ اد : — دون شك

٤٢٥ س : — وكما قلنا سابقاً ، ألا يقتصر أولادنا ، من البداءة على الملاهى والتسليات المشروعة ؟ لأنهُ متى كانت الملاهى غير مشروعة ، وانغمس الأحداث فيها استحال أن يشبّوا رجالاً مخلصين

اد : — دون شك

منافع التسليات القوية

س : — وعليه ، فاذا بدأ صغارنا بتسليات قوية منذ حداثتهم ، حلَّ الولاء فى عقولهم بواسطة الموسيقى ، فتكون النتيجة نقيض ما سبق بيانهُ . لأن الولاء يلازمهم فى كل شىء ، ويوسع نطاق نجاحهم ، ويرفع منشآت الدولة ، بعد خفضها

اد : — نعم ، هذا حق

ناموس العادات غير المكتتب

س : — فيكتشف هؤلاء حتى القوانين التى عطلها الآخرون إذ حُسبت زهيدة فى نظر من سبق ذكرهم من الرجال اد : — وأى قوانين تعنى ؟

س : — أمثال هـذه : التزام الصمت والاحتشام فى حضرة الشيوخ . الوقوف لهم متى دخلوا . الاكتراث الكلى للوالدين . كذلك قوانين الزينة ولبس الأحذية ، وملابس الجسد عموماً ، وكل ما كان من هذا القبيل . أفما هذا رأيك ؟ اد : — بلى

س : — على انهُ من الحماقة سن هـذه الشرائع على ما أظن ، واني أتيقن ان ذلك لم يعمل قط . ولا يتناول هذه الأشياء تشريع شفاهى يوجب دوامها

اد : — فما العمل

س : — الأرجح يا اديمنتس ان ميل الإنسان الناشىء عن تهذيبه هو الذى يعين هذه الأشياء ، أفلا يلد الشىء نظيره ؟ اد : — لا شك فى أنهُ يلد نظيره

س : — وأخيراً يجب أن نتوقع أن يختم نظامنا بنتيجة كاملة وعظيمة خيراً كانت أو شراً اد : — حقاً انهُ يجب

س : — فلهذه الأسباب لا أحاول أن يمتد تشريعنا ، فيتناول نقطاً كهذه

اد : — أنت على حقٍّ

شرائع المعاملات الدينية

س : — فاخبرنى أيضاً عما يتعلق بالمعاملات العمومية بين الأفراد فى الأسواق ، مشتملة ، إذا شئت ، عقود الصنّاع ، والقدح ، والتحامل ، ولوائح المحاكم ، وقرارات المحلفين ، ونظام الضرائب ، ونظام جمعها فى الأسواق وفى الثغور . وعلى العموم كل القوانين والمسائل المتعلقة بالأسواق والبوليس والجمرك وأمثالها . أفيلزم سنّ مايختص بها ؟

اد : — كلاَّ . لا يناسب تحديد هـذه الأمور للأقوام الصالحين المهذبين . فانهم فى أكثر الأحوال ، قلما يجدون صعوبة فى استنباط ما يلزم لها من التشريع اللازم

س : — نعم يا صديق ، إذا قدرهم الله على الاستمساك بما سننا من الشرائع

اد : — وإلا قضوا العمر في التعديل والتغيير في شرائعهم المتعلقة بهذه الأمور ، مغذين السير فيها نحو الكمال

س : — انك تعني ان أشخاصاً كهؤلاء يقضون الحياة كالمرضى ، نظراً إلى ضعف سلطتهم على أنفسهم ، فلا يتمكنون من التنكب عن مسلك الحياة المضر اد : — حتماً

٤٢٦

س : — ولا بد أن أولئك يحيون حياة محيرة ! ومع كونهم أبداً بين أيدى الأطباء لا يستفيدون ، بل يسيرون من ردئ إلى أردأ . وعلى الدوام يرجون أن يرشدهم أحد إلى علاج به شفاؤهم اد : — هذا هو الحال فى هذا النوع

س : — أو ليس مدهشاً أيضاً أن أبغض الناس إليهم من يصارحهم الحقيقة ، ويؤكد لهم انهم ما لم يعدلوا عن النهم والشرب والفجور والتراخى فلا يفيدهم عقاقير ، ولا كيٌّ ، ولا بتر أطراف ، ولا تعاويذ ، ولا أربطة ، ولا شئ آخر من أمثال هذه ؟

اد : — لا خير فى من يكره مرشده

س : — والظاهر انك لا تعتبر هذا النوع من الناس اد : — حقًا انى لا أعتبره

الملقون يسرون الدولة المتهورة

س : — حتى ولو أجمعت المدينة كلها على هذا التصرف فلست تستحسنه . أو لا ترى ان الدول تتصرف تصرف أفراد كهؤلاء . فحين يكون لها نظام سئ تأمر رعاياها أن لا يتعرضون لدستورها ، تحت طائلة الأعدام . بينما كل إنسان إذا كان فى استطاعته أن يخدمهم خدمة مرضية ، ضمن حدود سياستهم الحالية ، ملتمساً رضاهم بالمصانعة والتمليق وببراعته فى استطلاع رغائبهم وسدها حسبوه فاضلاً مملوءاً بباهر الحكمة ، فأوجبوا إكرامه

اد : — نعم . انى لا أرى فرقاً بين الأفراد والدول من هذا القبيل . ولا يمكننى أن أستحسن هذا التصرف

س : — ومن الجهة الأخرى ، الا تعتبر براعة وشجاعة ، من الراغبين فى خدمة دول كهذه ؟

اد : — اعتبرهم ، إلا حينما تخدعهم براعتهم وشجاعتهم ، فيتوهمون أنهم من كبار السياسيين ، لأن الكثيرين يمدحونهم

س : — وماذا تقول ؟ الا تتسامح معهم ؟ وهل تظن أن رجلاً يجهل القياس جهلاً تامًا ينكر أقوال الكثيرين ، من الجهلاء أمثاله ، إذا قالوا أن طوله ست أقدام ؟

اد : — كلا . ذلك غير ممكن

قاطعو رأس الهيدرا

س : — فلا تغضبن عليهم . لأنهم حقيقةً أغرب أهل الدنيا . فانهم يظنون انهم ؛ بواسطة شرائعهم الخالدة وتعديلاتها ، فى ما يتعلق بمواضيع ذكرناها آنفاً ، سيجدون طريقاً لأبطال الحيل المستعملة فى عقودهم ، والمشاكل التى أتيت على ذكرها . وقلما يشعرون انهم إنما يحاولون قتل الهيدرا الكثيرة الرؤوس

٤٢٧

اد : — حقًّا أنهم لا يحاولون غير ذلك

التهذيب يغني عن الشرائع

س : — أما أنا فلا أظن أنهُ يتحتَّم على الشارع الحقيقي أن يعبأ كثيراً بفروع هذه الحكومات والشرائع ، سواء كانت دولتهُ معتلة النظام ، أو سليمة الأحكام . أما في الأولى فلأن لا فائدة في قوانين كهذه . وأمَّا في الأخرى فلأنهُ سهل على كل فردٍ من أهاليها إدراك بعض القوانين الملائمة ، بذاتهِ لذاتهِ ، والبعض الآخر يتلوها بسبب حسن التهذيب الباكر

اد : — فماذا بقي علينا كشارعين ؟

س : — لم يبقى علينا شيء . ولكن بقي لابلو إله دلفي أن يسن أشرف الشرائع وأعظمها وأسماها اد : — وما هي ؟

شرائع الطقوس الدينية

س : — هي تشييد الهياكل ، وترتيب الذبائح ، وغير ذلك من طقوس العبادات لأكرام الآلهة والجبابرة والأبطال ، وإحراق الموتى ، وكل الطقوس المتعلّقة بهم ، التي علينا إدراكها لموافقة سكان العالم الآخر . ولا نقدر بذواتنا أن نفهمها ، في حال تأسيس دولة ، ولا نقبل شرحاً ، إذا عقلنا ، إلاَّ شرح إله البلاد . لأن هذا الإله هو المفسّر الأوحد لجميع الناس في مواضيع كهذه ، جالساً في نقطة السكون المركزية

اد : — أصبت كل الأصابة ، وذلك ما يجب أن نفعله

غرض الكتاب

س : — قد تمَّ إنشاء مدينتنا يا ابن أريسطون . والشيء الثاني الذي عليك أن تعمله هو أن تفحصها ، وتستمدّ النور اللازم من أية ناحية ممكنة . فاستدع لمساعدتك أخاك وبولمارخس ، ورفقاءهما . وسلهم مساعدتنا لنعرف « مقر العدالة والتعدّي فيها » . وبماذا يتباينان ، وأيّهما يؤثر من يروم أن يكون سعيداً ، عرفهُ جميع الآلهة والناس أو لم يعرفوه

فصاح غلوكون : — ذلك غير كافٍ . فانك وعدت أن تبحث فيهِ على أساس انك تكون محروماً إذا تنكَّبت عن نصرة العدالة بما لك من حولٍ

س : — صدقت في ماذكرتني بهِ ، ويجب أن أعمل بموجبهِ . ولكن يجب أن تساعدوني

غلوكون : — سنساعدك

س : — وأرجو أن نكتشف موضوع بحثنا هذا . فاني أرى ان دولتنا ، وبدا حسن تنظيمها ، تكون دولة صالحة ع : — بالضرورة .

أركان السعادة

س : — فواضح انها تكون حكيمة عفيفة شجاعة عادلة غ : — واضح

س : — فاذا وجدنا بعض هذه الصفات في الدولة ، ظلت الصفات التي لم تكتشف مجهولة

٤٢٨

غ : — دون شك

اكتشاف الفضائل الاربع

س : — فافرض وجود أربعة أشياء من أى نوع كان ، في أى موضوع كان . وافرض اننا كنا نبحث عن أحدها . فاذا عثرنا عليه قبل الثلاثة الباقية اكتفينا ، ولكنَّا إذا لم

نجده وا كتشفنا الثلاثة الأخرى ، عرفنا الرابع الذى ننشده ، إذ لم يبق سواه ، استدلالاً بالمعلوم على المجهول غ : — مصيب

س : — أفلا نختار هذا النوع من التفتيش فى البحث عن الغرض الذى بين أيدينا . فان الصفات المذكورة هي أربع أيضًا غ : — وجوب ذلك واضح

س : — فلنبدأ إذاً . أولاً أرى ان الحكمة ظاهرة في موضوعنا ولكن يلابسها شيء من التناقض غ : — وما ذلك

الحكمة

س : — إذا لم يكن مخطئاً فالمدينة التى أتينا على وصفها حكيمة ، ما دامت مشورتها حكيمة ، أليس هكذا غ : — بلى

وهى تتجلى في المعرفة

س : — ومن الراهن ان الحكمة فى المشورة هى نوع من المعرفة ، لأن المعرفة ولا الجهل تجعل الناس يفكرون بحكمة غ : — واضح

س : — على ان فى الدولة أنواعًا عديدة من المعرفة غ : — فيها ، دون شك

س : — فهل تكون الدولة حكيمة المشورة باعتبار معرفة النجارين ؟

غ : — كلاً . فانها باعتبار هذا النوع من المعرفة إنما تكون راقية فى النجارة

س : — فليست إذا معرفة الأوانى الخشبية ، فى أحسن شكل ، هي التى تزكي تسميتنا المدينة حكيمة غ : — مؤكد لا

س : — أبالمعرفة المتعلقة بالأوانى النحاسية ، وما هو من هذا النوع ، تدعى المدينة حكيمة ؟ غ : — لا . ليست فى شيء من هذا النوع

س : — ولا تحسب الدولة حكيمة بمعرفتها طريقة استغلال الأرض . بل تحسب ، بهذا الاعتبار دولة ناجحة فى الزراعة غ : — هكذا أرى

الفرق بين المهن والحكمة

س : — فقل لي إذاً ، هل فى دولتنا المستحدثة نوع من المعرفة ، يستقر فى قسم من أهاليها ، يتناول البحث ، ليس فى قسم خاص فيها ، بل فى شؤونها إجمالاً ، ليسير بعلاقاتها الداخلية والخارجية فى أفضل اتجاه ؟ غ : — أؤكد ذلك

س : — فما هو ذلك النوع من المعرفة ، وعند مَن يوجد ؟

غ : — هو علم الوقاية . ومعرفته تستقر فى طبقة الحكام ، الذين أسميناهم الساعة « كاملين » س : — وبماذا تصف المدينة باعتبار هذه المعرفة ؟

غ : — أصفها بأنها حسنة الادارة و « حكيمة »

س : — ومن هم أوفر عدداً فى المدينة ، النحاسون أم الحكام الحقيقيون ؟

غ : — النحاسون أوفر عدداً من الحكام

س : — فهل الحكام أقل عدداً من الفئات العديدة ، التى فى كل منها معرفة خاصة بفنها ، ولها لقبها الخاص ؟ غ : — أقل كثيراً

٤٢٩

س : — فالمعرفة المستقرة فى أصغر طبقة أو أصغر قسم ، أعنى فى الطبقة الحاكمة . التى جادت على الدولة المنظمة تنظيماً يتفق مع الطبيعة ، باسم « حكيمة » بمجموعها . تلك الطبقة التى من حقها وواجبها الاشتراك فى المعرفة التى بها وحدها ، بين كل أنواع المعرفة ، تدعى تلك المدينة « حكيمة » ، هى على ما يظهر ، القسم الأقل عدداً فى الدولة

الكرام قليل

غ : — هو ما تقول

س : — فقد عرفنا ، بطريقة من الطرق ، واحدة من الصفات الأربع ، وعرفنا فى أية طبقة من الدولة تستقرّ غ : — معرفة تامّة حسب حكمى العقلى

الشجاعة

س : — فيمكننا أن نؤكّد انهُ لا تعسر علينا معرفة « الشجاعة » ، والفئة التى فيها تستقرُّ . وبسبب شجاعتها تدعى المدينة شجاعة غ : وكيف ذلك

س : — من ينظر فى تسمية الدولة شجاعة ، أو جبانة ، إلى غير الفئة المحاربة القائمة على الدفاع ، وخوض المعمعان فى مصلحتها ؟ غ : — لا أحد ينظر إلى قوة أخرى

س : — كلاً : ولذلك لا أرى شجاعة الدولة ، أو جبانها ، تستقرّ فى الفئات الأخرى

غ : — لا تستقرّ

مستقر الشجاعة

س : — فالدولة تكون شجاعة كما تكون حكيمة ، بالنظر إلى قسم خاص من سكانها لأن لها فى ذلك القسم قوّة تمكّنها من حفظها سالمة الانقطاع ، بالرأى السديد فى ما يخيف من الاشياء ، التى تنبىء أنها هى ما قصدهُ الشارع فى التهذيب المقرر . أليس ذلك ما ندعوهُ شجاعة ؟ غ : — لم أفهم كنه ما قلتهُ . فتفضل باعادته

غرض الشجاعة

س : — أقول ان الشجاعة نوع من التأمين على النفس

غ : — وأى نوع من التأمين تعنى

س — تأمين الآراء التى كوّنتها الشريعة ، فى سياق التهذيب ، فى ما يخشى من الأشياء ، باعتبار ماهيّتها ونوعها . وحينما قلت « حفظها سالمة بلا انقطاع » ، عنيت حفظها سالمة « فى اللذة والألم » فى الرغبة والنفرة ، على السواء . فلا تسقط أبداً . وإذا كنت تريد فانى أصوّرهُ لك بمثلٍ أراهُ ملائماً غ : أنى أريد

تأسيس الاصباغ

س : — حسناً ألا تعلم ان الصباغين ، حين يباشرون صبغ الصوف باللون الارجوانى الثابت مثلاً ، يختارون من شتى الألوان ، الصوف الأبيض أولاً ! ثم يعدّونهُ بعمليات عديدة ، ليمكنهُ قبول اللون المطلوب على الوجه الأتم ، وبعد إعداده كذلك يصبغونهُ فاذا صبغ الصوف على هذه الصورة كان لونهُ ثابتاً لا يزول ، ولو غسل بالصابون أو بغيره ، ولا يزول بهاؤه . وإذا لم يُعدّ على ما تقدم فأنت أدرى بما يكون من أمره ، سواء صبغ بالارجوانى أو بغيره

غ : — اعلم ان لونهُ يزول بالغسيل على صورة مضحكة

٤٣٠ س : — فاعلم اننا نحن أيضاً ، بما فينا من مزية ، قد نحونا هذا النحو لما انتقينا جنودنا ، وعنينا بتهذيبهم بالموسيقى والجمناز . فكانت عنايتنا تتجه بنوع خاص إلى إطاعتهم الاوامر، وتشربهم الشرائع على افضل وجه ، تشرُّب الصوف الصباغ . ليكون رأيهم سديداً فى ما يخشى وما لا يخشى ، بعامل فطرتهم وتهذيبهم القانونى . فلا تقوى شداد العوامل على إحالة صبغتهم الفكرية ، ومن تلك العوامل « اللذات » وهى أفعل فى حل الصبغة الروحية من القلي والبوتاس فى حل الأصباغ والألوان . ومنها « الخوف » و « الرغبة » وهى أفعل المحللات فى الدنيا . بل يتغلبون عليها كلها . فالقوّة التى تتشبث تشبثاً راسخاً بالرأى السديد ، فى ما يخشى وما لا يخشى ، هى ما أدعوه شجاعة . إلاّ إذا كان عندك رأى آخر

محللات الصبغة الروحية

غ : — ليس عندى اسم آخر لها . ويلوح لى ان قوة كهذه ، إذا نشأت فى النفس بدون تهذيب ، كما فى الهمج والعبيد ، حسبت غير شرعية ، وانك تدعوها باسم آخر

س : — بكل تأكيد　　غ : — فاسلم بهذا البيان فى أمر الشجاعة

س : — فسلّم أيضاً بشجاعة رجال الدولة تكن مصيباً . وسنبحث فيها فيما بعد أوفى بحث ، إذا شئت ، لأنها غير مقصودة بالذات فى بحثنا الحاضر . وانما غرضنا الخاص هو « العدالة » . وأظن ان ما أوردناه فى الشجاعة كاف　　غ : مصيب

س : — بقى أمران ، فى الدولة ، يلزم اكتشافهما وهما العفاف والعدالة ، والأخيرة هي سبب كل هذه الأبحاث　　غ : — تماماً هكذا

س : — فاذا رمنا إراحة أنفسنا من البحث فى العفاف فهل لنا من وسيلة لاكتشاف العدالة ؟　　غ : — لا أدرى . ولا أريد الابتداء بالعدالة قبل استيفاء البحث فى العفاف فاذا كنت تسرّنى فابدأ به

س : — أريد ذلك على قدر ما أنا أمين　　غ : — فابدأ بحثك

س : — سأبدأ . لقد لاح لنا من موقف بحثنا الحالى ان العفاف أكثر شبهاً بالوئام من اختيه السابقتين　　غ : — وكيف ذلك ؟

العفاف

س : — العفاف ، على ما أظن ، نوع من الاتساق ، وامتلاك أعنة الرغائب واللذات ، وعليه نسمع الناس يقولون ان فلاناً سيّد نفسه باعتبار ما ، وما ماثل ذلك من الاصطلاحات الشائعة المعزية عن المعنى المراد　　غ : — وهى كذلك بكل تأكيد

٤٣١ س : — ولكن أليس الاصطلاح « سيد نفسه » أمراً سخيفاً ؟ لأن كونه « سيد نفسه » يستلزم انه « عبد نفسه » أيضاً ، فيكون سيداً ومسوداً فى وقت واحد

غ : — دون شك

سيد نفسه

س : — والظاهر ان مفاد هذا الاصطلاح ان فى الانسان ، أى فى نفسه مبدأً

صالحاً ومبدأً شريراً . فحين يسود مبدؤهُ الصالح المبدأ الشرير نعبّر عن ذلك بقولنا انهُ سيد نفسه ، وهو مدح . أما إذا تغلّب فيه المبدأ الشرير ، إما لسوء تربيته ، أو لتأثير المعشر الردى من صحبه الـكثيرين ، نُعت فى هذه الحال بأنهُ « عبد نفسه » و « زنيم » تهكماً

غ : — يظهر انهُ بيان كاف عنهُ

س : — فنظرة ثمة إلى دولتنا الجديدة ، تجد فيها أحد هذين الحالين . فانك تسلّم بدعوتها « سيدة نفسها » إذا سادها العفاف وضبط النفس ، سيادة العنصر الصالح العنصر الردى (فى الانسان)

ضبط النفس من أوصاف الرجال

غ : — قد نظرت حسب إشارتك ، وأرى قولك حقًّا

س : — فبالأحرى تسلّم ان هذه الرغائب واللذات والآلام الـكثيرة المنوّعة ، توجد على الخصوص ، فى الأحداث والنساء والخدم ، وفى جمهور العامة ، وأيضًا بين الأحرار إسماً غ : — هكذا

س : — أما الرغائب المعتدلة البسيطة ، المقارنة العقل والرأي السديد ، المسترشد بالتفكر ، فانما توجد فى فئة قليلة من الناس ، هى متصفة بأفضل المزايا الطبيعية ، وأسمى آثار التهذيب غ : — حقيق

س : — أو لا ترى ما يوازى ذلك فى دولتك ؟ وبعبارة أخرى ان رغائب الأكثرية من عامة الناس وأهل الطبقات الدنيا ، هى محكومة برغائب فئة المهذبين القليلة العدد وافطنها ؟

أرق الدول

غ : — بلى اني أرى ذلك

س : — فاذا كان هنالك دولة ، بحق تدعى سيدة نفسها ، وضابطة رغائبها ولذاتها ، فدولتنا الحائزة على هذه الصفات ، هى تلك الدولة غ : بالتأكيد

س : — أفلا ندعوها عفيفة بناء على كل هذه البيانات ؟ غ : — تأكيداً ندعوها

س : — وإذا ساد دولة الاتحادُ بين الحاكم والمحكوم ، فى من يجب أن يتولى الأحكام ، ففي دولتنا ذلك الاتحاد . ألا تظن هكذا ؟ غ : بكل تأكيد

مستقر العفاف

س : — ففي أي القسمين تقول ان العفاف يستقرّ ، إذا سلك أهلوها هذا المسلك ، أفى الحكام أم فى الرعية ؟ غ : — فى الفريقين

س : — هل ترى اننا لم نسيء التكهن لما زعمنا أن العفاف نوع من الاتزان ؟

غ : — ولماذا ؟

س : — ليس العفاف كأختيه ، الشجاعة والحكمة ، ينحصر في فئة خاصة من الناس ، وبها تكون الدولة حكيمة أو شجاعة . بل هو صفة تعم جميع الفئات على السواء فينشىء ترابطاً بين الأقوى والأضعف ومن بينهما ، سواء قست هذه الطبقات بقياس القوة البدنية ، أو بالفهم ، أو بالعدد ، أو بالثروة ، أو بما تشاء من الأقيسة ، فيحق القول : ان

الجامعة العامة هي العفاف : وهو رباط يضمُّ أفضل عناصر الدولة طبعاً إلى أسوئها فطرة ، سواء في ذلك الفرد والمجموع في ما يتعلق بمن يحق له الحكم غ : — أوافقك كل الموافقة

العدالة

س : — حسناً : فقد اكتشفنا في مدينتنا ثلاثة مبادئ من أربعة ، على أقل تقدير . هذا هو اقتناعنا الحالي . فما هو المبدأ الرابع الباقي الذي به تشترك الدولة بالفضيلة ؟ اننا نؤكد انه « العدالة » غ : — واضح انه العدالة

س : — فيجب أن تكون الآن يا غلوكون كالصيادين الذين يحيطون بالغابة كي لا تفلت طريدتهم . فلننتبه لئلا تفلت العدالة من بين أيدينا . لأنه ثابت انها موجودة . فنظرة في المحيط ، علك تلمحها قبلي فتخبرني

غ — : أتمنى لو أن ذلك يتسنى لي . وأنك لتحسن إليَّ كثيراً إذا عاملتني ، عوض ذلك ، معاملة من يقتفي خطواتك ليتمكن من رؤية ما يشار اليه

س : — فهلمَّ ورائي بعد أن تشاركني في الصلاة غ : — سأتبعك فأبدأ

صعوبة ادراك الحقيقة

س : — حقاً أن الطريق أمامي عسرة المسالك كثيرة الشعاب ، وسبيل الاكتشاف أبداً وعر مظلم ، ولكن يجب أن نتقدم غ : — نعم يجب أن نتقدم

س : — هنا أرى قبساً . هه . هه . أمامنا آثار يا غلوكون ، فلا أظن أن الطريدة تفلت من أيدينا غ : — يا للبشرى

س : — حقاً اننا كنا في وهدة الحماقة غ : — وكيف ذلك ؟

س : — يظهر ، يا سيدي العزيز ، أن ما ننشده ، مضى عليه زمان طويل هو امامنا ، ولم ننتبه لهُ . بل أتينا عملاً سخيفاً ، كالذين يفتشون عما هو بين أيديهم ، هكذا نحن ، عوض التحديق في ما هو أمامنا أرسلنا النظر بعيداً ففاتنا ادراكه غ : — وماذا تعني ؟

س : — ذلك ما أعني . كنا نتحدثُ في العدالة ، وفاتنا اننا قد أبنَّاها

غ : — ويا طولها مقدمة على المشتاق الى الايضاح

٤٣٣

س : — فاسمع وقل ، أمصيب أنا أم لا ؟ ان القانون الذي وضعناهُ في بدء تأسيسنا الدولة هو العدالة . فقد قررنا ، وأعدنا القول مراراً ، اذا كنت تذكر ، أنه ، على كل من أبناء الدولة أن يلوذ بشيء واحد تميل اليه فطرته غ : — قلنا ذلك

تحديد العدالة

س : — فيظهر يا صديقي أن : العدالة هي اقتصار الانسان على ما يخصه : أتعلم من أين اقتبست ذلك ؟ غ : — لا : فقل من أين ؟

س : — ظننت ان الباقي في الدولة بعد طرح الصفات التي نظرنا فيها ، أي العفاف والشجاعة والحكمة ، هو الذي يجعل الدخول اليها ممكناً ، ويحفظ من دخلها ضمن حدودها . وقد قلنا الساعة أن الفضيلة الباقية من طرح ثلاث من الأربع هي العدالة

غ : — نعم . انها كذلك دون شك

حافظ النظام

س : — واذا رمنا الحكم فى أى هذه الفضائل الأربع، إذا وجدت فى المدينة كان لها أعظم أثر فى اكمال فضيلة سكانها ، عسر علينا القطع ، أهي الوئام بين الحكام والرعية ، أم هى ثاقب الرأى فى الجيش فى ما يخشى وما لا يخشى ، أم فى حكمة الحكام وسهرهم ، أم فى ظهور آثار هذه الرابعة (العدالة) فى كل ولد وكل سيد ، وكل عبد ، وكل حر ، وكل صانع ، وكل حاكم ، فى الدولة كافة . موجبة عليهم أن يلزم كلٌّ منهم عمله ويحذر الفضول

غ : — لا شك فى أنه يصعب القطع فى الأمر

س : — فالظاهر انه فى ترقية فضيلة الدولة ، تستطيع القوة التى تحمل كلاً على القيام بعمله الخاص ، أن تبارى حكمتها وشجاعتها وعفافها غ : — حقًا انها تبارى

س : — واذا كان هنالك مبدأ يبارى هذه الصفات ، فى ترقية فضيلة الدولة ، أفلا تجزم أنه « العدالة » غ : — بكل تأكيد

س : — فانظر إلى المسألة نظراً آخر . وقل . هل تنتهى إلى النتيجة نفسها . هل تخص حكام الدولة بالقضاء فى الدعاوى ؟ غ : — بالتأكيد

هم الحكام الخاص

س : — أفلا يكون رائدهم فى قضائهم ، فوق كل شىء ، أن لا يمسّ أحد مال غيره . ولا يمسّ أحد إلاّ ماله ؟ غ : — بلى . هذا هو همهم الخاص

س : — ألأنّ ذلك عدل ؟ غ : — نعم

س : — فنسلم ، جريًا على هذا الرأى « ان عمل ما يخصنا وتمتعنا به هو العدالة »

غ : — حقيقي

س : — فتفكر فى نفسك ، أمن مذهبي التالي أنت ؟ إذا أخذ النجار على عاتقه أن يعمل عمل الاسكاف ، أو الاسكاف عمل النجار اما بتبادلهما الأدوات والميزات ، أو بقيام أحدهما بعمل الاثنين معًا ، مع ما بين المهنتين من التباين ، فهل يحلّ بالدولة كبير ضرر من جراء ذلك ؟ غ : — ليس كبيراً

حلول المرء في غير محله مجلبة الدمار

س : — على اني أرى أنه إذا ترفع قلب أحد الصناع ، أو المنتجين ، من أى نوع كان ، اما بعامل الغنى ، أو بعامل القرابة ، أو اعتداداً بالقوة البدنية ، أو بأى عامل كان ، فتطاول إلى مصاف المجاهدين . أو إذا تطفل أحد المحاربين على مجلس الاعيان ، عن غير جدارة — أو إذا تبادل هؤلاء الأدوات والميزات — أو إذا زعم أحدهم انه يقوم بكل هذه الأعمال معًا . فأرى انك تسلم معى ان ذلك الفضول ، وتلك الفوضى ، يؤديان حتماً إلى دمار الدولة غ : — بكل تأكيد

س : — فأى تدخل من هذه الأنواع الثلاثة ، أو تبدلها إحداها بالاخرى ، يسبب دماراً عظيماً فى الدولة . وبكل عدالة وبأصدق تعبير يدعى عملاً شريراً

غ : — هكذا تمامًا

س : — أو لا تسلّم ان اساءة الإنسان إلى الدولة ، شر إساءة ، هو تعدٍّ
غ : — دون شك انهُ تعدّ
س : — فهذا إذاً تعدّ . وإذا تقيّد كل منهم بعمله الخاص المنوط به ، معرضاً عما لا يعنيه ، فى دوائر الصناعة والحرب والحكم ، فذلك التصرُّف عدالة ، وبه تكون المدينة عادلة　　غ : — اسلّم كل التسليم

العدالة في الفرد كالعدالة في الدولة

س : — فلا نجزمنّ فى الأمر كثيراً ، ولكن إذا وجدنا فى تطبيق هذا الحكم على الفرد ، ان ذلك منهُ ظاهرة عدالة ، أعلنّا مصادقتنا ، وماذا نروم أكثر ؟ وإلاّ حاولنا الدخول فى بحث جديد . أما الآن فلنتمم بحثنا الذى بدأناه موقنين اننا إذا تصورنا العدالة فى الوسط الكبير أولاً هان علينا إدراكها فى الوسط الصغير — فى الفرد الواحد من الناس — وقد رأينا الدولة أفضل وسط نختاره لهذا الغرض . لذلك أنشأنا المثل الأعلى من الدول ، عالمين ان العدالة تستقرّ فى أفضلها . فلننتقل إذاً من المثل الذى وضح لنا فى الدولة إلى تطبيقه على الفرد . فاذا طابقت النتيجة فيه النتيجة فى الدولة فيها ، نعمت . وإذا اختلفت فيه ، عنها فيها ، فى أمرٍ من الأمور ، عدنا إلى الدولة لاستئناف الامتحان . وبوضع الدولة والفرد جنباً إلى جنب ، والجمع بينهما ، تسطع منهما شرارة العدالة ، سطوع النور لدى فرك قطعتين من الخشب الجاف ، إحداهما بالأخرى . ومتى سطعت أنوار العدالة أمام عقولنا حكمنا فى حقيقتها　　غ : — فى اقتراحك أسلوب حسن فلنتبعهُ
س : — فأتقدم إلى السؤال : إذا دعونا شيئين ، مختلفين مقداراً ، باسم واحد ، باعتبار الصفة المشتركة بينهما ، أفمِثلان هما أما غيْران ؟　　غ : — مثلان
س : — فلا يختلف الفرد العادل عن الدولة العادلة . بل الاثنان سيّان ، باعتبار اشتمالها على حقيقة العدالة　　غ : — سيّان

في الفرد ما في الدولة حاكم ومساعد ومحكوم

س : — فنحكم إذاً يا صاح فى أمر الإنسان الفرد ، إذا هو امتلك فى نفسه أنواع الأقسام المذكورة ، ان من الصواب تلقيبه بالألقاب التى أطلقناها على الدولة ، باعتبار وحدة رغبات هذه الأقسام فى الدولة وفى الفرد　　غ : — لا مندوحة عن ذلك
س : — فقد عرضت لنا ، أيها الصديق الفاضل ، مسألة ثانية سهلة بخصوص طبيعة النفس البشريّة : وهي « الأقسام الثلاثة فيها أم لا ؟ »
غ : — انها مسألة لا يستهان بها . ولقد حق القول يا سقراط « ان الجميل عسر المنال »
س : — هكذا يظهر ، وأقول لك صراحة يا غلوكون ، اننا حسب رأيى ، لن نبلغ حقيقة هذا الموضوع بالأساليب التى نجرى عليها فى بحثنا الحالى . ولا يزال السبيل المؤدى إليها طويلاً وعراً . وأجرؤ على القول اننا قد ندرك الحقيقة بواسطة أساليبنا الحالية فى صورة ليست دون أبحاثنا وحججنا السالفة

غ : — أفلا نكتفي بذلك؟ أما أنا فأكتفي الآن

س : — وأنا أيضاً أكتفي غ : — فلا يفتّ في عضدك إذاً ، بل أشرع في البحث

٤٣٦
الدولة هي الفرد الانساني مكبراً

س : — فقل . أيمكنا أن ننكر ان في كلٍّ منا نفس المبادىء الأصلية والأوصاف التي في الدولة ؟ فلست أرى انها تسرَّبت إلى الدولة من غير هذا الأصل . ومن المستهجن التصوُّر ان المبدأ الحماسي اتصل بالدولة إلاَّ عن طريق الأفراد المتضفين بالحماسة ، كما هو الحال في الثراكيين والسكيثيين وسكان الأقاليم الشمالية كافةً ، وكذلك حب المعرفة الذي بحقٍّ ينسب إلى أمتنا ، وحب الثراء المنسوب إلى الفينيقيين والمصريين غ : — حقيق

س : — ذلك حق واضح لا يعسر علينا فهمه غ : — كلا ، لا يعسر

أواحد العامل فينا أم متعدد ؟

س : — هنا تبرز صعوبة ، وهي : هل نُتم كل أعمالنا بقوَّة واحدة سائدة فينا ، أو ان هنالك ثلاث قوًى ، تعمل كل منها على حدة في أعمالنا المختلفة ؟ فنتعلم باحداها ، ونغضب بأخرى ، وبثالثة تتوق نفوسنا إلى لذائذ الطعام والشراب والتوليد ؟ أو اننا نعمل كلاً من هذه الأفعال بمجموع قوى النفس كتلة واحدة ؟ انهُ يعسر علينا القطع في هذه المسألة قطعاً مرضياً غ : — هكذا أظن

لا يجتمع النقيضان

س : — فلنجرب الخطة الآتية لنرى امتيازة القوى العاملة فينا أم واحدة ؟

غ : — وما هي خطتك

س : — من البيّن أن شيئاً واحداً لا يمكنهُ أن يعمل عملين متضادين ، أو يكون في حالين متباينين ، في وقت واحد ، وفي موضوع واحد . فحيثما اتفق لنا أن نكون في موقف كهذا حكمنا ان الموضوعات ليست واحدة بل متعدّدة غ : — حسناً جدًّا

س : — فتأمل في ما سأقوله غ : — تفضّل

س : — أيمكن أن يكون القسم الواحد في الشيء الواحد ساكناً ومتحركاً معاً في وقت واحد غ : — كلا لا يمكن

س : — فلنتفاهم أكثر لئلاً نختلف متى تقدّمنا . فاذا قيل ان الإنسان ، الذي يقف ويحرّك يديهِ ورأسهُ ، هو ساكن ومتحرك في وقت واحد ، فلا نسلّم بصحة هذا القول . لأن قسماً من ذلك الإنسان ساكن ، وقسماً آخر متحرّك . أليس هذا هو الواقع ؟

غ : — بلى

لا يبنى برهان على المغالطة

س : — وإذا قال الخصم ، موغلاً في المداعبة ، في قالبٍ لطيف : ان الدوامات (النحلات) تكون ساكنة ومتحركة معاً حين يدور أعلاها . ورأسها مستقر في موضع خاص لا يبرحهُ ، أو ان أي شيءٍ آخر يدور في نفس المكان ، فهو ساكن ومتحرك معاً ، فلا تقبل هذه الأقاويل . لأن تلك الأشياء ليست ساكنة ومتحركة في وقتٍ واحد ، باعتبار واحد . وردنا على الخصم هو ان لها محوراً ومحيطاً . فهي ساكنة باعتبار المحور ،

دائرة باعتبار المحيط ، إذا كانت لا تميل من ناحية إلى أخرى . وإذا مال محورها عن العمودى ، فى اثناء دورانها ، إلى الأمام أو إلى الوراء ، أو اليمين أو اليسار فحينذاك يتعذّر القول انها ساكنة غ : حقيق

٤٣٧ س : — فلا تخيفنا مقاومة من هذا النوع ، ولا تقنعنا بأن شيئًا واحداً ، فى وقت واحد ، وفى قسم واحد ، وبالنسبة إلى موضوع واحد ، ينفعل انفعالين متضادين ، وينتج مفعولين متباينين غ : — يمكنى الجواب عن نفسى

لا تضع الوقت في تحصيل الحاصل

س : — فلا نضيعنّ الوقت فى رد اعتراضات كهذه ، وفى إقناع أنفسنا بأنها باطلة : فدعنا نفرض ان الحقيقة هى كما قلنا . ولنتقدم إلى الأمام ، ونحن على بينة من أمرنا إننا إذا قبلنا رأيًا مخالفًا لما قلناه كان كل ما نبنيه عليه من النتائج عرضة للسقوط لا محالة

غ : — هذه هى الخطة المثلى

س : — حسنًا . فهل تدرج فى سلك المتضادات ، الاتفاق والتباين . قبول موضوع ورفضه ، الجذب والدفع ، وأمثال ذلك من المتضادات ؟ وسواء كانت فاعلة أو منفعلة ، فلا يغير ذلك حكمنا ؟ غ : — نعم اني أدرج

الرغبة في شيء كطلبه

س : — أفلا تدرج مطرداً ، الجوع والعطش والرغبات عامة ، والارادة والميل لأمر ما ، تحت أحد الصفين المذكورين ؟ مثلاً : ألا تقول ان عقل الانسان يشتهى ، مدفوعا بالرغبة فى الحصول على مطلوبه ، أو يجتذب إلى صدره ما يهواه ؟ أو انه على قدر ما يرغب فى امتلاك مطلب ما يستحسن فى قلبه الحصول عليه ، كأنه يطلبه بلسانه مشتاقًا إلى إلى سد شهوته ؟ غ : — اني أدرج

ورفض الشيء كدفعه

س : — أو لا تصف الكراهية والنفار والمقت وأمثالها ، فى صف الرفض العقلى والصد ، وبالاجمال نقيض اللائحة الآنفة الوصف ؟ غ : — دون شك

س : — أفنقول والحالة هذه ، ان الرغبات تؤلف صفًا واحداً ، وأشهر ما فيها الجوع والعطش ؟ غ : — نقول

س : — الأول رغبة فى الطعام ، والآخر فى الشراب ؟ غ : نعم

الرغبات المطلقة والنسبية

س : — فهل العطش كعطش ، رغبة فى أكثر من الشراب ؟ أى هل هو عطش إلى الشراب الحار ، أو إلى الشراب البارد مثلاً ، أو إلى الكثير من الشراب أو إلى القليل منه ؟ أو ليس بالأحرى حقا ، انه إذا صحب العطش حرّ كانت الرغبة فى الشراب البارد ، وإذا صحبه برد كانت الرغبة فى الشراب الحار ، وإذا اشتد العطش كانت الرغبة فى الكثير من الشراب ، وإلا ففى القليل ؟ ولكن العطش بحد ذاته لا ينشئ شوقًا إلى أكثر من الشراب البسيط الذى تتطلبه الطبيعة : وعلى هذا يقاس الجوع أيضًا

غ : — أنت مصيب ، فكل رغبة فى حد ذاتها تتجه إلى غرضها الخاص النسبى

تطلبهُ بصورة بسيطة . أما الرغبة في نوع المطلوب أو مقداره فهي إضافية

٤٣٨ س : — فلا ندعنَّ أحداً يشوّش أفكارنا بالمعارضة ، لنقص اختبارنا : قائلاً ان لا أحد يرغب في مجرّد الشراب بل في الشراب الجيد ، أو في مجرد الطعام بل في الطعام الجيد . لأن الناس عموماً يرغبون في الجيد من كل شيء . فاذا كان العطش رغبة فهو رغبة في الجيد من الشراب . والحكم واحد في الشرب وفي غيره سواء بسواء : — وينطبق هذا الحكم على كل الرغائب غ : — حقيقة ، قد يكون هنالك سرّ في المضادة

س : — وعلى كلٍّ فأذكر انهُ في كل الحدود النسبية إذا كان الحد الأول مقيداً كان الثاني مقيداً ، وإذا كان الأول مطلقاً كان الثاني مطلقاً غ : — لم أفهمك

س : — ألا تفهم ان « الأعظم » حدّ إضافي ينطوي على حدّ آخر ؟ غ : — حقيقة

س : — فيتطوى على « الادنى » و « الأقل » . ألا ينطوي ؟ غ : — بلى

س : — والأوفر عظمة ينطوي على الأكثر قلة أو صغارة ؟ غ : — نعم

التسلية في الاحكام النظرية

س : — وهل يشير الزائد ماضياً الى الناقص ماضياً ، من باب الطباق ، والزائد مستقبلاً إلى الناقص مستقبلاً ؟ غ : — من كل بد

س : — أو لا يتمشى هـذا القياس على الحدود المطابقة « كالأكثر والأقل » و « المضاعف والمناصف » ، وكل الـكميات النسبيـة ؟ . وأيضاً « الأثقـل والاخف » « والأسرع والأبطأ » ، « والبارد والحار » ، وكل النعوت المماثلة ؟ غ : — يتمشى بالتأكيد

العلم المطلق والاضافي

س : — وكيف الحال في الفروع العملية المنوعة ؟ ألا يصحُّ فيها هذا الحكم ؟ أي ان المعرفة المجردة تنحصر في « المعروف » فقط وكل ما يمكن أن يكون موضوع المعرفة المطلقة . أما العلم الخاص ، بنوع خاص ، فله موضوع خاص ؟ ولايضاح ما أعنيه أقول : — حين بدأ فن البناء ألم يتميّز عن غيره من العلوم فدعي علم الأبنية ؟ غ : — دون شك

س : — أو ليس ذلك لأنه ذو صفة خاصة لا يشاركه فيها علم آخر غ : — بلى

س : — أو لم تتفرع صفته الخاصة من صفة موضوعه الخاص ؟ أو لا يمكنا اطلاق هذا الحكم على جميع العلوم والفنون ؟ غ : — يمكنا

العلم المطلق والمقيد

س : — فهذا ما عليك أن تفهم اني أعنيه بكلامي السابق . وعليـه فأنت تفهم حكم الحدود الاضافيـة . فاذا كان أول المتضـايقين مطلقاً كان ثانيهما مطلقاً . واذا كان ثانيهما مقيداً فأولهما مقيد . ولا أعني بذلك ان صفات الاثنين واحدة ، كأني أقول مثـلاً ان « علم الصحة صحيح » « وعلم المرض مريض » أو ان « علم الشر شرير » و « علم الصلاح صالح » لا بل انه حالمـا ينسلخ العلم عن الاطلاق ، ويضـاف بنوع خاص ، كالمثل الوارد أعلاه ، في أحوال الصحة والمرض ، تحوّلـــ العلم إذ ذاك إلى التقيـيد بنعت من النعوت . فلا يدعى فيها بعد « علماً » باطلاق اللفظ ، بل يتقيـــد باضافته الى موضوعه الخاص كقولنا مثلاً :

علم الطب :	غ : — فهمت وأرى قولك حقًا

س : — فلنعد إلى أمر العطش ، أفلا تحسبه أحد الأشياء التى تستلزم طبيعتها موضوعًا نسبيًا ملائمًا ، بناء على تسليمنا ان هنالك ما يسمى عطشًا ؟ ٤٣٩

غ : — اسلم وموضوعه الشرب .

العطش المطلق للشرب المطلق

س : — فللشرب الخاص عطش خاص : ولكن العطش المطلق لا يتقيد بكثرة الشرب أو بقلته ، ولا بجودته أو عدمها . وبالاختصار لا يتناول نوعًا خاصًا من الشرب . بل هو عطش مطلق إلى الشرب . أليس كذلك ؟	غ : — بأتم ضبط .

س : — فلا تتناول نفس العطشان رغبة فى غير الشراب المطلق . فالشراب ترغب ، وإياه تطلب	غ : — هذا هو الحال بوضوح

س : — فاذا جذب النفس العطشى جاذبٌ عن الشرب فذلك الجاذب جزء آخر فى النفس متميز عن الجزء الذى عطش وصبا إلى الشرب صبو الايّل إلى الماء . أو لم تقل ان الشيء الواحد يستحيل أن يعمل عملين متضادين فى وقت واحد ، فى وسط واحد ، باعتبار واحد	غ : — مؤكد انه يستحيل

س : — وعلى القياس نفسهِ رامى النبال . لا يجوز أن نقول ان يده تجذب وتدفع معًا ، بل انه يجذب بيد ويطلق السهم بالأخرى	غ : — حقيقة انه يفعل هكذا

س : — أفيمكننا أن نقول ان الناس يأبون الشرب أحيانًا وهم عطاش ؟

غ : — نعم كثيراً ما يحدث ذلك للكثيرين من الناس

س : — فاذا يقول المرء فى أشخاص كهؤلاء ، إلا ان فى نفوسهم مبدأ يوجب الشرب ومبدأ آخر يحظره ، وان الثانى متميز عن الأول وأقوى منه ؟	غ : — هذا هو رأيى

القوتان المتضادتان فى النفس

س : — أولا ينشأ الوازع ، الذى يحول دون تهتك كهذا فى النفس ، عن القوة الذهنية ، بينما القوة التى تقود العقل وتجذبه إلى التهتك تنشأ عن مرض فى النفس ؟

غ : — هكذا يظهر

الذهن والشهوة

س : — فلنا أساس معقول للادعاء ان هاتين القوتين متميزتين فى نفس الإنسان . فندعو قسمَ النفس الذى به تعقل « القوة الذهنية » . والقسم الذى به تجوع وتعطف وتختبر تقلب الرغبات الأخرى نلقبهُ بلقب غير العقلى أو « القوة الشهوية » وهي حليفة اللذة والانقياد	غ : — نعم ، التفكير على هذا النمط ليس بدون أساس معقول

س : — فلنحسبها مسألة مبتوتة ان فى النفس هذين المبدأين المتمايزين . فهل المبدأ أو القسم الذى به نغتاظ ثالثٌ متميز عنهما ؟ وإلاّ فالى أى القوتين هو أميل بطبيعته ؟

غ : — قد يمتّ بنسب إلى القوة الشهوية

س : — ولكننى سمعت عن ليونتيوس بن اغلايون قصة أصدقها وهي انه لما ٤٤٠

محاربة اهواء النفس

خرج من بيرايوس ، وشعر بوجود اشلاء قتلى فى مجرى ماء تحت سورها الشمالى ، والقاتل إلى جانبها ، كان فى نفسه رغبتان . تهيب به الواحدة إلى رؤية الاشلاء والأخرى إلى الاشمئزاز منها ، والاعراض عنها . فكان فى داخله حرب شعواء بين هاتين الرغبتين . فأغمض عينيه أولاً ، ومرّ بالجثث فلم يرها . على انه لما تغلبت فيه الشهوة ، فمال لرؤية الجثث فتح عينيه بأصابعه ، قائلاً بغضب « هلمى أيتها العيون الناعسة وتمتعى بهذا المنظر الشهى » ! ! غ : — وأنا أيضاً سمعتها

س : — فهذه القصة ترينا أن الغضب يضاد الشهوة . والنتيجة انهما مبدآن متباينان

الغضب بين الشهوة والعقل

غ : — حقاً انه يضاد الشهوة

س : — أو لسنا نرى أن الانسان ، وقد حملته الشهوة على مضادة أحكام الذهن ، يؤنب نفسه ويغضب على القوة المتحكمة فى داخله ؟ وحين تتصادم القوتان يكون الغضب إلى جانب القوة الذهنية ؟ . ويخوض معارك حامية ضد الشهوات حين يقرر الذهن أنه لا يجوز أن يتفقا عليه ؟ . فستقول لى أنك لم تشعر فى نفسك بشيء من ذلك قط ، ولاحظته فى غيرك غ : — لم أشعر بشيء من هذا القبيل

الوجدان

س : — فحين يرى الانسان أنه قد خطىء ، أفلا يكون هدوء روحه مقيساً بكرم أخلاقه فيتحمل تبعة عمله من جوع وبرد واضرابهما ، من يد من أساء إليه ، معتقداً انه نال جزاءه العادل ؟ وكما قلت سابقاً أنه لا يستفزّه الغضب فيقوم على من عاقبه

غ : — هذا حقيق

الانتقام

س : — ولكنه حين يرى أن قد مسّه الضرّ ظلماً وعدواناً ، الا تتقد فيه جذوة الغضب حنقاً ؟ فينضوي تحت ما يحسبه « العدالة » . ويتحمل أقصى الجوع والبرد وأمثالهما فى سبيل الجهاد ، أما فوزاً أو موتاً ، أو يصده النهى عن ذلك صدّ الراعى كلبه ؟

غ : — ينطبق ذلك على ما تعنيه انطباقاً تامًّا . وحقًّا اننا قد عينا المعاونين فى دولتنا ، تحت إدارة الحكام ، ككلاب رعاة الأمة

س : — أرى انك فهمت جيداً ما أعنيه . فاحرص أن تفهم ما يأتى

غ : — وما هو ؟

س : — هو أن رأينا الحديث فى القوة الغضبية نقيض ما سلف . فقد خلناها حليفة القوة الشهوية . والآن نراها بعيدة عنها . وفى حال النزاع الروحى ، الناشب داخل النفس ، تنحاز إلى القوة الذهنية غ : — حتماً تنحاز إليها

٤٤١

س : — أفستقله هي عن القوة الذهنية ؟ أو أنها مجرد تعديل ، بحيث يكون فى النفس قوتان (لا ثلاث متمايزة) هما القوة العقلية والقوة الشهوية ؟ أو أنه فى النفس كما فى الدولة ثلاث قوى متمايزة هي : المفكرة والمنفذة والمنتجة : يقابلها فى النفس ثلاث قوى ،

قوى العقل الثلاث

ثالثها الغضبية ، حليفة الذهن الطبيعية ما لم يفسد بناء النفس سوء التربية ؟

غ : — بالضرورة هي قوة ثالثة

س : — نعم إذا ثبت انها متميزة عن القوّة الذهنية ، كما رأينا أنها منفصلة عن القوة الشهوية تمام الانفصال

غ : — وليس ذلك بخاف عن النظر . لأن المرء يرى حتى في الأطفال أنهم منذ نعومة أظفارهم يتميزون غضباً ، مع أن بعضهم لم يبد فيه أقل أثر للقوة العقلية بعد . ولا يدركونها قبل مرور السنين الكثيرة . وفي رأيي ان بعضهم لن يدركها

س : — نعم نعم ، انك لمصيب ويمكن المرء أن يلاحظها أيضاً في البهائم ، ففيها ما تكلمت عنه . عدا ذلك فان البيت الذي أوردناه عن هوميروس وهو : فقرع الصدر وفي القلب ندم — قد أوضح بهذا البيت اختلافاً بين القوتين مبيناً أن القسم الذي يعرف الخير والشر يؤنب القسم الذي انغمس في الشر بدون تفكّر غ : أنت مصيب كل الاصابة

الدولة شخص كبير والفرد دولة صغيرة

س : — وأرانا قد بلغنا شط السلام ، ولو بعد جهد مبرح . وأيقنا يقيناً راسخاً بوجود مطابقة تامة بين أقسام الدولة وأقسام نفس الفرد غ : حقيق

س : — أفلا ينتج عن ذلك أن الأفراد يحسبون حكماء ، على القاعدة نفسها التي بها تحسب الدولة حكيمة ؟ غ : دون شك انهم يحسبون

فالفضيلة في الفرد كالفضيلة في الدولة

س : — وبهذه الصورة وهذا المبدإ ، الذي به يكون الفرد شجاعاً ، تكون الدولة كذلك ، وقس عليه الاعتبارات الأخرى ، فان نسبة النفس اليها كنسبة الدولة . وكل ما يفضي إلى وجود الفضيلة في الفرد يفضي إلى وجودها في الدولة غ : — ذلك لازم

س : — فيمكننا القول يا غلوكون ، أن الرجل عادل كما نقول أن الدولة عادلة

غ : — وبهذا تتفقان ضرورة

س : — فلم ننس أن ما يجعل الدولة عادلة هو التزام كل من أقسامها الثلاثة عمله

غ — : أظن اننا لم ننس

س : — فليرسخ في ذهن كل منا انهُ إذا أتمّ كل قسم من أقسام العقل عمله الخاص ، كان صاحبهُ بهذا الاعتبار ، إنساناً عادلاً ، عاملاً عملهُ الخاص

٤٤٢

غ : — حقاً يجب أن يرسخ ذلك في الذهن

الحكم للقوة الذهنية

س : — أفليس من الجوهري أن يكون الحكم في قبضة مملكة الذهن لكونها حكيمة ، فتقوم بتدبير مصالح النفس كلها ، وتكون مملكة الحماسة في النفس بمثابة حليفة ورعية ؟

غ : — نعم بالتأكيد

س : — أوَ ليس اقتران الموسيقى بالجمناز ، كما أسلفنا ، يقرن هذين القسمين — الذهن والحماسة — فيغذي الأول ويرقيه بالمحادثات العلمية السامية ، ويلطف الثاني ،

ويكسر حدَّتهُ بالخطاب اللطيف ، فيصير إلى الانس بعـد الوحشة بفعل اللحن والايقاع

غ : — حتماً هكذا

اذا أقبلت الحكمة أدبرت الشهوة

س : — واذا تدرَّب القسمان هكذا أتقنا دروسهما ، وحصلا على التهذيب الحقيقي ، وسادا القسم الشهوى الذى يؤلف الجانب الأكبر من نفس كل انسان ، وهو طبعاً الأشدّ نهماً ، وراقباه مراقبة مدققة لئلاً يعال بما نسميه « اللذات الجسدية » . فيزداد نمواً وقوة ، ويتعدَّى حدودهُ ويأبى أن يلزم عملهُ الخاص . ويطمح الى التسلُّط على الأقسام الأخرى سلطة مطلقة ، لا تجوز لهُ ، فيؤول ذلك الى دمار المجموع

غ : — حقًا ان ذلك يخرب كل قوى النفس

س : — أو لم يتأهَّبا — الذهن والغضب — أفضل تأهب ، لحراسة النفس والجسد ضد هجمات الأعداء الخارجيين ، فيمارس الواحد الشورى والثاني يخوض المعارك اطاعة للقوَّة الحاكمة ، مجهزاً بالشجاعة لانفاذ قرارها ؟ غ : — حقيق

الشجاعة في الفرد

س : — هكذا ندعو الفرد شجاعاً ، باعتبار العنصر الحماسى فى طبيعته ، حين يثبت هذا القسم فى الألم وفى السرور حسبما أملى عليه الذهن ، ما الذى يخشى وما الذى لا يخشى

غ : — نعم ، والصواب ندعوهُ شجاعاً

الحكمة في الفرد

س : — وندعوه حكيماً باعتبار القسم الصغير المتسلط فى نفسه ، الذى يملى هذه الارشادات ، وله العلم فى ما يفيد هذه الأقسام الثلاثة مفردة ومجموعة

غ : — بالتمام هكذا

العفاف في الفرد

س : — أو لا ندعو الانسان عفيفاً باعتبار تلاؤم هذه الأقسام والقوي واتزانها وائتلافها ؟ أى حين يتفق القسمان المحكومان مع القسم الحاكم حاسبين القسم العقلى صاحب الحق الملوكي ؟ غ : — ليس العفاف إلاَّ هكذا فى الفرد وفى الدولة

العدالة في الفرد

س : — وأخيراً يكون الانسان عادلاً بالطريقة والوسائل التى وصفناها تكراراً

غ : — لا شك فى كونه كذلك

س : — فقل لى ، هل وجدنا ، فى بحثنا فى العدالة ، فارقاً بينها فى الفرد وبينها فى الدولة ؟ غ : — لا أظن

س : — لأننا نقدر أن نجعل رأينا مبرماً بتطبيقنا الحكم العام عليه ، إذا كان فى عقولنا شكوك من هذا القبيل غ : — وأى نوع من الأمثلة تعني ؟

٤٤٣

س : — مثلاً : اذا طلب منا الرأى ، فى معرض الكلام على دولتنا المثلى والفرد الذى يماثلها طبعاً وتهذيباً ، هل تظن ان أمرءاً كهذا ينكر ما أودعهُ من ذهب أو فضة ، أو ان أحداً يحسب إنساناً كهذا أكثر تهافتاً على هذا العمل ممن لا يشاكلهُ

غ : — لا أحد يظن هذا الظن

العادل أمين وصادق

س : — أو لا يكون بريئاً من ريبة السرقة ، وانتهاك الحرَم ، وزيف الصداقة وخيانة الدولة ؟

غ : — يكون

س : — علاوة على ذلك لا ينكث عهداً ولا يحنث في وعد من الوعود

غ : — واضح انهُ كذلك

كل الفضائل هي فروع العدالة

س : — فهو أبعد الناس في الدنيا عن جريمة الزنى ، وعقوق الوالدين ، واهمال العبادة الإلهية غ : — حقيق انهُ أبعدهم

س : — أو ليس مرجع كل ذلك إلى ان كلّ قوة من قوى نفسه الداخلية تلزم عملها الخاص ، باعتبار العلاقات المتبادلة بين الحاكم والمحكوم ؟

غ : — يمكن ردّ كل ذلك إلى ما ذكرت

س : — أفلا تزال تبحث عن بيان آخر للعدالة غير انها ما ينشيء دولاً كهذه ورجالاً كهؤلاء ؟ غ : — كلاّ ، لن أبحث بعد

س : — فقد صحت أمنيّتنا كل الصحة ، وتحققت الأماني التي أبديناها في مستهلّ شروعنا في تأسيس الدولة ، والظاهر اننا كنا مقودين بعونٍ إلهي ، إلى نموذج العدالة الأصلي غ : — حقّا قد صحّ

اتباع الاستعداد الفطري

س : — والحقيقة يا غلوكون انهُ وصف غير أنيق للعدالة ، ولكنهُ نافع ، المبدأ القائل : خير للمرء الذي أعدّتهُ الطبيعة للسكافة أن يلزمها ، والرجل الذي أعدّتهُ للتجارة أن يلوذ بها ، وهلمّ جرّا غ : — هكذا يظهر

حقيقة العدالة بأجلى مظاهرها

س : — فحقيقة العدالة ، بأجلى مظاهرها ، هي ألصق بحياة الانسان الداخلية ، ومصالحه الجوهرية ، منها بمظاهر حياتهِ الخارجية ، وصورة عمله السطحية . فلا يدع العادل قواهُ الروحية تتجاوز حدود اختصاصها ، وتتدخل في اختصاص غيرها ، فتعمل عمل ذلك الغير ، بل يحسن ترتيب بيتهِ . وإذ هو سيد نفسه يعقل خلقهُ ليكون على أتم وئام مع نفسهِ ، ويجعل القوى الثلاث تعطي نغمة واحدة ، ارتفاعاً وانخفاضاً ووسطاً . وبعد قرن هذه معاً ، وردّ عناصر نفسهِ العديدة إلى وحدة حقيقية ، كانسان دمث متّزن يتقدم إلى عمله سواء كان ذلك في اجتناء الثروة ، أو في الحصول على حاجات الجسد . وسواء كان ذلك في مصالح الدولة أو في مصالحهِ الخاصة في كل ما يؤمن ويعترف ان المسلك الشريف هو ما يصون سجية العقل التي سلف ذكرها ويقويها . وان المعرفة الصحيحة التي تسيطر على تصرّف كهذا هي « الحكمة » . ومن الجهة الأخرى عندهُ عمل التعدي يعرّض الخلق للدمار . وان الرأي المجرّد المسيطر على التصرف الباطل هو حماقة

٤٤٤

غ : — كلامك غاية في الصواب

س : — حسناً جداً . فاذا قلنا اننا وجدنا الانسان العادل والدولة العادلة ، وحدّدنا العدالة فيهما ، فلا أرى اننا كاذبون

غ : — لا لعمري

س : — أفنقول ذلك إذاً ؟ غ : — نقول

س : — وفى الدرجة الثانية علينا أن نفحص التعدى لنرى ما هو

غ : — واضح انهُ علينا أن نفعل ذلك

س : — أفليس التعدى عبارة عن تنازع ناشب بين القوى الثلاث ، تنازعاً بهِ تتعدّى هـذه القوى حدودها ، وتتدخل فى ما ليس من اختصاصها ؟ أو عبارة عن قيام قسم من العقل ضد مجموعهِ ، رامياً إلى الاستئثار بالحكم خارج حدود اختصاصهِ ، بعد ما كان على ذلك القسم أن يخدم بقية القوى ، ويخضع للقوة الحاكمة خضوعاً صحيحاً . وأرى أن ندعو هذا وما ينجم عنه من الضوضاء والتشويش تعدياً ، وفجوراً ، وجبانة ، وحماقة ، وبالاختصار « رذيلة » غ : — حتماً هكذا

التعدى نقيض العدالة

س : أفلم نبين بوضوح ماهية التعدي ، ومن المتعدي ؟ ومن جهة أخرى ماهية العدالة ، فاهمين طبيعة كل من العدالة والتعدي ؟ غ : — وكيف ذلك

س : — لأن هذه الظاهرة فى النفس كظاهرة الصحة والمرض فى الجسم

غ : — وبأية طريقة ؟

س : — القواعد الصحية تصون الصحة ، وأسباب الأمراض تسبب مرضاً

غ : — نعم

النواميس الجسدية والروحية متماثلة

س : — وعليه . أفلا تنشىء ممارسة العدالة سجيّة العدل فى النفس ، ومزاولة التعدي سجيّة البطل ؟ غ : — دون تخلف

س : — فيقوم انشاء الصحة بتنظيم قوى الجسد ، بحيث تسود أو تساد حسب مقتضى الطبع . ويجعل المرض القوى تسود أو تساد بخلاف مقتضى الطبع غ : — حقيق

س : — وبالمثل ، أليست ثمرة العدالة تنظيم قوى النفس فتسود أو تساد حسب حكم الطبيعة ، وثمرة التعدي جعل قوى النفس تسود أو تساد خلاف حكم الطبيعة ؟

غ : — تماماً هكذا

س : — فالفضيلة صحة النفس وجمالها وسجيتها الصالحة . والرذيلة داؤها وتشويهها وفسادها غ : — حقيق

الفضيلة جمال النفس

س : — أو لا يمكننا أن نضيف إلى ذلك ان السعي الحميد يؤدي إلى طلب الفضيلة والسعي الذميم إلى الانغماس فى الرذيلة غ : — بلا شك

المساعى الحميدة

٤٤٥ س : — فالظاهر انه بقي علينا أن ننظر فى هل « يفيد » المرء أن يعمل بعدل ، ويتبع

المقاصد الشريفة ويكون عادلاً ، عُرف ذلك عند الناس أو لم يعرف — أو أن يعمل التعدى ويكون متعديًا ، إذا لم يعاقبْ ولم يصلحهُ التأديب

العدالة هى باب السلامة والحياة

غ : — لا يا سقراط . أرى البحث يتدانى ، بعدما ظهرت لنا طبيعة العدالة والتعدى ، بالنور الذى سبق بيانه . أو يحسب الناس أن للحياة قيمة وقد تهدمت أركان الصحة ، ولو توافرت أنواع الطعام والشراب والثروة والقوة بلا حد ولا نهاية ؟ وهل للحياة من قيمة فى عيوننا ، وقد فسد نظام نحيا به فساداً كليًا ؟ فليعمل المرء ما تهوى النفس . يستثنى من ذلك ما يحرره من الرذيلة والتعدى ، ويخوله طلب العدالة والفضيلة ، وادراك حقيقة الأشياء التى مثلناها

س : — نعم يتدانى ، وإذ قد بلغنا هذه النقطة فلا يضطرب قلبنا حتى تتأكد أوضح تأكد ممكن من صحة تتائجنا غ : — كل شىء ولا اضطراب القلب

س : — فلننظر كم هي أنواع الرذيلة . أعنى الأنواع التى تستحق الذكر

غ : — قل كم هى فانى أتبعك

س : — أما وقد بلغنا هذه القمة فى المحاورة فانى أستطيع أن أرسل نظرى من علٍّ فأرى للفضيلة شكلاً واحداً لا غير . أما صور الرذيلة فلا تحصى . أخص منها بالذكر أربعة

غ : — ماذا تقول ؟

س : — يظهر انهُ يوجد صور للعقل بعدد أنواع الحكومة غ : — وكم عددها ؟

س : — أنواع الحكومات خمسة وصفات النفس خمس غ : — افصح

س : — أولها التى أتينا على وصفها . ويمكن أن نطلق عليها اسمين مختلفين . لأنها ملكية اذا حكم الفرد ، وارستقراطية اذا تعدد الحاكمون غ : — حقًا

أنواع الحكومات

س : — ويندمج كلاهما فى صفٍّ واحد . لأنهُ سواء توحّد مرجع السلطة أو تعدد فشرائع الدولة الرئيسية لا تتزعزع ، اذا كان تهذيب الحكام وتدريبهم كما وصفناه

غ : — حقًا لا تتزعزع

الكتاب الخامس

المسألة الجنسية

خلاصته

لما وصل سقراط إلى هذه النقطة — المذكورة فى ختام الكتاب الرابع — تقدم لوصف التنظيم السياسى . فقاطعهُ بوليمارخس وأديمنتس ، بالاتفاق مع سائر الحضور ، ملتمسين منه بسط الكلام فى « شيوعية النساء والأولاد » ، التى كان قد ذكرها مختصراً . فقبل التماسهم بعد تردد كثير

فهو يذهب إلى وجوب تهذيب النساء وتدريبهن كالرجال تماماً . لأن المرأة تقدر أن تتقن فن الموسيقى والجمناز كالرجال . وفيها ما فيه من الكفاءة لمختلف الأعمال — وينحصر الفرق بين الجنسين فى الدرجة دون النوع ، وسببه ضعفها اذا قيست بالرجل . فالنساء اللائى يبدين ميلاً إلى الفلسفة أو الحرب يجب أن يصحبن الحكام أو المساعدين ، ويشاركنهم فى واجباتهم ، ويصرن أزواجاً لهم . ويجب أن تكون علاقات الجنسين المتبادلة تحت مراقبة القضاة ، وأن تبارك باجراء المراسم الدينية . ويفصل الأولاد عن والديهم ، ويربون فى معاهد خاصة تنشئها الحكومة . فبهذه الوسيلة وحدها يمكن الحكام ومساعديهم أن يتحرروا من كل ميل للملكية ، ويرغبوا فى الاشتراك بالمصلحة التى تضم الفئتين معاً ، وتقرن أفرادها بعضهم ببعض

ثم تقدم سقراط لسن القوانين لانتظام الاولاد الباكر فى سلك الحربية ، والقوانين المتعلقة بمعاملة الجبناء والشجعان ، وسلب القتلى ، وتشييد الأنصاب . هنا سأله أديمنتس مع تسليمه بأن شيوعية النساء والأولاد مستحبة باعتبارات كثيرة ، أن يبين هل يستطاع تطبيق تلك النظم ؟ فأجابهُ سقراط ان غرضه الخاص تبيان نظام الدولة الكاملة سعياً وراء الغرض المقصود منها ، وهو اكتشاف طبيعة العدالة . أما إمكان انشاء دولة كهذه بالفعل فهى مسألة أخرى ، ليس لها أقل أثر فى سلامة النظام وصحة نتائجه . وكل ما يصح أن يطلب منه هو أن يبين كيف يمكن الهيئات الناقصة الحاكمة حالياً ، أن تبلغ أقرب نقطة ممكنة الى مدى السياسة الكاملة التى مر وصفها

وهنالك انقلاب واحد لا بد منه لتحقيق هذا الغرض وهو تسليم مقاليد السياسة

إلى الفلاسفة . وللتخلص مما يلابس ذلك من وجوه المقاومة يلزم أن نلوى عنان البحث إلى تحديد الفيلسوف الحقيقى

أولاً : الفيلسوف الحقيقى هو المغرم ، كلّ الغرام ، بالحكمة فى كل فروعها . وعلينا أن نميّز فى هذا الموقف ، أدق تمييز ، بين الفيلسوف الحقيقى وبين المدعى حب الفلسفة تدجيلاً . وتستقر نقطة الفرق بينهما فى أن الدجال يكتفى بدرس الموضوعات الجميلة مثلاً . أما الفيلسوف الحقيقى فلا يقف عند ذلك الحد ، بل يتجاوزه إلى إدراك الجمال المطلق . ويمكن وصف حال الأول العقلى بأنه « تصوُّر » ، وحال الثانى انه « معرفة حقيقية » أو « علم » . فهنالك الوجود الحقيقى الذى يتناوله العلم ، واللاوجود ، أو العدم ، الذى نسبته إلى الجهل نسبة الوجود الحقيقى إلى العلم . ويتوسط بين العلم وبين الجهل التصوُّر . فنستنتج أن التصور يتناول الوجود الظاهرى . فالذين يدرسون الوجود الحقيقى يدعون محبى الحكمة أو « فلاسفة » والذين يدرسون الوجود الظاهرى يدعون محبي التصور ، لا فلاسفة

متن الكتاب

قال سقراط : — هذه هى الدولة ، أو النظام ، وهذا هو الفرد ، وقد وصفناهما بالاصابة والصلاح . فاذا كانا صواباً فكل ما سواهما خطأ وردىء . فنطلق هذه الأوصاف على تنظيم الدول ، وتكوين خلق الأفراد . ويمكن ردّ الأنواع الردية إلى أربع صور

غلوكون : — وما هى تلك الصور ؟

قال سقراط : — وفيما أنا أتأهب لايرادها بالترتيب ، كما لاحت لى الواحدة تلو الأخرى ، مد بوليمارخس يده ، وأمسك بثوب اديمنتس عند الكتف ، إذ كان جالساً وراءه ، وهمس فى أذنه بضع كلمات ، لم نسمع منها سوى قوله : أفندعه إذاً يفلت ، أم ماذا تفعل ؟ فأجابه اديمنتس بصوت جوهرى : — كلا البتة . فقلت لهما : — فمن الذى لن تدعوه يفلت؟ أجاب اديمنتس، هو أنت يا سقراط

سقراط : — ولماذا ؟

اديمنتس : — لأنه يلوح لنا انك تحجم ، ضارباً على جانب مهم من الحديث ، رغبة فى التخلص من إيراده . ونراك واهماً اننا لا ننتبه إلى تجاوزك عنه ، مكتفياً باشارة طفيفة إليه ، فحواها ان القاعدة القائلة ان « كل شىء مشاع بين الأصحاب » يمكن تطبيقها على النساء والأولاد

شيوعية النساء والاولاد

س : — أفلست مصيباً فى ذلك ؟

اد : — بلى . على أن كلمة « مصيباً » — كباقى الكلمات ، تفتقر إلى الأيضاح . فيلزم أن نعرف بأي الطرق العديدة الممكنة تطبَّق هذه الشيوعية . فلا تتأخر عن افادتنا ما هى الطرق التى تقترحها . فلطالما توقعنا انك تعين الحالات التى بهـا يولد الأطفال ، وطريقة تربيتهم بعد ولادتهم ، وبالاحرى أن تصف شيوعية النساء والأولاد التى تعنيها وصفاً تامـاً . لاننا نرى أن لتطبيق هذه النظرية ، خطأً كانت أو صواباً ، علاقة كبيرة بحيـاة الدولة ، والآن وقد لويت عنـان البحث نحو نوع آخر من أنواع الحكومات ، قبلما توفّـي هذه النقطة حقها من البحث ، رأينا من المناسب ما سمعتنا تقوله : أن لا ندعك تفلت قبلما تأتى على تبيان هذه الأشياء تبياناً تامـاً ، كما ابنت غيرها :

٤٥٠

غلوكون : — وأنا اؤيد طلبه

ثراسيماخس : — ويمكنك ، يا سقراط ، أن تعتبرنا مجمعين على هذا القرار

صعوبة الامر

سقراط : — ما أعظم المسألة التى تتوخون طرقها ، كأننا نبدأ من جـــديد فى انشاء الدولة . ولو اكتفيتم بما قيل ، وطويتم كشحاً عن هذه النقاط ، لـكان سروري عظيماً ، فقلما أدرك خيالـكم أى عدد من المسائل تثيرون بفتحكم أبواب هـــذه المواضيع . وقد سبقت فرأيت ذلك ، فتجاوزته لئلا يؤدى بنا إلى اضطراب لا حد له

ثراسيماخس : — افتظن اننا لسبك الذهب (١) حضرنا وليس للبحث الفلسفي ؟

س : — نعم ، ولـكن الى حد معقول

مجال المسألة

غلوكون : — حقاً يا سقراط ان الشعب يرى ان الحياة كلها هي الحد المعقول لابحاث كهذه . فلا يهمك أمرنا ، ولا يثقل عليك سرد آرائك لنا فى المواضيع التى سألناك بيانها . أن ماهية شيوع النساء والأولاد بين حكامنا ، وتربية الأطفال بين المهد والمدرسة ، وهى أعسر أوقات الحياة وأوفرها مشقة . فأبن لنا على أى مبدأ يتمّ ذلك ؟

س : — ليس من الهنات الهينات ، يا صديقى البارع ، البحث فى هذه القضية أولاً لأن إبراز خطتنا إلى حيز الفعل أمر لا يصدّق . وهي اعوص ما طرقنا من الابحاث — ثانياً : إذا فرضنا امـكان تطبيقها إلى حد التمّـــام فهنالك عراقيل وريَب فى كونها مستحبَّة . لذلك احجم عن مسّ هـــذا الموضوع ، حذراً من أن اظهر يا صديقي العزيز ، انى اطرق بحثاً خيالياً

غ : — لا تحجم ، فليس سامعون بلداء ، ولا جاحدين ، ولا خصوماً

س : — افتشجيعاً تقول ذلك لي يا صديقي الفاضل ؟ غ : — نعم

(١) اجمع شراح افلاطون على ان المراد بهذه العبارة هو « هل حضرنا لنفشل في ما ننشده » (ادفيس غوفان)

٤٥١ احتساب الحكماء

س : — فاسمح لي أن أقول ان لكلامك اثراً يناقض ما تتوقع . فلو اني أثق اني فاهم ما أقول لأصاب تشجيعك مرماهُ . لأن التحدُّث في أهم الموضوعات وأجلها شأناً ، في جمهور من العقلاء ، عمل سليم العاقبة اذا كان المتكلم مالكاً ناصية موضوعه . أما انه يتناول البحث في مذهب وهو لا يزال باحثاً متردداً فيه — كما ينتظر ان أفعل الآن ، فعمل كثير المهاوي ويحملني على الوجوم لا خوفاً من تعرضي للازدراء — ذلك أمر صبياني — ولكن خشية من أن تزل قدمي عن الحقيقة فاسقط واجرُّ اصدقائي ، معي في ميدان يخشى فيه السقوط . فاضرع ، أن لا توقع بي الالاهة نماسيس يا غلوكون فيما أقول . لاني أعتقد اعتقاداً راسخاً ان قتل رجل سهواً هو جرم أقلُّ من خديعته في ما يتعلق بالنظم الشريفة والصالحة والعادلة . واقتحام هـذا الخطر بين الاعداء أقل أساءة منهُ بين الأصحاب . فمن حسن حظك العروج عن هذا التشجيع

غلوكون — ضاحكاً — : دمُنا ليس على رأسك ، اذا أضرَّ بنا رأيك يا سقراط . فاننا نبرئك من تهمة خديعتنا ، فقل غير هيَّاب

س : — قال الشرع « ان من برأته المحكمة من ذنبه كان بريئاً في العالم الثاني » . فالأرجح انه يكون بريئاً في هذا العالم غ : — حسناً . فلا يثنينَّ عزيمتك هذا الخوف

س : — فعليَّ أن ارجع إلى قسم من موضوعنا ، كان يجب ان ابحث فيه قبلاً في موضعه المناسب . وعلى كلٍّ فالترتيب الحالي هو الأفضل . فبعد ما مثلنا دور الرجال نشرع في تمثيل دور النساء ، ولا سيما وهذا طلبكم

ان الخطة المثلى لهم في مذهبي في أمر اقتناء الأزواج والاولاد للرجال الذين ولدوا وتربوا على الصورة التي مرَّ بك وصفها ، تقوم في اتباعهم الدوافع الأصلية التي ابلغناهم اياها . وكان غرض نظريتنا في ما أعتقد ان نجعل رجالنا كرعاة قطيع غ : — نعم

س : — فلنتبع هـذا السبيل ، فنسن قوانين تماثل تلك ، لتكثير النوع ، وتربية الصغار . ودعنا ننظر في هل تلك القوانين مناسبة او لا غ : — ماذا تعني ؟

زوجات الكلاب الحارسة القطيع

س : — ذلك ما اعني : أتظن أن زوجات كلاب الرعاة صالحة لمشاطرة ذكورها حراسة القطيع ، والصيد ، ومشاركتها في كل واجباتها ؟ أو انهـا يجب أن تلزم أماكنها لانها غير قادرة ، لاشتغالها بولادة الاجرية وتربيتها ، وان على الذكور العمل والسهر

غ : — نتنظر انها تشاطر الذكور كل شيء ، إنما نعاملها معاملة الضعيف ، وذكورها معاملة القوي

س : — أفيمكن استخدام الحيوانات في عمل واحد ما لم تستعدَّ له استعداداً واحداً تدريباً وتهذيباً ؟ غ : — كلاَّ

٤٥٢

س : — فاذا رمنا استخدام النساء في عمل الرجال وجب تهذيبهنَّ كالرجال

غ : — وجب

تدريب النساء كالرجال

س : — وقد خوّلنا الرجال تعلُّم الموسيقى والجمناز غ : — نعم

س : — فيجب تهذيبهنّ فى الفنّين كالرجال، مع التدريب العسكرى ، ومعاملتهنّ معاملة الرجال غ : — ذلك ينتج طبعاً عما قلته

س : — وقد يلوح كثيرٌ من تفاصيل القضية التى أمامنا سخيفاً ، فوق العادة ، إذا طُبقت فى الطريقة التى رسمناها غ : — هكذا تلوح دون شك

تدريبهن الرياضي والحربى

س : — فأى هذه الأمور أبعث على السخرية ؟ أليس هو اشتراك النساء مع الذكور فى مدارس الرياضة عاريات الأبدان ، فتيات وطاعنات فى السن — كالطاعنين فى السن من الرجال في مدارس الجمناز — مولعات بالتمارين الرياضية ، بالرغم من تغضن اساريرهن ، وشناعة وجوههن ؟ غ : — بلى في الوقت الحاضر يظهرن مزدرًى بهنّ

س : — حسناً وإذا قد طرقنا هذا الباب فلا نخشينّ صور التهكم الجمة من جانب الرجال المعتبرين ، ازاء بدعة كهذه فى الجمناز والموسيقى . زد على ذلك تقلدهنّ السلاح ، وركوبهنّ الخيل غ : أصبت

الغرابة في البداءة

س : — وبالعكس . إذ بدأنا هذا البحث فلنتقدّم إلى أشد مطالب قانوننا ، راجين اولئك الهازئين أن يعرجوا عن ديدنهم ، ويأخذوا الأمر بعين الجد والترصّن ونذكّرهم انهُ الى عهد غير بعيد ، كان تعري الرجال عيباً وهزءًا عند اليونانيين ، كما هو اليوم عند أكثر البرابرة . ولما بدأ الكريتيون فاللقدمونيون بالتمارين الرياضية هزأ بهم مزّاح عصرهم ، واتخذوهم موضوع تسلية لهم . ألا تظن كذلك ؟ غ : — أظن

لا عيب في ما ينفع

س : — ولما أثبت الاختبار أن تجريد الجسم خير من ستره ، وولّى التأثير السحري الذى كان لتلك العادة فى النظر ، أمام الحجج القاطعة التى أيّدت فائدتهُ ، فحينذاك ثبت ان من يحتقر إلاّ الرذيلة ، ومن يهزأ بغير الشر والجنون ، فهو أحمق . وكذلك من يترصّن ويجدّ في غير ما هو صالح غ : — بأعظم تأكيد

٤٥٣

مقدرة الانثى

س : — أفلا يجب أن نتفق في هل القوانين المطروحة للبحث ممكنة الاجراء أو لا ؟ ونفسح مجالاً لكل واحد ، هازئاً كان أو جاداً ، للبحث فى هذه المسألة : هل تمكّن الأنثى طبيعتها من مشاطرة الذكور أعمالهم ، أو انها غير كفؤ لشيء من أعمال الذكور ، أو انها كفؤ لبعض الأعمال ، دون البعض الآخر ؟ واذا كان الأمر كذلك ففي أي صف نضع الاعمال الحربية ؟ أليس ذلك أفضل بداءة نختارها ، وقد تكون أفضل نهاية ؟

غ : — تماماً هكذا

س : — أفتريد أن ندخل البحث ، بعضنا ضد البعض الآخر ، كي لا يبقى الوجه السلبي بدون دفاع أمام هجومنا ؟ غ : — لا سبب يمنعنا من ذلك

تمثيل مباحثة من ينكر اشتراكهن مع الرجال في الاعمال

س : — فلنقل بالنيابة عن الخصم : — « لا لزوم يا سقراط ويا غلوكون ، لتقديم الآخرين شيئاً ضدكم . لأنكم أنتم أنفسكم ، في بدء سعيكم في تأسيس الدولة ، سلمتم بأنه يجب أن يختص كل فرد من الناس بعمل واحد ، حسب استعداده الطبيعي »

— قررنا ذلك فلا يمكننا مخالفته

— « أفيمكنك أن تنكر وجود فرق كبير بين طبيعة الذكر وطبيعة الأنثى » ؟

— من المؤكد انه يوجد فرق

— « أفليس من الحزم تخصيص كل جنس بنوع من العمل يتفق مع طبيعته » ؟

— دون شك

— « فأنتم ، اذاً ، مخطئون . وقد ناقضتم أنفسكم بتحتيمكم عملاً واحداً على الرجال والنساء مع اختلافهن في الاستعداد » .

فهل عندك من دفاع يا صديق النبيه ؟

غ : — ليس من السهل الاجابة فوراً . ولكني سأفوضك ، بل افوضك الآن ، في اقامة الأدلة على صحة مذهبنا ، وفي شرحها لنا

صعوبة القضية

س : — ذلك يا غلوكون ، وكثير من أمثاله سبقت فرأيته . لذلك خشيت التدخل في أمر اقتناء الأزواج والأولاد ، وتربية الأطفال　　غ : — حقاً ان ذلك ليس سهلاً

س : — كلا . وواقع الحال هو انك اذا ألقيت في بحيرة صغيرة أو في البحر الخضم ، فعليك أن تجتهد في السباحة في الموضعين على السواء　　غ : — تماماً

س : — أفلا يجب أن نسبح للنجاة من هذا العباب ، حتى يقيض لنا دلفين آخر (١) يحملنا على ظهره الى شط الأمان ، أو تتسنى لنا وسيلة غير منتظرة　　غ : — هكذا يظهر

س : — فهلم ننظر هل يمكننا أن نجد منفذاً الى النجاة ؟ فقد سلمنا ان طبائعهن تختلف عن طبائعهم ، ومع ذلك أوجبنا على الفريقين أعمالاً واحدة . أفهذه هي الشكوى ضدنا ؟

٤٥٤

غ : — يقيناً

س : — ان فن التناقض خارق الحد يا غلوكون　　غ : — وكيف ذلك ؟

خطأ التحامل

س : — لأنه يظهر لي ان كثيرين يسقطون فيه ، ضد ارادتهم . وهم يزعمون انهم يبحثون ، مع انهم يتجادلون ، ولا يقدرون أن يفهموا حدود مسألة واحدة من مسائل أبحاثهم . فيقتصرون على مقاومة ما تقرر ، بهاجمة الألفاظ ، مستخدمين فن الجدل في البحث الفلسفي　　غ : — حقاً ان هذا هو الواقع . أفينطبق علينا أيضاً الآن ؟

س : — ينطبق أدق الانطباق ، وظاهرة الحال تدل على اننا سقطنا في هوة التناقض اللفظي غير متعمدين　　غ : — وكيف ذلك ؟

(١) الاشارة الى اسطورة اريون ، هيروديتس : ١٤

شرك الالفاظ

س : — اننا أعرنا حرف العقيدة شأناً خطيراً ، في أنهُ لا يجوز فرض أعمالٍ واحدة لطبائع مختلفة . وبأوضح تعبير اننا نسينا كل النسيان معنى الكلمات : « طبائع مختلفة » و « طبيعة واحدة » . وماذا قصدنا بتخصصٍ مختلف الأعمال بمختلف الطبائع : وأعمالاً واحدة بطبيعة واحدة غ : — حقاً إننا لم ننتبه إلى ذلك

س : ففي وسعنا ، والحالة هذه ، أن نسأل : أسيان طبيعتا الصلع والمسترسلي الشعر أم مختلفتان ؟ وبعد أن تتفق في أنهما مختلفتان تتقدم للسؤال التالي : اذا صنع الصلع أحذية فهل يؤذن لمسترسلي الشعر أن يصنعوا أحذية كذلك ؟ واذا صنع هؤلاء أحذية أفنحظر صنعها على أولئك ؟ غ : — انها مسألة سخيفة

س : — وهل سخافتها إلاّ في عدم استعمالنا الكلمة « واحدة » و « مختلفة » باعتبار عام ، وقوفاً عند أمر التباين والتشابه المتجهين رأساً إلى الأعمال التي نحن في صددها ؟ مثلاً قلنا ان رجلين فيهما ميل عقلي إلى فن الطب لهما طبيعة واحدة . ألا تظن هكذا ؟

غ : — أظن

س : — ولكن الانسان الميال إلى الطب يختلف عن الميال إلى التجارة

غ : — معلوم انهُ يختلف

لا يستلزم توزيع الاعمال اختلاف الكفاءة

س : — كذلك طبائع الرجال والنساء ، إذا بدت لنا مختلفة باعتبار فن . أو وظيفة ، قلنا انه يجب أن يناط هذا العمل بأحدهما . ولكنا إذا وجدنا ان الاختلاف بين الجنسين مختص بالأقسام التي يشغلونها في النسل ، علمنا أن اختلافهما لا يتعارض مع مقصدنا . بل ، على الضد من ذلك ، يجب أن يتقلد حكامنا ونساؤهم أعمالاً واحده غ : — بالصواب تكلمت

٤٥٥

س : — أفلا نتقدم فنطلب من خصومنا أن يرشدونا إلى ما هو الفن أو الدرس الخاص المتعلق بتنظيم الدولة الذي لا يتساوى فيهِ الرجال والنساء ، بل هما فيهِ ضدان ؟

غ :. — حقاً اننا مفوضون أن نفعل ذلك

س : — وقد يورد آخرون ما قلته الساعة : ليس من السهل اجابة ذلك فوراً اجابة وافية ، وان الاجابة بعد التأمل غير متعسرة

غ : — حقاً انها غير متعسرة

س : — أفتريد أن نرجو من يثيرون اعتراضاً من هذا القبيل أن يصحبونا لنرى ، هل نقدر أن نريهم انه ليس في أعمال ادارة الدولة عمل يختصُّ بالنساء

غ : — من كل بد أريد

التباين العقلي في الجنس الواحد

س : — فنقول له ما يأتي : أجب يا هذا ، أليس ما تعنيه ، لما قلت ان رجلاً من الرجال مفطور على موهبة خاصة لدرس خاص وان رجلاً آخر خال منها ، وان الأول يتعلم بسهولة والآخر بصعوبة ؟ وان الأول يفهم ما قرأه لنفسه بقليل ارشاد . أما الآخر

فبالرغم من وافر الارشاد وعظيم العناية لا يستقر العلم فى عقله ، وان عقل الواحد حصل على المساعدة اللازمة ، والآخر خانته قوى الجسد ؟ أليست هذه هى الفوارق الوحيدة التى بها تحد امتلاك المواهب الطبيعية ولزومها لكل عمل ؟

غ : — كل واحد يقول هذا القول

اختلاف الاميال صناعياً

س : — أفتعرف فرعاً صناعيًا ليست النساء فيه دون الرجال ؟ وهل يلزم أن نخطو خطوة أخرى فنذكر فن النسج ، وصنع الكعك ، وحفظ المأكولات التى يفقن بها الرجال ، حتى ان تقصيرهن فيها مستغرب ؟

غ : — بالصواب أجبت . انه على العموم يفوق أحد الجنسين أخاهُ الجنس الآخر ، فى بعض الأشياء . وان كثيرات منهن يفقن كثيرين منهم فى أمور كثيرة . ولكن الحكم العام هو ما قلتَهُ أنت

لا دخل للشخصيات في الجنسيات

س : — فليس فى الأعمال المتعلقة بادارة الدولة ، أيها الصديق ، ما يختص بالمرأة كامرأة ، أو بالرجل كرجل ، ولكنها مواهب موزعة على أفراد الجنسين سواء بسواء . فالمرأة باعتبار جبلتها صالحة لكل عمل كالرجل ، مع انها أضعف منه بوجهٍ عام فى الأعمال على كل حال غ : — حتماً هكذا

س : — أفنخص الرجل بكل الأعمال ولا نترك للمرأة عملاً ؟

غ : — وكيف يمكننا ذلك ؟

س : — وبالعكس ، نرى إحداهنّ ميالة إلى الطب ، والأخرى خالية من ذلك الميل ، وإحداهن موسيقية الميل دون أختها غ : — دون شك

٤٥٦

س : — أو لا تقول أيضًا ان إحداهن مجهزة بصفات تؤهلها للرياضة والحرب ، وغيرها لا تميل إلى الحرب ، ولا ذوق لها فى الألعاب الرياضية ؟

غ : — أظن اننا نقول ذلك

مؤهلات المناصب الشخصية

س : — أو لا يمكن أن تمتلك إحداهن حبّ المعرفة ، وأختها كره المعرفة ؟ وان تكون إحداهن حماسية دون أختها ؟ غ : — وهذا أيضًا حق

س : — وعليه ، فبعضهن صالحات لمنصة الحكم ، دون البعض الآخر . أو ليست هذه هى الأوصاف التى اخترناها دليلاً على جدارة الرجال بذلك المنصب ؟

غ : — بلى هذه هى

يصلحن للحكم كالرجال

س : — فلا فرق إذاً بين طبائع الرجال وطبائع النساء ، باعتبار حكم الدولة . إنما هو تفاوت بينهما فى الدرجة قوة وضعفاً غ : — واضح انه لا فرق بينهما

س : — فنختار ربات الجدارة لمساكنة أربابها ، ومشاركتهم فى الأحكام ، لأنهن أكفاء فى الادارة ، وهنّ نسيبات الرجال فى الطباع غ : — تماماً

س : — أو لا ننيط العمل الواحد بالطبائع الواحدة ؟ غ : — ننيطه
س : — فقد انتهينا الآن إلى مركزنا السابق ، وسلمنا إنه لا ينافى الطبع إباحة الموسيقى والجمناز لأزواج حكامنا
غ : — حتماً هكذا

التشريع العملى

س : — فليس تشريعنا هذا خياليًّا غير عملى ، ما دام منطبقاً على حكم الطبيعة . بل بالحرى أن تصرفنا الحالى الذى يخالف تشريعنا الجديد ، يخالف الطبيعة أيضا
غ : — هكذا يظهر
س : — فمدار بحثنا هو هل النظام المقترح عملى أو لا ، وهل هو المرغوب فيه أو لا ، أليس مدار هذا بحثنا ؟ غ : — بلى
س : — أمتفقون نحن في أنه عملى ؟ غ : — نعم
س : — فالنقطة الثانية التى نبتّها هى أن هذا النظام هو النظام المرغوب فيه
غ : — نعم واضح
س : — جيداً . فاذا كانت المسألة كيف نؤهل المرأة للحكم . أفلا نجعل تهذيبها خلاف تهذيب الرجل ، ولا سيما والفطرة التى نهذبها فيهما واحدة
غ : — كلا بل يكون تهذيب الفريقين واحداً
س : — وأروم أن أعرف رأيك فى الفكرة التالية غ : — وما هى ؟
س : — على أىّ أساس تفاضلُ بين رجل وآخر ؟ أو هل تراهم جميعاً أكفاء ؟
غ : — لست أفاضل بينهم

الحكام أرقى الطبقات

س : — فأى الطبقتين ، فى دولتنا المثلى نراها أفضل — طبقة الحكام المهذبين كما وصفناها أم الأساكفة المعدين للسكافة ؟ غ : — السؤال سخيف
س : — قد فهمتك . أفليس حكامنا أفضل الرجال ؟ غ : — أفضل كثيراً
س : — أفلا تكون حاكماتنا فضليات النساء ؟ غ : — يكنّ
س : — وهل أفضل للدولة من اشتمالها على أفاضل الرجال وفضليات النساء ؟
غ : — لا أفضل من ذلك

٤٥٧

س : — أوَ يمكن الحصول على هذه النتيجة بواسطة الموسيقى والجمناز المستعملين على ما ابناهُ غ : — بلا شك

لا عبرة فى حكم الجاهل

س : — فيجب أن تتعرى أزواج حكامنا فى تمرينات الجمناز . لأنهن يستترنَ ببرد الفضيلة بدلاً من الثياب ، ويشاطرن الرجال الحرب ، والأعمال التى يشتمل عليها حكم الدولة ، دون غيرها من الأعمال . على اننا نخصهنّ بأخف الواجبات بسبب ضعفهن الجنسى . أما هزء الرجال بهن بسبب تعريهن من الثياب ، فى أثناء التمرينات الرياضية

اللازمة لادراكهنَّ التهذيب العالى ، فلا يجنى صاحبه « إلا ثمرة الحكمة غير الناضج »(١) وهو لا يدرى على ما يضحك ، ولا ما يفعل . فانه كان ولا يزال مبدأ سامياً القول : « ان المفيد شريف والضار دنيء » غ : — بكل تأكيد

س : — فقد عبرنا ما ادعوه العقبة الأولى ، التى كانت تعترض سبيلنا في البحث في شريعة النساء . فبدلاً من أن نحمَل بالكلية بتيار القول ان الواجب على الذكور والاناث أن يكون لهم كل شيء مشتركاً ، ينحصر بحثنا في امكان ذلك وايثاره

غ : — نعم وليست العقبة التى عبرتها بهيّنة

س : — على انك لن تقول انها كؤود متى رأيت ما بعدها

غ : — كمل كلامك لأراها

س : — في الشريعة الأخيرة ، وفي التى قبلها عقبة أخرى من هذا القبيل

غ : — وما هي؟

شيوع نساء الحكام وأولادهم

س : — أن تكون أولئك النساء بلا استثناء أزواجاً مشاعاً(٢) لأولئك الحكام . فلا يخص أحدهم نفسه باحداهنَّ . وكذلك أولادهم يكونون مشاعاً، فلا يعرف والد ولده ولا ولد والده غ : — هذه الشريعة أكثر مما قبلها مثاراً للشك في تطبيقها وفي فائدتها

س : — أما من جهة فائدتها فلا أظن ان أحداً يمكنه أن ينكر ان شيوعية النساء ومن يلدنا ، جمة الفوائد . اللهم اذا كان تطبيقها ممكناً . على انى اتوقع أعظم مقاومة في تطبيقها بالفعل

غ : — في الأمرين كليهما ، فائدتها وتطبيقها ، مجال واسع للجدال

س : — لا بدَّ أن يكون هذان الأمران محطاً للنزاع ، وانى أعدو هارباً من احدها ، اذا وافقتنى في فائدة الفكرة وانحصر بحثي في امكان تحقيقها

غ : — على انك لم تتخلّص من النقد ، فاننا نتوقّع منك شرح الامرين

٤٥٨

فرض المكن حاصلا تسهيلا للبحث

س : — وعليَّ أن أخضع للعدالة ، فقط اذا جدتم عليَّ بهذا المبغى ، وهو أن تسمحوا لي بيوم راحة ، كالبطيئى الأفهام ، الذين تختمر فكرتهم في وحدتهم . فأناس كهؤلاء كما لا يخفى ، يهملون البحث في امكان حصول ما يرغبون فيه ، أو استحالة حصوله ، قبل ما يكتشفونه ، تجنباً للتعب فى التفكير . فيفرضون انهم حصلوا عليه أو يتقدمون الى النظر في سائر أقسام الموضوع . فيروقهم الاسراع فى ما يرغبون أن يعملوا في الأحوال التى عينوها ، مغالين في التراخي والاستهتار . فأنحو نحوهم ، راغباً فى خطة الكسل وفى تأجيل البحث في امكان حصول هذه الأمور . على اني أفرض الآن انهُ ممكن . وابحث اذا اذنت لي فى كيفية تصرُّف حكامنا حين انفاذ قانوننا ، لكي يبينوا انهُ أنفع اسلوب

(١) أورد هذا القول ستوريوس عن بندر (٢) نورد كلام أفلاطون على مسؤوليته

للدولة والحكام : فابحث بحثاً مدققاً ، ثم أتقدم الى حل المسألة الأخرى اذا كنت تشاء

غ : — انى أسمح لك فتقدّم

س : — أظن انهُ حين يكوي حكامنا ومعاونوهم اسماً لمسمّى يكون الأولون آمرين ، والآخرون منفّذين طبقاً لأحكام الشريعة فى الجانبين ، مستعملين أرادتهم فى ما تركناهُ لحريتهم واختيارهم غ : — ممكن فان ذلك ما تتوقعه منهم

التجرد شرط الجدارة

س : — فعليك ، كشارعهم ، ان تنتقي أكفاء النساء كما انتقيت اكفاء الرجال وان تجمع بين الفريقين ، متوخياً ، بقدر الامكان ان يكونوا متشابهى الطبائع ولما كان مسكنهم وطعامهم مشاعاً ، ولا أحد منهم يُخصُّ بملك أو عقار خاص ، فيعيش الجنسان معاً ، ويشتركون بالتمرينات وغيرها من مهام الحياة . فتكون نتيجة ائتلافهم ومشاركتهم الأنقياد بالفطرة الى المودّة والاصطحاب . ألا ترى أن ذلك ضرورياً

غ : — ليس بالضرورة الهندسية بل بالضرورة الحبية . وهي أقوي من تلك ، وأبعد نفوذاً فى اقناع جمهور الرجال

س : — بالتمام . على ان الاجتماع بدون نظام ، يا غلوكون ، أو بالحري الفوضى ، على أنواعها ، أمر غير مقدّس فى مدينة السعداء ، ولا يبيحهُ الحكام غ : — بالصواب

س : — فواضح أن ثانى واجباتنا تقديس الروابط الزوجية ، على قدر الامكان ، وهذا التقديس ، يلازم الزواج الذى يعود باعظم فائدة على العامه غ : — حتماً

٤٥٩

س : — فكيف يمكن بلوغ هذه الغاية يا غلوكون ؟ انى أرى فى بيتك كلاب صيد ، كما انى أرى كثيراً من أنواع الطير . فأظن انك تجود علىّ بالافادة ، في هل وجّهت الألتفات الى كيفية مزاوجة هذه الحيوانات واستيلادها ؟ غ : — بأي اعتبار ؟

س : — أولاً : مع أن كلها أصيل الا يوجد فيها ما هو أفضل من غيره ، أو ما سيصير أفضل ؟ غ : — يوجد

استيلاد الافضل

س : — أفنستولدها كلها على السواء ، أم تعنى بالأكثر باستيلاد الأفضل بقدر الامكان ؟ غ : — استولد الأفضل

س : — وفى أى عمر تستولدها ؟ أفي الحداثة ، أم فى شرخ الصبا ، أم فى الهرم ؟

غ : — فى شرخ الصبا

س : — وإذا لم تسلك فى استيلاد حيواناتك هذا المسلك أفتظن أن جنس الكلاب والطيور ينحط كثيراً ؟ غ : — أظن

س : — افتختلف الخيول وسائر أنواع الحيوان فى هذا الحكم ؟

غ : — لا أظن ، ومن العبث أن يظن هذا الظن

تحسين النوع الانساني

س : — فبالله ، أيها الصديق الحميم . أى حكام ممتازين نفوز بهم إذا طبّقنا ذلك على

النوع الانسانى

غ : — لا ريبة فى الأمر ، ولكن لماذا « ممتازين » ؟

س : — لأن هنالك ضرورة لوصفهم علاجات فى دائرة واسعة . وأراك تسلّم انهُ إذا كان الداء لا يفتقر إلى كثير معالجة ، بل تكفيه الحماية والاعتدال ، فطبيب عادي يكفى لسد الحاجة ، أما حيث تدعو الضرورة إلى علاجات فالحالة تستدعى أطباء أوفر خبرة

الحاكم طبيب اجتماعى

غ : — هذا صحيح . ولكن ما هو وجه الشبه فى ذلك

س : وجه الشبه ما يأتى : الأرجح أن حكامنا سيضطرون إلى استعمال كثير من الخداع والغش لخير رعاياهم . وقد سبق الكلام فى أن ذلك علاج نافع

غ : — نعم وكنا مصيبين فى ذلك

س : — يظهر ان هذه القاعدة الصحيحة تتطبّق فى أمر الزواج والتناسل بنوع خاص

غ : — وكيف ذلك ؟

٤٦٠

قران الازواج في المدينة السعيدة

س : — ينتج عما تقدّم انهُ يجب أن نكثر من تزويج أفضل الرجال بأفضل النساء ، وأن نقلّ تزويج أدنياء الرجال بمثيلاتهم من النساء . وأن يوجّه الالتفات إلى تهذيب أولاد الأولين ، واهمال أولاد غيرهم ، اذا كنت تروم الحصول على أرقى دولة . ويجب الاحتفاظ بهذا السر ، فلا يكشف إلاَّ للقضاة ، ليكون جمهور الحكماء فى مأمنٍ من النزاع على قدر الامكان

غ : — غاية فى الصواب

س : فعلينا أن نولم ولائم خاصة ، ونزفّ عرائسنا فى اثناء الولائم ، فنقدم الذبائح وننشد الاناشيد التى نظمها شعراؤنا لائقة بالمقام . ولكننا نترك عدد الزواجات ، لاستحسان الحكام ، بحيث يحفظون الموازنة فى عدد السكان ، من غير زيادة ولا نقصان ، غير مغضين عن تأثيرات الحروب والامراض ، ونحوهما ، فى ذلك . فتظلّ مدينتنا ، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، لا أكبر مما هي ولا أصغر

غ : — صواب

س : — ويجب استنباط نظام قويم للاقتراع عليهنَّ يجعل أدنياء الرجال الذين سبقت الاشارة اليهم ينسبون زواجهم الى القدر لا إلى الحكام

غ : — حقيق

الحسان للنوابغ

س : — ويجب أن نخصّ الشبان المبرّزين فى الحرب وغيرها بحرية الاختلاط بهنّ ، مع الامتيازات والمكافآت الأخرى ، لتكثر تحت هذا الستار مواليد والدين كهؤلاء

غ : — مصيب

س : — وحال ولادة الأطفال يتسلمهم موظفون مختصون بهذا الغرض . اما نساء ، أو رجال ، أو من الجنسين — لأنى أرى ان الوظائف فى الدولة متاحة للجنسين سواءبسواء

غ : — نعم يتسلمونهم

تربية أولاد النوابغ

س : — فيحمل الموظفون أولاد الوالدين الممتازين الى المراضع العمومية ، تحت عناية مرضعات يسكنَّ أحياء خاصة بمعزل عن الناس . أما أطفال الوالدين المنحطين

وكل الأطفال المشبوهين ، فيخفونهم قاطبة فى مواضع مستترة مجهولة تلائمهم

المربيات غير الوالدات

غ : — هذا إذا أرادوا أن تكون طبقة الحكام نقية

س : — ويشرف هؤلاء الموظفون أنفسهم على الأطفال ، ويستدعون والداتهم لارضاعهم حين تفيض ثُديّهنّ ، متخذين الاحتياطات اللازمة لكى لا تعرف والدةٌ طفلها . واذا كان لبن الوالدات غير كاف يأتون بغيرهنّ لارضاع الأطفال . أو لا يجب تحديد أوقات الرضاعة ، وتعيين مربيات وخادمات يقمن بواجب السهر ، وبما تستلزمهُ الطفولة من المهام

غ : — انك تسهّل على نساء حكامنا ولادة الأطفال

س : — نعم وهذا هو الواجب . ولنحول النظر الى ثانى مواضيع البحث . فقد قلنا إذا كنت تذكر انه يجب استيلاد الذين فى شرخ الصبا

غ : — نعم.

س : — فهل توافقنى فى أن شرخ الصبا هو سن العشرين للاناث والثلاثين للذكور ؟

غ : — والى كم يمتد هذا الطور ؟

طور التوليد

س : — الحدّ الذى أعيّنهُ للمرأة هو سن الأربعين . أما الرجل فإلى ما بعد اجتيازهم أوعر مسالك الحياة ، فينسُل للدولة الى الخامسة والخمسين

٤٦١

غ : — لاشك فى ان هذا هو شرخ الصبا للجنسين جسداً وعقلاً

س : — فاذا نسل الرجل قبل هذا السن ، أو بعده ، حسبنا عمله تعديًا على الدين والعدالة . فولادة مولود للدولة أمر لا يجوز اخفاؤه ، بل يزوّد بالذبائح والصلوات التى يرفعها الكهان والكاهنات ، وجميع الأفراد فى كل قران ، ليكون طرفاه بريئين نافعين فيكون النسل أبرّ وأنفع . أما الزريع غير المقدس فقد ولد فى ظلمات الخفاء بسبب الاسترسال فى المعاصى

غ : — أنت مصيب

النسل غير الشرعى

س : — ويجب أن يكون القانون واحداً لمن نسل من الرجال ، ضمن حدود السن ، ولكن دون اطلاع القاضى . فنحسبه مجرماً لأنه أوجد للدولة نسلاً غير شرعى ولا مقدس ، وبدون كفيل

غ : — غاية فى الاصابة

اعدام الاجنة والاطفال

س : — ومتى بلغ الجنسان السن القانونى ، أبحنا للرجال من شاؤهنّ ، إلا بناتهم وأمهاتهم وجداتهم وحفيداتهم . كذلك يباح للمرأة كل رجل إلا آباءها وأولادها وسلفها وخلفها . وذلك بعد أن نوصيها بفعل الأفضل وهو : إذا حبلت إحداهن عرضاً (فى غير الحال المقررة) فلا يرى جنينها النور . واذا لم تتمكن من ذلك فيلزم التخلص من الطفل على أساس ان ثمرة اجتماع كهذا لا تجوز تربيتها

غ : — كل ذلك معقول . ولكن أنّى تعرف بناتهم آباءهن والأقارب الآخرين الذين ذكرتهم ؟

القرابة في الشيوعية

س : — لا يعرفونهم بتاتاً . لكنهم يدعون جميع الأطفال الذين يولدون بين الشهر السابع والعاشر من قرانهم ، أبناءهم وبناتهم . وهؤلاء أيضاً يدعون الذكور آباءهم والاناث أمهاتهم . وأولاد المواليد أحفاد ، ووالدى الوالدين أجداد وجدات . والمواليد الذين ولدوا فى دور التوليـد المضروب لوالديهم يدعون بعضهم بعضاً اخوة وأخوات . ويحظر على الاخوة والأخوات مس بعضهم بعضاً . ولكن الشريعة تبيحهُ إذا أصابتهم القرعة ووافقت كاهنة دلفي على ذلك

غ : — غاية فى الصواب

س : — هـذه هي شيوعية النساء والأولاد فى حكام دولتك ياغلوكون . وعلينا أن نشرع فى تبيان ان هـذه الفكرة متمشية مع سائر أنظمة حكومتنا . وانها أفضل ما يمكن تصوره . وإلا فهل تقترح مسلكاً آخر ؟ غ : — افعل ما قلته من كل بد

٤٦٢

الخير أو الشر في الدولة

س : — أو ليست الخطوة الأولى نحو الاتفاق فى هذه النقطة عرض السؤال الآتى : ما هو الخير الأعظم فى إنشاء الدولة ، الذى يجب على الشارع أن يراعيهُ فى تشريعه ، وما هو الشر الأعظم كذلك : ثم نبحث فى هل تتفق شرائعنا مع ما حسبناهُ خيراً وتتنافى مع ما حسبناهُ شراً غ : — من كل بد

س : — أفيوجد شر أعظم مما يمزق الدولة تمزيقاً بدل كونها كتلة واحـدة ؟ وهل من خير أعظم مما يضمها ويحفظ وحدتها غ : — لا يوجد

توحيد العواطف

س : — أو لا تضمها شركة الألم والفرح ، فيفرح جميع سكانها معاً ، أو يحزنون معاً فى سرائهم وضرائهم غ : — انهُ كذلك

س : — أو لا يحدث الاستقلال فى العواطف انقساماً فيكون بعضهم فرحاً وغيره حزيناً فى حادث واحد يحل بالدولة وسكانها ؟ غ : — مؤكد يحدث

س : — أو لا تنشأ تلك الحال عن عدم اتفاقهم فى كلمة « لى » وكلمة « ليس لى » فى الشيء الواحد . وكذلك باعتبار كلمة « للآخر » و « للغير » ؟ غ : — حتماً هكذا

الدولة جسم اجتماعى

س : — فأفضل الطرائق فى سياسة الدولة استعمال أكثرية أهلها كلمة «لى» أو «ليس لى» بفم واحد للشيء الواحد غ : — هذا هو الأحسن

س : — وبعبارة أخرى ، حينما تدنو الدولة من حالة الفرد . فانه إذا جرحت إحدى الأصابع شعر الجسم كله بالألم لوحـدة مركز الشعور . فيشارك الأعضاء جميعهم العضو المصاب بالألم والحزن فنقول ان هذا الانسان مصاب بأصبعه ، وهكذا بالنظر إلى بقية أعضاء الجسم ، سواء من حيث الألم ، حين يكون العضو متألماً ، أو من حيث اللذة حين يكون مسروراً غ : — وهو كذلك . فنعود الآن إلى مسألتك : ان هنالك شبهاً تاماً بين الجسم وبين الدولة المحكومة أفضل حكم

التابط أساس الشعور

س : — فاذا أصابت أحد أفراد الدولة أذية ، أو حظى بنعمة ، هبت المدينة جمعاء تشعر معه فرحاً وحزناً لأنه عضو فى جسمها . فتفرح معه كلها ، أو تحزن كلها

غ : — ويجب أن يعم الدولة هذا الشعور إذا حسن نظامها

س : — قد حان الوقت للعودة إلى دولتنا ، لنرى هل تمتلك أوفر نصيب من الصفات التى أوصلنا إليها بحثنا ، أو تفوقها دولة أخرى فى ذلك ؟

غ : — يلزم أن تفعل ذلك

٤٦٣ س : — حسناً ، أليس فى الدولة الأخري ، كما فى دولتنا ، قضاة وعامّة ؟

غ : — فيها

س : — أو يدعو الناس بعضهم بعضاً « مواطنين » ؟ غ : — يدعون

س : — فبماذا يلقبون الحكام غير كلمة « مواطنين »

غ : — يلقبونهم فى أكثر الدول بـ « سادة » وفى الديمقراطية منها يلقبونهم بـ « حكّام » فقط

تتبع الالقاب صفة الدولة

س : — وماذا نطلق عامتنا على حكامنا عدا كلمة « مواطنين »

غ : — يدعونهم « حفظة ومساعدين »

س : — وماذا يدعو الحكام رعاياهم ؟ غ : — يدعونهم « صرافين وكافلين »

س : — وماذا يدعونهم فى غير مدينتنا ؟ غ : — يدعونهم « عبيداً »

س : — وماذا يدعو الحكام بعضهم بعضاً ؟ غ : — « القضاة الرصفاء »

س : — وحكامنا غ : — « الحفظة الزملاء »

س : — أتذكر ان أحد حكام الدول ، حين يتكلم عن مساعديه ، يحسب أحدهم قريباً وغيره غريباً ؟ غ : — كثيرون يفعلون ذلك

س : — أو لا يعتبر بعمله هذا ، القريب خاصته ، ويدعوه كذلك والغريب بعكسه ؟

غ : يفعل ذلك

س : — فهل يحسب أحد حكامك مساعده غريباً ، وينعته بهذا النعت ؟

غ : — كلا البتة ، لأنه ايًا لقى حسبه أخًا أوأختًا أو أبًا أو ابنًا أو ابنة أو سلفًا أوخلفًا

تطبق العمل على النظر

س : — كلامك جميل جداً ، فأجب عن هذه المسألة : أتكتفي بالألقاب العائلية ، أو توجب عليهم أن يطبقوا تصرفهم على أحكامنا فى كل الأحوال — فيقومون للآباء بكل واجبات الأبناء ، كالطاعة والاحترام والخدمة ، وإلا ساءت حالتهم فى نظر الله والناس ؟ ومن فعل ذلك فعمله تمرد على الدين والعدالة . فهل توجب ان تطرق آذان أولادنا هذه الشرائع بادىء ذى بدء ، نحو من أقيموا عليهم مقام الوالدين ، ونحو جميع الأقارب؟

غ : — سنسنّ ذلك ، لأنه من السخافة الاقتصار فى النسب العائلى على الألفاظ الشفاهية دون تطبيقها فعلاً

س : — فأرقى الأمم هى التى إذا أصاب أحد أفرادها خطبٌ أو حلت به نعمى ، قالوا في الرواية عنه مثلاً : — « مَن لنا مبسوط » ، أو « مَن لنا مصاب »

غ : — بأعظم تأكيد

٤٦٤

س : — أو لم تقل ان الشعور العام بالمسرة والألم ، يصحب هذا الاسلوب قولاً وفكراً ؟

غ : — بلى . بالصواب قلنا

وحدة المصلحة في الدولة

س : — أولا يمتاز مواطنونا باشتراكهم جميعاً في مصلحة يدعونها « لي » . وإذ لهم هذه المصلحة يتصفون ، إلى حد بعيد بالمشاركة بالمسرة والألم

غ : — نعم إلى حد بعيد

س : — أو ليس مرجع ذلك ، وغيره من أقسام الدستور ، إلى شيوعية نساء الحكام وأولادهم ؟ غ : — بلى . إلى الشيوعية بالأخص

س : — وقد سلمنا ، إذا كنت تذكر ، أن فى هذا خير الدولة الأعظم ، قياساً للدولة الحسنة النظام على الجسم العضوى ، باعتبار مشاركته كلاً من أعضائه فى اللذات والآلام

غ : — نعم . وبالصواب فعلنا

س : — فقد اكتشفنا اذاً أن شيوعية نساء الحكام وأولادهم هى سبب خير الدولة الأعظم

غ : — تماماً هكذا

س : — وهكذا تتفق مع ما سبق تقريره ، لمَّا قلنا أنه يجب أن لا يملك الحكام ملكاً خاصاً ، لا بيوتاً ولا عقاراً ، ولا شيئاً آخر . بل يتناولون نفقاتهم من الأهالي جزاء عملهم ، وينفقون مشتركاً إذا راموا أن يكونوا حكاماً حقيقيين

غ : — حقيقة

الحكام الحقيقيون

س : — أفلا تجعلهم القوانين السالفة ، مع هذه الأخيره ، حكاماً ثقات ، وتحول دون تمزيقهم المدينة بكلمة « خاصتى » التى يطلقونها على كل شيء خاص ، عوض اطلاقها على شيء واحد ، فيحملون كلٌّ إلى بيته ما أمكنه الحصول عليه دون غيره ، ومن الجملة « الأزواج » والأولاد ، فيخلقون مسرات وآلاماً خاصة ، بواسطة المصالح الخاصة ، ويسببون في نفوس اخوانهم آلاماً عميقة باحتكارهم الخيرات . فتحول قوانيننا دون ذلك ، وتحملهم معاً على إجتذب كل خيراً للمركز العام ، فيكون لهم رأى واحد فى ما يمتلكون ، وشعور واحد فى السراء والضراء غ : — حتماً

س : — أولاً تقصي من بينهم الشكايات المتبادلة ، لعدم وجود ملكية خاصة إلا أجسادهم ، وكل ما سواها مشاع ؟ . أو لا يحررهم ذلك من الضغائن التى تحل بالناس لسبب التنازع على الأموال والأولاد والأصحاب ؟

غ : — ليس إلا التجرد من هذه الأشياء

المحافظة على الحياة

س : — ولا يحدث بينهم اغتصاب ، أو هجوم عدائى ، أو طعان . وإنما لأجل الدفاع عن سلامة أجسادهم بحسب التعاون فى صد هجمات الآخرين منطبقاً على قواعد الشرف والعدالة لأن المحافظة على الحياة ضرورة مقدسة غ : — بالصواب

س : — ولهذا القانون الفائدة التالية ، وهى انه إذا كان فى أحدهم موجدة على أخيه فانهُ يجد لها منصرفاً بالمواجهة الشخصية ، فلا يتفاقم الشر فى ما بينهم غ : — يقيناً

٤٦٥ س : — فيسيطر كبيرهم على صغيرهم ويؤنبه غ : — واضح

ضوابط التأدب والسلام

س : — ومن المؤكد انه لا ينتظر أبدا أن يحاول الأصغر أن يضرب الأكبر ، أو يمسّ كرامته ، إلا إذا تعين للتنفيذ من قبل الحكام . ولا يهين صغير كبيراً بوجه من الوجوه . إذ هنالك مانعان لردعه ، هما الخوف والخجل . فيحول الخجل دون رفعه يدهُ على أيٍّ كان ممن يحسبهم آباء . كذلك الخوف حذر انتصار الآخرين لهم من اخوة وأبناء

غ : — نعم ، هذه هى نتائج قوانيننا

س : — وعلى كل تضمن الشرائعُ السلامَ بين رجالنا غ : — ضماناً وثيقاً

س : — وإذا تحرروا من المنازعات الداخلية أمنوا قيام الأهالي عليهم ، أو قيام بعضهم على بعض غ : — أمنوا ذلك

الشرور الزهيدة لا يتناولها الدستور

س : — وهنالك شرور زهيدة لا أختار ذكرها (فى القانون) نظراً لتفاهتها ، كتمليق الأغنياء ، واضطراب الرجال وغضبهم فى تربية العائلة ، وفى احراز الأموال اللازمة لسد نفقات الأسر والخدم — تارةً يقترضون ، وطوراً يطلّقون نساءهم ، وآونة يستنبطون الحيل لجمع ثروة يضعونها بين أيدى النسوة والخدم واثقين بتدابيرهم — وكل الاضطرابات التى تسببها هذه الأحوال هى واضحة يا صديق ، وضوحاً تاماً ، عدا كونها تافهة غ : — واضحة حتى للعميان

س : — وإذ ينجون من كل هذه الشرور يعيشون بسلام ، عيشة أكثر سعادة وأغتباطاً ، من عيشة الذين أحرزوا الفوز فى الألعاب الأولمبية غ : — وكيف ذلك ؟

امجادفوزهم

س : — ان السعادة المخصّصة بالفوز فى الألعاب هي زهيدة بالنسبة إلى سعادة رجالنا ، ففوزهم أمجد وتعضيد الدولة إياهم أكمل ، لأن فوزهم هو سلامة الدولة كلها . وسينالون التيجان وأكاليل الغار هم وأولادهم ، جزاء جهودهم . هذا عدا ضمان لوازم حياتهم ، ثم يدفنون بالتجلة والاحترام غ : — حقاً انها امتيازات مجيدة ٤٦٦

س : — أو نذكر الاعتراض الذى أوردهُ بعضهم[1] فى سياق أبحاثنا السابقة وهو اننا لم نجعل حكامنا سعداء ، لأنهم لا يملكون شيئاً ، مع انهُ فى إمكانهم أن يبتزوا ثروة الأهالى . ورددنا عليهِ اننا سننظر فى هذه النقطة فيما بعد إذا عرضت لنا فى طريقنا .

(١) اديمنتس في أول الكتاب الرابع

وكنا حينذاك ننظر فى جعل حكامنا حكاماً حقيقيين لأجل سعادة المدينة إجمالاً، على قدر إمكاننا، دون تمييز فئة من أهلها، وخصها بالسعادة غ : — أذكر ذلك

س : — وقد رأينا ان حياة معاونى حكامنا أشرف كثيراً من حياة الفائزين بالجعالات الأولمبية . أفيمكن أحداً أن يتصور ان حياة الأساكفة والزراع، وغيرهم من أرباب الحرف تقابل بها ؟ غ : — لا أظن

س : — فمن المناسب على كل حال أن أعيد هنا ما قلته هنالك وهو : إذا قصد بالحكام أن يكونوا سعداء بحيث لا يبقون حكاماً، ولم يقبلوا الحياة المعتدلة الراهنة التى نحسبها الفضلى، بل علقوا بحماقة الحداثة وغرورها فى ما يتعلق بالسعادة، فتدفعهم حماقتهم إلى استخدام قوتهم فى انتهاك حرمة كل ما فى المدينة من الخيرات، فحينئذ يتحققون حكمة هسيودس(١) ان النصف خير من الكل

غرور الحداثة وحماقتها

غ : — اذا قبلوا مشورتى فانهم يقفون عند حدهم

س : — فتسلم معى بمبدأ وضع النساء مع الرجال على قدم واحدة، كما أوضحنا . فى التهذيب، وفى تربية الأطفال، وفى سياسة الأهالى . وفى حال اقامتهن فى المدينة، وحال خروجهن إلى الحرب يشاطرن الرجال واجبات الحكم، ويرافقنهم فى الطراد ككلاب الصيد ويكون كل شيء عندهم مشاعاً قدر الاستطاعة . وبذلك ينهجن أفضل منهج . ولا يسأن إلى العلاقة التى تسود أواصر المودة المتبادلة مع الجنسين غ : — اسلم بكل ذلك

النساء والرجال سيان

س : — أفليس الباقى لدينا هو النظر فى إمكان تقسيم الشيوعية بين الناس كما هى بين البهائم . وفى أى حال يمكن ذلك ؟ غ : — سبقتنى إلى ما كنت عازماً أن أقوله

س : — أما النظر إلى الحركات الحربية فأرى انه واضح كيف يتصرفون

غ : — وكيف ذلك

س : — يخرج الجنسان معاً الى ميادين القتال ويصحبان أولادهما الأشداء لكي يروا، كغيرهم من أبناء الحرف الأخرى، الأعمال التى يجب أن يمارسوها باتقان متى راهقوا، ومع الفرجة يخدمون فى كل ما يلزم الحرب، ويساعدون آباءهم وأمهاتهم فى الميدان تخدموينتظرون خروجهم من المعارك . ولا شك فى أنك تلاحظ ما يجرى فى الفنون المنوعة . فان أولاد الخزافين مثلاً يساعدون آباءهم طويلاً، قبلما يمارسون صناعة الخزف بأنفسهم

٤٦٧

خروج الاحداث ليشهدوا الحرب

غ : — حقاً انى لاحظت

س : — أفيكون الخزافون أكثر اهتماماً بأولادهم من حكامنا، باطلاعهم إياهم على ما يتعلق بحرفهم الخاصة ؟ غ : — من السخافة أن يكون ذلك كذلك

(١) الاعمال والايام ٤٠

س : ثم ان كل مخلوق يبلي البلاء الحسن فى الحرب فى حضرة أولاده

غ : — هذا هو الواقع . على ان هنالك خطراً كبيراً يا سقراط ، إذا هم انكسروا فيهلك الأولاد مع والديهم ، فتضعف المدينة ضعفاً لا يحتمل

س : — قولك حق . ولكن دعنى أسألك ، هل نجعل عدم تعرّضنا لخطر متوقّع أول واجب ؟ غ : — قطعاً لا

اقتحام الاخطار مقدمة للفوز

س : — أولا يكون تعرّضهم للخطر وسيلة رجولتهم فى حال انتصارهم ؟

غ : — واضح ان ذلك محتوم

س : — أو تظن انهُ أمر زهيد لا يستحق مصادمة الأخطار ، أن يشهد الأحداث الحرب منذ نعومة أظفارهم إذا كانوا مزمعين أن يكونوا جنود المستقبل ؟

غ : — بل انه أمر عظيم باعتبار ما شرحتهُ

س : — فيلزم سن قانون لحمل الأولاد على أن يشهدوا الحرب ، مع الاهتمام بسلامتهم وعندها يهون كل أمر ، أليس هكذا ؟ غ : بلى

اتقاء الخطر على الاحداث

س : — أوَ لا يحكم آباؤهم ، أية الحملات خطرة وأيتها غير خطرة ؟

غ . — الأرجح انهم يحكمون

س : — فيقودونهم إلى هذه ويعرجون بهم عن تلك غ . — حق

س : — وأؤكد انهم يعينون ضباطاً لارشادهم وتعليمهم . وليس أولئك الضباط من حثالة الجند . بل من القواد المدربين الذين حنكهم الاختبار

غ : — مناسب جدًّا أن يفعلوا ذلك

س : — ويجب أن نعلم ان كثيرين منهم يلقون خلاف ما توقعوا غ: — نعم كثيراً جدًّا

تعلّم السحر ولا تعمل به

س : — فتداركاً لمفاجآت كهذه يا صديقى العزيز ، يجب أن نضع لأولادنا جناحين ليهون عليهم الفرار حين اللزوم . غ : — ماذا تعنى ؟

س : يجب أن يمتطوا ظهور الخيل منذ الحداثة . ومتى تعلموا الطراد يؤخذون إلى ساحة الهيجا لا على متون الصافنات الشديدة المراس ، بل على متون أسرع الخيول وأطوعها للعنان . فيكونون فى أنسب موقف لملاحظة عملهم المستقبل وفى الوقت نفسه يتمكنون من الهرب ، متى دعت الحال ، بأتم سلامة وراء قوادهم الشيوخ

٤٦٨

غ : — أرى خطتك حكيمة

واجبات الجنود (١)

س : — ولنأت الآن إلى قوانين الخدمة العسكرية . فما هو موقف جنودك تجاه اخوانهم وتجاه الاعداء ؟ غ : — عرّفنى ما هو موقفهم

الثبات شرط الشرف

س : — ألا يجب أن نهبط بكل من يخلي صفهُ ، ويلقي سلاحهُ ، أو يأتى عملاً من أعمال الجبانة ، إلى طبقة الصنّاع والزرّاع ؟ غ : حتماً

س : — وإذا وقع جنديّ أسيراً فى أيدى الأعداء ، أفلا يكون هبة بيد مالكه يصنع به ما يشاء ؟ غ : — بلى ، من كل بد

(٢) مكافأت بسل الجنود

س : — وإذا برهن أحد الجنود على كفاءة راجحة ، فربح ثقة الدولة ، الا تظن انهُ يجب أن يكلله بالغار رفقاؤه الجنود ، فى ساحة الحرب ، كباراً وصغاراً ؟ غ : — أظن هكذا

س : — وما قولك فى مصافحتهم أياهُ باليمين ؟ غ : — يصافحونهُ

س : — ولكننى لا أراك تقبل اقتراحى التالى غ : — وما هو ؟

س : — أن يبادلوه القبلات واحداً فواحداً

(٣) تبادل القبلات

غ : — أقبله بالتأكيد . وأضيف إلى القانون أن لا يتمنَّع أحــد منهم ، والحرب حاميــة الوطيس ، من اجابته إلى رغبته إذا أراد أن يقبّـلهُ . حتى إذا مال جنديّ إلى أحدهم أو أحداهنّ يزداد همّة لحلول رغبته هذه فى قلبه محل شارة الظفر

(٤) حرية واسعة في أمر الزواج

س : — حسناً ، وقد سبق القول بأن يمتاز الجندى الشجاع على غيره ، بالتوسع فى حرية الزواج . ويتمتّع بحرية خارقة في إختياره الزوجة ما أمكن ، حتى يكثر نسل والد كهذا

غ : — اننا قلنا تلك

(٥) الامتياز في الولائم

س : — وهنالك شرف آخر تقضى العدالة باسباغه على الشبان الممتازين بحسن السلوك ، حتى بحكم هوميرس فقد روى انهُ لما برّز اجاكس فى الحرب كوفىء فى وليمة الظفر بأن خُصّ بفخذ العجل كله(١) . وذلك الاكرام ، علاوة على ما فيه من الشرف ، يؤدي إلى زيادة القوة الجسدية . فالشاب فى شرخ الصبا جدير به غ : — رأي ثاقب

(٦) وفي حفلات الشكر

س : — فعلينا ، بأقل الدرجات أن نتبع رأى هوميرس فى أكرام جنودنا المستحقين فى حفلات الشكر ، وفى سائر الحفلات ، بالنسبة إلى ماأبدوه من ظاهرات الهمة ، فيكافأون بالامتيازات التى مرّ بيانها ، وبالأناشيد ، وبكؤوس مترعة أيضاً ، وباللحوم الطيبة ، وبمراتب الشرف(٢) . فنقوم باكرامهم خيرقيام ونخدمهم خدمة أكابر الرجال ، ولانرمى فقط إلى إكرام الرجال والنساء . بل أيضاً إلى ترقية الفن العسكرى غ : — فكرة جميلة

س : — حسناً جداً . وإذا قتل أحد الجنود فى الحملة ، أفلا نعلن ، أولاً ، ان الذين ماتوا ميتة شريفة هم من الجنس الذهبي ؟ غ : — بكل تأكيد نعلن

٤٦٩

س : — أو لانصدق هسيودس فى مارواه ، انهُ حين يموت أحد رجال هذه الطبقة (٣)

يضحون من اسمى جبابرة العلى مقصين شر الظالمين عن الملا

غ : — مؤكد ، نصدقهُ

(٧) احترام جنازهم

س : — فنسأل الوحي كيف نجنّز الأطهار الفائقين ، ثمّ ندفنهم بالطقوس التى أوحاها إلينا : غ : — مؤكد نسأل

(١) الياذة ٧ : ٣٢١ (٢) الياذة ٧٥ : ١٦٠ (٣) الاعمال والايام ١٢١

ومدافنهم

س : — ونقيم على احترام مدافنهم واكرامها أبد الدهر ، كمدافن الجبابرة ، ونحرص على إتمام هذه المراسيم ، كما نتمها لمن اشتهر من الأهلين بالشجاعة إلى أن يموت حتف أنفه أو تحلّ به كارثة غ : — حقاً أن هذا هو الانصاف

واجبات الجنود والاعداء

س : — وما هو موقف جنودنا أمام أعدائهم ؟

غ : — بأى اعتبار ؟

(١) المحافظة على حرية

س : — أولاً فى أمر الاستعباد . أفمن العدالة أن يستعبد اليونانيون مدناً يونانية حرّة ؟ أو لا يجب أن يأنفوا من ذلك جهد المستطاع ، ويقيموا على خفارة القبائل اليونانية لئلاّ يستعبدها البرابرة ؟ غ : — أن انقاذها أفضل جداً من استعبادها

س : — فالأفضل لنا أن لا يستعبد جنودنا يونانيين ، وأن يوعزوا إلى اليونانيين بلزوم الكفّ عن هذه العادة

(٢) عدم نهب الموتى

غ : — من كل بد وتتفرّغ أفكارهم حينذاك للبرابرة عوض اشتغالهم بمقاتلة بعضهم بعضاً

س : — أو يليق بهم تجريد القتلى ، بعد قهرهم ، الا من أسلحتهم ؟ أو يمنح ذلك العمل عذراً للجبناء فى قعودهم عن مطاردة الأعداء الأحياء اشتغالاً باشلاء الموتى ؟ أو لم تهلك جيوش كثيرة بسبب النهب ؟ غ : — لا ريب فى أن كثيرين هلكوا

س : — الا ترى سلب الموتى طمعاً دنيًا ؟ أوَ ليس من الأوضاع النسائية ، وصفات العقول الصغيرة ، النظر إلى جثة الميت نظرة عدائية ، مع أن العدو الحقيقى قد ولّى قصيًا ، تاركاً وراءه الآلات التى كان يحارب بها (أى الجثة) ؟ أو تحسب من أتى ذلك خيراً من الكلاب التى تثور على حجَر رُميت به ، تاركة راميَه ؟

غ : — ليسوا خيراً منها ولا قيد أنملة

٤٧٠

س : — فعلينا بالتنكّب عن تجريد الجثث ، والتدخل فى نقلها

(٣) عدم حمل الاسلحة الى الهياكل

غ : — ولا نحمل أسلحة المغلوبين إلى الهياكل لتكريسها ولا سيما أسلحة اليونانيين ، إذا رمنا توثيق عرى التفاهم معهم . بل يجب الحذر من أن يكون حمل أسلحة إخواننا ، إلى الهياكل تدنيساً لها إلاّ إذا أوجب الوحى ذلك غ : — غاية فى الصواب

س : — وكيف يعامل جنودك الأعداء اليونانيين باعتبار نهب بلادهم وحرق بيوتهم

غ : — يسرّنى أن أعرف ما هو رأيك فى هذا الأمر

(٤) وقاية الأراضى والمغارس

س : — رأيى أن لا يفعل بها شىء من الأمرين المذكورين . بل تؤخذ منها حاصلات سنة واحدة . أفتريد أن أخبرك السبب ؟ غ : — نعم أريد

س : — كما اننا نستعمل كلمتى « حرب ونزاع » مختلفتين دلالةً ، فهنالك نوعان متباينان من المشادة ، أحدهما بين الأقارب والأصحاب ، والآخر بين الأجانب ، فالخلاف بين الأولين ادعوه « نزاعاً » ، وبين الغرباء ادعوه « حرباً »

غ : — لا شيء غير معقول فى ما تقول

س : — فاصغ وتأمّل ، فانّ ما أقوله معقول أيضاً . فانى أوكد أن أفراد الأمة اليونانية اخوان وأقارب بعض لبعض ، ولكنهم غرباء وأباعد عن البرابرة

غ : — أوافقك فى هذه الفكرة

الوطنية الحقة تأبى التدمير

س : — فلا يبرح فكرك ما قيل الساعة فى أمر النزاع . فاذا حدث شيء من ذلك أينما كان ، وانشقت الدولة ، فنهب كل فريق بلد الآخر ، وحرق بيوته ، كانت تلك الخصومة خطباً فاضحاً ، وحُسب الفريقان غير وطنيين . ولو كانوا وطنيين لما أقدموا على مضرة والدتهم ومرضعهم . فحسْب الظافر مغنماً أن يحصل غلال خصمه ، ويترك للصلح موضعاً . لأن الحرب لن تدوم غ : — حقّاً ان هذا الشعور يعرب عن رقى انسانى أكثر من ذاك

س : — جيداً ، أفليست الدولة التى تؤسسها يونانية ؟ غ : — هكذا يلزم أن يكون

س : — أولاً يكون أهلها كرام النفوس ؟ غ : — من كل بد

س : — أو ليسوا يونانيين ، ويحسبون بلاد اليونان كلها وطنهم ، ويشاركون اخوانهم اليونانيين فى شعائر ديانتهم العامة ؟ غ : — من كل بد

٤٧١

س : — أفلا يحسبون المشادة مع اليونانيين ، باعتبار كونهم اخوانهم ، نزاعاً لا حرباً

غ : — بلى

س : — فيشعرون اثناء النزاع شعور الأصحاب الذين لا بدّ أن يتصافوا غ: — تماماً هكذا

رعاية أبناء الجنس

س : — فيصالحونهم بروح الاخاء ، ويؤنبونهم دون أن يفكروا فى استعبادهم ودمارهم ، بل يعاملونهم معاملة المعلم تلاميذه ، لا معاملة العدو أعداءه . غ : — بالتمام

س : — ولما كانوا يونانيين ، فلا يدمرون بلاد اليونان ، ولا يحرقون البيوت ، ولا يحسبون جميع الأهالى أعداءهم رجالاً ونساء وأولاداً ، بل يحصرون هذه التسمية بالقليلين الذين أوروا زنادها . فلا يهدمون البيوت ، ولا يخربون البلاد فان أصحابها أصدقاؤهم . بل يقتصرون على خوض غمارها حتى يقتصّ الأبرياء من المذنبين

غ : — اسلم انه على شعبنا احترام هذه القوانين فى معاملة أعدائهم . وأريد أن يعاملوا البرابرة كما يعامل اليونانيون بعضهم بعضاً فى هذه الأيام

س : — فعلينا أن نضيف إلى شرائعنا قانوناً يحظر على حكامنا حرق البيوت وتدمير البلاد

غ : — فلنصنع ذلك . وهو مع كل ما قررته ، صواب ولكن يظهر لنا يا سقراط انهُ إذا سمحنا لك أن تستمرّ فى هذه الخطة فانك لا تذكر ما نحّيته جانباً ، لما ولجت هذه الأبحاث ، وهو أن تبين ان هذا النظام من الممكنات ، وتبين أيضاً طريق تحقيقه . لأن فى مساق الأدلاء على تحقيقه تتبين المنافع الجمة الناجمة عنه لمدينة كانت قاعدة له . وانى أستطيع أن أورد حقائق كثيرة أغفلتها أنت . منها أن

الترابط والتضامن بين أبناء الدولة ابان الحرب

جنوداً كهؤلاء إذا يبلون فى حربهم البلاء الحسن لأنهم يأنفون التخاذل . وذلك لازم عن حسبانهم بعضهم بعضاً آباء وأبناء واخوة ، فيألفون هـذه التسميات العزيزة ، ويأبون التخلى بعضهم عن البعض الآخر . وإذا صحبتهم النساء إلى الحرب ، سواء حللن الصفوف كتفاً إلى كتف مع الرجال ، أو لبثن وراءهم كاحتياط لالقاء الرعب فى قلوب الأعداء ، فحسب رأيي انهم لا يدحَرون . وانى أعلم كل ما حذفته أنت من الفوائد التى يتمتعون بها فى الوطن ، ولـكنك ضربت عنها صفحاً . ولما كنت عالماً بكل مزايا هـذا النظام ، وبألوف من أمثـال هـذه الفوائد ، فلا لزوم للاطالة فى شرحها . فلنقنع أنفسنا الآن بأن المسعى عملي ولنبين طريقة تحقيقه ، ونُغفل ما سوى ذلك

٤٧٢ س : — بأية مفاجأة جابهت حجتى ، ولم ترث لمـا بى من نصب . وربما انك لم تفقه انني جهدت فى تخطي العقبتين السابقتين ، فتسوق الآن علىَّ ثالثة هى أثقل الثلاث وقعاً ، وأعظمها خطراً . ولا بد من أنك ، بعد ما رأيت ذلك وسمعته ، تعذرنى عن ترددى ووجومي وتسلم بتوافر الأسباب لتخوفى من فتح باب نظرية مخيفة ، والدخول فى شعاب تمحيصها

غ : — كلما أطنبت في وصف هـذه الشدة قلّت حريتك وتعـذر اعفاؤك من تبيان امكان تحقيق هذا النظام . فهات بيانك ، وكفى تأخراً

س : — ولا تنس أولاً اننـا بلغنا هـذه النقطة سعياً وراء البحث فى طبيعة العدالة

غ : — حقيق . ولـكن ما شأن ذلك هنا ؟

س : — لا شئ . ولـكن إذا عرفنا ما هي العدالة افنتوقع أن لا تختلف سجيـة العادل عن حكمها فى أمر ما ، بل تـكون صورتَـها وقسيمتَـها حذو القذة بالقذة ، أم اننا نـكتفي ببلوغه (العادلُ) أقرب نقطة اليها ، وكونه أكثر الناس عملاً بها ؟

غ : — نـكتفي بذلك

غرض الباحث بهذا الكتاب

س : — فغرض أبحاثنا هو فى طبيعة العدالة نفسها ، وسجية العادل الـكامل ، وامكان وجوده ، وكذلك طبيعـة التعدي وسجيـة الرجل البـالغ أقصى حدوده . فلنتخذهما نموذجين ، ولننظر فى كل منهما ، لنتبين نسبتهمـا إلى السعادة وإلى الشقاء . وبذلك يمكننا الحكم ان من اقتفي خطواتهما ، ونسج على منوالهما ، شاركهما في مصيرهما . ولم يكن غرضنا النظر فى امكان حصول هذه الأمور بالفعل غ : — هذا هو الحق الصراح

الرأي الحكيم معتبر ولو لم يطبق

س : — فاذا رسم فنـان مثـلاً انسانيًّا أعلى ، ولم يـكن رسمهُ ناقصاً فى شيء ، أفتظن ان اعتباره ينقص فى نظرك لأنهُ عجز عن اقامة الدليل على إمـكان وجود شخص ينطبق عليه هذا الرسم غ : — لا أظن

س : — أفلم نقل انَّا توخينا فى بحثنا أن نرسم نموذجاً للمدينة الـكاملة ؟ غ : — بالتأكيد

س : — أفيخرج نظريتنا ، فى شرعك العادل ، عجزنا عن اثبات وجود مدينة منظمة من الطراز الذى وصفناه ؟ غ : — كلاّ ، ثم كلاّ

س : — فهذه هى واقعة حالنا . ولكنى إذا وجب عليّ ، لأجل مسرتك ، أن أجهد نفسى فى تبيان تحقيق مثلنا الأعلى ، بأى اعتبار كان ، فأسألك أن تسلم بما سلمت به قبلاً

غ : — وبمَ سلّمت ؟

س : — هو هذا : أيمكن انفاذ نظرية ما ، فى أى موضوع كان ، انفاذاً تامًّا ؟ أو ان من شرائع الطبيعة ان التطبيق لا يبلغ مبلغ النظرية من الكمال ؟ . ولا بأس إذا رأى بعضهم خلاف رأينا . أفتسلّم بهذا أم لا ؟ غ : — اسلّم

٤٧٣

س : — فلا تطلب منى تطبيق النظرية تطبيقًا تامًّا . على انهُ إذا أمكنا أن نثبت امكان تنظيم دولة فى أقرب الحالات التى صوّرناها ، وجب عليك التسليم بأنا اكتشفنا امكان تحقيق الخطة التى سألتنى تبيانها . أفلا تكتفى بالفوز بذلك ؟ أما أنا فأكتفي

النظرية وتطبيقها

غ : — وأنا أيضًا أكتفي

س : — فيجب أن تكون خطتنا الثانية تبيان ما فى دولتنا من نقص يحول دون كمال أوصافها المقرّرة نظريًّا . مقتصرين على تغيُّر واحد ، او اثنين ، أو أقل ما يمكنا من التغيير عدداً وتأثيراً غ : — فلنتقدم إلى ذلك بأعلى همة

س : — أرى أن هنالك تغيراً واحداً يضمن حدوث الثورة . ولكنهُ ليس صغيراً ولا سهلاً ، إلا انهُ ممكن . غ : — وما هو ؟

س : — أنا الآن على وشك المصارحة بالبيان الذى شبهناه بالموجة الكبرى . ولكن الحق أولى بأن يقال ولو أغرقتنى الموجة ، التى كالموج الطبيعى تنتهى بضجة وذعر ، فأعرنى سمعك غ : — تفضل

س : — يا عزيزى غلوكون ، لا يمكن زوال تعاسة الدول ، وشقاء النوع الانسانى ، ما لم يملك الفلاسفة أو يتفلسف الملوك والحكام ، فلسفة صحيحة تامة . أى ما لم تتحد القوتان السياسية والفلسفية فى شخص واحد : وما لم ينسحب من حلقة الحكم الأشخاص الذين يقتصرون على إحدى هاتين القوتين ، فلا تبرز الجمهورية التى صورناها ، فى بحثنا ، إلى حيّز الوجود ، ولا ترى نور الشمس . والذى حملنى على التردُّد فى ابداء الرأى هو شعوري انهُ يضاد الرأي العام كل المضادة . لأنهُ يعسر الاقتناع بأنهُ وسيلة لحصول الفرد والدولة على السعادة

الحكم للفلاسفة وإلا فالشقاء

غ : — يا سقراط ، ان اللهجة التى تتكلم بها ، والآراء التى توردها تثير عليك جموعًا من عتاة الخصوم ، فسينقضّون عليك مستبسلين ، دون ما تردُّد : فيطرحون أرديتهم ويشرعون ضدّك ما طالتهُ أيديهم من سلاح ، فاذا لم تصدّ هجماتهم بقاطع برهانك ،

٤٧٤

ليتسنى لك الإفلات من أيديهم ، حلّت بك عقوبة المستهزئين الجاحدين

س : أفلست أنت الذي جلب عليّ كل ذلك ؟

غ : — بلى . وبالصواب فعلت : على اني لن أتخلى عنك في هـذه المعمعة ، بل سأدفع عنك بمـا لديّ من سلاح . وسلاحي هو حسن النيـة والثقة ، وقد أبدي في أجوبتي من الحذق ما يقصر عنهُ السوى . فتقدم مستنداً الى هـذه النجدة وأرِ المشككين اصالة رأيك

من هم الفلاسفة الحقيقيون

س : — يجب أن أتقـدّم ، ما دمت أنت حليفي العظيم . واذا رمنـا التخلص من المهاجمين الذين أشرت اليهم ، فأرى من اللازم أن نعطيهم تحديدنا ، « الفلاسفة » الذين يحق لهم الحـكم . حتى متى تجلت مزاياهم لنظر الجمهور ، فرأى من نعني بالفلاسفة ، امـكنا حينذاك الدفاع عن أنفسنا . فندعي أن طلبَ الفلسفة هو حقٌ طبيعي لهؤلاء النـاس . وان يتقلدوا زمام الحـكم . وتنحصر دائرة اختصاص الغير في ترك الفلسفة وشأنهـا ، والخضوع للفلاسفة الحاكمين .

غ : — انهُ وقت ملائم لأجل إيراد تحديد كهذا

س : — فهلمّ ورائي نجرب أن نشرح فـكرتنا بصورة مقبولة . غ : — تفضّل

س : — هل يلزم أن أذكّرك ، أو أنت تذكر لذاتك ، ما قلناهُ في خلال البحث ، وهو : إذا أحبّ أحـد شيئاً فلا يحصر محبتهُ في قسم ممـا أحب دون غيره ، بل يحبهُ كله بجميع أجزائه ؟ غ : — أرجو تذكيري ، فلم أفهم ذلك تماماً

٤٧٥

المحبوب جميل في عين عاشقة

س : — ان اعترافاً كهذا يجدر بسواك يا غلوكون . أما رجل ذو فطرة حبية نظيرك فلا يجـوز أن ينسى ان من فتن بالحب شغف بمن فتنوه وهم في شرخ الصبا . لأنهُ يراهم جديرين بشغفهِ وتزلّفهِ . أليس هذا هو الأسلوب الذي تجري عليهِ ، فتمدح في الفتى قصر الأنف لأنهُ جذاب . والأنف الأقنى ، عنـدك ، ملوكي المظهر ، وثالث الانوف ، وهو المتوسط بين هذين ، يجعل الوجه أكثر اتساقاً وجمالاً . وترى سمر الألوان ذوي رجولة ، وشقر الألوان أبنـاء الآلهة . ومن صـاغ هـــذه العبارة « الاصفر الزيتوني » الا العاشق الذي انتحل لنفسهِ عذراً لمـا رأى صفرة وجنـة الحبيب ؟ وبالاختصار ، انك تختلق أنواع الاعذار ، وتستخدم كثيراً من الأمثلة ، ولا تعرج عن حب من كان في نضارة الحياة

غ : — اذا أردت اتخاذي وسيلة للحـكم بأن العشّاق يتصرفون هذا التصرّف ، فاني أسلّم بذلك جدلاً

المحبوب جميل

س : — ولنورد مثلاً آخر ، ألا ترى ان المولعين بالخمرة يضربون على الوتر نفسه فيختلقون الاعتذار لرشف كل نوع من الخمور ؟ غ : — بلى ، يقيناً

س : — وأراك ، ولا بد ، تفهم أن عشاق المجد ، اذا لم يتسنّ لهم قيادة جيش ، تعللوا بقيـادة فصيـلة . واذا لم يحصلوا على اكرام أكابر الرجال وفضلائهم ، اكتفوا بامتـداح

قليلين ممن لا وزن لهم . لأنهم مولعون بالجد بأية صورة كان غ : — حتماً هكذا

س : — فأجب عن هذا السؤال سلباً أو إيجاباً : اذا وصفنا إنساناً بالشوق الى شيء ، أفنعني أنهُ يشتاق الى كل ما يحبهُ أو الى قسم منهُ فقط دون القسم الآخر ؟

غ : — يشتاق اليه كله

الفلسفة هي محبة كل أنواع الحكمة

س : — أفلا نجزم ان الفيلسوف ، أو محب الحكمة هو الذى يشتاق الى الحكمة اشتياقاً كليًّا لا جزئيًّا ؟ غ : — حقيق

س : — فمن أقام العقبات فى سبيل دروسهِ ، ولا سيما وهو حديث السن ، غير قادر أن يميز بين النافع والضار ، حسبناه غير محب الدرس أو الحكمة . كذلك من لا يرضيه نوع من الطعام لا نراهُ جائعاً إلى القوت ، ولا راغباً فيهِ ، فبدلاً من أن نحسبهُ مولعاً بالطعام ، نصفهُ بضعف الشهية

ظاهرات الفلسفة أو عدد الفلسفة

غ : — نعم . وأنا مصيبون فى ذلك

س : — أما الراغب فى تذوُّق كل أنواع المعرفة ، فيكبُّ على دروسهِ بسرور ورغبة ، ولا يكفُّ . ان انساناً كهذا بحق ندعوه فيلسوفاً ، ألا ندعوه ؟

الفلاسفة الزائفون

غ : — ان وصفك هذا يشمل عدداً عديداً ، ويضم طائفة مستهجنة ، وبحسبه يكون كل عشاق المناظر فلاسفة لانهم راغبون فى المعرفة ، وكذلك الذين يحبون الأصوات هم طبقة مدهشة بين الفلاسفة . أعني بهم الذين لا يشهدون محاورة فلسفية ، ولا غيرها من أنواع المحاورات على أنهم سامعون مواظبون لا يغيبون عن حفلة ديونيسية (١) فى مدينة أو قرية . فكأنهم أجَّروا آذانهم للسمع ، لكل جوقة فى وقتها . أفنهب لهؤلاء لقب فلاسفة ؟ ولأمثالهم ممن لاذ بأى نوع من الدروس ، ولاساتذة الفنون الصغرى ؟

س : — مؤكد لا . بل ندعوهم فلاسفة زائفين

الفلاسفة الحقيقيون

غ : — فمن هم الذين تدعوهم فلاسفة حقيقيين ؟

س : — هم الذين يحبون أن يروا الحقيقة

٤٧٦

غ : — لا يمكن أن تخطيء فى هذا ، ولكن هل تريد أن توضح ما تعنيه ؟

س : — ليس ذلك سهلاً مع غيرك ، أما أنت فتجود عليَّ بالتسليم الذى أنشدهُ .

غ : — وما هو ذاك التسليم ؟

س : — هو فى ما يأتى : لما كان الجمال ضد القبح فهما شيئان

غ : — مؤكد انهما شيئان

س : — واذا كانا شيئين ، فكل منهما واحد على حدة . غ : — وهذا أيضاً حق

س : — ويتمشى هذا الحكم نفسه على العدالة والتعدى ، وعلى كل التصورات

(١) أو بخسنالية . نسبة الى باخس . وهى حفلة شرب ومرح

العمومية فكلٌّ منها شيء واحد، لكنهُ يظهر متعدداً، باعتبار علاقاته المتبادله بالاشياء والأعمال التي بها يتجلى في كل مكان. غ: — انت مصيب

س: — واستناداً الى هذا المبدأ أميز بين الذين وصفناهم الآن انهم عشاق النظر والصناعة ومحبة الفنون ورجال العمل من جهة واحدة، وبين الذين نحن في صددهم وهم وحدهم نسميهم فلاسفة في الجهة الاخرى غ: — أوضح ما تعني

ظاهرات الجمال

س: — أعني ان محبي النظر والسمع يعجبون بالجميل من الأصوات والأشكال والألوان والصور، وكل ما دخلت في تركيبه هذه الاشياء من منتوجات الفن. ولكن فهمهم يقصر عن إدراك كنه الجمال واعتناقه غ: — نعم، انهُ كما تقول

الجمال المطلق

س: — أو ليس القادرون على التفكر الحر في الجمال المطلق هم قلائل؟

غ: — حقًا، انهم قلائل

الحالمون

س: — فاذا أدرك أمرؤ وجود الأشياء الجميلة، ولكنهُ جحد الجمال المطلق، وعجز عن اتباع من تقدمهُ الى ادراكه، أفحلماً تحسب حياة انسان كهذا أم يقظة؟ تأمَّل أليس الحالم، في يقظة أو في منام، هو الذي يخلط بين الحقائق وبين الصور المنعكسة عنها؟

غ: — اعترف ان امرءًا كهذا حالم

المستيقظون

س: — وما قولك في من غايره، ففهم الجمال المطلق، وامتلك قوة التمييز بين هذا الجوهر وبين الأوساط التي يتجلى بها، فلا يخطىء في حسبان المجالى جوهراً ولا الجوهر مجالى، أفحلماً تحسب حياة هذا أم يقظة؟ غ: — يقظة دون شك

المعرفة والتصور

س: — أفلسنا مصيبين اذ ذاك، في تسمية فعل الشخص الثاني العقلي معرفة لأنهُ أدرك الحقيقة، وفعل سابقه تصوُّراً لأنه تصوَّر فقط؟ غ: — غاية في الصواب

س: — حسنًا. فاذا امتعض من سميناه متصوراً لا عارفًا، وغضب علينا مدَّعيًا أن ما قلناه غير صحيح، فهل لنا من سبيل لتلطيف غضبه، وأقناعه برقَّة ولين، ساترين عنهُ حقيقة حاله، وهي انهُ ليس في حال الصحة؟ غ: — ذلك أمر مرغوب فيه

س: فانظر في ما يلزم أن نقول لهُ. أتستحسن أن نحادثهُ مسلمين انهُ لو عرف شيئًا لما حسدناهُ على علمه أقلَّ حسد. بل كنا نسرُّ بأنهُ كما يدعي. ولكنا نقول لهُ أجب عن هذا السؤال: اذا عرف ذو الحجى فهل عرف شيئًا، أو لا شيئًا؟ أجب عنهُ يا غلوكون غ: — أجيب انهُ عرف شيئًا

س: — أو موجود ذلك الشيء أو لا موجود

٤٧٧

غ: — بل موجود. لأنهُ كيف يمكن غير الموجود أن يُعرف

الموجود والعدوم وما بينهما

س: — أفتثبتون نحن من هذه الحقيقه، في أية صيغة نظرنا فيها؟ أي، ان الموجود حقيقة يُعرَف معرفة تامة، أما المعدوم فمجهول بتاتًا؟

غ : — انا متثبتون منها كل التثبُّت

س : — حسناً . فاذا كان هنالك شيء متردّد ، فى الوقت نفسه ، بين الوجود وبين العدم ، أفلا يوضع فى رتبة متوسطة بين الوجود يقيناً وبين المعدوم بتاتاً ؟

غ : — يلزم أن يوضع

س : — فاذا خصت المعرفة بالموجود ، والجهل بالمعدوم ، أفلا يلزم أن نجد حالة متوسطة بين العلم والجهل تختص بما هو متردّد بين الوجود والعدم   غ : — يقيناً

المعرفة والجهل والتصور

س : — أتقول ان التصوُّر شيء ؟   غ : — بلا شك

س : — أفنحسبهُ قوة متميزة عن العلم أم نحسبهُ العلم نفسهُ ؟

غ : — هو شيء متميز عن العلم

س : — فنخص العلم بدائرة نفوذ ، والتصور بدائرة أخرى ، بطبيعة ما فى كل منهما من قوة ؟   غ : — تماماً

س : — أفليست طبيعة العلم المختص بالموجود هي معرفة كيف وجد أولا ؟ والاّ فهنالك فرق واضح يلزم تحديدهُ   غ : — وما هو ؟

س : — ان القوى ، كمجموع قائم بذاته ، هى ما نعمل به نحن وكل أحد — ما يمكن عملهُ . مثلاً : انى أدعو السمع والبصر قوّتين ، اذا كنت تدرك الفكرة الخاصة التى أروم أن اصوّرها   غ : — انى : أدركها

القوة وفعلها

س : — فاسمع ما أراه فيها . لست أرى فى القوة شكلاً ، ولا لوناً ، ولا غيرهما من الأعراض التى أراها فى مختلف الأشياء ، وبها أميز (أى بالأعراض) بين شيء وشيء . أما فى القوة فأعتبر وظيفتها ودائرة نفوذها . وبذلك توصلت الى تسميتها . فأدعو القوى التى من نوع واحد ، وتعمل عملاً واحداً ، ولها وظيفة واحدة ، « قوّى واحدةً » ولكن القوى التى تختلف دوائر نفوذها وتتفرع وظائفها فادعوها « قوّي متنوعة » فما قولك ؟   غ : — هكذا بالتمام

القوى الواحدة والقوى المتنوعه

س : — فاخبرنى يا صديق الفاضل ، فى أى رتبة تضع العلم ؟ أتحسبهُ قوّة ؟

غ : — نعم أدعوه قوة ، وهو أعظم القوى كافّةً

س : — وهل التصوُّر قوة ، أو ندرجهُ فى سلك آخر ؟

العلم قوة التصور قوة

غ : — لا آخر . لأن ما به نتصوّر لا يكون إلا تصوُّراً

س : — وقد اتفقنا الساعة ان العلم والتصوُّر غيران

غ : — وهل يجمع العاقل بين الخطأ والصواب ؟

س : — أحسنت . فنتّفق فى أن التصوُّر شيء غير العلم   غ : — غيره

س : — فلكلٍ منهما بطبيعته ميدان نفوذ خاصّ وتأثير خاص

غ : — الاستنتاج قاطع

س : — فميدان نفوذ العلم هو معرفة طبيعة الموجود غ : — نعم

س : — وميدان نفوذ التصوُّر هو « الظن » غ : — نعم

س : — أفيتناول التصوُّر حتماً وفعلاً مادة العلم ؟ وبعبارة أخرى هل مادة التصوُّر هي نفس مادة العلم ، أو أن ذلك محال ؟

مادة التعلم غير مادة التصور

غ : — انهُ محال ، بناءً على ما قرَّرناهُ . أي أنه إذا سلمنا ان للقوى المتنوعة دوائر نفوذ مختلفة ، وان العلم والتصوُّر قوتان متميزتان — وقد جزمنا بذلك ، فهذه المقدمات تجعل توحيد مادة العلم ومادة التصوُّر محالاً غ : — طبيعي

س : فاذا كان الموجود مادة العلم فمادة التصور هي حتماً شيء آخر غيرهُ

غ : — يلزم أن يكون غيره

التصور لا يتناول المعدوم

س : — فهل يتناول التصور المعدوم ؟ أو أن تصور المعدوم غير ممكن اصالة ؟ افتكر — من يتصوَّر الا يوجه أفكاره نحو شيء ؟ أفيمكن أن يكون تصوُّرٌ في اللاشيء

غ : — غير ممكن

س : — فمن يتصور فقد تصوَّر شيئاً ؟ غ : — نعم

س : — ولكن المعدوم لا يدعى شيئاً ، بل هو لا شيء غ : — بالتمام

س : — وقد التزمنا أن نخص الجهل بالمعدوم والمعرفة بالموجود

غ : — وبالصواب فعلنا

س : — فموضوع التصور ليس الموجود ولا المعدوم غ : — لا هذا ولا ذاك

غ : — فليس التصور معرفة ولا جهلاً

س : — أفيستقر وراء أحدهما ، فيفوق المعرفة يقيناً ويفوق الجهل ابهاماً ؟

غ : — يظهر انهُ ليس كذلك

س : — فقل ، أتحسب التصوُّر أقل وضوحاً من المعرفة ، وأقل خفاءً من الجهل ؟

غ : — نعم وهو متميز عن الاثنين كثيراً

س : — فهو اذاً بين هذين الطرفين غ : — نعم

س : — فتحسب التصور اذاً شيئاً بين الاثنين غ : — بالتمام

مركز التصور

س : — أوَ لم تقل الساعة أنهُ اذا بان لنا شيء انهُ موجود وغير موجود في وقت واحد فيجب وضعه بين الموجود الحقيقي وبين المعدوم المطلق ؟ فلا يكون اذاً مادة علم ولا مادة جهل ، بل هو مادة قوَّة ثالثة بين العلم والجهل يجب اكتشافها

غ : — قلنا ذلك

س : — وقد اكتشفنا الآن قوة بين الاثنين ، دعوناها تصوراً

المركزان والوسط

غ : — واضح اننا اكتشفناها

س : — بقى أن نكتشف ما يشترك في الموجود والمعدوم وليس هو أحدهما بكليته. فاذا ظهرت لنا ماهيته دعوناهُ بحق « مادّة التصوُّر ». ناسبين للطرفين ما هو لهما، وللوسط ما هو لهُ. ألستُ مصيباً ؟ غ : — انك مصيب

٤٧٩

س : — فاذا وضعنا هذه الفروض فانى أسأل ذلك الرجل المعتبر الذى ينكر وجود شيء كلي، أو أي صورة من صور الجمال المطلق، التى تظل إلى الأبد كما هي، غير قابلة التغيّر، مع انهُ يعترف بوجود أشياء عديدة جميلة — ذلك الذى يحب المنظورات، وهو لا يحتمل أن يقال لهُ ان الجمال واحد وان العدالة واحد وهلمَّ جراً، فأقول لهُ : — يا سيدى العزيز، أيوجد بين كل الأشياء الجميلة شيء واحد لا قبح فيه ؟ وبين كل الاشياء العادلة عادل واحد لاظلم فيه، وبين كل الإشياء الطاهرة طاهر واحد لا دنس فيه ؟

الكليات الخالصة

غ : — كلا : بل تظهر كلها بلا تخلّف، جميلة وقبيحة، عادلة ومعتدية، بارة ودنسة، باعتبارين

س : — وأيضاً، ألا يمكن اعتبار المضاعفات الكثيره إنصافاً علاوة على انها مضاعفات

غ : — تماماً كما انها أيضاً مضاعفات

س : — وجرياً على الأسلوب نفسه هل للأشياء التى ندعوها كبيرة، وصغيرة، وخفيفة، وثقيلة، حقٌّ في أن تدعى كذلك أكثر من اضدادها ؟

غ : — كلا بل كل منها يمكن أن يدعى بالاسمين على السواء

س : — فتكون أقرب إلى الصحة إذا وصفنا كلاً من هذه الأشياء بانه قد يكون وقد لا يكون كما وصف ؟

غ : — انك تذكرني بأحجية التضادْ التى تتلى على موائد الطعام (للتسلية) ولغز (١) الاولاد عن الخصي الذى رمى الخفاش بما رماه به، هو جاثم على ما هو جاثم عليه لان الاشياء المشار اليها فيها الغموض نفسهُ فلا يمكن للانسان أن يميز هل هي موجودة، أو غير موجودة معاً

احجية الموجود والمعدوم

س : — أفيمكنك افادتي ماذا تعمل بها، أو هل عندك رتبة لها أفضل من الرتبة الوسطى، بين الموجود والمعدوم ؟ لانها، فى مذهبي، ليست أحق من المعدوم لتكون أكثر عدماً، ولا أوضح من الموجود فتكون أثبت منه وجوداً.

غ : — انك مصيب كل الاصابة

س : — فقد اكتشفنا أن الأفكار الشائعة في الجمهور فى العدالة والجمال وأخواتهما هي تائهة بين الوجود المطلق وبين العدم المطلق غ : — اكتشفنا

(١) تقول الاحجية : قيل ان رجلا ليس برجل، رمى وما رمى، طائراً وليس طائراً، جاثماً وليس جاثماً، على غصن وليس بغصن، بحجر وليس بحجر، وهكذا - وقد فسرت هذه الحكاية نوعاً في المتن

س : — وقد سلمنا سابقاً انهُ إذا ظهر شيء من ذلك دعي تصوراً لا معرفة . وأن ما يتراوح بين الأمرين يفهم بقوة متوسطة . غ : — قد سلمنا هذا التسليم

س : — ولذلك حين تقع عين الناس على شتى الأشياء الجميلة . ولكنهم لا يقدرون أن يروا الجمال بالذات ، ولا أن يتبعوا من يقودهم اليه — وحين يرون أشياء عديدة عادلة ولا يرون العدالة بالذات ، وهكذا فى كل مثل ، فانَّا نقول أن لهم فى كل موضوع تصوراً ، لا معرفة حقيقية فى الأشياء التى يتصورونها غ : — الاستنتاج ضرورى

س : — ومن الجهة الأخرى ، ماذا يجب أن نقول فى أولئك الذين يفكرون فى الاشياء على ما هى فى ذاتها ، كائنة دون فناء ولا تغير ؟ أفلا نقول أنهم عارفون وليسوا متصورين ؟ غ : — وهذا أيضًا استنتاج ضرورى

٤٨٠ س : — أفلا نقول أن هؤلاء يعجبون بمواضيع المعرفة ويحبونها — وأولئك يعجبون بمواضيع التصور ؟ لأننا لم ننس أننا قلنا أنهم يحبون ويطلبون الأصوات والألوان البديعة ، ونحوها من الاغراض ، ولكنهم لم يسمعوا بوجود الجمال المطلق غ : — لم ننس

س : — أفنخطىء إذا أسميناهم محبي التصور ، بدلاً من تسميتهم فلاسفة ، أو يستاءون كثيراً إذا أسميناهم كذلك

غ : — كلاَّ ، إذا قبلوا رأيي ، لانهُ من الخطإ أن يسوءنا الحق

س : — فالذين يحبون الموجود والحقيق ، فى كل موضوع ، لا ندعوهم محبّى التصوُّر بل فلاسفة غ : — نعم ، من كل بد



الكتاب السادس

الفلاسفة

خلاصته

قد تبينّا الفرق بين الفلاسفة الحقيقيين وبين الدجالين . وواضح أن الاولين هم الذين يعيّنون حكاماً فى الدولة فنتقدم الآن إلى تعداد مزايا الفطرة الفلسفية الحقيقية وهى : —

١ً : — الرغبة الوقّادة فى معرفة كل الموجودات الحقيقية

٢ً : — بغض الكذب ومحبة الصدق محبة صادقة

٣ً : — احتقار اللذات الجسدية

٤ً : — عدم الاكتراث للمال

٥ً : — سمو المدارك وحرية الفكر

٦ : — العدالة والدماثة

٧ً : — سرعة الخاطر والذاكرة الحافظة

٨ً : — فطره موسيقية قانونية متزنة

هنا اعترض اديمنتس قائلاً : مع أنهُ لا ينكر قوة حجج سقراط ، قد وجد ، فعلاً ، أن طلاّب الفلسفة الاخصاء يصبحون دائماً عديمى النفع وشاذين ، إذا لم نقل ساقطين كل السقوط

فأجابهُ سقراط أن ذلك صحيح ، ولكن على من يقع اللوم فى أحوال كهذه ؟ انه يقع على السياسة وعلى ساسة هذا الزمان ، لا على الفلسفة . لأن أوصاف الفلسفة الحقيقية ، فى الأحوال الحاضرة ، معرضة للفساد بتأثير قوى مضادّة . ومتى تنكب الموصوفون بأنهم فلاسفة حقيقيون ، عن طلب الفلسفة ، ملأ مراكزهم عديمو الكفاءة من ضعاف الطلاب ، الذين أفسدوا سمعة الفلسفة بسفسطتهم وتُرّهاتهم . فعرَج ، من ثمَّ القلائل المخلصون الولاء للفلسفة عن منصات السياسة ، وآثروا العزلة على الفساد لدى احتكاكهم بالناس

فكيف نعالج هذا الخلل ؟ يجب أن تنظم الدولة دروس الفلسفة ، وتسهر على طلابها ليطلبوها بالطرق القانونية ، وفى السن الملائم ، وعندئذ يحق لنا أن ننتظر أن يصدقوا قولنا أنهُ : إذا شاءت الدولة احراز الفلاح فلتسلم مقاليد أحكامها للفلاسفة . فاذا نفذ ذلك ، كما هو الراجح ، تحققت دولتنا المثلى ، وبلغنا النتيجة التالية — ان النظام الآنف

هو الأفضل إذا أمكن تحقيقه . وان تحقيقه عسر ، لكنه غير مستحيل

فالنتيجة واضحة وهى أن هؤلاء الفلاسفة الحقيقيين هم حكام الدولة المثلى . وهكذا تطرّق سقراط إلى استئناف البحث فى تهذيب الحكام . وكان قد ذكر قبلاً عدة امتحانات يجوزونها ، قبلما يتمتعون بحقوق الحكم . والآن نقول انهُ علاوة على تلك الامتحانات ، يلزم امتحانهم فى دروس جمة ، فيرقّون تدريجًا من الأدنى إلى الأعلى ، لاستكشاف صفاتهم العقلية والأدبية

فما هي الدروس العليا ؟ — أسماها كلها درس « الخير » الذى يطمع كل إنسان فى امتلاكه كل الطمع ، مع أن لا أحد يستطيع أن يؤدى بيانًا واضحًا فى ما هي طبيعته . أفليس واضحًا أنهُ ينبغى لحكام الدولة أن يدرسوا « الخير » ؟ . فانهم ليعجزون عن اتمام واجباتهم بدونه

فسأل اديمنتس : — ما هو « الخير » ؟ . فأقرّ سقراط بعجزه عن إجابة هذا السؤال بالضبط . ولكنهُ يستطيع إبداء رأيهِ على سبيل التشبيه . لنا فى عالم الحس الشمس ، والعين ، والاشياء المنظورة . يقابلها فى العالم العقلى الخير ، والذهن ، وصور النماذج الأصلية ، وبلغة سقراط « المثُلُ » . ويمكننا أن نصف الفكرة لأنفسنا وصفًا أكثر تدقيقًا على الصورة التالية : يوجد عالمَان — العالم المنظور الذى تتناوله الباصرة ، والعالم العقلى الذى تتناوله البصيرة ، وفى كل منهما قسمان يتدرّجان من الخفاء إلى الوضوح هكذا :

ا — العالم المنظور وفيه ١ً : الصور . أى الظلال ، والانعكاف ٢ً : الموضوعات ، أى الأشياء المادية حية وجماديّة :

ب — العالم العقلى : وفيه ١ً : المعرفة المحصلة بواسطة المقدمات ، وعليها تبنى النتائج كافّة . ويستخدم لأجل إيضاحها الفرع الثاني من العالم المنظور كالهندسة مثلاً

٢ً : المعرفة التى ليس فى أبحاثها أشياء مادية بل تقتصر على الصور الجوهريّة ، التى تعالج الفروض للتوصل إلى مبدإ أولىّ مطلق نستخرج منهُ نتائج صحيحة . يقابل هذه الأقسام الأربعة حالات عقلية أربع ، تتقدم من الخفاء إلى الوضوح هكذا :

١ً : الظن . ٢ً : الاعتقاد . ٣ً : الفهم . ٤ : الادراك

متن الكتاب

٤٨٤ سقراط : — فهؤلاء هم الفلاسفة الحقيقيون يا غلوكون ، وأولئك هم الأغيار. وقد عرفنا ذلك بعد البحث الطويل الشاق ، فى من هم الفلاسفة الحقيقيون ، ومن هم غير الحقيقيين

غ : — نعم ، وربما لم يكن اختصار البحث سهلاً علينا

س : — واضح انه لم يكن سهلاً على انى ما زلت أرى انه كان يمكنا بلوغ النتيجة على وجه أوضح ، لو حصرنا كلامنا فى هــذا ولم نشتبك فى شتى المواضيع التى تترصد التفاتنا إذاً رمنا أن نثبت ما يقوم به فضل حياة البر على حياة الشر

غ : — فماذا نصنع بعده ؟

س : — كل ما علينا هو أن نتخذ الخطوة الثانية فى الترتيب . لما كان الفلاسفة هم القادرين على إدراك الأبدي غير المتغير ، ولما كان العاجزون عن إدراكه تائهين فى بيداء التغير وتعدد الصور ليسوا فلاسفة ، فأي الفريقين يجب أن يحكم !

غ : — بماذا أجيب إذا رمت أن أنصف القضية ؟

محبو الحكمة هم أرباب البصيرة

س : — سل نفسك أى الفريقين قادر على رعاية قوانين الدول وعاداتها ، وليكن هؤلاء الحاكمين غ : — أنت مصيب

س : — أفيمكن أن نسأل هل الأعمى أو البصير هو أهل للحكم ، ولحفظ كل شيء ؟

غ : — لا محل لهذا التساآل

وغيرهم عميان عن الحقيقة الجميلة

س : — أفتظن أن هنالك أقل فرق بين حال العميان ، وحال الذين تجردوا كل التجرد من معرفة الأشياء على ما هي فى ذاتها ، وليس لهم فى نفوسهم مثــل واضح ، وليسوا بقادرين أن يتفرسوا فى الحقيقــة الكاملة تفرس المصورين ، فيتخذونها نموذجاً دائماً يتأملونه ويدرسونه بأتم عناية قبلما يتقدمون للعمل فى النظم الأرضيــة ، فى ما هو جميل وصالح وعادل ، واضعين ، هذه الأشياء فى محلها اللازم ، ساهرين على حفظها حيث وجدت

غ : — كلا ليس بينهم كبير فرق

فالحكام بارعون في نوعي الجدارة

س : — أفهؤلاء نعين حكاماً ، ونؤثرهم على العارفين كل شيء معرفة حقيقيــة ، وليسوا أقل من اخوانهم اختباراً ، ولا هم دونهم فى دوائر الفضل الأخرى ؟

غ : — من الجنون تولية غيرهم ، إذ انهم لا ينقصون جدارة ، ولأن النقطة التى يتفوقون فيها هي أهم كل شيء

الصلاحية العالمية والصلاحية الفلسفية ٤٨٥

س : — أفنتقدم الآن لتبيان كيفية امتلاكهم نوعي الجدارة ؟

غ : — من كل بد

اوصاف الفلاسفة الحاكمين

س : — اذا كان الأمر كذلك وجب، أول كل شيء، ان ننظر نظراً ثاقباً فى سجيتهم الخاصة كما قلنا فى مستهل بحثنا. وأظن انا إذا اتفقنا فيها ، اتفاقاً كافياً ، اتفقنا أيضاً فى امكان اقتران الجدارتين فى الأشخاص أنفسهم ، وان أرباب هــذه الصفات دون غيرها ، هم الذين يحكمون الدول غ : — وكيف ذلك ؟

اولا
حب المعرفة

س : — دعنا نسلم ان أرباب الفطـــرة الفلسفية هائمون بكل أنواع المعارف ، لتتجلى لهم حقيقة هــذا الوجود الخالد ، الذي لا يغيره الزمن ، ولا تسطو عليه عوادي المحن

غ : — فلنسلم

ثانياً
حب الوجود حباً كافياً

س : — ولنفرض أيضــاً انهم شغفون بحقيقة الوجود الخالد ، لا يرضون منهُ بديلاً ، ولا أن يحذف فرع من فروعهِ ، كبيراً كان ذلك الفرع أو صغيراً ، معتبراً أو مستصغراً كما أبنّـا ذلك سابقاً ، في كلامنا في أرباب المطامع والحب غ : — أنت مصيب

س : — والآن تتقدم لنرى هل فى الامكان أن نجـد صفة ثالثة فى خلق الذين تنطبق أوصافنا عليهم غ : — وأية صفة تعني

ثالثاً
حب الصدق ومقت الكذب

س : — أعني صفة الصدق ، أي العزم على تجنّب الكذب فى كل صوره ما أمكن ، ومقتهِ مقتاً كليـاً ، ومحبة الصدق محبة حقيقية

غ : — نعم ، والأرجح اننا سنجد فيهم هذه الصفة

س : — ليس الأرجح فقط ياصديقي ، بل انها ضرورة لا مندوحة عنها . فان من كان فيهِ شغف فطري بشيءٍ سرَّ بكل ما اقترن بذلك الشيء اقترانا وثيقا غ : — يقيناً

س : — أفتجد حليفاً ألصق بالحكمة من الصدق ؟ غ : — مؤكد لا

س : — أفتستطيع فطرة واحدة أن تحب الحكمة ، وفى الوقت نفسه تحب الكذب ؟

الصدق
قرين الحكمة

غ : — لا يمكن ذلك قطعاً

س : — فالنتيجة هى أن عاشق المعرفة الحقيقيـــة يصبو إلى الصدق ، منذ الطفولية صبواً شديداً غ : — نعم يصبو

س : — ولا نرتاب فى أن من تنصبّ رغباتهُ على شيءٍ انصباباً شديداً يضعف ميلها الى سواهُ ، كالماء الذي يتحوَّل عن مجراهُ غ : — نعم ، لا شك فى ذلك

رابعاً
هجر اللذات الجسدية

س : — فمتى تحوَّل التيار نحو العلم بكل فروعهِ ، حامت رغبات المرء حول اللذات العقلية . هاجرةً اللذات التى محورها الجسد ، هذا اذا كان كانت محبتهُ الحكمة حقيقية لامصنَّعة

غ : — لا يمكن أن يكون غير ذلك

خامساً
شديد القناعة

س : — ثمَّ ان انساناً كهذا يكون عفيفاً ، لا يسوده الطمع . لأنهُ أبعد أهل الدنيا عن اعتبار الأشياء التى تحمل المرء على الاستماتة فى حب المال مهما يكلفهُ الأمر غ : — يقيناً

س : — وهنالك نقطة أخرى ينبغي لك اعتبارها فى تميز السجية الفلسفية عما سواها

٤٨٦

غ : — وما هي ؟

سادساً
نبذ السفالة والصغارة

س : — انها تحذر التغاضي عن أية وصمة سافلة ، لأن الصغارة أعظم ضـدّ للنفس المتصفة بالميل التـام لامتلاك الحقيقة الالهية والبشرية ، فى حالي وحدتها وتعميمها ، فى كل أين وآن غ : — غاية فى التأكيد

سابعاً الزهد في الحياة الحاضرة تامناً الشجاعة تجاه الموت تاسعاً النأي عن العناد

س : — أفتظن أن النفس الملوءة بالأفكار السامية ، الممتازة بالتفكر ، يمكنها أن تعلق شأناً كبيراً على الحياة الحاضرة ؟ غ : — كلاً ، ذلك ، غير ممكن

س : — فانسان كهذا لا يحسب الموت حادثاً مروّعاً

غ : — مؤكد انهُ لا يحسبهُ كذلك

س : — فلا حظّ للفطرة الجبانة فى الفلسفة الصحيحة غ : — لا أراها تتمكن منها

س : — أفيمكن عقلاً متزناً ، حــرًّا من الطمع والسفالة والعجرفه والجبانة ، أن يكون صعب المرأس أو متعدياً ؟ غ : — غير ممكن

س : — فحين تراقب ظاهرات الخلق الفلسفي ، والخلق غير الفلسفي ، يجب أن تلاحظ أيضاً منذ الصغر هل ذلك العقل لطيف عادل أو شرس ووحشى غ : — تماماً هكذا

عاشراً سرعة الخاطر في التحصيل

س : — وهنالك نقطة أخرى لا أخالك تغفلها غ : — وما هي ؟

س : — أبسرعة يتعلم ذلك العقل أم ببطء ؟ لأنك لا تستطيع أن تتوقَّع أن يحبّ أحد عملاً ما محبة كاملة وهو يتعاطاهُ بصعوبة وانزعاج ، فيكون تعبهُ كثيراً ونجاحهُ قليلاً

غ : — كلا . ذلك مستحيل

(١١) الذاكرة الحافظة

س : — واذا كان حليف النسيان ، فلم يذكر شيئاً مما حصلهُ ، أفلا تفرغ جعبته من المعرفة ؟ غ : — تفرغ

س : — أفلا تظن ان جهوده العقيمة تنتهى بهِ إلى كرهِ نفسه ووظيفته ؟

غ : — دون شك

س : — فلا ندرجنّ حليف النسيان فى عــداد النفوس الفلسفية ، بل نطلب ذوى الذاكرة الحافظة غ : — من كل بد

(١٢) محبة الاتساق

س : — ونقول عن يقين ان النفس المرتكبة غير المهذّبة ، هى كلية الاتجاه الى عدم الاتساق غ : — حقيق

س : — أو حليفة الاتساق الحقيقة أم حليفة عدمهِ ؟ غ : — حليفة الاتساق

(١٣) محبة الجمال

س : — فندرج فى عداد مطالبنا عقلاً مطبوعاً على الجمال والاتساق ، فى مَن تأذن لهُ غرائزه أن يفهم صور الأشياء على ما هي فى ذاتها ؟ غ : — من كل بد

س : — فماذا إذاً . هل تظن ان الأوصاف التي ذكرناها ضرورية ، أو انهما متناقضة فى النفس التي ترمي إلى امتلاك الوجود الحقيقي امتلاكاً تامًّا ؟

٤٧٨

غ : — بل على الضد من ذلك ، هي أكثر الأوصاف ضرورية

س : — أو يمكنك أن تجد عيباً فى عمل يتطلب ممن تعاطاهُ عن جدارة أن يكون ذا ذاكرة حافظة ، سريع الخاطر ، ذكي الفؤاد ، حلو الشمائل ، محباً وحليفاً للحقيقة والعدالة والشجاعة والعفاف ؟ غ : — كلا . ان نابغة النقد نفسه لا يمكنهُ أن يجد عيباً فى عمل كهذا

س : — افتتردّد فى أن تعهد الى هـذه الخلال ، فى إدارة مصالح الدولة ، وقد انضجها السن والتهذيب فاهـّلها لوظيفتها هذه

سقوط الخصم امام حجج افلاطون

فقاطعنا اديمنتس الـكلام قائلاً : — حقـًا يا سقراط انهُ لا يمـكن أحد أن ينكر هـذه النتائج . ولـكن كل الذين يسمعون ما أبديتهُ من النظريات يشعرون بشيء مـن الريبة : إنهم نظراً إلى عـدم تعوُّدهم اسلوب بحثك ، سؤالاً وجوابًا ، يشعرون ان كل جمـلة تقولها تبعدهم عنك قليلاً . وفي ختـام البحث يؤلّـف مجمـوع تلك الفروقات الزهيدة بينك وبينهم ثغرة هي كخطوة عنك ، تقودهم ضد اقتناعاتهم الأولى . وكما أن لاعبي الداما الضعفاء تنحصر حجارتهم فى آخر اللعب فى زاوية الداما تجاه حجارة اللاعب الماهر ، فيعجزون عن نقل أى حجر منها . هـكذا سامعوك ينحصرون أخـيراً أمامك ، ويفحمون بهذا النوع من الداما الذي تقوم فيهِ الـكلمات مقـام الحجارة . وفي ختـام البحث لا يمـكنهم الاقتناع قطعًا ، ان النتيجة التي بلغوها حاسمة . أقول ذلك باعتبار بحثنا الحـالي . فقد يصارحك الواحد منهم انهُ وان لم يقدر أن يناقضك فى كل سؤال كلمة فكلمة ، لـكنهُ يرى فعلاً ان جميع الذين خاضوا عباب الفلسفة ، ردحًا من الزمن ، كانوا راغبين فى التخلص منها فى عهد الصبا ، بدلاً من أن يستخدموها في التهذيب . فصار أكثرهم إلى حال الجمود ، ان لم أقل صار منحطـا . حتى أن الذين هم أكثر كفاءة صاروا أردأ حالاً باعتبار ما أوجبتهُ من الاعمال فكانوا بلاءً على امتهم

س : — أفتظن ان المعارضة غير حقيقية ؟

اد : — لست مؤكداً ، وانما يسرنى أن أسمع رأيك

س : — دعني أخبرك انى أراها معارضة حقيقية

اد : — فـكيف يصح قولك : أن تعاسات الدول لا تزول حتى يحـكمها الفلاسفة الذين نراهم عديمي النفع ؟

٨٤٨

س : — انك تسألني مسألة يلزمها التمثيل

اد : — ويظهر انك لست متعوّداً ضرب الأمثال !

س : — انك تهزأ بي . وقد قدتني إلى موضوع يعسر إيضاحه ، فاسمع مثلى ترَ شـدة حرصي على العمل . أن آلام الرجال المعتبرين فى إدارة مصالح الدولة بالغة من التبريح مبلغًا لا يضارعهُ تبريح الآلام فى مركز غيرهم . فألتزم فى دفاعي عنهم أن أجمع المواد من جهات شتى ، كما يفعل الرسّامون فى رسم الأيائل ونحوها من الوحوش . فتصوَّر فى عقلك اسطولاً ، أو سفينة واحدة ، تجري الحوادث فيها على النحو الآتي بيانهُ : يفوق رئيسها جميع البحارة طولاً وقوة ، لـكنهُ أصمّ حاسر النظر . ولذلك كان عاجزاً فى فن الملاحة . فتنازع الملاحون فيما بينهم ، زاعمًا كل منهم انهُ هو الذى يجب أن يكون الربان ، مع انهُ لم يتعلم هـذا الفن ولا يمـكنهُ أن يذكر استاذاً له فيهِ ، أو يقول متى درسهُ . زد على ذلك انهم يقولون ان

ثورة الجهل على العلم

فن الملاحة لا لزوم لتعلمه ، ومن خالف قولهم هذا همّوا بتمزيقه . ثم انهم يتألبون حول الرئيس ، ويلحفون عليه بالرجاء والتوسل أن يسلّم دفة السفينة إلى أيديهم فاذا لم ينجحوا في اقناعه ، وهم يرون ان غيرهم قد نجح في ما فشلوا هم فيه ، تثور حفيظتهم عليه ، فاما أن يقتلوا من زاحمهم ، أو يطرحوهُ عن ظهر السفينة ، أما الربان فيغلونهُ يداً ورجلاً ، أما بواسطة الخمرة والمخدرات ، أو بغيرهما من الذرائع ، ويصبحون سادة السفينة ، ويسيّرونها حسب أهوائهم ، بمساعدة ملاحيها ، ويقضون وقتهم في الشرب والطرب ، كما ينتظر من أمثالهم في مثل حالهم ، ويجودون بالألقاب كقولهم « البحّار الكفؤ » و « الملاّح والحاذق » و « الربان الممتاز » ، على أيّ بحّار ساير رغباتهم ، أو أرغم الرئيس على التسليم بها .

وتفوق البطل على الحقيقة

ويحسبون كل من خالفهم عديم النفع . غير فاهمين ان الربان الحقيقي يلزمهُ الانتباه الى فصول السنة ، وحالة الجو والنجوم ، ومهابّ الرياح ، وكل ما يتعلق بفنه ، إذا رام أن يكون رباناً كفؤاً . ويظنون انهُ يستحيل اتقان فن الملاحة ، وادارة الملاحين ، أرادوا أو لم يردوا . وإذ الأحوال على هذا النحو ، ألا تظن انهم يدعون الرئيس الحقيقي المتقن فنه ، في سفينة كهذه ، وأحوال كهذه ، « مهذاراً عديم النفع ، وراعي النجوم » ؟

٤٨٩

اد : — بلى ، يدعونهُ كذلك

س : — فلا أراك تفتقر إلى تفسير هذا المثل ، فتذكر انهُ صورة حقيقية لدولنا في ما يتعلق بمعاملتها الفلاسفة ، بل أراك فاهماً ما اعنيه تمام الفهم اد : — نعم ، بالتمام

س : — وعليه ، فاذا تعجّب أحد من أن الفلاسفة غير معتبرين في دولنا ، فأورد لهُ مثلنا هذا ، وأقنعهُ ان الأمر كان يكون أعجب لو انهم معتبرون . اد : — سأفعل ذلك

اعتزاز الفلاسفة

س : — وواصل كلامك فاخبره انه مصيب في قوله ، ان أكثر الذين تعاطوا الفلسفة اعتباطاً هم عديمو النفع في الدنيا . ولكن دعهُ يلقي اللوم في ذلك على الذين رفضوا خدمة هؤلاء الصالحين ، لا عليهم هم . لأنهُ ليس أمراً ينطبق على طبيعة الأمور أن يلتمس الربان من البحارة أن يأذنوا لهُ في أن يدبرهم . ولا أن يقرع الحكيم أبواب الغنى . ومن قال كذلك فهو على خطأ مبين . والحقيقة الراهنة هي أن المريض ، فقيراً كان أو غنيًّا ، هو الذي يقرع أبواب الطبيب . هكذا كل الذين يحتاجون إلى الحاكم ينشدون ربّ الكفاءة — لأنهُ ضد الطبيعة ان الحاكم ، الذي هو على شيءٍ من الجدارة ، يستعطف الرعايا لكي تخضع لحكمه . فلا تخطيء كثيراً إذا قابلت مثل البحارة الآنف ذكرهم بحال الساسة في هذا الزمان ، والثرثارين عديمي النفع ، كما يدعونهم ، بالربابنة الحقيقيين

اد : — غاية في الاصابة

اضرار منتحلي الفلسفة

س : — في أحوال كهذه ، وبين أقوام كهؤلاء ، لا يهون اشتهار أشرف الأعمال بين الذين تناقض هذه الأعمال تصرّفاتهم . على أن التحريف الأكثر إضراراً وسماجةً ،

تحت علم الفلسفة ، ينشأ عن منتحليها . وهم الذين ، بلا ريب ، يعنيهم شاكوها بقولهم فيهم ما أوردتهُ أنت : ان أكثرهم منحطين ، وان أفضلهم عديم النفع : — وقد سلمت بصحة ذلك في كلامي السابق . ألم اسلّم ؟ اد : — قد سلمت

س : — وقد أوضحنا السبب في كون أفضلهم عديم النفع . ألم نوضحهُ ؟

اد : — أوضحناه ، بالتأكيد

س : — أفتريد أن تتقدم بعده إلى البحث في سبب انحطاط أكثرهم ، ونبين ، اذا كان التبيان في مستطاعنا ، ان الفلسفة بريئة الساحة من هذه الجريمة ؟ اد : — أريد من كل بد

مكانة الصدق

س : — فسمعًا لما يقال ، ولنرجع إلى النقطة التي كنّا عندها فنصف ما يجب أن تكون سجية البار الطبيعيّة . وان أول شارات تلك السجية ، وأهمها إذ كنت تذكر ، هي « الصدق » الذي يتحتم على المرء التزامه بتمام الاخلاص . واذا كان دجّالاً سقطت كل دعاويه في انتمائهِ إلى الفلسفة الصحيحة اد : — نعم ، قلنا ذلك

س : — أفليست هذه إحدى النقاط التي تضاد الرأى الذائع في عصرنا الحالي ، على خطٍّ مستقيم اد : — انها لهي

الحقيقة ضالة العبقري

س : — أو لا ندفع دفاعًا معقولاً إذا قلنا : ان عاشق المعرفة الحقيقي يسوق كل عرقٍ نابضٍ في جسمهِ لإدراك الوجود الحقيقي ، نائيـًا ، أقصى النأى ، عن الوقوف عند الظاهرات الكثيرة ، التي ينحصر وجودها في دائرة التصوُّرات : فيتخطاها ، ولا ينثني عزمًا ، أو يفتر شغفًا ، حتى يفهم طبائع الأشياء على ما هي في ذاتها ، بالقسم المختص من نفسه بادراك موضوعٍ كهذا ، باعتبار التجاذب بينها — ومتى بلغ ، بواسطتها ، الوجود الحقيقي ، ولاذ به ، تفجّرت في نفسهِ ينابيع الحكمة ، وحينذاك ، ليس الاَّ ، يعرف الحياة الحقيقية ويتمتع بها ، ويحصل على الغذاء الحق ، وينجو أخيراً من آلام السياحة

اد : — ذلك أفضل دفاع ممكن

س : — أفيوصم رجل كهذا بمحبة الكذب ، أم انهُ يبغضهُ بغضًا شديداً ؟

اد : — يبغضهُ

س : — ومتى كان الصدق قائداً ، فلا يمكننا التسليم بأنهُ سيتبعهُ قطار من الشرور

اد : — مؤكد ، لا نسلّم

س : — بل نجزم أنهُ يرافقهُ ميل صحيح عادل ، يتلوهما الترصُّن اد : — حقيق

فضائل الخلق الفلسفي

س : — ولسنا في حاجة إلى تكرار ما أسلفنا من بيان . فنعيد الكرة على ترتيب حاشية الخلق الفلسفي . لأنّا قد تبينّا ، كما لا بد انك تذكر ، ان في حاشيتهِ الطبيعية الرجولة ، وعزة النفس ، وسرعة الخاطر ، والذاكرة الحافظة . فعارضت قائلاً ، انهُ لو ان كلاً ملزم بالتسليم بصحة نتائجنا ، فانهُ حين يعرج عن البحث ، ويحوّل نظره إلى

الأشخاص الذين هم موضوع ذلك البحث ، يتولَّد فيه الاقتناع ان بعضهم عديم النفع وان أكثرهم منحط . ولذلك بحثنا فى أسباب هذا التحامل وبلغنا هذا السؤال : لماذا كان أكثرهم منحطًّا ؟ هـذا هو سبب عودتنا إلى النظر فى خُلق الفلاسفة الحقيقيين ، وقد رأينا اننا مفتقرون إلى تحديده   اد : ــ حقيق

٤٩١

عوامل افساد الفلسفة

س : ــ فمن الضرورى درس العوامل المضرة ، التى تفسد الخلق الفلسفى فى الكثيرين ، وقليلون فقط ينجون من تأثيراتها . وهم الذين ندعوهم عديمى النفع ، ولكنهم ليسوا بمنحطين . ثم ننظر فى الطبائع المقلدة الفلسفة الحقيقية ، المقتفية خطواتها ، فنبين كنهها عقليًّا ، وكيف تطرقت إلى مهنة أسمى وأصلح . وارتكبت خطيئات كثيرة ، فألصقت بالفلسفة فى كل زمان ومكان التهمة التى ذكرتها

اد : ــ ما هى التأثيرات المضرة التى تعنيها ؟

س : ــ سأعيد وصفها لك إذا أمكن . وأظن ان كل واحد يسلم معنا ان خلقًا كهذا ، مع كل المزايا التى أوجبنا وجودها فى من يروم أن يكون فيلسوفًا ، هى مما يندر وجوده فى الناس . أتظن خلاف ذلك ؟   اد : ــ كلاَّ ، لا أظن

س : ــ فانظر ما أكثر الأخطار التى تصدم هذه الصفات النادرة   اد : ــ وما هى ؟

س : ــ هي أغرب ما طرق المسامع . وهو ان كلاًّ من المزايا التى أوجبناها فى فطرة الفلاسفة ، تميل إلى إفساد النفس التى تمتلكها ، وتقصيها عن مواطن الفلسفة . أعنى بتلك المزايا الرجولة والعفاف ، واخواتهما التى سبقت فذكرتها   اد : ــ ذلك غريب جدًّا

الشر من الخير

س : ــ عدا ذلك فكل فوائد الجمال ، والغنى ، والثروة ، والقوة الجسدية ، وتوثق العرى فى الدولة ، وكل ماله نسابة إلى هـذه الأشياء يفسد النفس ويدمرها دماراً . فلك هنا خلاصة ماعنيتهُ   اد : ــ نعم وبسرور أحب أن أسمعهُ على وجهٍ يكون أكثر تفصيلاً

س : ــ فافهم الجملة تمامَ الفهم تبدو واضحة لك بنورصاف . فلا يلوح ماقلتهُ لك غريبًا

اد : ــ فماذا تأمرنى أن أفعل ؟

س : ــ نعلم ان فى كل أنواع البذور ، وكل ماينمو ، من نبات وحيوان ، ما لا يحصل على مايلائمهُ غذاءً وتربيةً وبيئةً . فكلما كانت طبيعتها أقوى كان فسادها، وتشويه محاسنها الخاصة بهاء أشد . لأن الشر على ظنى ، أكثر مضادة للخير منهُ لغيرهِ

اد : ــ نعم يمكننا أن نعلم ذلك

تحول المواهب تحولا محزناً

س : ــ أفلا نقول يا اديمنتس ، بالقياس نفسه ، ان العقول الكبيرة إذا بليت بثقافة ردية فسدت فساداً بليغًا ؟ أو تظنّ ان الجرائم الكبرى ، والانحطاط التام ، ينشآن عن سجية ضعيفة ، لا عن سجية سامية أفسدها سوء المعاملة ؟ أو ان الطبيعة الواهنة تولد شيئًا عظيماً ، خيراً أو شرًّا ؟   اد : ــ كلاَّ . ظنى كظنك

٤٩٢ البيئة تفسد السجية

س : — فأرى ، بحكم الضرورة ، ان الطبيعة التى قررنا وجودها فى الفيلسوف ، إذا حصلت على التهذيب الملائم ، نمت وامتلكت كل فضيلة وجمال . على انها إذا غرست فى تربة غير صالحة ، واستمدت غــذاء رديًّا ، أمست خلاف ما ذكرنا . اللهمَّ إلاَّ إذا أمدها أحـد الآلهة بعون خاص . أوَ تظن ، كالأكثرين ، ان بعض النـاس أفسدهم السفسطائيون فى صغرهم ، وان السفسطائيين يفسدون السجايا إفساداً كبيراً ؟ أوَ لا ترى ان الذين يقولون هـــذه الأقوال هم أكثر سفسطه ؟ فيبثون تعليمهم فى النفوس بأفعل الذرائع ، ويطبعون بطابعهم الشبان والشيوخ ، ذكوراً وإناثاً اد : — ومتى ؟

الضجات سلاح المزيفين

س : — متى احتشدوا فى الأندية ، أو فى أندية القضاء ، أو فى المسارح ، أو فى ثكنات الجنود . أو فى غيرها من المجتمعات العمومية ، يفندون الخطب أو التمثيل بصيحات وضجات ، وعلى هذا القياس يزكون غيرها ، مغالين فى تفنيدهم وتزكيتهم . فتردد الأرض والحجارة أصـــداء صيحاتهم ، فتتضاعف . فأى ضبط نفس تنتظر من الشاب فى موقف كهذا ؟ أو أى نصح يسكن جأشه ، فلا يُـراع بصدمات المدح والقدح ، ويحمل بتيارهما الجارف أين سار ، فيصير يستحسن لهجة هؤلاء الأقوام ، فى ما هو معتبر أو محتقر ، فيقلدهم ويصير واحداً منهم ؟ اد : — انها نتيجة صحيحة يا سقراط

س : — على اننا لم نذكر بعد أعظم أثرٍ ينجم عن ذلك اد : — وما هو ؟

استعمال القوة دليل الافلاس من البرهان

س : — هو ان هؤلاء السفسطائيين المهذبين ، متى عجزوا عن بثّ تعاليمهم ، عمدوا إلى القوة ، كما لا يخفى عليك ، فعاقبوا من عجزوا عن أقناعهم بحرمانهم من الحقوق المدنية وبالتغريم وبالموت اد : — حتماً انهم يفعلون ذلك

س : — فأى سفسطائى ، أو أية تربية ، يمكن أن تتغلب على هذه العوامل ؟

اد : — لا أظن ان شيئاً يتغلب عليها

س : — كلاَّ ، لا يتغلب . بل ان مجرد محاولة ذلك جنون مطبق . لأنه لم يكن ، ولا كان ، ولن يكون ، خلق يعتبر الفضيلة خلاف هذا الاعتبارِ — إذا ثقف الثقافة التى تبثها فيه المجتمعات المألوفة . اتكلم إنسانيًّا ، ياصديقى ، لأنهُ على كل حال ، «تستثنى العناية» كما يقول المثل . فكن على يقين انك لا تخطىء فى قولك ان كل ما حفظ من نظم الدول ،

٤٩٣

وسيغ بالصيغة الواجبة ، قد صيغ وحفظ بعناية إلهية اد : — وأنا من هـذا الرأى

س : — فأريد أن تضيف إلى لائحة آرائك ما يأتى اد : — وما هو ؟

البانى على غير أساس

س : — ان هؤلاء النفعيين ، الذين يدعوهم الجمهور سفسطائيين ، ويحسبونهم مزاحمين فى هذا الفن ، لا يعلّـمون من العقائد إلا ما يستحسنهُ العامة فى مجتمعاتهم ، ويسمونهُ حكمة . فهم كمن درس طبائع وحش ضار كان يسوسه ، وخـــبر ملاحهُ ابان هياجه ، وعرف رغباته ، وتعلّـم كيف يدانيه وكيف يلمسه — وفى أى الأحوال والأوقات يكون أكثر

خطراً . أو أكثر هدوءاً ، وفى أى الأحوال يصدر مختلف الأصوات ، وأى الأصوات التى تصـــدر عن الجمهور تثيره أو تهدئه — ولما تعلّم كل ذلك ، بملازمة الوحش طويلاً ، سمّى معلوماته هذه « حكمة » فنظم فنًّا ، وفتح مدرسة ، مع انهُ يجهل كل الجهل أى هذه الرغبات والمجون جميل وأيهـا قبيح ، وأيها صالح وأيها ردىء ، وأيهـا عادل وأيها باطل . ولذا يكتفى باطلاق هـذه الأسماء بحسب حالات الوحش فيدعو ما يسره خيراً ، وما يسوءه شرًّا . وليس عنده مقياس آخر للحكم . انما يدعو الأشياء عادلة وجميلة ، مع انها صنعت بحكم الضرورة . فلم يرَ ، ولا يقدر أن يبين للسوى ، ما هي طبائع الأشياء الضرورية والصـالحة ، ودرجات تفاوتها . فبحق السماء قل ألا ترى شخصاً كهذا معلماً غريب الشكل

اد : — هكذا أرى

وان الفضل يعرفه ذووه

س : — أو تظن أن هنالك أي فرق بين شخص كهذا وبين رجل يزعم أن الحكمة مؤلفة من درس غضب الجمهور المتنوّع ومسراته المتقلبـة ، فى ما يتعلق بالتصوير والموسيقى والسياسة ؟ لأنه مع التسليم ان الانســان اذا امتزج بالجمهور وأراهم شعراً أو أثراً فنيًّا ، أو عملاً سياسيًّا يعود بالنفع على الدول ، وجعلهم حكماً فيه ، واضعاً نفسه بين أيديهم أكثر مما هو ملزم بذلك : إذا فعل ذلك ، وجد نفسه مضطراً لعمل ما يأمرونهُ به . وهل سمعت أن أحداً أورد سبباً غير واهن يثبت أن ما يرضى الجمهور هو بالحقيقة صالح وجميل ؟

اد : — لم أسمع ذلك ، ولا أظن انى سأسمعهُ

٤٩٤ الجمال الجوهرى

س : — فاذا حفظت كل ذلك فى قلبك ، فدعنى أذكرك بنقطة أخرى : أيمكن الجمهور أبداً أن يسلم بوجود « الجمال الجوهرى » بازاء مواضيع الجمال العديدة ؟ أو وجود صورة جوهرية بازاء ظاهراتها الخاصة المنوّعة ؟ اد : — بالتأكيد لا يمكنهُ

س : — فلا يمكن الجمهور أن يكون متفلسفاً بمجموعه ؟ اد : — لا يمكنهُ

س : — فأساتذة الفلسفة منبوذون من الجمهور ؟ اد : — منبوذون

س : — وبنوع خاص من المغامرين الذين يسايرون رغبات الغوغاء ويصحبونهم

اد : — واضح

مزايا السجايا الفلسفية

س : — فأية سلامة ترى للسجية الفلسفية فتستمر فى مجراها لادراك كمالهـا ؟ واعتبر نتائجنا السالفة ، فقد قررنا أن سرعة الخاطر ، والذاكرة الحافظة ، والرجولة ، وعزة النفس ، هى مزايا السجية الفلسفية اد : — نعم قرّرنا

س : أفلا يصير إنسان كهذا الاوّل فى كل شيء منذ نعومة أظفاره ؟ ولا سيما إذا كانت بنيته الجسدية تتفق مع مواهبه العقلية ؟ اد : — مؤكد يصير

س : — وأظن انهُ حين يتقدم فى السن يميل أصحابهُ ومواطنوه إلى استخدامه فى قضاء مصالحهم الخاصة ؟ اد : — بلا شك

س — وبالنتيجة يترامون على قدميه ، ويرفعون اليه آيات التوسل والمجاملة ، ويجهرون بتمليقه ، متوقعين له مستقبلاً زاهراً اد : — هكذا يحدث عادة

اغترار الجهول باطراء الجمهور

س : — فماذا تظن ان شخصاً كهذا يعمل ، في حال كهذه ؟ ولا سيما اذا اتفق انهُ كان غنياً شريف المحتد ، باهر الجمال ، من دولة عظيمة ؟ ألا تملأ دماغه الأحلام . فيتوهم في نفسه الكفاءة لإدارة مصالح اليونانيين والبرابرة . فيرتفع على أسس غير راسخة ، حتى يبتلعهُ أخيراً الغرور والاعتداد بالذات ؟ اد : لا شك في انهُ يتوهم

س : — فاذا دنا أحد من إنسان كهذا بلطف وصارحهُ الحقيقة ، وهو على ما وصفناه ، قائلاً له انه خلو من الحكمة الحقيقية ، بل هو غاية في الافتقار اليها ، وانه لا يفلح في طلبها إلاّ من وقف نفسهُ عليها . أفتظن انهُ من السهل استمالة نظره بينما المؤثرات الردية تتنازعه ؟ اد : — كلاّ . ان ذلك بعيد جداً عن السهولة

عبد الجمهور لن يكون عظيماً

س : — وإذا تحوّل إنسان كهذا بفضل ما فيه من خلق وذوق تالد ، وصار يرغب في الفلسفة ، وجدّ في طلبها مستسلماً خاضعاً ، فماذا تظن ان أولئك الذين خسروا صحبته والمنافع المادية التي كان يغدقها عليهم ، يفعلون به ؟ ألا يبذلون كل واسطة ، قولاً وفعلاً ، ليثبّطوه عن قبول الرأي الحكيم ، كائدين لهُ ، فيجرّونهُ الى المحاكم علناً ؟

اد : — أكيد ، ذلك ما يفعلونهُ

٤٩٥

موانع التفلسف

س : — أفلا ترى مدى إجابتنا في قولنا ، انه حتى مميزات الخلق الفلسفي نفسها إذا منيت بسوء التهذيب ، قد تكون علة تنكّب المرء عن طلب الفلسفة ، كما انها تؤدي إلى النتيجة نفسها ملابسات الغنى ، وكل أنواع الابّهة الخارجية ؟

اد : — بلى ، انها نظرات صائبة

س : — فهذا هو الدمار ، يا صديقي الفاضل ، وهكذا يكون الفساد الذي يحلّ بأفضل سجية محزناً ، في سبيل أشرف المطالب — سجية نادرة المثال كما أسلفنا . ولا شك في أن بين أفراد هذه الطبقة من يسبب أعظم ضرر للأفراد ، وللدول . كما انهُ يوجد الذين يسعون لأجل خير ذواتهم ، متى جرى التيّار على مشتهاهم . أما العقول المحدودة فلا تصنع شيئاً عظيماً للدول ولا للأفراد اد : — ذلك حقيق

هبوط أرباب المواهب

س : — وهكذا يحدث ان الذين هم الاقربون إلى الفلسفة يعجزون عن تأييدها ، ويهوون من حالق مجدهم ، تاركين الفلسفة ناقصة مهجورة . وإذ يختارون حياة لا تتّفق مع مكانتهم ، ولا هي صحيحة البناء ، يتطفّل على الفلسفة غير أهلها . لكونها يُتّمت من أهلها وهجرت . فيسيء هؤلاء اليها ويحملونها العار الذي أشرت اليه ، وبه يعيرها الناس قائلين ، ان أكثر طلابها عديمو النفع ، ولا وزن لهم ، أو انهم ، كما هو الواقع في أكثر الأحوال ، يستحقون صارم العقوبات اد : — حقاً ان هذه الملاحظات صائبة

قد يطمع بالفلسفة عديم الكفاءة

س : — نعم ، وطبيعية أيضاً . لأن اناساً آخرين ضُعاف الخلق ، إذ راوا المجال فسيحاً ، وغنيًّا بالأسماء الضخمة ، وألقاب الشرف الفارغة ، كان سرورهم عظيماً بأن يهجروا حرفهم ويتهافتوا على الفلسفة ، تهافت المجرمين على مبارحة السجون والإلتجاء إلى الهياكل ، كلما شعروا بالتفوق فى مهنهم الحقيرة . ومع كل ماحلّ بالفلسفة مازالت أبهى رونقاً وأسمى رتبةً من أية حرفة أخرى . وذلك ما يطمع فيـه كثيرون ممن فسدت مواهبهم الطبيعية من البـداءة ، وقد شُوّهت نفوسهم تشويهاً محزناً ، ووهنت بحيـاة الاستعباد ، كما شوّهت أجسادهم بكدحهم فى الصناعة والتجارة . أليس هذا هو الواقع ؟

اد : — مؤكد ان هذا هو الواقع

الاحلام الخادعة

س : — أفتراهم يختلفون كثيراً عن أجير الحداد الأصلع ، الذى جمع دريهمات قليلة على أثر خروجه من السجن ، ولبس بذلة جـديدة ، ومرح كعريس ، عازماً أن يتزوّج من ابنة معلمه ، يشجّعهُ على عزمه هذا ما حاق بوالدها من ضيق ذات اليد ؟

٤٩٦

اد : — لا أدرى أي اختلاف بينهما

س : — فأى نسل يلد قرانٌ كهذا ؟ أليس نغولاً سافلين اد : — ليس إلاّ

س : — فاذا اقترن بالفلسفة غـير أهلها ، ظاهرين بمظهر منـكر ، فماذا نصف طبيعة التصوّرات التى يلدها ؟ ألا نصفها وصفاً مدققاً بأنها سفسطات — مولود غـير شرعي — خالية من كل أثر للنظر الثاقب ؟ اد : — نعم حتماً

القلائل الذين فازوا بالفلسفة

س : — بقى قليلون من أرباب السجية السامية ، ممن تعاطوا الفلسفة عن جدارة يا اديمنتس ويتألف هؤلاء اما ممن فيهم سجية شريفة مهذّبة تهذيباً حسناً ، وقد حكم عليهم بالنفى وهم بعيدون عن عوامل الفساد ، لحفظوا أنفسهم ، وثبتوا فى الفسلفة ، أو انهم من ذوي العقول الـكبيرة ، وقد نشأوا فى دويلات صغيرة ، فازدروا سياسة بلادهم . ومن الممكن ان يكون قد انضم إليهم فريق صغير من أرباب الحرف الوضيعة الذين حملهم على احتقار حرفهم مالهم من المواهب ، فشكمتهم شكيمة صديقنا ثاجس ، الذى قيدتهُ صحتهُ فعجز عن مزاولة علاقاته الاجتماعية مع ان كل عامل آخر كان يدفعهُ إلى هجر الفلسفة ، ولست أذكر العامل الخارق الذى يصدّقني أنا ، لأنهُ على زعمى ، لوعرض لأحد فانما كان ذلك لقليلين من الناس قبل أيامى .

وما لقوا في سبيلهامن الصعاب

فمن كان من أفراد هـذه الفئة القليلة العـدد ، وقد تذوّق حلاوة المباحث الفلسفية وغناها ، وراقب جنون الـكثيرين من العـامـّة ، موقناً انهُ يندر وجـود من يخطو خطوة ثابتة فى حياته المدنية ، وان لا حليف يرافقهُ ليشـد إزرهُ فى نصرة العـادل ، بل انه لو حاول ذلك لـكان كالواقع فى جُبّ الوحوش — لا يريد أن يشاركها فى شرها ، ولا يقدر أن يدفع عنـهُ ثورتها ، فيهلك قبلما يستطيع أن يفيد بلاده وصحبه ، ويغدو عديم النفع لنفسه وللآخرين — ان إنساناً كهذا إذا سبق فوزن كل هذه الأمور ، لبث هادئاً صامتاً ، يلوذ

بشؤونهِ الخاصــة ، كمن يلجأ إلى جانب جدار تستراً مما تثيره الرياح من غبار ، تليهِ العواصف والسيول الجوارف . وإذ يرى ، وهو قابع فى محله ، الفوضى ناشرة جناحيها ، على عامة الجنس البشريِ ، يكتفي بضمان سلامتهِ من المظالم والارجاس ، ومتى أزف وقت إطلاق سراحهِ ، وخرج من المأزق الحرج متوشحاً بالرجاء الصالح ، مسروراً رصينا

اد : — لم يعمل أدنى عمل قبل خروجه

٤٩٧ س : — ولا أهمّ عمل إذ لم يجد دستوراً سياسيًّا يلائمهُ . لأنهُ فى دستور كهذا يبلغ أوج الرفعه ، بل يتمكن من صيانة مصالحه ، ومصالح بلاده أيضاً .

لقد بيّنا تبياناً كافياً ، أسباب التحامل على الفلسفة ، وما فى ذلك التحامل من روح التعدى ، إلاّ إذا كان عندك ما يقال غير ذلك

اد : — كلاّ . لا أقول أكثرمنالسؤال : أى نظام فى عصرنا أكثر ملائمة للفلسفة ؟

س : — ليس ولا واحد ممن ادعوه هكذا ، وما أشكوهُ هو : ليس ، فى نظامنا الحالى ، جمهورية هى بيئة ملائمة للطبيعة الفلسفية . ولذا أرى تلك الطبيعة قد التوت وفسدت ، فتغيرت تغير البذار الغريب الذى زرع فى تربة لا تلائمهُ ، ففقد مزاياهُ الخاصة ، وينحط إلى مستوى النبات العادى الذى هو دونهُ فى تلك البيئة . هكذا هــذا النوع من السجايا فى هذه الأيام . قد حبط مسعًى فى حفظ سجاياه الخاصة ، فهبط إلى غــير مستواه . ولو لاقى هذا النوع النظام الأفضل ، كالمثل الأعلى للفضائل التى فيه ، لتبرهن له على انهُ بالحقيقة من طرازٍ إلهى . وان كل أنواع الصفات والمهن الأخرى إنسانيــة . وظاهر انك تروم أن تسألنى ماهو هذا النظام.

تأثير البيئة فى السجية

اد : — أخطأت، فانْ ما كنت عازماً أن أسألهُ هو : أمتجهٌ أنت بفكرك وجهة هذا النظام ، الذي بحثنا فى تأسيسه ، أم انك تفكر فى غيره ؟

السلطة الدستورية

س : — فيهِ نفسه فى كل النقاط إلاّ واحدة ، وقد أشرنا إلى هــذه النقطة فى خلال البحث ، لما قلنا انهُ من الضرورى أن يكون فى الدولة سلطة تنظر فى النظام بالنور الذى استنرت بهِ أيها الشارع لما سننت القوانين اد : — حقًّا ، قد أشرنا إليها

س : — على انها لم تتضح اتضاحاً كافياً ، لأنى خشيت مقاومتك ، التى دلّتنى على ان إيضاحها أمر عسير شاق . وليس القسم الباقى من بحثنا أسهل مما مرّ ، بوجه من الوجوه

اد : — وما هو ذلك القسم ؟

س : — هو كيف تتفلسف الدولة ، دون أن تجلب على نفسها دماراً تامًّا . اننا نعلم ان كل الأشياء العظيمة خطرة ، وكما يقول المثل : النفائس صعبة المنال

النفيس عسر المنال

اد : — وعلى كلٍّ دع بحثنا يتم فى إيضاح هذه النقطة

س : — إذا كان عندى مانع فليس هو نقص الإرادة ، بل نقص المقدرة . ولما كنت

حاضراً فسترى غيرتي رأى العين . وسترى بأية غيرة قلت انهُ يجب على الدولة أن تجرب درس الفلسفة على غير النمط المألوف ادا : — وكيف ذلك ؟

٤٩٨ س : — ان أكثر طلاب الفلسفة فى الوقت الحاضر هم فتيان ، لم يكادوا يخرجون من طور الصبوة . وقد حصروا درس الفلسفة فى فترات أعمالهم اليومية وخدمتهم البيتيَّة ، وبعد أن درسوا أعوص أبواب الفلسفة ، أى فن المنطق ، هجروا الدرس هجراً كليًّا ، هؤلاء هم أرقى فلاسفة هذا الزمان . بعد ذلك إذا دعاهم أحد المشتغلين بهذا الفن ، حسبوا قبولهم دعوته تنازلاً عظيماً منهم . لأنهم يزعمون أن الفلسفة ، يجب أن تكون عملاً ثانويًّا لا أكثر . على أنهم متى تقدموا فى السن انطفأوا — إلا القليل منهم — ولا انطفاء شمس هيرقليطس (١) ، فلا ينيرون بعد انطفائهم إلى الأبد .

اد : — فما هي الخطة المثلى ؟

لائحة الحياة الفلسفية س : — هي على الضد من ذلك تماماً ، أى أن يعكفوا على درسها احداثاً ، درساً تتفق مع سنهم وتدرّجهم نحو الرشاد . ويلزم الانتباه لهم انتباهاً خاصًّا لمساعدتهم فى درسها . ومتى بلغوا رشدهم ، ونضجت عقولهم ، وجب أن تكون التمارين العقلية صعبة . وأخيراً حين تأخذ قواهم الجسدية فى الانحطاط ، ويعفون من الخدمة العسكرية والمدنية ، فحينذاك ، يجب أن يقفوا حياتهم وقواهم على درس الفلسفة لا غير ، إذا راموا أن يحيوا سعداء على الأرض ، وبعد موتهم ، تتوّج الحياة التى قضوها فى هذه الدار بمصير يطابقها فى العالم الآخر

اد : — لا أشك فى غيرتك فى كلامك يا سقراط ، ومع ذلك أتوقع أن يعارضك أكثر سامعيك ، وأولهم ثراسيماخس ، بغيرة شديدة ، ويعلنوا خروجهم عليك

س : — لا تسعَ بينى وبين ثراسيماخس ، فقد صرنا صديقين — ولا أعنى بذلك اننا كنا قبلاً عدوين . فانى لا آلو جهداً فى معالجة هذا الموضوع . فاما أن أربحه ومن معهُ إلى جانبي ، أو انى أضمن انتفاعهم فى المستقبل ، اذا عرض لهم مثل هذه المباحث فى العالم الثانى

اد : — يا لهُ من تأجيل قصير المدى !

٤٩٦ سبب سقوط الايمان بالفلسفة س : — بل هو لا شئ إذا قيس بالابدية . وليس غريباً عدم اقتناع الجمهور بتعاليمي لأنهم لم يروا تطبيق نظريتنا بعد . وغاية ما هنالك انه طوقت أسماعهم آراء تشبهها . ولكنهم أجبروا على تفرقة الكلمة فيما بينهم ، كما هو الحال اليوم ، عوض الاتفاق الاختياري . أما الرجل الذى هو « مثل الفضيلة الأعلى » الذى تنطبق عليه أوصافها أتم انطباق ، قولاً وفعلاً ، فلم يقفوا لهُ على أثر . أتظن انهم عثروا عليه ؟

اد : — لا أظن

(١) كان هيرقليطس يعتقد ان الشمس جسم يشتعل صباحاً وينطفئ مساء

س : — وبالحرى ، يا صديقى العزيز ، انهم لم يثابروا على سمع المحاورات الحرة الراقية ، التى يقصد بها تلقُّف الحقيقة بدقة واجتهاد ، رغبـة فى مجرَّد معرفة الحقيقـة ، بكل وسيلة ممكنة . بل قضوا حياتهم فى الأبحاث الفنيـة ، والمماحكات المدنية التى هدفهـا الخاص إطالة البحث وكسب الاستحسان ، بعيدين عن الجهود الحـكيمة الجدية

اد : — مصيب أيضًا

تقوم سعادة البشرية بحكم الفلاسفة

س : — ولهذه الأسباب ، وتفاديًا من حصول هذه النتائج ، حملتنى قوة الحق ،بالرغم من مخاوفى ، على أن أجهر فى ما سلف انهُ لا دولة ، ولا نظام ، ولا فرد ، يمكن أن يبلغ ، أو تبلغ ، الكمال ما لم تلقَ مقاليد الأحكام فيها إلى أيدى الفلاسفة القلائل ، الذين نعتوا الساعة بأنهم عديمو النفع ولـكنهم غير منحطين ، أراد هؤلاء تقـلد الاحكام أو لم يريدوا وهي فى دورها تجد نفسها ملزمة بالخضوع لهم ، أو أن يحصل الملوك والسلاطين الحاليون ، أو أولادهم ، بارشاد إلهى ، على محبة حقيقية للفلسفة الصحيحة . أما زعم استحالة إحدى هاتين الحالتين ، أو استحالتهما كلتيهما ، فأراه زعمًا غير معقول ، ولو استحالتا لـكنا أضحوكة كأصحاب نظريات وهمية . ألستُ مصيبًا ؟ اد : — مصيب

تحقيق الآمال صعب لـكنه ممكن

س : — ولو أن الضرورة القصوى ، فى ما سلف من الدهور ، أرغمت فلاسفة الطبقة الأولى أن يحكموا الدولة ، أو لو أن أمثالهم يحكمون اليوم فى بعض الارجاء خارج آفاقنا ، أو انهم سيحكمون ، لـكنت أتفانى فى الدفاع عن صحـة الدعوى بأن النظام الذى مرَّ بك وصفهُ كائن وسيكون حيثما تتسلم إلاهات الفن مقاليد الأحكام ، لأن تحقيق ذلك ليس بمستحيل ، وليست فروضنا مجرد نظريات ، مع اننا نعترف بصعوبة تطبيقها

اد : — وأنا من هذا الرأى

س : — أعلى استعداد أنت للتسليم بأن الأكثرين ليسوا من هذا الرأى ؟

اد : — على الأرجح

٥٠٠

اكثر الناس مخلصون

س : — فحذار يا صديقى الفاضل من أن تشكو الجمهور شكوى فى هذه الدرجة من الخطورة . ولا ريبـة فى أنهم يغيرون أفكارهم إذا عدلت عن الخصـومة ، وحاولت بلطف وتؤدة ، أن تزيل تعصبهم ضد محبة المعرفة باظهارك لهم من هم الذين تحسبهم فلاسفة ،محدداً فطرتهم وثقافتهم على نحو ما عملنا الساعة ، حتى لا يتوهموا انك تعنى بالفلاسفة أرباب السجايا التى فى مخيَّلتهم : وهلى تجرؤ على التشبُّث بأنهم ، إذا رأوهم كما تراهم أنت ، خالفوك رأيًا وأجابوا بجواب آخر ؟ وبعبارة أخرى ، أتظن ان رجلاً مسالمًا ولطيفًا يخاصم رجلاً وديعًا ، أو يفـكر بأذيـَّة من لا يؤذيه ؟ أتوسَّم انك تسلم معى بأن الطبع يكون فاسداً فى القليلين من الناس ، ولـكن لا يكون كذلك فى أكثر النوع الانسانى

اد : — انى بكليتى من رأيك

المسيئون الى الفلسفة

س : — أوَ لست من رأيي أيضاً فى أن سبب استيــاء الجمهور من الفلسفة يرجع الى تصرُّف الذين ، كالسكارى ، يقتحمون ما لا يعنيهم ، ويسيئون بعضهم الى بعض ، ويسرّون ببث الفتن ، والاغتياب ، وبالاجمال الاشخاص الذين لا تتّفق تصرفاتهم مع الفلسفة ؟

اد : — حقيق انها لا تتفق

س : — وبالتأكيد يا اديمنتس ، ان من وجّه أفـكاره نحو الأشياء الموجودة حقيقة ليس له متسع من الوقت للاشتباك بمصالح الآخرين ومنازعتهم ، فتتسرب اليـه عـدوى أذاهم . بل ، على الضد من ذلك ، يقف أوقاته على التفكر بأشياء صحيحة ثابتة ، واذ يرى انها لا تضرُّ احداها الاخـرى ، ولا تني خاضعـــة للنظام ، وهى على أتم وفاق مع العقل ، يجتهد فى درسها والتشبه بها . أو تظن أن الانسان يستطيع أن يتمثَّل بما يلازمهُ ويحترمهُ ؟

اد : — غير ممكن

س : — فالفيلسوف الذى يلازم ما هو الهي متّزن يصير الهيًّا متّزنًا . مع انهُ هنا ، كما فى كل موقف آخر ، مجال واسع للتزييف اد : — انت مصيب تماماً

شأن الفيلسوف

س : — فاذا وجـد نفسهُ ملزماً بأن يبث فى عادات الافراد والجماعات المألوفة الاشياء التي لفتت نظره إلى الملاء الأعلى ، وحاول أن يطبع نفسهُ والآخرين بطابعها ، أفتظن أنهُ يكون عديم الاكتراث لنتاج العدالة والعفاف وسائر الفضائل الاجتماعية ؟ اد : — كلاَّ

س : — واذا أحس الجمهور انَّا نقول الحق فى انسان كهذا ، أفيغضب على الفلاسفة ويحتقر قولنا ان الدولة لن تـكون سعيدة ما لم يرسمها رسامون ينسخون عن أصل إلهي ؟

٥٠١

اد : — إذا أحسوا بالواقع فلا يغضبون . ولـكن ماذا تعني « برسمهم » اياها ؟

النقاوة اول الخطوات في ملـكوت الحقيقة

س : — أن يتخذوا قماشهم الدولة وطبيعـة الجنس البشرى الأدبيـــة ، ويشرعون بتنظيف ذلك القماش وتلوينه . وليس ذلك بالأمر السهل . على انهم يختلفون عن اخوانهم الفنيين كافة فى أنهم يرفضون التدخل فى شئون الفرد والدولة ، ويترددون فى وضـــع الشرائع ، حتى يـكون لهم قماش أبيض (نظيف) أو انهم يبيضونه بسعيهم الخاص

اد : — وهم مصممون بذلك

س : — وبعدئذ ألا ترى انهم يرسمون الخطوط الأساسية فى رسم نظامهم ؟

اد : — بلا شك

المثل الاعلى

س : — وأظن ان عملهم الثـانى هو أن يـكملوا الرسم . وفيما هم يفعلون ذلك يتلفتون إلى الجانبين ليروا أولاً مَثَلَ العدالة والعفاف وأخواتهما ، ثم الآراء الشائعة بين النـــاس فيؤلفون رسمهم الانساني بجميع نتائج درسهم ، ورائدهم فى عملهم ما تجـلى منه فى صفات الناس ، وهو ما أسماه هوميرس « المثل الالهي الأعلى » اد : — انت مصيب

س : — ويستمرون فى عملهم . فيمحون شيئاً ويثبتون غيره ، ليجعلوا سجية الانسانية

مرضية عند الآلهة ما أمكن ad : — فيكون رسمهم غاية فى الجمال

س : — فهل لنا من وسيلة لاقناع المتهجمين علينا ، الذين نقول انهم أثاروا علينا حربًا شعواء ، ان رسَّام النُّظُم ، هذا ، هو الرجل الذى امتدحناه على مسامعهم مؤخراً ، فسخطوا علينا ، لأنا اقترحنا أن تناط بهِ شؤون الدولة . أفيكونون الآن أقل امتعاضاً ، وهم يسمعوننا نعيد ما قلناهُ ؟ اد : — أقلّ كثيراً إذا عقلوا

الحقيقة ضالة الفلسفة

س : — هكذا أرى . لأنه كيف يمكنهم أن يهاجموا مركزنا ؟ أفيمكنهم أن ينكروا علينا ان الفلاسفة عشاق الوجود الحقيقي ، وعشاق الحقيقة ؟ اد : — كلا ، لا يمكنهم

س : — أفيقولون ان سجية كهذه ، وقد ثقفت تثقيفاً تامًّا ، بالدرس الملائم ، تقصر عن أن تصير صالحة وفلسفية ككل سجية ؟ وهل يؤثرون أولئك الذين نحّيناهم جانبًا ؟

اد : — كلاّ ، بالتأكيد

س : — أفيظلون ساخطين عليّ لقولى انهُ لا نهاية لتعاسة الدول ، وشقاء سكانها ما لم تتقلد طبقة الفلاسفة مقاليد الادارة العليا فى الدولة ، ويتعذر تحقيق النظام الخيالى الذى وصفناه ؟ اد : — الأرجح انهم يكونون أقل سخطاً

٥٠٣

س : — وما قولك فى زعمنا انهم ليس فقط أقل سخطاً علينا بل انهم هدأوا هدوءاً تامًّا واقتنعوا ، بحملنا إياهم على التسليم ولو خجلاً ، إذا لم نجد وسيلة أخرى ؟

السجية لا تورث

اد : — فلنحسبهم إذاً مقتنعين بذلك إلى الآن . ولكن هل من يجزم بأن الملوك والسلاطين لا يمكنهم ، بأية وسيلة كانت ، أن يلدوا أولاداً مفطورين على الفلسفة ؟

اد : — لا أحد فى الدنيا يجزم بذلك

س : — أفيستطيع أحد أن يقول انهم ، وقد ولدوا مفطورين على الفلسفة ، لا بد من أن يفسدوا ؟ لأنى أسلم ان ضمانهم أمر عسير . ولكن هل من يجزم انهُ لا يمكن فى كل الزمان حفظ فرد واحد من التلوّث بالشر ؟ اد : — من يمكنهُ الجزم بذلك ؟

س : — فكن على يقين ان شخصاً واحداً ، إذا وجد وخضعت لهُ الدولة ، ففي مستطاعه تحقيق النظريات التى تُدحض الآن اد : — نعم فى مستطاعهِ

س : — ومتى سن الشرائع والعادات التى أوضحناها الآن فلا يستحيل أن يوافقوه على تنفيذها اد : — كلاً لا يستحيل

س : — أفهو عجيب ، أم وراء حدود الامكان ، ان ما ظهر لنا صوابًا يظهر كذلك لغيرنا ؟ اد : — أما أنا فلا أظن انهُ عجيب

تطبيق النظام

س : — فقد اقتنعنا إذاً ، كلّ الاقتناع ، فى بحثنا السالف ان خطتنا هى المثلى إذا تسنى تحقيقها

اد : — بالتمام

س : — فالنتيجة التى أفضى اليها تشريعنا هى أن القوانين التى سنناها هي الفضلى ، إذا أمكن تحقيقها ، وان تحقيقها عسير ، ولكنه غير مستحيل .

اد : — يقيناً ان هذه هى نتيجتنا .

س : — حسناً : فاذ قد تمّ إذاً هذا القسم من موضوعنا ، أفنتقدم إلى البحث فى المسائل الباقية ؟ وهي : بأى أسلوب ، وبواسطة أى أعمال أو دروس ، تضمن وجود فئة من الرجال قادرين أن يحفظوا النظام ؟ وما هو السن الذى فيه يمكن تلقين هذه الدروس العديدة لكلٍّ فى دوره ؟ اد : — فلنفعل ذلك

امتحان الذين يولون الاحكام ٥٠٣

س : فلم أستفد شيئاً من حذف المسائل المزعجة ، فى معاملة النساء والأولاد وتعيين القضاة ، التى اضطررت إلى تركها ، عالماً بمقدار الكره الذى يسببه نظام كامل كهذا ، والصعوبة التى تحول دون انفاذه . أما الآن فقد أزف الوقت للنظر فيها بالرغم من حيطتى . أما ما يتعلق بالنساء والأولاد فقد فصل فيهِ . وبقى علينا أن نستأنف النظر فى ما يتعلق بالقضاة . فقد قلنا إذا كنت تذكر : انهُ يجب امتحانهم بالمسرات والآلام ليثبتوا وطنيتهم، ويبرهنوا على انهم لا ينبذون هذه المبادىء ، لتعب أو خطر أو أى صرف من صروف الدهر . ومن لا يستطيع ذلك يخسر منصبه . ومن خرج من كور الامتحان سليماً كالذهب المصفّى بالنار فاليهِ يسند منصب القضاء ، ويكافأ فى حياتهِ وبعد مماتهِ . هذا كان هدف بحثنا تقريباً ، وقد توارى عن النظر خشية إثارة المسائل المعلقة .

اد : — اذكر ذلك جيداً ، وان بيانك صحيح كل الصحة .

س : — نعم يا صديق ، قد تلكأت عن المجازفة برأيي . أما الآن فأخاطر بهذا البيان قائلاً انهُ يجب تنصيب أكمل الفلاسفة حكاماً اد : — اننا نسمعك

س : — وأذكر ما أقلّ ما عندك من هؤلاء الرجال ، لأن المميزات العديدة ،السجية التى حسبناها ضرورية للفلاسفة ، يندر أن تنمو بمجموعها . ويغلب أن تنمو مستقلة .

اد : — ماذا تعنى ؟

آفة أرباب المواهب.

س : — انك تعلم أن الاشخاص المتّصفين بسرعة الخاطر ، والذاكرة الحافظة ، والحكمة ، والذكاء ، وما يرافقها من الفضائل ، هؤلاء الأشخاص لا يبلغون حدود النبل وسمو العقل فى آن واحد ، بحيث يقبلون بأن يحيوا حياة هادئة حازمة ، بل بالضدّ ، يحملهم ذكاؤهم كل محمل فيبرح الحزمُ حياتهم . اد : حقيق

س : — أما الصفات الثابتة ، غير المتقلقلة ، التى عليها يعتمد ، وتحمل المرء على الرغبة فى استعمالها ، ولا تروعها مخاطر الحرب ، فتتصرف هكذا فى طلب العلوم ، أى انها تتعلم مترهّلة حين تضطر إلى عمل ما ، خاملة كأنها مخدره ، دائمة النعاس والتثاؤب .

اد : — هذا صحيح

س : — ولكننا قلنا انهُ ما لم يمتلك الشخص قدراً وافراً من هاتين المزيتين ، الثبات وعدم التغير ، حرم من كل اتصال بالتهذيب والشرف ، وبمناصب الحكم .

اد : — أنت مصيب

س : — أفلا تتوقع أن يكون الاحتياط من صفات كهذه شحيحاً ؟

اد : — أتوقع ذلك بكل تأكيد .

٥٠٤ س : — ولذلك لا نكتفينّ بتجربتهم بالأشغال والأخطار والمسرات ، التى ذكرناها قبلاً ، بل يجب أن نمتحنهم أيضاً بما حذقناه من الوسائل فنمرنهم على أنواع الدروس ، ونراقبهم لنرى هل تدرك موهبتهم ساميات المواضيع أو انها تفشل فى الامتحان فشل غيرها فى أحوال أخرى .

ساميات المواضيع

اد : — لا شك فى ان امتحانهم بهذه الصورة مناسب ولكن ما هي ساميات المواضيع؟

س : — أظن انك تذكر اننا بعدما قسمنا النفس إلى ثلاثة أقسام استنتجنا الطبائع العديدة للعدالة والعفاف والحكمة والشجاعة .

اد : — ولولا تذكري ذلك لما استحققت أن أسمع بقية المحاورة .

س : — فتذكر أيضاً الاشارة التى تقدمت ذلك الاستنتاج اد : — وما هي ؟

س : — أظن أننا قلنا انهُ لبلوغ أفضل رأى فى هذه المسألة يلزم أن نختار طريقاً طويلاً يوصلنا إلى الموضوع . بقى انهُ من الممكن تذييل شرح القضية الناجم عن نتائجنا السالفة . وعنده قلت ان شرحاً كهذا كاف لك . ثم تلا ذلك هذه المباحث التى هي ، فى مذهبي ، ناقصة تدقيقاً . فلك أن تقول لى إذا كنت تكتفى بها أو لا

اد : — بالاصالة عن نفسى أقول ان البحث الذى بحثناه كاف واف . والظاهر أن رفقائى يرون ما أرى ، على حد القياس .

القياس التام

س : — ولكن يا صديقي لا مقياس ناقص عن الحق يمكن أن يكون كافياً وافياً . إذ لا يقاس بالناقص شئ ولو أن الناس أحياناً يزعمون بهِ التمام وأن لا ضرورة لزيادة التحرى

اد : — انها عادة كثيرة الشيوع ، ناتجة عن التراخى . ولكنها عادة غير مستحسنة فى شرائع الدولة وفى حاكمها .

س : — وإذ الحال كذلك يا صديقى ، وجب أن يدور شخص كهذا فى الطريق الأطول ، وأن يعمل بجد فى دروسه وفى رياضته البدنية . وإلا فلا يبلغ الغاية فى العلم ، الذى هو من حقوقه ، كما قلنا الساعة .

اد : — ماذا تقول ؟ أليست هذه الاشياء هي أفضل الأشياء ؟ أفيوجد ما هو أسمى من العدالة والفضائل الأخرى التى بحثنا فيها ؟

لا تهملن الجوهريات وتحرص على التوافه

س : — يوجد ، حتى أسمى منها . وهنا لا نفكرنَّ فى أوعر المسالك ، كما هى خطتنا ، بل على الضدّ يجب ألا نرضى بأقل من أكمل إيضاح . أوَ ليس من السخافة أن يهتم المرء فى مواضيع تافهة ، جاداً كل الجد فى إتقانها وكمالها ، وفى الوقت نفسه لا يحسب أهم المصالح وأسماها جديرة بتلك العناية ، ليبلغ بها أوج الكمال ؟

اد : — الشعور غاية فى الصواب . ولكن أتظن أن أحداً يدعك تذهب ما لم يسألك ما هو العلم الذى تدعوه « الأسمى » ، وماذا تتناول أبحاثه ؟

٥٠٥

صورة الخير موضوع العلم الأسمى

س : — حقاً انى لا أظن هذا الظن ، فسلنى أنت . ولقد سمعت الجواب مراراً كثيرة. فإما أنك نسيته الآن ، أو انك تريد أن تشغلنى بالمعارضة ، وأرجح الثانى . لأنك سمعت مراراً ، أن « صورة الخير » هي موضوع العلم الأسمى . وأن امتزاج هذا الجوهر بالأشياء العادلة ، وسائر الأجسام المخلوقة ، يجعلها نافعة ومفيدة . وسترى الآن ، دون ما ريبة ، انى سأقول هذا ، وأقول عدا ذلك اننا لم نتعرف هذا الجوهر معرفة تامة . وإذا كان ذلك كذلك — فاذا قلت أننا عرفنا كل شيء آخر ، معرفة تامة إلا هذا — فانك تدرك أن علمنا لا يفيدنا شيئاً . كما أن امتلا كنا كل شيء ، دون امتلاك الخير ، لا يفيدنا . أو تظن أن امتلا كنا كل شيء ، مع استثناء الخير ، يحسب ربحاً ؟ — وبعبارة أخرى ، أن تتجرّد من كل فهم صالح وجميل ؟ اد : — صدقنى انى لا أظن

البصيرة

س : — وأنت عالم أن الخير الأعظم عند العامة هو « السرور » ، وعند الخاصة هو « البصيرة »(١) اد : — مؤكد أنى أعلم ذلك

س : — وانك عالم يا صديقى ، أن دعاة الرأى الثانى ، لا يمكنهم تبيان ما يعنون « بالبصيرة » وهم مضطرون أن يفسروها بأنها إدراك باطنى « للخير »

اد : — نعم ، فانهم فى مشكل سخيف

ما هو الخير

س : — حقاً انهم كذلك ، ما داموا يزدروننا لجهلنا « الخير » وعلى الأثر يخاطبوننا مخاطبة العالمين ما هو ، فانهم يقولون لنا ان الخير الأعظم هو « إدراك باطنى للخير » زاعمين إننا نفهم معناهم حالما يلفظون كلمة « خير » اد : — صحيح تماماً

لا ينحصر الخير في السرور

س : — أو ليس خطأهم كخطإ الذين وحّدوا الخير والسرور ، مع انهم أجبروا على التسليم بأن بعض المسرات شر ، ألم يجبروا ؟ اد : — حقاً انهم أجبروا

س : — فينتج عن ذلك انهم ، ولا بد ، يسلمون بأن الشيء الواحد ، يكون فى وقت واحد ، خيراً وشراً . أليس كذلك ؟ اد : — يقيناً انهُ ينتج عنهُ هكذا

س : — أفلا يتضح أن فى هذا الموضوع تناقضاً تامًّا اد : — فيهِ تناقض دون شك

(١) تحتمل الكلمة اليونانية « فرونيسيس » المعنيين ، البصيرة والحكمة العملية

مجرد الظاهر لا يشبع النفس

س : — وشىء آخر . أليس واضحاً أن أشخاصاً كثيرين مستعدين أن يعملوا — أو يظهروا انهم يعملون ، وأن يمتلكوا ، أو يظهروا انهم يمتلكون — ما يظهر انهُ عادل وجميل ، دون أن يكون الواقع ما ظهر ؟ على انهُ لا أحد يكتفى فى الخيرات بمجرد الظاهر بل كل إنسان يطلب الحقيقة ، وأشباه الحقيقة هنا ، إذا لم تكن فى موضع آخر ، منبوذة ومحتقرة عند الناس اد : — نعم ، ان ذلك واضح

٥٠٦ من آفات الدول

س : — فهذا الخير هو ضالة كل نفس المنشودة . وهو غاية غايات مساعيها ، وتحسبهُ إلهياً ، لكنها تتلبّك فى استكناهه ، عاجزة عن التمتع بالثقة الراهنة باتصالها به ، كما تتمتع باتصالها بغيره من الأشياء . ولذلك تخسر كل فائدة يمكن استخراجها من تلك الأشياء — فتجزم أن التعامى الذى وصفناهُ ، فى موضوع جليل الشأن كهذا ، أشهر المميزات فى سجية رجال الدولة ، الذين أنيط بهم كل شىء اد : — كلاَّ كلاَّ

الجميل والعادل والخير

س : — فما دامت الأشياء العادلة والجميلة غير معروفة بأى صورة تكون خيراً ، فلا أرى لهذه الأشياء قدراً كبيراً عند حاكم يجهل هذه النقطة . وأرى أن لا أحد يبلغ حد المعرفة التامة فى كنه الجميل والعادل ، ما لم يعرف كنه الخير

اد : — انك مصيب فى رأيك

س : — أفلا يكون ترتيب نظامنا كاملاً إذا كان الحاكم الذى يراقبهُ متضلعاً من معرفة هذه الموضوعات ؟ اد : — من كل بد . ولكن يا سقراط ، أتقول أن الخير الأعظم هو العلم أو السرور ، أو شىء آخر يختلف عنهما ؟

س : — هيهات يا صديقي . فانى طالما رأيتك لا تعدل عن آراء الغير فى هذه المواضيع

اد : — وأراه خطأ بيناً يا سقراط أن يقف المرء الزمن الطويل لهذه المسائل ، فيتعرّف آراء الآخرين ، دون أن يكوّن رأياً خاصاً فيها

س : — أفمن الصواب أن يتكلم المرء فى ما لا يعلمهُ بصورة من يعلم ؟

اد : — ليس بصورة من يعلم . ولكنى أرى أنهُ من الصواب أن يميل إلى إبداء رأيه ، فى ما هو جدير بالاهتمام

العلم حياة الرأي

س : — ألا ترى أن الآراء الخالية من العلم قبيحة ، وخير ما يقال فيها انها عمياء ؟ أو تظن ان من لا يقودهم الذهن الصافى ، ولا يتمكنون من امتلاك صائب الرأي ، يمتازون بشىء عن العميان . الذين يزعمون ، وهم عميان ، انهم سائرون فى قويم المسالك ؟

اد : — لا يمتازون البتة

س : — أفتروم النظر فى مواضيع قبيحة وعمياء ومعوجة ، وفى إمكانك أن تسمع آراء الآخرين فى الأشياء الجميلة البهيّة

فصاح غلوكون : — أتوسل اليك يا سقراط أن لا تكف عن البحث كأنك انتهيت

منهُ . فانّا لنرضى أن تستأنف محاورتك فى الخير الأعظم ، ولو مقتصراً على المنهج الذى انتهجتهُ فى محاورتك فى العدالة والعفاف واخواتهما

س : — وأنا أرضى ، كل الرضا ، يا صديق . على انى لا أثق بقدرتى . وأخشى أن يجعلنى تهورى الأخرق موضوع هزء . فيا سيدى العزيز ، دعنا نطوى كشحاً عن كل بحث يتعلّق فى كنه « الخير الأعظم » فى الوقت الحاضر . لأنى أرى ذلك أسمى مما أتيح لنا بلوغه فى شوطنا الحالى . على انى أرغب فى محادثتكم فى « وليد الخير الأعظم » ، الحامل أقرب صور المشابهة له ، بشرط أن يرضيكم ذلك ، وإلاّ فانى أعتزلهُ أيضاً

غلوكون : — لا . لا تعتزل . اخبرنا عن هذا الوليد ، وستظل مديناً لنا برأس المال

٥٠٧ الخير الاعظم ووليده

س : — كنت أود لو انى قادر على دفع رأس المال ، عوض الاقتصار على أرباحه ، فها أنا أقدم لكم أغصان « الخير الأعظم » وثماره . فقط حذار أن أخدعكم ، عن غير قصد منى ، باعطائى إياكم أوصاف الإبن غير الشرعى

غ : — سنتوقى ذلك ما أمكن ، فتفضّل ، قل

س : — سأقول حالما يتم الاتفاق بيننا ، وتتذكّرون المقررات التى أوردناها فى القسم السابق من بحثنا وقد تكرّرت قبل الآن مراراً عديدة

غ : — وما هي تلك المقررات ؟

س : — قد حكمنا ، فى بحثنا ، وجوه أشياء كثيرة جميلة وصالحة الخ

غ : — حقّاً انّا حكمنا

س : — وحكمنا أيضاً بوجود الجمال الجوهرى ، ووجود الصلاح الجوهرى ، وهكذا برد كل تلك الأشياء ، التى كنا قد اعتبرناها متعدّدة ، إلى صيغة واحدة ، ووحدة واحدة ، تتصف كل وحدة منها بأنها كائن مستقل غ : — تماماً هكذا

س : — وقلنا أن الافراد تتمثّل للعين لا للذهن الصرف . أما المُثل فتتمثل للعقل لا للعين غ : — يقيناً

الافراد والانواع

س : — فبأى أقسام أجسادنا نرى المرئيات غ : — بالعين

س : — وبالأذن ندرك المسموعات ، وببقية الحواس سائر المحسوسات ؟ غ : — نعم

س : — فهل لاحظت أنّ صانع الحواس كوّن حاسة البصر ، أبدع تكوين ، فكان بصراً ؟ غ : — ليس بالتمام

س : — فانظر فى الأمر بالصورة الآتية . أيوجد نوع آخر تطلبهُ الأذن والصوت لإتمام وظيفتها ، فتكون هى سامعة وهو مسموعاً ، وبفقده تتعطّلان ، فلا الصائت بمسموع ولا الأذن بسامعة غ : — لا يوجد شئ من هذا القبيل

س : — وعندى أنه ينسدر وجود حاسّة أخرى تطلب شيئاً ثالثاً من هذا النوع ،

على فرض وجودها ، أفتقدر أن تذكر واحدة منها غ : — لا أقدر

لا بصر بدون نور

س : — أما فى حاسة البصر ، والشيء المنظور ، أفلا ترى انهما يستلزمان شيئًا آخر إضافيًا ؟ غ : — وكيف ذلك ؟

س : — مع وجود البصر فى العين ، ومحاولة صاحبها أن يستعملها ، ومع وجود اللون فى المرئيات ، فما لم يكن هنالك شيء ثالث ، مختص بهذا الغرض ، فانك عالم انهُ لا العين ترى ، ولا الألوان تُرى غ : — ما هو ذلك الشيء الثالث الذى تشير اليه ؟

س : — معلوم انى أشير إلى النور غ : — مصيب

س : — فيظهر ان حاسة البصر ، بين كل الأزواج المار ذكرها ، ومزيتها التى هى فعل البصر ، قد ارتبطا بأشرف الربط ، الذى طبيعتهُ جليلة الشأن ، إلاَّ إذا كان النور عديم الاعتبار غ : — كلاَّ انهُ أعظم من أن يحسب عديم الاعتبار

٥٠٨

س : — فمن من آلهة السماء هو مبدع النور وناشرهُ ؟ ومن الذى يمكّن نوره عيوننا من أن ترى واضحًا ، ويكشف عن وجود المرئيات ؟

غ : — هنالك رأى واحد فقط ، وهو ان سؤالك يشير إلى : الشمس

الإلاهة النور

س : — فالعلاقة بين بصر العين وبين هذه الإلاهة هى من النوع التالى أليس كذلك؟

غ : — صف ذلك النوع

س : — ليس البصر ، ولا العين نفسها التى هى مركز البصر ، يمكن حسبانها هى والشمس شيئًا واحداً غ : — كلاَّ بالتأكيد

س : — ومع ذلك فالعين فى ظنى أشبه الأشياء بالشمس غ : — نعم بالتمام

س : — أو ليست القوة التى تمتلكها العين موهوبة لها من الشمس ؟ ومستقرة فيها كشيء مكتسب ؟ غ : — حقًا ، تمامًا

س : — فاعلم اذاً ان الشمس هى ما عنيته « بمولود الخير » . وقد ولدها « الخير الأعظم » على صورته ومثاله — أى ان علاقتها بالعالم المنظور ، بالبصر وبأشيائه ، هى كعلاقة الخير الأعظم فى العالم الروحى بالذهن والموضوعات

غ : — وكيف ذلك ، زدنى إيضاحًا إذا شئت

النور أصل الألوان

س : — هل تعلم انهُ متى حوّل الانسان نظرهُ عن المرئيات ، التى نشر النور عليها حلة بهية ، بديعة الألوان ، وشرع ينظر بنور الليل الضعيف ، من قمر ونجوم ، ضعفت عيناه ، فيكون قريبًا من حال العمى ، كأن ليس فى عينيه قوة البصر

غ : — أعلم ذلك تمام العلم

س : — ولكن الشخص نفسه ، متى حوّل نظره إلى المرئيات بنور الشمس ، رأت عيناه كل شيء جليًا ، فكانت مقرّ البصر ؟ غ : — لا شك فى ذلك

النفوس والنور الباطن

س : — وبهذا القياس نفسه أفهم حال النفس كما يأتى : متى اتجهت نحو موضوع ، سطعت عليه أنوار الحقيقة والوجود الحقيقى ، أدركت ذلك الموضوع بفعل الذهن ، ففهمته وبرهنت بذلك على ان فيها إدراكاً . على انها إذا اتجهت نحو ما اكتنف بالظلام من موضوعات — عالم الولادة والموت — استقرت على قمة « التصور » فضعف بصرها ، وكان تصورها متردداً متقلقلاً ، فكأنها فقدت قوة الادراك ؟ غ : — حقيق انها كذلك

الخير الاعظم السامى الفائق ٥٠٩

س : — فهذه القوة التى تهب للموضوعات ما فيها من معرفة يقينية ، فتجعلها معروفة ، وتهب لعارفها قوة الإدراك ، هى ما يجب اعتباره « صورة الخير » الجوهرية . ويجب أن تحسبها أصل العلم والحقيقة ، على قدر ما يتاح إدراك الحقيقة . ومع ان المعرفة والحقيقة كلتيهما جميلة جداً ، فمن الصواب أن تحكم ان الخير شىء ممتاز عنهما ويفوقهما جمالاً . وكما فى حال المشابهة هكذا هنا ، من الصواب حسبان النور والبصر . ممثلين الشمس ولكنه من الخطإ حسبانهما والشمس شيئاً واحداً . كذلك العلم والحقيقة ، فإن من الصواب حسبانهما مثل الخير ، ولكن من الخطإ اعتبار أحدهما الخير نفسه . لأن قيمة الخير أسمى منهما جداً

غ : — الذى يشتمل على ما لا يوصف من معانى الجمال ، وإذا كان ليس أصل العلم والحقيقة فقط ، بل يفوقها جمالاً . فلا أظن انك تعنى به « اللذة » — السرور —

س : — صه . لا كلمة واحدة من هذا النحو . بل الأجدر بك أن تفحص الايضاح بالطريقة التالية غ : — أرنى كيف ؟

س : — أظن انك تسلم ان الشمس تهب للمرئيات حيويتها ونماءها وغذاءها ، لا ظهورها فقط ، مع انها هي نفسها غير متصفة بالحياة غ : — مؤكد انها غير متصفة بالحياة

س : — فسلم إذاً أن مواضيع المعرفة ، بالقياس نفسه ، تستمد من « الخير الأعظم » يقينية وجودها وجوهريته ، لا معروفيتها فقط . مع ان « الخير » نفسه أسمى من أن يوجد مع الوجود الحقيقى ، بل هو يفوقه فعلاً قوة وسمواً

الخير الاعظم أسمى الموجودات

غ (ضاحكا) : — يا للسماء ! ما أعجب هذا التفوق !

س : — أنت الملوم لأنك أرغمتنى على إبداء آرائى فى الموضوع

غ : — لا لا ، أرجوك أن لا تتوقف ، حتى تكمل شرح المشابهة فى الشمس . إذا كنت قد أغفلت أحد وجوهها

س : — حقاً انى أغفلت وجوهاً كثيرة

غ : — أرجوك أن لا تغفل حتى ولا الزهيد منها

س : — أظن انى سأغفل كثيراً ، ولو سمحت لى الأحوال لما أغفلت شيئاً مختاراً

غ : — أرجوك أن لا تغفل

س : — اعلم إذاً ، ان من المقرر عندنا ، ان هنالك قوتين حاكمتين ، الواحدة فى العالم العقلى ، والأخرى فى العالم المنظور ومواضيعه الحسية — وإذا استعملت كلمة جَلَد (١) فقد تظن انى أريد بها التورية ، حسناً ، فهل فهمت هذين النوعين — العقلى والمنظور ؟

غ : — نعم فهمت

٥١٠ ظلال الماديات

س : — فافرض انك أخذت خيطاً مقسوماً إلى قسمين غير متساويين — يمثل أحد قسميه الموضوعات المنظورة ، والآخر العقلية — ثم اقسم كلاً منهما إلى قسمين ، على النسبة نفسها . فاذا اتخذت طول القسمين مثلاً لتباين درجات الوضوح والخفاء . فأحدهما ، الذى يمثل العالم المنظور ، يمثّل (بأحد القسمين) الصور — أعنى بها : أولاً الظلال : ثانياً : ما عكس عن سطح الماء والمواد الصقلية اللامعة ، وما هو من نوعها ، إذا كنت قد فهمتنى . غ : — قد فهمت

س : — ويمثل القسم الثانى الموضوعات الحقيقية — أى الحيوانات التى حولنا ، وكل عالم الطبيعة والفن غ : — جيد جداً

س : — أفتريد أن نقول انهُ باعتبار هذا الصف يوجد فارق بين الحقيقة والوهم . كما بين الأصل وما نسخ عنهُ . أى بين موضوع التصور وموضوع المعرفة ؟

غ : — مؤكد انى أريد

س : — فلنتقدم إلى النظر فى نمط قسمة الخيط الذى يمثل العالم العقلى

غ : — وكيف نقسمهُ ؟

ظلال السمويات

س : — نقسمهُ كما يلى : قسم منهُ يمثل ماتضطر النفس أن تدركهُ ، مستعينة اضطراراً ، بأقسام الخط الأول ، التى تستخدمها الصور مبتدئة من الفروض ، ومتجهة ليس إلى مبدإ أولى بل إلى نتيجة

الحقائق العليا

ويمثل القسم الآخر موضوعات النفس المرتقية من الفروض إلى مبدإ أول(٢) ، ليس هو فرضاً ولا مستعاناً على إدراكه بالصور التى استخدمها القسم السابق . وهى (النفس) تصوغ تقدمها بمساعدة الصيغ الجوهرية الحقيقية

غ : — لم أفهم وصفك على قدر ما أريد أن أفهم

س : — فلنعد الكرة ، تفهم جيداً ، متى أعدت ملاحظاتى السابقة . أظن انك تفهم ان طلاب المواضيع الرياضية ، كالهندسة والحساب ، يستخدمون المواد فى كل بحث ، فى الأعداد الفردية والزوجية ، وفى الاشكال ، كالزوايا الثلاث مثلاً ، وغير ذلك

---

(١) التورية بين (تو اورانون) المنظورة وبين « اورانوس » السماء . والمعنى هو انى لست استعمل كلمة اورانوس (الجلد أو السماء) لئلا تظن انى اورّى بها عن نيرو (المنظور) « دافيس وفوغان »

(٢) احذف (ال التعريف) قبل كلمة (ابارخين) — مبدأ أول

الاشكال والحقائق التى تمثلها

من المواد . فيقصدون أن يفهموا هذه الأشياء كفروض ومُثُل ، فلا يعلقون عليها أهمية فى البحث ، لا لأنفسهم ولا للآخرين ، لأنها أمور بيّنة فى ذاتها . لكنهم يستخدمونها كأساس ، ويتقدمون إلى صلب الموضوع ، وأخيراً يبلغون بتمام الاتفاق ما جعلوه غرض بحثهم

غ : — أعلم ذلك تماماً

الحقائق الرياضية

س : — فتعلم أيضاً انهم يستخدمون أشكالاً منظورة ، ويدرسونها وأفكارهم ليست عليها لذاتها ، بل على الأصول التى تمثلها . فلا يدرسون هذا المربع المرسوم ، أو ذلك القطر الذى رسموه ، بل يرمون بفكرتهم إلى المربع المطلق والقطر المطلق ، وهكذا . فانهم مع استخدامهم هذه الأشكال والمجسّمات كصور ، وهى أيضاً لها أشباح معكوسة عن المياه ، ولكنهم بالحقيقة يرمون إلى إدراك الحقائق المجردة التى انما يدركها الانسان بالفكر

غ : — حقيق

٥١١

س : — هذه هى الأشياء التى دعوتها عقلية . وقلت ان النفس تدركها مستعينة اضطراراً بالفروض فى مجال البحث — متقدمة ، ليس إلى مبدإ أول لأنهُ يتعذر عليها أن تتخطى دائرة فروضها ، بل تستعمل صور الأشياء السفلى كأشباح — وهى كنسخ عن الأصل الذى تقابله ، وتعتبر عادة متميزة عنهُ . وبحسب ذلك تتعين قيمتها

غ : — فهمت انك تتكلم فى موضوع الهندسة ، المنوع الفروع ، وفى الفنون المنتسبة اليهِ

معارج الادراك العليا

س : — فافهم أيضاً انى أعنى بالقسم الثانى من خط العقليات المحضة ، التى تدرك بفن المنطق ، وتستعين بالفروض لا كمبادىء أولى ، بل كفروض أصلية . أى درجات ودوافع ، بها تخترق النفس طريقها إلى ما ليس فرضيًّا . فتبلغ المبدأ الأول لكل شىء وتدركه . وحينذاك تتحول إلى إدراك ما ارتبط بالمبدأ الأول . حتى تبلغ أخيراً نتيجة لا تفتقر معها إلى الاستعانة بالمواضيع الحسية ، بل تستخدم التجزيد ، والأشياء الكائنة بذاتها ، وتنتهى عندها كما انتهت قبلها

غ : — لم أفهمك كما أرغب . لأنك تتكلم ، كما يظهر ، فى مواضع عسرة المرتقى . ولكنى ، على كل حال ، أعلم انك تروم أن توضح جيداً أن منطقة الوجود الحقيقى والعقل النقى ، كما يُفهم بعلم المنطق ، هى أكثر يقينية مما يدعى « فنوناً » وفيها فروض تؤلف مبادىء أولى ، يلتزم الطلاب أن يفهموها بالعقل لا بالحواس . ولما كانوا لا يرجعون فى مجرى البحث إلى مبدإ أولىّ ، بل يتخطون اليهِ بواسطة مقدمات فرضية ، ترى انهم لم يستعملوا الذهن النقى فى المسائل التى تشغلهم ، مع انهم يتخذون هذه المسائل

المرتبطة بمبدإ أولى ضمن حكم الذهن الصرف . وأرى انك تستعمل كلمة « فهم » لا عقل نقي للخلق العقلي ، في أناس كالرياضيين — حاسباً المعرفة درجة متوسطة بين التصور وبين الذهن النقي

س : — قد فهمت معناي أجل فهم . وأرجو أن تقبل هذه الأحوال العقلية الأربع كمطابقة لتلك الأقسام الأربعة . أي ان الذهن المجرد يطابق الأشياء العليا . والفهم يطابق الصف الثاني . والاعتقاد الثالث والظن الأخير . وأرجو أن ترتبها حسب درجاتها ، عالماً انها تشترك في الجلاء بدرجة تطابق حقيقة موضوعاتها المتبادلة

غ : — فهمتك . وأوافقك . وسأرتبها حسب رغبتك



الكتاب السابع

المُثل

خلاصته

يتخطى سقراط إلى تبيان ما للتهذيب الحقيقي من الشأو الخطير الذى سبق وصفه . فلنتصوَّر طائفة من الناس ، مكبلين بالسلاسل منذ ولادتهم ، يقيمون فى كهف ، تقابل ظهورهم مدخله، وراءهم نار مشتعلة ، ذات لهب ، بينها وبينهم طريق ، يمرُّ عليه أناس ، امامهم جدار إلى مستوى رؤوسهم ، فيخفيها ويأذن برؤية ما حملوه فوقها . فتلقي ظلالها بسبب اللهب التى وراءها على جدران باطن الكهف ، امام عيون السجناء . فتظهر تلك الظلال لهم انها هى اليقينيات الوحيدة . فافرض ان أحد السجناء حلّ من أغلاله ، وصعد إلى ضوء النهار ، وألف بالتدريج رؤية ما حوله ، فتسنّى له إدراك حقيقتها . فنسبة شخص كهذا إلى السجناء السفليين كنسبة الفيلسوف إلى العامة ، المهذبين تهذيبًا ناقصًا ، فاذا عاد هذا إلى الكهف ، واستأنف مركزه وعمله السالفين كان فى أول الأمر موضوع هزء الرفاق ، كما ان الفيلسوف الحقيقي موضوع هزء الناس . على انه ، متى استرد الفتهُ للسجن ،كانت معرفته فائقـــة معرفة رفقائه السجناء ، باعتبار الظلال ، والحقائق التى وراءها . هكذا الفيلسوف إذا هو اشتغل بالمصالح البشرية تفوّق على مناوئيه بسلاحهم . وذلك ما يجب أن يكونهُ حكامنا . ولنوسع المشابهة إلى أبعد حدودها ، فنقول : كما ان جسم السجين ، الذى فكت أغلاله ، التفت إلى الوراء ليرى الجهة الآتى منها النور ، هكذا غرض التهذيب لفت النفس ، لترى ببصيرتها أو ذهنها وجهة الصواب . فالتهذيب لا يخلق ، ولا يلقّن ، مبدأً جديداً . انما يرشد ويقود إلى مبدأ موجود . وكيف تحصل هذه النهضة فى النفس ؟ الجواب انها تحصل بالدرس الذى يرمى إلى اجتذاب العقل من الحسّيات إلى اليقينيات — من المنظورات إلى غير المنظورات والأبديات . وكل ما يثير العقل إلى التفكر فى طبيعة الأشياء الجوهرية يؤدى إلى إحراز النتيجة نفسها

وتشتمل سلسلة الدروس اللازمة لذلك على الحلقات التالية :

١ً : الحساب ٢ً : الهندسة السطحية ٣ً : الهندسة المجسّمة ٤ً : الفلك باعتبار حركات أجرامه المجرَّدة ٥ً : علم التوازن ٦ً : المنطق البرهانى ، أو علم الوجود الحقيقي

ولما فرغ سقراط من البحث فى طبيعة التهذيب الحقيقي تقدَّم إلى وضع قواعد عامة لانتقاء الأشخاص الذين تسبَغ عليهم نعمة التهذيب ، والمدة التى يشغلها كل فرع من

فروعه ، وفوق الكل المدة اللازمة لدرس المنطق . فلا يجوز التبكير فيه لئلاً يفسده سوء الاستعمال . وهنا ينتهى البحث فى الدولة الكاملة وفى الانسان الكامل ٥

متن الكتاب

كهف افلاطون

سقراط — فمن ثمّ تقابل حالنا الطبيعية باعتبار الجهل والتهذيب بالمثال التالى : — تصوَّر طائفة من الناس تعيش فى كهف سفلى مستطيل ، يدخلهُ النور من باب فى طوله ، وقد سجن فيهِ أولئك الأقوام منذ نعومة أظفارهم ، والسلاسل فى أعناقهم وأرجلهم ، فاضطرتهم إلى الجمود والنظر إلى الأمام فقط ، لحيلولة الأغلال دون التفاتهم . ثم تصوّر أن وراءهم ناراً ملتهبة ، فى موضع أعلى من موقفهم . وان بينهم وبينها دكة ، عليهــا جدار منخفض ، كسياج المشعوذين الذى ينصبونهُ تجاه مشاهديهم ، وعليهِ يجرون العابهم المدهشة

غلوكون — انى أتصور ذلك

٥١٥

س : — وتصوَّر أناساً يمشون وراء ذلك الجدار ، حاملين تماثيل بشرية وحيوانيــة ، مصنوعة من حجارة وأخشــاب ضخمة ، مع كل أنواع الاواني ، مرفوعة فوق الجــدار . وافرض أن بعض أولئك المارة يتكلم ، كما هو المنتظر . وبعضهم صامت

غ : — انك تصوّر مشهداً غريباً وسجناء مستغربين

س : — ولـكنهم يمثّلوننا . وأولاً أسألك هل تظن أن أولئك السجناء يقدرون أن يروا بعضهم بعضاً ، أو يرون شيئاً سوى الظلال التى أحدثها اللهيب وراءهم

دوائر اطلاعنا محدودة

غ : — مؤكد انهم لا يرون سواها ، لأنهم أرغموا ألاّ يلتفتوا مدى الحياة

س : — أو ليست معرفتهم بما يمرُّ أمامهم من الأشياء محدودة على القياس نفســه ؟

غ : — من كل بد

س : — ولو انهم تمـكنوا من المحادثة أفلا تظن انهم كانوا يسمون الأشياء التى يرونها تمر امامهم ؟ غ : — يسمونها بلا شك

س : — ولو ردّ الجدار تجاههم الصدى . كلما فتح أحد المارّة فاهُ ، أفتظن أن السجناء يحسبون المتكلّم إلا تلك الظلال التى يرونها على الجدار ؟

غ : — من كل بد انهم يعزون الكلام اليها

س : — فاليقينيات الوحيدة عندهم هى ظلال الأدوات المصنوعة

غ : — لا شك فى أن أشخاصاً كهؤلاء يحسبونها كذلك

تطور الأحكام العقلية

س : — فتأمّل فى ما يحدث لهم إذا أفضى مجرى الأمور الطبيعى إلى تحريرهم من القيود وشفائهم من جنونهم على ما يأتى : لنفرض أن أحدهم حلّت أغلاله ونهض واقفاً

على قدميهِ ، فتمكَّن من الالتفات إلى الوراء ، والسير بعينين مفتوحتين فى جهة النور . ولنفرض ان عينيهِ تتألمان لأن النور بهرهما فعجزتا عن رؤية الأشياء التى كان يرى ظلالها فيما سلف . فما ظنك فى ما لو أخبره أحد ان ما كان يراه سابقاً ليس إلاَّ اشباحاً ، وانهُ الآن يرى حقائقها وأصولها ، فهو الآن أدنى إلى الحقيقة منهُ قبلاً ، لأنه اتجه نحو ما هو أكثر يقينيّة ووضوحاً ، وعلاوة على ذلك انهُ يرى ما يمرّ امامهُ من الأمور المنوّعة ، فيسأله عنها ، ويحمله على الاجابة عما رآه ؟ أفلا تظن انهُ يتحير فى أمره ويحسب الاشباح التى كان يراها فيما مضى، حقائق أكثر من الحقائق التى يراها الآن ؟

غ : — بلى بأكثر تدقيق

لكل امرء من دهره ما تعودا

س : — وإذا أُجبر على النظر إلى النور ، أفلا تتألّم عيناه فيتحاشاه ، ويحول نظره إلى الاشباح لأنه يستطيع التحديق بها ، فيزعم انها أكثر وضوحاً من تلك

غ : — تماماً هكذا

س : — وإذا جذبه أحد بعنف إلى فوق ، فى المرتقى الصعب ، ولم يتركهُ حتى أوصلهُ إلى نور الشمس ، أفلا يستاء ويتألّم من جرّاء عنف كهذا ؟ ومتى وصل إلى فوق الا يجد ان عينيهِ قد بُهرتا ، حتى تعذّر رؤية شيء من الأشياء التى تدعى حقيقية ؟

٥١٠

غ : — نعم هذا هو حاله فى البداءة

تجدد المعرفة تدريجاً

س : — ولذا أرى من الضرورة أن يأتلف أشياء العالم الاعلى ليفهمها . فيصيب أولاً أعظم قسط من النجاح فى تمييز الظلال . ثم يميز صور الناس وصور غيرهم ، منعكسة عن الماء وبعدها يرى اليقينيات بعينها . ثم يرفع عينيهِ إلى القمر والنجوم فى الليل ، فيجد درس الاجرام السموية ، والسماء معها ، أسهل عليهِ ليلاً من درس الشمس ونورها نهاراً

غ : — بلا شك

س : — ويخيّل إليّ انهُ يتمكَّن أخيراً من رؤية الشمس ذاتها ، والتفكُّر بها ، لا معكوسة عن سطح الماء ، أو ممثلة باشباح ، بل يراها ذاتها فى منطقتها غ : — معلوم

مفتاح التعليل

س : — والخطوة الثانية هى انهُ يستنتج ان الشمس علة توالي الفصول والسنين ، وانها الحاكم الأعلى على العالم المنظور ، وانها علة كل ما كان يراه ورفاقهُ من الأشياء

غ : — واضح ان هذه ثانى خطواته

س : — وحين يذكر مسكنه الأول ، ومافيه من حكمة ، وأصحابه فى الاغلال ، أفلا تظن انهُ يحسب نفسهُ سعيداً ، فيغتبط بنفسه ، ويشفق عليهم؟ غ : — ذلك أكيد

من استيقظ روحياً لا يريدأن يعود الى النوم

س : — وإذا كان من عادتهم أن ينال الشرف والمكافأة من كان أكثرهم تدقيقاً فى ما يمرُّ أمام عيونهم من الصور ، ويمتلك ذاكرة احفظ فى معرفة السابق واللاحق ، وما رافق الصور ، حتى صار قادراً أن ينبئ بما بعدها . أفتظن ان صاحبنا يطمع فى تلك

الجعالات ، وتحسد من أحرز مجداً ونفوذاً بينهم ؟ أو لا تظن انهُ يؤثر بالأحرى أن يتحمل ما قالهُ هوميروس

فاري استعباد نفسي لفقير في الأنام
هو خير من عروش في أعاميق الظلام

مؤثراً احتمال كل شيء على الاستسلام للتصوُّرات الوهمية ، والمعيشة على ذلك النحو

غ : — أما أنا فاني من هذا الرأى . وأظن انه يؤثر احتمال أي شيء كان على تلك المعيشة

س : — فتصور ما يحدث إذا هبط ذلك الإنسان ثانية إلى الكهف ، واستعاد مقره السابق ، أفلا يغشى الظلام عينيهِ لانتقاله فجأة من نور الشمس الساطع إلى ظلمات ذلك المكان ؟ غ : — مؤكد انهُ يغشاها

٥١٧ س : — وإذا اضطر إلى إبداء رأيهِ في تلك الظلال ، ومجادلة الراسفين في القيود كل الدهر بخصوصها ، حال كون عينيهِ حسيرتين ، وإذا ظل على تلك الحال زمناً طويلاً — أفلا يصير موضوع هزءٍ ؟ أو لا يقولون : انهُ صعد سليم النظر وعاد عليلهُ ، فليس من الصواب براح هذا الكهف : وإذا حاول أحد فك أغلالهم ، واصعادهم إلى النور ، أفلا يستاؤون منهُ إلى حد انهم يغتالونهُ ، إذا كان في طاقة يدهم الإيقاع بهِ ؟

مصرع المصلحين

غ : — بلى انهم يغتالونهُ

النفس سجينة في كهف الجسد

س : — فيلزم تطبيق هذا المثل الخيالى بأجمعه ، يا صديقي غلوكون ، على حالتنا السالفة ، مقابلين مدى النظر بالسجن ، واللهب التي فيه بنور الشمس الساطع ، وإذا قابلت الصعود إلى سطح الأرض ، ورؤية ما عليها من الأشياء بارتقاء النفس من سجن جهلها ، إلى العالم العقلي الأعلى ، فانك حينذاك تلمس ظنوني ما دمت ترغب في معرفتها . والله وحده يعلم أصحيحة هي أم لا . وعلى كل فان الرأى الذى اخترتهُ بهذا الشأن يتمشى على ما يأتي : — ان « صورة الخير » الجوهرية ، في عالم المعرفة هي حد أبحاثنا ، وآخر ما يمكن فهمه . ولكن متى أدركناها لا يمكننا إلا أن نستنتج انها ، في كل حال ، أصل كل ما هو جميل وباهٍ — ففي العالم المنظور تلد النور وربّهُ ، وفي العالم العقلي تمنح ، بمطلق سلطانها ، الحق والعقل . وكل من رام أن يتصرف بحكمة ، فرداً كان أو مجموعاً ، يجب أن يضع نصب عينيه « صورة الخير » الجوهرية غ : — أوافقك في ذلك جهد الطاقة

أرباب السمو

س : — وإذ الحالة هذه ، فوافقني أيضاً في نقطة ثانية ، دون ما تعجُّب ، وهي : ان من حلّقوا في أعالي السموّ يترفّعون عن الاشتباك بالمصالح البشرية ، لأن نفوسهم تأبى أن تهجر العالم الأعلى . وكيف يمكن أن يكون الحال خلاف ذلك ؟ إذا كانت المشابهة السالفة تمثّل حالهم تمثيلاً صحيحاً ؟ غ : — بالحقيقة انهُ يندر أن يكون الحال خلاف ذلك

ارتباك المتقهقرين

س : — حسناً أفتظنهُ أمراً عجيباً ان من عرج عن التفكر في الالهيات ، إلى درس

النقائص البشرية . يبدى الارتباك ، ويصير اضحوكة ، لأنهُ وهو مشيح عنه ببصره ولم يأتلف الظلمة التي تكتنفه ، ملزم أن يجاهد فى قاعات القضاء ، وفى غيرها ، فى ما يختص بظلال العدالة ، أو الاشباح التي أحدثت هذه الظلال ، وأن يدخل معمعان النضال المفعم بالفروض ، التي يقبلها الذين لم يدركوا قبساً من مطالع العدالة الجوهرية ؟ غ : — ليس عجيباً

٥١٨ س : — لأن الرجل العاقل يعلم ان العيون تتشوّس بأمرين متمايزين ، أو سببين متباينين — هما الانتقال فجأة من النور الى الظلام ، أو من الظلام الى النور ، وإذ يعلم ان ذلك ينطبق كل الانطباق على حال النفس لا يهزأ ، هزءًا سفيهاً ، بمن يراه حائر العقل ، قلق الأفكار ، غير قادر أن يميز بين الأشياء . بل ينعم النظر ليرى أمن حال أكثر بهاء قدمت تلك النفس ، فغشيها الظلام ، أم من دياجير الظلام الى حال أبهى فبهرها النور ؟ وحينذاك ، وليس الا ، يهنيء الواحدة على حظها السعيد وحياتها الحرة ، ويشفق على الأخرى لمصابها الثقيل . ولو جاز لهُ أن يهزأ فهزؤه بالنفس الصاعدة من الظلام الى النور هو أقل سماجة من الهزء بالنفس الهابطة من النور الى الظلام غ : — بتعقّل تام تتكلّم

آفات الانتقال الفجائي

س : — فاذا صحت هذه الأحكام فلا مندوحة لنا عن التسليم ، بأن طبيعة التهذيب الحقيقية تخالف ما يزعمهُ بعض أساتذته ، الذين يدعون انهم يبثّونهُ فى العقل معرفة كان خلوًّا منها ، بثّ البصر فى الأعين العمياء غ : — حقًّا ان هذا هو ادعاؤهم

تحول النفس شرط الفهم

س : — على ان بحثنا أرانا ان فى كل منا آلة تساعدنا فى تحصيل العلم . كما انهُ لايمكن تحويل العين من النور الى الظلام بدون أن يتحول الجسم كله ، هكذا أمر هذه القوة ، مع النفس ، فيلزم تحوُّل النفس كلها عن العالم الفانى ، ليمكنها التفكّر فى عام الحقيقة ، وفى أبهى قسم منهُ وهو ماندعوه « صورة الخير » ، الست مصيباً ؟ غ : — مصيب

س : — فيستلزم هذا التحول فنًّا يعلمنا كيف نحوّل الجسم بأسهل الطرق وأعظمها تأثيراً . وليس عمله أن يخلق فى الشخص قوة البصر ، بل أن يسلم بوجودها فيهِ ، ولكنها ذاهبة فى وجهة خاطئة ، فلا تتجه إلى حيث يلزم . فغرض ذلك الفن هو إصلاح هذا الخطإ

٥١٩ غ : — هكذا يظهر

الموهبة مع الشر أكثر مضرة

س : — ولذلك ، فمع ان فضائل النفس تحكى فضائل الجسد ، باعتبار انها لم تكن أصلاً فى النفس ، وانما نشأت فيها بمرور الزمان ، بالعادة والمرانة ، فمن الجهة الأخرى تنتمى فضيلة الحكمة إلى أقدس عنصر ، وهى لا تفقد قوتها ، بتغيير المكان ، وانما تصبح نافعة ومريحة وإلا ظلت عقيمة وضارة ، لأنك ولا بد قد لاحظت ، وما أحد نظر النفوس الصغيرة فى من اشتهروا بالذكاء وهم أشرار . وما أكثر تدقيقهم فى ما اتجهت اليه أنظارهم ، فيدلنا ذلك على ان قوة البصر فيهم غير ضعيفة . مع انهم بكليتهم عبيد الشر والفساد ، وان شرورهم مقيسة بحدة نظرهم غ : — نعم ، هذا هو الواقع

حرية النفس تنير البصيرة

س : — على انهُ لو تحررت هـذه المزايا ، منذ طفولة الانسان ، من الأثقال الناجمة عن اللذات ، والشهوات الجسدية المرتبطة بها ، كالولائم والنَهم وأمثالهما ، التى تستميل البصيرة إلى أسفل الأمور — فاذا تحررت النفسْ من هذه الآفات إلى الحقائق ، ووجهت بصيرتها نحو الأشياء الحقيقية لـكان لنفوس أولئك الأشخاص نظر ثاقب فى أعمال كهذه ، كما فى الأعمال التى يزاولونها غ : — ذلك مرجّح

الجاهل والـكسول لا يملـكون

س : — أو ليس مرجّحًا أيضًا ، بل بالحرى أليس نتيجة لازمة لأبحاثنا السالفة ، انهُ لايستطيع عديمو التهذيب والاطلاع ، ولا جاهلو الحقيقة ، ولا الذين يتسكعون الحيـاة بطولها فى الطلب ، أن يكونوا نظارالدولة . أما الأولون فلأن ليس فى حياتهم غرض خاص ، اتخذوه هدفًا لتصرفاتهم الفردية والاجتماعيـة ، وأما الآخرون فلأنهم لا يعملون إلا مرغمين ، ظانين انهم ، وهم أحياء ، قد انتقلوا إلى جزر الأبرار غ : — هـذا حقيق

س : — فعملنا الخاص إذاً أن نحشد فى مستعمرتنا أشرف الصفات ، توصلاً إلى العلم الذى قلنا الساعة انهُ « الأسمى » ، وأن نثبت النظر على « الخـــير » ، مع تسلق ذلك المرتقى الذى ذكرناه . ومتى صعدوا إلى فوق ، واتسع نطاق نظرهم ، فلن نبيح لهم من الحرية ما يباح الآن غ : — فما هو المباح الآن ؟

رفع الاخرين أسمى أغراض التهذيب ٦٢٠

س : — هو المـكث حيث هم ، كارهين الانحدار ثانية إلى السجناء ، ليشاركوهم فى جهودهم ، وفى ما يحسب عندهم شرفًا ، حقيراً كان أو جليلاً

غ : — أفتظلمهم بزجهم فى حياة هى دون حياتهم الحالية ؟

الفرض النهائى خدمة المجموع

س : — لقد نسيت يا صديقى انهُ لا يهم الشريعـة أن تعيش طائفة خاصة فى الدولة عيشة ممتازة . بل هى ترمى إلى حصول الدولة جمعاء على تلك النتيجة ، التى لأجلها صار ضم الناس معًا ، بالإقناع أو بالإرغام ، وحملوا على اقتسام المغانم التى بها يتمـكنون من نفع المجموع . وهي نخلق رجالاً يتملـكون هذه السجية السامية لا لاطلاق أيديهم ، كل حسب هواه ، بل لاستخدامهم فى تعزيز بناء الدولة غ : — حقًا أني قد نسيت

الواقف حياته لخدمة الدول ملزم بالقيام باعبائها

س : — فحذار يا غلوكون أن نفسد فلاسفة المستقبل ، بل لنعاملهم بعـــدالة تامة ، بالزامهم أن يراقبوا اخوانهم المدنيين ، ويعتنوا بهم . وسنقول لهم : — هنالك سبب لاعتزال زملائـكم فى الدول الأخرى المدنية ، لأنهم قطنوا المدن باختيارهم رغم القانون النافذ فيها ، وهوحق ان مَن نشأ لنفسه بنفسه ، غيرمدين لأحد بمساعدة ، أن يكون حرًّا من إداء ما يتوجب على المرء للآخرين . أما أنتم فقد ولدنا كم للدولة ، كما لأنفسكم ، لتـكونوا قوّاداً وملوكاً فى القفير — وقد هذبتم تهذيبًا أفضل وأتم من تهذيب الآخرين ، فـكنتم أكثر استعداداً منهم لتمثيل الأسلوب الأفضل فعلى كل منـكم فى دوره ، أن ينحدر إلى عند الجماعة (فى الـكهف) ويختلط بها ، فتتعوّدوا البحث فى غوامض المواضيع . ومتى

ألفتموها فهمتم أكثر من أفراد الجماعة ألف مرة . وعرفتم ماهيــة كل ظلّ وأصله ، باطلاعكم على الحقيقة التى علمناكم إياها ، بخصوص الأشياء الجميلة والعادية والصالحة ، والأصل الذى عنهُ نُسِخت . وبهذه الوسيلة ترون ، ونرى ، ان حياة هذه الدولة أمر واقع ، وليست شبحًا وهميًّا ، كحياة الأمم الحاضرة المؤلفة من أقوام يتحارب أفرادها على الظلال ، ويثيرون النضال على مناصب الحكم كأنها شيء عظيم . والحقيقة التى أراها هى : ان المدينة التى يحكمها أقل الناس رغبة فى السلطة هى أسعد الدول حالاً ، وأكملها انتظامًا ، وأقلها نزاعًا . والدولة التى يحكمها خلاف من ذكرنا هى ضدّها حالاً ومآلاً

غ : — غاية فى الاصابة

س : — أفتظن أن تلامذتنا يعصوننا إذا خاطبناهم بهذه الصورة ، فيرفضون مناوبتنا العمل فى خدمة الدولة ، بينما يقضون أكثر أوقاتهم فى المنطقة البهية ؟

غ : — مستحيل . لأننا أوصيناهم وصيّة عادلة ، ومن يطعها هو عادل ، فسيدخل كل منهم ادارته كأمر لا مندوحة عنهُ ، ويتقلد منصبه كواجب لازب ، ويحكم خلاف حكم القائمين بالأمر فى كل دولة

٥٢١ أركان الدولة الاسناد

س : — حقًّا يا صديقي ان الأمر يجرى هكذا إذا كان فى إمكانك أن تجد للحكام العتيدين حياة خيراً من حياة الحكم ، فانما يكون ذلك فى تحقيق إنشاء دولة حسنة الادارة لأن فيها وحدها يحكم الأغنيــاء الحقيقيون — الأغنياء ، لا بالفضــة والذهب ، بل بثروة الانسان السعيد ، أى حيــاة البر والحكمة . وإذا تسلَّط فى الدولة الفقراء المعدمون ، المتهافتون على المنافع الذاتيــة ، فقبضوا على أزمة الأحكام بأجمعها ، عازمين على استغلال هذه السلطة لذواتهم ، فسدت الأحكام بأجمعها . لانهُ بذلك يصبح منصب الحكم موضوع النزاع فى ما بينهم ، فتشتعل نيران الحرب الأهلية ، ولا تقف عند حد التهام الفئات المتنازعة ، بل تلتهم الدولة بأجمعها . غ : — غاية فى الصواب .

هم الحكماء

س : — أفتقدر أن تذكر حياة لا تأبه للمناصب إلا حياة الفلسفة الصحيحة ؟

غ : — حقًّا انى لا أقدر

س : — ويجب أن يتقلد الأحكام غير الراغبين فيهــا وإلاَّ نشبت الحرب بين المتزاحمين عليها غ : — دون شك

أرباب الشرف

س : — فمن هم الذين تلزمهم بالحكم إذا كنت ترفض أوفرهم خبرة فى الأمور التى بها تتوافر الوسائل الضامنة أسمى ادارة فى البلاد ، والذين يمتلكون شرفًا أبقى وحياة أرقى ؟

غ : — لن أرفض هؤلاء ، بل أخصّهم بالحكم

شروط الحاكمية

س : — أفتريد أن نبحث فى هذه المسألة ، بأية واسطة ينشأ رجال كهؤلاء فى الدولة ؟ وكيف يبرزون إلى النور ، كالأبطال الذين قيل فيهم انهم صعدوا من العالم السفلى إلى السماء؟

غ : — حقاً انى أريد أن تفعل ذلك

تجديد القلب

س : — وهى مسألة لا تنحصر فى تغليب الأصداف[١] (تغيير الظاهر) بل فى تحويل النفس، أى انتقالها من ليل ظلام دامس ، إلى نهار الوجود الحقيقي . وهذه هي الطريق التى بحق ندعوها الفلسفة الحقيقية غ : — تماماً هكذا فى رأيي

س : — أفلا يلزم النظر فى أى فرع من فروع العلم تستقرّ القوة المطلوبة

غ : — يقيناً ان ذلك واجب

س : — افتقدر يا غلوكون أن تخبرنى عن علم ينقل النفس من الفاني إلى الحقيقي (الباقى) ؟ فاني فيما أنا أتكلم تذكرت اننا قلنا انهم يجب أن يروّضوا بفنون الحرب منذ حداثتهم . ألم نقل ؟ غ : — بلى ، قلنا

كتدريب

س : فيجب أن ينصف العلم المطلوب بهذه الصفة وبالتى قبلها غ : — وأية صفة ؟

س : — الصفة التى يمكن المحاربين أن يستعملوها غ : — ذلك مستحسن إذا أمكن

س : — وقد عوّلنا فى بحثنا السالف على تهذيب تلامذتنا بالموسيقى والجمناز

غ : — يقيناً

الجمناز ٥٢٢

س : — فالجمناز يتعلق بما هو متغير وفانٍ ، لأنهُ يتناول نمو الجسد وانحلاله

غ : — ذلك واضح

س : — فلا يمكن أن يكون الجمناز الفرع الذى ننشده غ : — كلاّ ، لا يمكن

الموسيقى

س : — وما قولك فى الموسيقى ، إذا نظرنا اليها كما تعلمنا فى بحثنا الآنف ؟

غ : — ولا هذه ، لأنها قسيمة الجمناز ، إذا كنت تذكر ، لأنها تهذب حكامنا بتأثير العادة ، وتبلغ قلوبهم لا كعلم ، بل كنوع من الاتزان بواسطة الاتساق ، ونوع خاص من الوزن ، والمواضيع التى تعالجها ، وهمية كانت أو حقيقية ، رتمثل سلسلة أخرى من الصفات شقيقاتها ، ولكنها لا تحتوى على فرع من الدرس يأتى بنفع كالذى أنت في صدده

س : — ذاكرتك حافظة ، فان الموسيقى لا تمتلك شيئاً من هذا النوع. ولكن ياصديقى الفاضل غلوكون أين نجد هذا الشيء الذى نحتاج اليه ؟ فقد حسبنا كل الفنون تسفل بصاحبها

العلوم اللازمة لتوجيه النفس الى المُثل العُليا

غ : — لا شك فى اننا قد حسبناها كذلك . فأى درس بقى غير الجمناز والموسيقى والفنون المفيدة ؟

س : — إذا لم نجد شيئاً وراء هذه ، مستقلاً عنها ، فلنأخذ أحد الدروس العامة التطبيق

غ : — وما هو هذا الدرس

(١) اشارة الى لعبة يلعبونها بالاصداف

س : — هو العلم العام الذي منهُ تستمد كل الفنون والعلوم وجودها ، وارتباط الأفكار (في ميدانها) ، وهو أول ما يجب على المرء إحرازه من العلوم

١ : علم الحساب

غ : — اخبرني ما هي طبيعته ؟

س : — اني أشير به إلى طريقة تميز الأعداد واحد اثنان ثلاثة وأدعوه ، اختصاراً ، علم العدّ والحساب . ألا ترى ان كل علم ، وكل فن ، مفتقر إلى الاشتراك فيه ؟

غ : — بالضرورة انها تشترك فيه

س : — أو ليس فن الحرب أحد هذه الفنون ؟ غ : — انهُ أحدها بلا شك

لا بد من الاحصاء في فن الحرب.

س : — وإليك مثلاً من المأساة . ان بالاميدس ، في كل حادث ، يجعل أغامنون قائداً محتقراً جـــدًّا . وقد ذكرت انهُ ادعى ترتيب صفوفه في طروادة بواسطة استنباط الأعـــداد ، وأنه أحصى السفن ، وكل قواته — كأنّ ذلك أمر جديد ، لم يكن قبل عصره ، وكأن أغامنون نفسهُ كان يجهل ، على ما يظهر ، عدد مشاته . وذلك ناتج عن جهله كيف يعدُّهم . فما رأيك في أغامنون كقائد ؟

غ : — إذا صدقت الحكاية فأرى انهُ كان قائداً غريباً

س : — فهل هنالك مندوحة عن الاستنتاج ان علم العـــدّ والحساب فرع لا غنى عنه للجندي ؟

غ : — كلا بل هو لازم جدًّا ليعرف القائد كيف يرتب جنوده ، وبالأحرى ليكون رجلاً

٥٢٣

س : — أفتتفق فكرتك في هذا الأمر مع فكرتي ؟ غ : — وما هي ؟

س : — انهُ أحد العلوم التي نبحث عنه . والتي تقود طبعا إلى التفكير . ويظهر أن لا أحد يستعملهُ استعمالاً صحيحًا ، كأداة تقودنا إلى الوجود الحقيقي

غ : — أوضح معناك

س : — سأجتهد في إيضاح رأيي الخاص لك . وأنت في دورك يجب أن تشاركني في درس الأشياء التي تبيَّنتها في عقلي ، كمؤدية إلى الغاية المطلوبة ، أو غير مؤدّية . وأن تبين مصادقتك أو مخالفتك ، لكي نرى في الدرجة الثانية ، على وجه أوضح ، أمصيب أنا أم مخطئ في تبيان ماهية هذا العلم غ : — أرجوك أن تبدأ تبيانك

المحسوسات والمعقولات

س : — سأبدأ . إذا لاحظت فانك ترى ان بعض المحسوسات لا تنبّه فينا عمل التفكُّر ، لأنها كلها ضمن دائرة الحس . وان عوامل أخرى تنبه فينا فعل التفكر لتفحُّصها ، لأن الاقتصار فيها على شهادة الحواس يؤدي إلى نتائج غير صحيحة

غ : — واضح انك تشير إلى الأشياء التي نراها مجسمة بسبب بعدها عنا

س : — انك لم تفهم مقصدي غ : — فأي نوع من الأشياء تعني

موقظة الشعورين معاً

س : — أحسب كل الأشياء التى تؤثر فينا تأثيرين متناقضين معاً غير منبّهة . أمّا الأشياء التى تفضى إلى ذلك فأدعوها منبهة — أعنى بها الأشياء التى فيها الشعور عن قرب وعن بعد ، يقرن تأثيرين متساويين فى وضوحهما ولكنهما متناقضين . ويمكنك أن تتبين معناي على وجه أوضح هكذا : — هنا ثلاث أصابع ندعوها — ، الخنصر والبنصر والوسطى غ : — حسنًا

س : — فافرض انى أتكلم فيها كما تظهر عن كثب . وهنا النقطة التى أريد انك تفحصها باعتبار الأصابع غ : — وما هى ؟

س : — واضح ان كلها أصابع على السواء فلا خلاف بينها بهذا الاعتبار فى الوسط كانت أو فى الطرف ، بيضاء أو سوداء ، غليظة أو دقيقة ، وهكذا . فما دمنا تتقيد بهذه النقاط يندر أن يشعر الذهن بأنهُ ملزم أن يسأل الفكر ما هي الأصبع . لأن النظر لا يخبر العقل بحال من الأحوال ، انها اصبع وغير اصبع معًا غ : — كلاَّ ، لا يخبره

لا تفكر في المحسوس

س : — فشعورنا هذا : طبعًا ، لا ينبهُ الفكر أو يثيرهُ غ : — يقينًا لا

س : — وما هى الحال بالنظر إلى حجم الأصابع النسبيّ . هل يميّز النظر بينها تمييزاً تامًّا ؟ أو لا يهمهُ هل هى فى الوسط أو فى الطرف ؟ وكذلك اللمس ، هل يقدِّر غلظها ودقتها ، وخشونتها ونعومتها تقدراً كافيًا ؟ أو ليس هنالك من نقص رسائل بقية الحواس في مثل هذه الأحكام ؟ وبالأحرى ألا تبتدىء كلها هكذا ؟ ولنبدأ بالحس الذى يتناول معرفة الأشياء القاسية : ألا يتناول الحس أيضًا الأشياء اللينة ، أو لا ينبىء العقل انهُ أحس بأن الشيء الواحد خشن وناعم معًا ؟ غ : — انهُ هكذا

٥٢٤

الشعور المزدوج

س : — أو لا يقع العقل فى حيرة فى معرفه ما يعنيه هذا الحس « بالقاسى » أو « بالخشن » وهو ينبيء ان الشيء نفسه « ناعم » أيضًا ؟ وماذا يعنى الحس بالثقيل والخفيف فى أمر الوزن ، حين يخبر العقل ان الثقيل خفيف ، والخفيف ثقيل ؟

شعوران متناقضان معاً

غ : — بلى ، ان هذه الأحكام تبدو للعقل غريبة ويلزم فحصها

س : — فطبيعيّ ان العقل ، فى أحوال كهذه ، يستعين بالتفكر ليكتشف النبأ الوارد إليهِ بطريق الحس أمفرد هو أم مزدوج ؟ غ : — بلا شك

س : — فاذا مال إلى الرأي الثانى ، أفليس واضحًا ان كل نبإٍ في كل قسم له وحدة خاصَّة وأوصاف خاصة ؟ غ : — واضح

س : — وإذا كان كل منها واحداً ، وكلاهما اثنين ، استنتج العقل ان الاثنين متمايزان وإذا لم يتمايزا تعذَّر الازدواج ، وحكم الذهن انهما واحد لا اثنان غ : — حقًّا

التمايز والوحدة

س : — فنقول ان حاسَّة البصر نقلت الينا الشعور بالكبير والشعور بالصغير متحدين لا متمايزين . ألست مصيبًا ؟ غ : — مصيب

س : — ومن الجهة الأخرى متى عكس التفكّر فعل البصر ، اضطر لأجل التأثير الحسى أن يعتبر الاشياء الكبيرة والصغيرة متمايزه لا متحدة غ : — حقًا

س : — ألا تولّد فينا مناقضة من هـــذا النوع ميلاً إلى السؤال : ما هو الكبر ، وما الصغر غ : — تولّد دون شك

س : — وعلى هذا النمط نقاد إلى التمييز بين مواضيع التفكر ومواضيع النظر

غ : — غاية فى الصواب

نوعا الموضوعات

س : — ذلك هو المعنى الذى حاولت تبيانهُ لما قلت ان بعض الموضوعات من شأنه إيقاظ الفكر ، وبعضها لا يوقظه . ففي النوع الأول كل ما يقرع أبواب الحواس بعلاقته بما يضادهُ ، وفى النوع الآخر ما ليس كذلك غ : — فهمتك وانى أوافقك

س : — فتحت أى القسمين ترى العدد والوحدة ينطويان ؟ غ : — لا أقدر أن أجزم

٥٢٥

س : — حقيق ! فاتخذ ملاحظاتنا السابقة تساعدك لبلوغ نتيجة . فاذا كانت الوحدة بذاتها لذاتها مدركة إدراكاً تامًا ، بالبصر أو بغيره من الحواس ، كالأصبع فى مثلنا السابق ، فليس لها صفة استمالة العقل إلى الوجود الحقيقي . ولكن إذا صحبها مناقضة فى كل ظاهراتها ، فأظهرتها وحدة وغير وحدة معًا ، فحينذاك تدعو الحاجة الى حكم ، فيحار العقل فى هذه المعضلة ، فيوقظ قوّة الفكر الداخلية للفحص ، ويعرض عليها هذه المسألة : « ما هى الوحدة بذاتها بعد كل حساب » : ؟ وبهذا الاعتبار يقودنا درس الوحدة إلى التفكر فى الوجود الحقيقي

علاقة درس الوحدة باليقين

غ : — أنت مصيب . فان ملاحظة الوحدة تملك هذه الصفة إلى درجة عالية . لأن الشيء الواحد ، يمثل فى الوقت الواحد ، شيئًا واحداً وما لا يحصى من الأشياء

س : — واذا كان هذا حالنا مع الوحدة أفلا يكون كذلك فى كل الاعداد بلا استثناء؟

غ : — بلا شك

س : — ولكن العد والحساب يتناولان العدد لا غير غ : — يقينًا يتناولانه

س : — فيظهر انهما يقودانا إلى الحقيقة غ : — نعم ، وبطريقة غير عادية

ما لعلم الاعداد من شأن

س : — فيظهر أن علم الأعداد هو أحد الدروس التى ننشدها ، فلا غنى للقائد عنهُ لترتيب جيوشه ، ويلزم الفيلسوف فى درسه ، لأنه ملزم بأن يسمو فوق التغيير ، ويلوذ بالثابت ، وإلاَّ فلا يكون مفكراً ذكيًا غ : — حقيق

س : — ولكن حاكمنا ، كما تقدَّم ، جندىّ وفيلسوف

غ : — لا شك فى انه كذلك

غرض علم الكم الاسمى

س : — ولذلك يا غلوكون يجدر بنا ايجاب هذا الدرس بمادة شرعية ، ولأجل اقناع العتيـــدين أن يشتركوا فى أهم مصالح الدولة بأن يدرسوا العدّ ويقفوا حياتهم على

درسه ، لا كهواة ، بل درساً متواصلاً ، حتى يبلغوا بمساعدة الذهن النقى درجة التفكر فى طبيعة الأعداد . لا كعمل يختارونهُ لأجل البيع والشراء تجاراً وباعة ، أو لأغراض حربية ، بل لسهولة انتقال النفس من المتغير الى الحقيقي الثابت غ : — حبذا ما تقول

س : — وفيما أنا أتكلم فى هذا العلم الذى يبحث فى العدّ ، تجلت لى طرافتهُ وقيمتهُ بطرق شتى لإنفاذ رغباتنا ، بشرط أن يطلب حبّاً بالمعرفة لا لأغراض تجارية

غ : — وكيف ذلك ؟

الاعداد المجردة تقود الفكر الى الوجود الحقيقى

س : — لأنهُ ، كما قلنا الساعة ، قد يرفع النفس إلى فوق ، ويحملها على البحث فى الأعداد المجردة . معرضاً عن ذلك البحث متى كان للأعداد مسميات محسوسة ترى وتلمس. لأنى أعتقد انك عالم أن حصفاء الرياضيين يهزأون بقسمـــة الوحدة فى مجرى المحاورة ، وينكرونها إنكاراً تامـاً . وإذا قسمتها أنت الى أقسام كتصريف النقود عادوا فجمعوها معاً ، وحرصوا على وحدتها حرصاً شديداً لئلا تتفكك عرى وحدتها وتبدو متعددّة

٥٢٦

غ : — حقيق تماماً

س : — فاذا سألهم سائل يا غلوكون قائلاً : — يا أصحابى الأفاضل ، فى أى الأعداد تبحثون ؟ وأين الأعداد التى بها تحقق الوحدة وصفكم أياها ، وهو ان كل وحدة تساوى أختها ، دون أدنى اختلاف ، وليس فيها أقسام ؟ فماذا تظن أن سيكون جوابهم ؟

غ : — أظن انهم يجيبونهُ هكذا : ان الأعداد التى تحدثون فيها انما تدرك بالفكر ، ولا يمكن تداولها بطريقة أخرى

س : — فيا صديقي ، أترى ان هذا العلم ضرورى لنا جدّاً ، فى كل حال ، لأنه يجبر العقل على استخدام الفهم الخالص فى طلاب الحقيقة الخالصة ؟

غ : — حقّاً ان لهُ هذه الخاصة بدرجة عالية

علاقة الرياضيات بالعلوم

س : — ثم هل لاحظت ان المنصبّين على الحساب ، إلاّ النادر منهم ، سريعو الخاطر فى كل العلوم ؟ وان البطيئى الأفهام إذا تثقّفوا وتمرّنوا بهذا الدرس ، ولو لم يحصلوا منهُ على فائدة أخرى ، يصيرون أسرع فهماً مما كانوا ؟ غ : — هذا حقيق

س : — وأؤكد انك قلما تجد علماً يكلف طالبهُ مشقة وعناء كالحساب

غ : — كلاّ . لا أجد

س : — فلأجل كل هذه الدواعي ، لا نحذف هذا العلم ، بل بالحرى نستخدمهُ فى تهذيب أسمى السجايا غ : — أوافقك فى ذلك

٢ : علم الهندسة المسطحة

س : — فلنحسب هذه النقطة مفروغاً منها . ولنسأل بعدها هل نهتم بالعلم المجاور للحساب ؟ غ : — وما هو ؟ أتعني بهِ الهندسة ؟

س : — نعم أعنيها

علاقتها بالحرب والفلسفة

غ : — واضح ان القسم المختص منها بالحيلة الحربية يهمنا . لأن هنالك فرقًا عظيماً ، فى كون الجندى يعرف الهندسة أو يجهلها ، وذلك فى ما يتعلق بمواقع الجنود ، وتوزيعهم ، وفى ضمهم وامتداد صفوفهم ، وفى كل المناورات ، فى الميدان ، وفى الزحف

صفتها الفلسفية

س : — ولكن الزهيد من المعرفة الحسابية والهندسية كاف لهذه الأغراض ، فالمسألة التى أمامنا هى : هل يقضى بنا أهم أقسامها وأسماها إلى سهولة التفكر « بصورة الخير » الجوهرية ؟ ففي مذهبنا هذه خاصة كل ما يحمل النفس على الانصراف إلى المنطقة المحتوية على أسعد قسم من الوجود الحقيقى ، الذى رؤيته أهم أغراض النفس

غ : — أنت مصيب

س : — فتهمنا الهندسة ، إذا كانت تصرف النفس إلى التفكر بالوجود الحقيقى . ولكنها إذا اقتصرت على التفكر بالعرض الفانى فلا تهمنا غ : — لقد جزمنا بذلك

٥٢٧

س : — فلا ينازعنا ، حتى ولا صغار المهندسين ، فى النقطة التالية وهى : ان هذا العلم يناقض صيغ الكلام ، التى يستعملها أربابه ، مناقضة تامة غ . — وكيف ذلك ؟

قضايا الهندسة العملية

س : — انهم يتكلمون بأسلوب هو غاية فى السخافة والوهن ، ذاكرين على الدوام سحب الخطوط ، والتربيع ، وضم الأشكال ، ونحو ذلك ، كأنهم يتعاطون عملاً اقتصاديًا ، أو كأن لكل قضايا هذا الفن غاية عملية . على ان هذا الفن انما يراد لأجل المعرفة

غ : — أكيد انه كذلك

س : — بقيت نقطة يجب أن نتفق عليها ، أليس كذلك ؟ غ : — وما هى ؟

س : — ان هذا العلم يراد لأجل معرفة الدائم الوجود ، لا لأجل مايوجد حينًا ثم يزول

غ : — سنتفق على ذلك حالاً . فان الهندسة ، بالحقيقة ، هى علم الدائم الوجود

غرض الهندسة الاسمى

س : — فإذا كان ذلك كذلك يا صديقي الفاضل ، وجب أن تجتذب الهندسة النفس نحو الحقيقة ، وتضرب الضربة الحاسمة فى ميدان الروح الفلسفية — فترفع ما خفضناه ، خطأ فى وقتنا الحاضر غ : — نعم ، ستفعل ذلك بأعظم قوة

س : — فعليك أن تستعمل مالك من نفوذ فى إقناع أهالى مدينتك الجميلة ، ألاَّ يتأخروا عن الاكباب على درس الهندسة . لأنه حتى فوائدها الثانوية ليست بزهيدة

غ : — وما تلك الفوائد ؟

س : — إذا أعرضنا عما ذكرته ، مما يختص بفن الحرب ، فانى ما زلت أؤكد الحقيقة التى أوضحناها بنوع خاص — ان الفرق عظيم جدًا بين كون الطالب يعرف الهندسة ، وكونه يجهلها ، ولو فهم أي نوع كان من أنواع العلوم غ : — بلا شك

س : — أفنوجب ذلك على شبابنا كدرس ؟ غ : — نعم نوجبه

علم الفلك

س : — أفنجعل الفلك درسًا ثالثًا ، أو أنك لا تستحسن ذلك ؟

غ : — بل انى أستحسنهُ ، لأن معرفة الفصول ، والشهور ، والسنين ، معرفة تامة ، لا تنحصر فى الزارع والملاّح ، بل يشاركهما فيها القائد الحربي إلى حد المساواة

فضل الذهن على كل الاعضاء

س : — يسرني خوفك من الظهور ، أمام الجمهور ، بمظهر من يوجب علوما عقيمة . على انهُ لا يهون ، بل هو من الصعوبة بمكان الاعتقاد ان هـذه الدروس تشفي عضو النفس من التعامي ، وتبعث من موت أدبي أدّى إليـهِ غير ما نذكر من الأعمال — عضواً سلامته أفضل من ألف عين . لأن بهِ وحده يمكننا إدراك الحقيقة ، والنتيجة ان الذين يشاركوننا بالفكر يستحسنون الدروس التى وصفتها . أما الذين لا علاقة لهم بها فيرون ذلك عبثاً . وعندهم أن لا فائدة تجنى منـهُ دون تطبيقها بالفعل . وإذا واصلت البحث ، حاملاً عبء المسؤولية وحـدك ، دون اشارة إلى إحـدى الفئتين ، فلست تأتى بأدنى فائدة بذلك الحديث لـكائن من الناس

غ : — انى أؤثر المسلك الأخير . أي أن أقدم سؤالاتي وأجوبتها معتمداً على نفسي بنوع خاص

س : — فلنرجع خطوة إلى الوراء . فقد أخطأنا منذ برهة ، بما اتخذناه من العلوم تاليًا للهندسة غ : — فأي علم تتخذ ؟

س : — كان الصواب أن ننتقل من البحث فى الهندسة الثنائية الأبعاد (المسطحة أو البسيطة) إلى الثلاثية الأبعاد (الهندسة المجسمة) وذلك يؤدى بنا إلى المكعَّبات ، ذوات الكثافة

غ : — حقيق يا سقراط . ولـكن هذه الموضوعات لم تكشف بعد ، على ما أعلم

فن الهندسة ومصاعبه

س : — انها لم تكشف بعـد ، وذلك لسببين . أولها انها قضايا صعبة ، وكان فحصها ضعيفاً ، إذ لا دولة تقـدرها قدرها . وثانيًا ان الباحثين فيهـا يفتقرون إلى ناظر يحل معضلاتها ، التى لا يفهمونها بدونهِ . والحصول على هـذا الناظر صعب ، وإذا حصل ، كما هو الحال اليوم ، فان كبرياء الباحثين تحول دون اعتبارهم آراءهُ . ولو ان الدولة ، بمجموع عقلها ، أعطت هذا الدرس حقه من الاعتبار ، وأقامت نفسها رقيبًا على درسهِ ، لخضع لهـا الطلاب وتجلّت طبيعة الموضوع الحقيقية ، بعـد فحصها على هـذه الصورة ، فحصًا مستمرًا مدققاً . لأن درسها ما زال ضعيفاً وغامضاً ، ليس عنـد العامة فقط ، بل عنـد الخاصة القلائل ، الذين يدرسونها وهم عاجزون عن تبيان منافعها . مع ذلك فان هذا الدرس ناجح بالرغم من كل هـذه العقبات ، بفضل ما فيه من الجمال الذاتى . ولست أستغرب زوال كل تلك العقبات

غ : — هنالك هيام بهِ ، ولـكن أرجوك أن توضح ما قلتهُ الساعة . فقد حـددت الهندسة على ما أظن ، بأنها : علم يبحث فى السطوح

س : — هكذا حددتها

غ : — ثم اتبعت الفلك بها . على انك عدت فسحبت كلامك

س : — نعم فانى كلما أسرعت ساء مسيري . فان البحث في الفضاء الثـلاثى الابعاد يلى الهندسة (المسطحة) . ولكن لما كانت تدرس باستهتار أهملت الكلام فيها ، وجعلت الفلك يتلو الهندسة البسيطة . وهو عبارة عن حركات الاجرام فى الفضاء غ : — أنت مصيب

الفلك يلى الهندسة

س : — فلنجعل علم الفلك درساً رابعاً ، حاسبين العلم الذى حذفناه الآن موجوداً ، وإنما يتوقع الفرصة السانحة لالتفات الدولة اليه

٥٢٩

غ : — انهُ رأى معقول يا سقراط ، واذا ذكرت الملام الذى وجهتهُ الىَّ منذ برهة ، لأنى مدحت الفلك مدحاً يسيطاً ، فانى أستحسن الخطة التى جريت عليها ، لأني أظن انهُ واضح لكل أحد ان الفلك فى كل حال ، يحمل النفس على النظر إلى ما فوق . ويجتذبها من هذا العالم إلى العالم الآخر قد يكون واضحاً لكل أحد سواي لأن ليس هذا رأيي

وهو ذو وجهين مادى وروحى

غ : — فما هو رأيك ؟

س : — رأيي هو أن الفلك ، على ما يتناولهُ طلاب الفلسفة اليوم يحوّل نظر النفس إلى أسفل

غ : — وكيف ذلك ؟

المحسوس لا يرفع النظر الى فوق

س : — أظن ان الشجاعة لم تفتكَ فى تصوير ما فهمتهُ من طبيعة الدرس الذي يتناول الأمور العليا . والأرجح ان الانسان إذا رفع نظرهُ ، وتعلّم شيئاً عن سقف منقوش ، فانك تزعم انهُ يدرسهُ بذهنهِ لا بعينيه . فقد يكون رأيك صواباً ورأيي خطأ . أما أنا فلا أرى علماً يرفع نظر النفس الى ما فوق إلاَّ إذا تناول الأمور الحقيقيـة غير المنظورة . ولا فرق بين أن يكون الانسان محدقاً فى الجلد ، أو فى الأرض ، فما دام يحاول درس موضوع محسوس فانى أنكر عليه القول انهُ تعلّم شيئاً . إذ لا شيء من المحسوسات يعالج معالجة علمية ولذلك أصرّ أن نفسه ناظرة إلى أسفل ، لا إلى فوق : ولو استلقي على ظهره وعيناه إلى السماء ، فى البرّ كان أو فى البحر

غ : — قد حلَّ بي من العقاب ما أستحق . ولكنى أرجوك أن توضح معنى قولك : ان الفلك يجب درسه بأسلوب يختلف عن الأسلوب الحالى كل الاختلاف ، إذا أريد أن يدرس درساً مفيداً ، طبقاً للمقاصد التى أمامنا

س : — لك ذلك . ما دام الجلد المرقّط قسماً من العالم المنظور فإنا ملزمون أن نعتبره دون الدوران الحقيقي ، وان يكن أجمل الأشياء المنظورة وأكملها لأن الدوران الحقيقي الذى تجرى سرعتهُ الحقيقية أو بطؤه الحقيقي على مقادير معينة ، وفى صيغ حقيقية ، انما يتم دورانه إتماماً نسبيّاً بعضها الى بعض ، حاملة اجرامه كل ما عليها . وهو انما يدرك بالفكر ، لا بالنظر . فهل لك رأي آخر غ : — كلاّ

الاجرام الفلكية كالاشكال الهندسية رموز لا اغراض

س : — لذلك وجب اتخاذ الجلد المرقط رسمًا ونموذجًا للتقدم فى الدرس الذى يرمى الى أغراض عليا ، على النحو الذى به اتخذ الأشكال الهندسية المرسومة باتقان وضبط بقلم المهندس ددلوس ، أو بأقلام غيره من المصورين . لأنى أرى أن الشخص المثقَّف ، الذى تعلَّم الهندسة ، حالما يرى رسماً يدرك حالاً درجة اتقانه . لكنه يزدرى اتخاذه غرضًا مقصوداً من الدرس ، انما يستخرج منهُ حقائق المعادلة أو التضاعف ، وغيرهما من النسب غ : — لا شك فى أنهُ مزدرًى جدًّا

الاجرام والافلاك امور مادية

س : — ألا تظن أن الفلكى الحقيقى ينظر إلى حركات النجوم بهذا الاعتبار نفسه ؟ أعنى ألا يحسب السماء نفسها ، وما فيها من الأجرام ، قد نظمها المهندس السموى فى أحسن تكوين يمكن ابداعهُ ؟ أما نسبة الليل الى النهار . ونسبة كليهما الى الشهر ، ونسبة الشهر الى السنة ، ونسبة النجوم الى الشمس والقمر ، ونسب بعضها الى بعض ، ألا تظن ان رجلاً يزعم أن أشياء مادية كهذه ثابتة لا تتغير رجل محتقر ، زاعمًا انها مستثناة من كل اضطراب . وان الجهود المبذولة فى استكناه شأوها هى من ضروب العبث ؟

غ : — بلى هكذا ظننت فيما أنت تتكلَّم

علم غاية الفلك

س : — فندرس الفلك ، كما درسنا الهندسة مستعينين بالاشكال . واذا رمنا أن نفهم كنه الفلك فهمًا حقيقيًّا فلنصرف نظرنا عن الأجرام السموية . أعنى بذلك أن نصرّف ملكة الفهم تصريفًا مفيداً معرضين عما لا يفيد غ : — أتيقن أن الخطة التى تصفهاهى عملية أضعافًا مضاعفة أكثر من أسلوب درس الفلك الحالى

س : — نعم . وأرى أن نصف كل شئ على هذا القياس نفسه ، إذا رمنا أن نكون نافعين كشارعين . ولنستأنف الآن سيرنا ، فما هو الأمر الذى تقترحهُ فى هذه النقطة ؟

غ : — لا أقدر أن أخترع شيئًا فى فترة قصيرة كهذه

س : — اذا لم أكن مخطئًا فان الحركة تمدنا بأنواع عديدة من العلوم . وقد يوفَّق الفيلسوف الى ايرادها كلها معًا . أما ما يتجلَّى لأناس نظيرنا فاثنان منها غ : — وماهما ؟

س : — قد أبنَّا منها واحداً ، والثاني شقيقهُ غ : — وما هو ؟

س : — يظهر انهُ قصد بأذاننا أن تضبط الحركات المتسقة ، كما قصد بعيوننا أن تتناول حركات الاجرام . وان هذين يؤلفان علمين شقيقين ، كما يقول الفيثاغوريّون ، وكما نحن مستعدون أن نسلم بما قالوا يا غلوكون . وإلاّ فأى مسلك تختار ؟

الفلك والموسيقى عند فيثاغورس

غ : — اختار المسلك الذى ذكرتهُ آنفًا ، أى اننا نسلّم بالقضية

س : — فما دام العمل ينذر بالاطالة فتستشير الفيثاغوريين فى هذه المسألة ، وربما فى غيرها من المسائل — ونظل ، فى الوقت نفسه ، محتفظين بمبدئنا الخاص

غ : — وأي مبدإٍ تعنى ؟

٥٣١

س : — ان لا ندع تلاميذنا يتعلمون فرعًا غير كامل من هذه العلوم ، حينًا من الأحيان أو أن يتعلموا أي شيء يقصر عن بلوغ النقطة التي إليها تتجه كل الدروس ، كما قلنا الآن في الفلك . ولست تجهل ان اللحن الموسيقي يعامل معاملة الفلك في ما يأتي — ان أساتذته كالفلكيين يكتفون بقياس اللحن والإيقاع ، الذى تدركه الآذان ، الواحد ضد الآخر ، ولذلك يتعبون لغير جدوى

غ : — يقينًا ، بل يجعلون أنفسهم سخرة ، فيكررون ويتنصّتون كأنهم يتلقّفون الصوت عن جارهم . ويقول فريق منهم انهم يسمعون نغمة متوسطة ، أو ان الفرق بينها وبين بقية النغمات زهيد ولذا يجب اعتباره وحدة النغمات ، بينما فريق آخر يزعم ان كل النغمات متماثلة — وان الفريقين يخضع العقل للآذان

س : — أرى انك تشير إلى البارعين الذين يشدون الأوتار ويلفونها على الملاوي ولئلاَّ يكون التشبيه مملاً باطالة ضربة الريشة على الأوتار وعدم مرونتها ، لذلك ، اعدل عن وصف الأسلوب . وأقول اني لا أعني هؤلاء الرجال ، بل الذين اخترناهم ، والآن نستشيرهم في أمر الأنغام . لأن نوع عملهم كعمل الفلكيين تمامًا . أعني انهم يبحثون في النسب العددية الكائنة بين الألحان المسموعة ، لكنهم لا يحملون أنفسهم على فحص الأعداد ، لحنيَّة ، وغير لحنيَّة ، وعن سبب الاختلاف بينها

غ : — ان ما تذكره يستلزم قوة تفوق حدود العقل البشري

س : — فادع السعي وراء الصالح والجميل عملاً مفيداً ، وإلاَّ كان غير مفيد

غ : — نعم ، ان ذلك غير بعيد عن الصواب

الربط الروحية

س : — أضف إلى ذلك انهُ إذا أدَّى بنا درس هذه العلوم التى ذكرناها إلى الائتلاف والعلاقات المتبادلة ، وعرفنا شأن الربط التى تجمعها معًا ، فأنى واثق ان الاجتهاد فى معالجتها يفضى بنا إلى تقدُّم الموضوعات التى نبحث فيها . وان العمل الذى هو عقيم بدونها يصير بها من كبار النعم

غ : — وأنا أشعر شعورك يا سقراط . لكنك تتكلَّم فى عمل عظيم جدًّا

مقدمة النشيد العملى

س : — أإلى المقدمة تشير ، أم إلى ماذا ؟ فلسنا فى حاجة إلى التذكير ان كل ذلك لم يكن سوى مقدِّمة للنشيد العملى الذى يجب أن نتعلمهُ . ولست أظن انك تنظر إلى البارعين فى هذه الدروس نظرك إلى المناطقة

غ : — كلا البتة ، إلا أفراد استثنائيين عرضوا لي فى طريقى

س : — ومن المعلوم انك لا تظن ان الأشخاص العاجزين عن الاشتراك فى بحثنا ، فى المبادىء الأولى ، يمكنهم أن يعرفوا مثقال ذرَّة من الأشياء التى أوجبنا عليهم معرفتها

غ : — لا يقدرون أن يفعلوا ذلك أبداً

٥٣٢ س : — أفليس لنا يا غلوكون نشيد عملي غايته التعقل المنطق ؟ هذا النشيد يقع في منطقة السلطة العقلية . وهو يجاهد ، كما أسلفنا ، لينظر نظراً قويماً ، أولا في الحيوانات ثم في النجوم ، وأخيراً في الشمس ذاتها وهكذا يشرع المرء يبحث ، بمساعدة المنطق ، ناشداً كل أنواع اليقين بفعل الذهن البسيط ، مستقلاً عن كل معونة حسيَّة — ولا يكفّ حتى يدرك بفعل الذهن النقي طبيعة «الخير» الحقيقة — فحينذاك يبلغ آخر مدى العالم العقلي ، كما بلغ الشخص المذكور آنفاً آخر مدى العالم المنظور غ : — من كل بد

س : — أفلا تدعو هذا المنهج منطقاً غ : — مؤكد أني أدعوه

الظلال وأصولها المادية

س : — ومن الجهة الأخرى فك أغلال السجناء ، وانتقالهم من ظلال الأشباح إلى الأشباح نفسها ، وصعودهم من أسفل الكهف إلى نور الشمس يمكّنهم ، وهم هناك ، من النظر إلى الصور المنعكسة عن سطح الماء ، لا إلى الحيوانات والنباتات ونور الشمس مباشرة ، التي عنها انعكست تلك الصور . وهي الهيئة وظلال الأشياء الحقيقية ، عوض كونها ظلال الأشباح التي يلقيها النور . وهي نفسها قد تدعى صورة إذا قوبلت بالشمس : — فلهذه النقاط ما يقابلها في ما ذكرناه من الفنون ، التي ترقى أشرف أقسام النفس ، وترفعها إلى التأمل في أسمى الموجودات كما تمكن كل عضو في الجسد من التمتع بأبهى ما في العالم المادّي المنظور غ : — أما أنا فاني أسلم بهذا البيان ومع ذلك فقد وجدت قبوله صعباً ،

المنطق وسيلة فهم الحقيقة

س : — وفي الوقت نفسه ، إذا نظرنا اليها من ناحية أخرى ، ورأينا انكارها صعباً ، وعلى كلٍّ فلما كان البحث فيها غير محصور في الوقت الحاضر ، بل قد يتكرر في المستقبل ، فلنفرض صحة رأيك الحالي ، وعلى هذا الأساس تتقدّم إلى النشيد نفسه ، ونفحصه كما

٥٣٣ فحصنا المقدّمة . فاخبرنا ما هي صفة المنطق العامة ؟ وما هي أقسامه العلمية ؟ وأخيراً ما هي أساليبه ؟ فالمرجّح ان تلك الأساليب ستكون السبيل المؤدي إلى البقعة التي عندها ينتهي مسيرنا . فنستريح من سياحتنا

س : — انك غير قادر أن تواصل متابعتي ، يا عزيزي غلوكون ، مع ان رغبتي لم تفتر . فلن تستمرّ مقتصراً على رؤية المشابهة التي أتينا على وصفها . بل سترى الحقيقة نفسها ، في الشكل الذي به تجلّت لي . وسواء أكنت مصيباً أم لا ، فاني لا أجرؤ على تخطّي موقفي إلى التأكيد . لكنني أظن اني عالم اننا لسنا بعيدين عن مواطن الصواب

غ : — لا شك في انك عالم

س : — أو لا يجوز لي أن أجزم ان المنطق وحده يقدر أن يعلن الحقيقة لمن قبض على أزمة العلوم التي ذكرناها الساعة ، وان المعرفة غير ممكنة في ما سوى ذلك ؟

غ : — بلى ، ولك ما يسوّغ الجزم في هذه النقطة

س : — فلا أحد يضادنا إذا ادعينا ان لا أسلوب آخر ، جرب تجربة منتظمة يصوغ

عجز الرياضيات عن بلوغ اليقين

صورة ذهنية لطبيعة كل شيء الحقيقية . بل بالضد من ذلك ، كل الفنون ، إلا القليل منها ، تتّجه كل الاتجاه ، أما نحو آراء الناس وحاجاتهم ، أو نحو تركيب الأجسام ونتاجها ، أو معالجة الأشياء التي تنمو ، وهي مركّبة . وعنـد القليلين من الناس ، المستثنين من الحكم العام ، ان علوماً كالهندسـة ورفيقاتها ، التي ارتأينا انها تتناول ما هو يقيني نوعاً — نرى انها مع كونها قد تحلم بالوجود الحقيقي لا تقـدر أن تراه فى حال يقظتها ، ما دامت تعتمد الفروض التي لم تمتحن ، ولا يمكنهم يعطوا بياناً عنها . وحين يحسب المرء ، ما لا يعرفهُ ، مبدأً أوليًّا ، ويشيد عليه الفروض الثانوية والنتائج النهائية — فكيف يمكن أن تؤلـف قضايا كهذه علماً

غ : — حقـًا ان ذلك غير ممكن

س : — وعليه فالأسلوب المنطقي ، ليس إلاّ ، هو المعتمد فى ما يأتي : لأنهُ يرجع بفروضه إلى المبدأ الأول لكل الأشياء ، ليضمن رسوخها . وإذ يجد البصيرة قد دفنت بكليتها فى مغاوص الجهالات البربرية ، ينهضها بلطف ، ويرفعها ، مستخدماً الفنون التي محّصناها ، خدَماً وأعواناً فى الدوران ، وهى التي يغلب أن ندعوها علوماً ، لأن تسميتها هكذا أمر مألوف لكنها تتطلّب اسماً آخر يدل على ما هو أوضح من الرأي ، وأخفى من العلم . وقد استعملنا لهـا فى بعض أبحاثنا اسم « معرفة » ايضاحاً لهذا الفعل العقلي على انى لا أرى ان من خواصنا المشاحنة فى التسمية ، وقد آلينا على أنفسنا اعتبار المواضيع المهمة

غ — انت مصيب . فنحتاج إلى اسم ، إذا أطلق على حالة عقلية ، يوضح بجـلاء الظاهرات التي يصفها

٥٣٤

مراتب المعارف والقوى

س : — على انى راض كما سبق القول عن تسمية القسم الأول علماً ، والثاني معرفة ، والثالث اعتقاداً ، والرابع ظنـًا . وتسمية القسمين الأولين ادراكاً ، والأخـيرين تصوّراً ، وان التصوُّر يتناول الفاني ، والادراك يتناول الكائن الحقي . وان نسبة الكائن الحقيقي إلى الفاني كنسبة الإدراك إلى التصوُّر . ونسبة الإدراك إلى التصـور كنسبة العلم إلى الظن . والأفضل حذف المشابهة بين هـذه الأفعال العقلية وبين قسمي التصور والإدراك لئلاّ نثقّل أنفسنا ، يا صديقي ، بمباحث تفوق مباحثنا السابقة عدداً

غ : — حسنًا ، إني أوافقك فى هذه النقطة على قد فهمي إياها

سبب الفشل

س : — أفتدعو كل من يفكر فى لباب الأشياء منطقيًّا ؟ أو تسلّم ان فشل المرء فى تكوين بيان واضح لنفسه وللآخرين ناشيء عن عجزه عن استعمال الذهن النقي في البحث

غ : — نعم ، لا ريبة عندي فى ذلك

سبيل الفوز فى الادراك

س : — أو تستعمل التعبير نفسه بالنظر إلى الخير ؟ فما لم يتمكن المرء من تحديد طبيعته الجوهرية . بواسطة فعل التفكُّر ، وما لم يتمكن من اختراق طريقه فى وسط الصعوبات ، نابذاً ما ناقض فكرته ، لا بقواعد التصوُّر ، بل بقواعـد الوجود الحقيقي ،

وما لم يتقدم فى وسط المشاكل نحو النتيجة النهائية المرغوب فيها ، دون أن يزلَّ فى خطوة واحدة من سلسلة أفكاره — ما لم يعمل كل ذلك أفلا تقول انهُ لم يفهم الخير الجوهرى ، ولا خيراً غيره ؟ وان كل شبح اتفق لهُ ان فهمهُ فانما هو ثمر التصوُّر . لا ثمر العلم ؟ وسيقضي حياته الحاضرة نائماً ، يضرب فى بوادى الأحلام ، ولن يستيقظ فى هذا الجانب من العالم الآتي ، الذي قضي عليه أن ينام فيه نوماً أبديًّا ؟

غ : — نعم ، سأقول ذلك بأعظم حتم

الحكم للعقل

س : — وإذا كنت تهذب أولادك ، تهذيباً صحيحاً ، مراقباً تهذيبهم وطبيعتهم ، فلا يمكنني أن أتصوَّر انك تدعهم يصيرون قضاة شارعين فى هذه الدولة ، يفوَّض إليهم الفصل فى أكثر الأمور خطورة ، وهم خالون من العقل خلو جرَّة القلم : — حقًّا اني لا أدعهم

س : — فتسنّ لهم إذاً قانوناً يوجب عليهم أن يلوذوا بتهذيب يمكنهم من استخدام المنطق على أفضل منهج علمي غ : — سأسنّ ذلك القانون بمساعدتك

٥٣٥

المنطق تاج العلوم

س : — أفلا يظهر لك ان المنطق رأس زاوية فى صرح العلوم ، وإن من الخطإ وضع أى علم آخر فوقه ، لأن سلسلة البناء قد ختمت به ؟ غ : — بلى أرى انك مصيب

س : — بقي عليك تعيين من تخصهم بهذه الدروس ، وتقرير المبدإ اللازم فى توزيعها عليهم

غ : — واضح ان ذلك هو الباقى

س : — أتذكر أي نوع من الرجال اخترنا فى بحثنا السابق لما كنا ننتقى أفضل القضاة ؟ غ : — معلوم اني أذكر

مؤهلات الرجال لمنصب الرجال

س : — فالفت نظرك إلى ما ذكرناه من الصفات على قدر ما علقنا انتخاب أربابها على امتلاكهم إياها . أي اننا مرتبطون بايثار أوفرهم حزماً وأكثرهم رجولة . وعلى قدر ما يتاح لنا ، أوفرهم لياقة . يضاف إلى ذلك انهم يجب أن تكون فيهم طبيعة أدبية شريفة راسخة ، ويجب أن يمتلكوا المؤهلات المستحبة الملائمة نظام التهذيب هذا

غ : — وأية صفات توجبها عليهم ؟

س : — يكون لهم نظر ثاقب فى الدروس ، يا صديقي الفاضل ، وأن يتعلموا بسهولة . لأن الدرس العنيف يمتحن نشاط العقل أكثر من التمرين الرياضي . ولأن العمل هنا فى محله أكثر مما هو هناك ، لكونه محصور فى العقل عوض اشتراك الجسد فيه غ : — حقيق

الذاكرة والسلوك ومحبة العلم

س : — فيجب أن ندرج فى عداد الأشياء التي نفتش عنها ، الذاكرة الحافظة ، والسلوك الحسن ، ومحبة العمل محبة تامة . وإلاَّ فكيف تتوقع أن تغري المرء بأن يتحمل أعباء العمل الجسدى مع مزاولة الدروس والتمارين ؟

غ : — كلا . لا يمكننا إغراء من لم يحرز مواهب من الطبقة العليا

س : — وعلى كل يمكن رد الخطأ فى شأن الفلسفة ، الفاشي الآن ، وسوء السمعة

الذى بليت به ، كما قلت سابقاً ، إلى هذه الحقيقة وهى ان الناس يقبلون على درس الفلسفة من غير جدارة شخصيـــة فيهم . مع ان درسها مختص بأبنائها الحقيقيين دون الأبناء غير الشرعيين غ : — وماذا تعنى بالحقيقيين ؟

أبناء الفلسفة الشرعيين

س : — أولاً : على من يطلب الفلسفة أن لا يعرج فى محبة العمل . أعنى لا يكون متراوحاً بين العمل والكسل . شأن من يحب التمرين والمحاضرة (الجرى) ويكره الدرس ، شاعراً بالرغبة عن البحث والاستماع ، وبغض كل الأعمال العقلية . ثانياً : ان من يكره الأعمال البدنية هو أيضاً أعرج غ : — قولك غاية فى الصواب

عرقلة النفس

س : — أو لا تحسبه عرقلة فى النفس انها مع بغضها بغضاً شديداً الكذب الاختيارى وانكارها إياه انكاراً تاماً ، حتى ليسوؤها جداً أن يكذب أحد مختاراً ، مع ذلك ، تتساهل فى قبول الكذب الاضطرارى بكل ارتياح ، وعوض اغتمامها بسبب نقص معارفها تنغمس فى حمأة جهلها كخنزير برىّ غ : — لا شك فى أنك مصيب

٥٣٦ مزايا القضاء

س : — وقبل كل شىء يجب التمييز بين الابن الشرعى والابن غير الشرعى ، باعتبار العفاف ، والشجاعة ، وسمو العقل ، وكل الفضائل واحدة فواحدة . لأنهُ متى أغضبت الدول أو الأفراد عن صفات كهذه ، تورَّطت جهلاً منها ، فى اختيار العرج قضـــاة وأصدقاء وهم تعول باعتبار إحدى هذه الفضائل غ : — لا شك فى ذلك

الطلاب الاكفاء

س : — فعلينا اتخاذ أعظم درجات الحيطة فى كل ما هو من هذا النحو . فاذا أمكننا أن نحرز أشخاصاً سليمى الأجسام والعقول ، ونشّأناهم على الدروس العاليـــة والتهذيب الصارم ، فلا تجد العدالة فينا لوماً ، وبذلك نصون دولتنا ونظامها . أما اذا اخترنا تلامذة من طراز آخر انقلب نجاحنا فشلاً وجلبنا على الفلسفة أعظم عار

غ : — حقاً ان ذلك عار

س : — حقاً انهُ عار ، على اني جلبت الساعة ذلك العار غ : — وبماذا ؟

س : — بأنى نسيت اننا لم نكن مترصنين ، ولم تتكلم بجد ، فانى نظرت الى الفلسفة ، وأنا أتكلم فرأيتها تهاجم بهزء لا تستحقه . فاستأت وثارت حفيظتى على المسئولين عن ذلك الهزء ، وأعتقد اني أبديت مزيد الجدّة

غ : — كلاّ ، لم تبدِ شيئاً من ذلك ، أو على الأقل اني لا أظن انك أبديتهُ ، وأنا أسمعك

س : — بل شعرت اني فعلت ذلك وأنا أتكلم . ولنستأنف البحث . فلا ننسى انهُ فى هذا الموقف لا يمكننا اختيار الشيوخ كما فعلنا سابقاً . ولا يغرنا صولون فيوهمنا أن الانسان كلما تقـــدم فى العمر صار أقدر على تحصيل العلم لأن الواقع انه يمشى عاجزاً عن التحصيل أكثر مما يصير عاجزاً عن الركض . فيجب القاء الأحمال على مناكب الفتيان

الشبان هم المتقون

غ : — من كل بد هكذا يجب

س : — فيجب تلقين تلاميذنا ، منذ حداثتهم ، الحساب ، والهندسة ، وكل فروع العلوم الابتدائية ، التي تمهد السبيل لفن المنطق — مع الاعتناء بتلقينهم العلم بطريقة غير اجبارية . غ : — ولماذا

الحرية في طلب العلم

س : — لانه لا يجوز أن يمزج تهذيب الحر بشيء من ملابسات الاستعباد . لأن ارغام الجسد على الأعمال الجسدية لا يحدث تأثيراً في الجسد . أما في أمر العقل فلا يتأصل علم في الذاكرة اذا أتاها بطريق الارغام غ : — حقاً

س : — فيجب ، أيها الصديق الفاضل ، اعطاء الدروس للأحداث بأسلوب الألعاب والتسلية ، دون أدنى ظاهرة ارغام لكي يتمكن كلٌ منهم من معرفة ميله الخاص

٥٣٧

غ : — رأيك سديد

س : — أفتذكر قولنا انه يجب أن يشهد الأحداث الحرب ، على متون الخيول ، وأن يدخلوا ميدانها وهم في مأمن من الخطر . وأن يتذوقوا الدم ككلاب الصيد ؟

غ : — أذكر ذلك

امتلاك النفس

س : — وعليه ننظم لائحة انتخاب ، ندرج فيها من تجلّى فيه ضبط النفس ، في وسط كل هذه الأعمال والدروس والمخاطر غ : — وفي أي سن يجب انجاز ذلك ؟

س : — حالما ينهون تمريناتهم الجسدية الضرورية . ولا يعمل شيء آخر في أثناء التمرين الذي يشغل زهاء سنتين أو ثلاث ، لأن التعب والنوم هما ألدّ أعداء الطلب . عدا ذلك أن تصرُّف كلٍّ من الطلاب في خلال تمرينهم هو امتحان مهم جداً من حيث تبيان سجيته

س : — وبعد هذا الفصل يلزم أن نخوّل أرباب السجايا الممتازة ، ممن بلغوا العشرين ربيعاً ، شرفاً أعظم من شرف سواهم . ويجب جمع العلوم المختارة ، التي حصلوها في صباهم ، في امتحان واحد ، ليتبينوا العلاقات المتبادلة بينها ، وليعرفوا طبيعة الوجود الحقيقي

غ : — حقاً ان هذا هو التهذيب الوحيد الذي سيرسخ في الذين قبلوه

مقياس السجية المنطقية

س : — نعم ، وهو أعظم وأقوى مقياس للسجية المنطقية . لأن المرء يكون منطقياً ، أو غير منطقي ، بقياس ادراكه الموضوع ، ادراكاً اجمالياً ، أو بقياس عدم ادراكه ذلك الادراك غ : — أوافقك في ذلك

الامتحان محور كل فروع الادارة

س : — ولذا يجب أن تلاحظ الذين يبدون أعظم مقدرة ، وأرسخ ثبات ، في هذه المسائل ، وأثبت عزيمة الحرب وفي غيرها من فروع التهذيب ، وليس في الدروس فقط . ويجب أن نختارهم من بين رفقائهم الممتازين ، ونخوّلهم شرفاً أعظم . يبدأ ذلك من سن الثلاثين فصاعداً . ونمتحنهم بالقسم الباقي في المنطق ، لنرى من منهم يستغني عن مساعدة عينيه ، ومساعدة غيرها من الحواس ، ويتقدم لفهم الوجود الحقيقي بمساعدة الحقيقة . وهنا يلزم ، يا صديقي ، أعظم حرص غ . — ولأي سبب خاص

س : — ألم تتبين مبلغ الشر الذي يساور فن المنطق فى وقتنا الحاضر ؟

غ : — وما هو ؟

س : — التمرد الذي قد يألفه المناطقة غ : — حقًا انك مصيب

س : — أوَ تستغرب ذلك ؟ أوَ لا تتساهل مع الأشخاص المذكورين ؟

غ : — أوضح مرادك

دعي التصورات

س : — تصور ما يماثل ما نحن فيه . فافرض أن دعيًّا نشأ فى وسط غنيّ ، ذي علاقات واسعة بأسَر شريفة ، يحيط به جمهور من المملقين . وافرض أنهُ لما بلغ رشده عرف أن اللذين ادّعياهُ ليسا والديه ، على إنهُ لايمكنهُ اكتشاف والديه الحقيقيين . أفتقدر أن تنبئني مايكون تصرُّفه نحو مملقيه ، ونحو المحسوبين والديه ؟ أولاً حين كان يجهل حقيقة أمره ، وثانيًا بعد ما عرفها ؟ أو أنك تريد أن تسمع ذلك مني ؟

٥٣٨

غ : — بل أريد أن أسمع

س : — أظن انهُ ما دام يجهل الحقيقة ، يكرم المحسوبين والديه وأقاربهُ ويعتبرهم من المملقين . ولا يهمل اولئك اهماله هؤلاء فى حال عوزهم ، ويكون عصيانه هؤلاء ومخالفتهُ رغباتهم ، قولاً وفعلاً ، فى المهم من الأمور ، أكثر إمكانًا من عصيانه المحسوبين والديه غ : — ذلك مرجح

طور الكشف الجديد

س : — ولكنه متى عرف حقيقة حاله فتر فى اكرام ذينك الوالدين واحترامهما . أما المملقون فزاد اعتباراً لهم ، واصغاء لتمليقهم ، عن ذى قبل . وشرع يعيش حسب هواهم ويصحبهم دون تستر . وإذا لم يكن ذا فطرة صالحة فلا يوجه نحو الذين ادعوا انهم والداه وأقاربه ، ولا يكترث لهم

غ : — وصفك طبيعى الصبغة ولكن ما وجه الشبه بينه وبين طلاب المنطق ؟

س : — هذا هو وجه الشبه . إنى أعتقد أن عندنا ، منذ الصبوة آراء جازمة فى ما هو العادل وما هو الجميل . وقد نشأنا على احترام هذه الآراء وطاعتها ، كما نشأنا على طاعة الوالدين واحترامهم غ — حقيق

قبل عهد الانتقال

س : — ثم أن تلك الآراء قد صدمتها أعمال مستحبة ، تملق نفوسنا وتحاول أن تجذبها اليها . ولكنها تعجز عن استمالتنا إذا كنا أفاضل كاملين — لأننا حينذاك نحتفظ باحترام تلك الآراء ، ونقيم على الاخلاص لها غ : — يقينًا

فى عهد الانتقال

س : — ولكن إذا عرضت لأحدنا مسألة ما هو الجميل — وأجاب عنها ، كما كان قد تلقن من شارعه ، وخطّىء عملاً بقواعد المنطق ، وأثبت له التكرار ان ما كان يحسبه جميلاً فيه من العيب والتشويه قدر ما فيه من الجمال — وكذلك فى العدالة والصلاح

وسائر الأشياء التى كان لها عنده أسمى درجات الاعتبار — فما ظنك فى تصرفه نحو الآراء القديمة من حيث طاعتها واعتبارها ؟

غ : — مؤكد أنه لا يعتبرها ولا يطيعها كما كان يفعل قبلاً

٥٣٥ س : — وما دام لا يعرف الحقيقة ، ولا يعتبر اعتقاده السابق كما كان يفعل قبلاً وفى الوقت نفسه يعجز عن اكتشاف الحقيقة ، أفلا يسلم نفسه للتمليق كل التسليم ؟

نتيجة الكشف الجديد

غ : — يسلّم

س : — وبعبارة أخرى أرى أنه يهجر الولاء ويصير مستبيحاً غ : — لا شك فى ذلك

س : — أفليست هذه طبيعة طلاب المنطق ؟ أوَ لا يجب أن يعاملوا بالرفق ، كما قلت الساعة ؟ غ : — وبشفقة أيضاً .

س : — ولئلاّ تتحمّل عبء هذه الشفقة على أبناء الثلاثين ألا يجب اتخاذ كل احتياط فى تعليمهم المنطق ؟ غ : — مؤكّد

خطر المنطق على الاحداث

س : — أوَ ليس أعظم أنواع الاحتياط منعهم عن تعاطى ذلك الفن فى حداثتهم ؟ وأظن أنه لا يفوتك أن الأحداث وقد تمنطقوا يتخذون المنطق آلة لهو وتسلية ، ويستخدمونه لمجرّد المعارضة ويقلدون فى أعمالهم من اتصف بالمغالطة ، مسرورين كالأجرية بتخديش كل من داناهم وتمزيقه ، بواسطة المنطق ؟ غ : — يفعلون ذلك فى دائرة واسعة

س : — وإذا أحرزوا فوزاً كبيراً ، أو أصابهم الانحدار ، هبطوا سريعاً إلى جحد شعورهم السالف فيحقرون أنفسهم والفلسفة فى نظر الآخرين غ : — من كل بد

طلاب المنطق الكبار سناً

س : — أمّا من كان أكبر منهم سنّاً ، فلا يسلم نفسه لهذا الجنون ، بل يميل إلى اقتفاء آثار الذين يبحثون عن الحقيقة ويفحصونها لاغير ، دون الذين يعارضون لمجرّد التسلية . والنتيجة ان حزمه وتبصّره يزدادان عوض أن يسبّب استهتاراً عامّاً فى نفسه فى كل المذاهب غ : — مصيب

س : — اوَ لم نكن ندرس وسائل الاحتياط أيضاً لما قلنا فى بعض المرات السالفة : ان السجايا التى يجب أن يدرس أربابها المنطق يجب أن تكون ثابتة منظمة وذلك ضد النسق المتبع اليوم ، الذى يبيح درس المنطق لأىّ كان ، ولو عديم الجدارة

غ : — تأكيداً كنا ندرس وسائل الاحتياط

س : — أفيكفى ، لدرس المنطق ، أن يستمر الرجل دارساً برغبة واجتهاد ، تاركاً لأجله كل ما سواه جانباً — كأن يترك كل شىء لأجل التمرين الرياضى — مضاعف المدّة المخصّصة للتمرين الرياضى غ : — هل تعنى أن تكون المدة أربع سنوات أو ستّاً ؟

س : — لابأس فى جعلها خمساً وبعدها نرسلهم إلى الكهف الذى وصفناه ، ونأمرهم أن يتقلدوا القيادة فى الحرب ، وفى المناصب التى تستلزم شبيبة ليمكنهم أن يحفظوا مركزهم ٥٤٠

مدة التحصيل الثانوى

ازاء جيرانهم . وهنا أيضاً يمتحنون ثانية ليظهر هل يثبتون رغم كل غرابة، أو يتزعزعون قليلاً عن ثباتهم غ : — وكم من الزمان تعين لذلك ؟

خلاصة الموقف المدنى

س : — خمس عشرة سنة . ومتى بلغوا الخمسين من العمر يرفع الذين غلبوا التجارب منهم، وفاقوا الأقران فى كل فرع، علماً أو عملاً، الى المرتبة العليا . فيوجهون بصائرهم نحو الذى أفاض على الكائنات باهر أنواره، ويثبتونها عليه . ومتى رأوا « جوهر الخير » وجب أن يتخذوه مثلاً ينسجون على منواله فى تنظيم بلدهم ومواهبهم وأنفسهم، ويجب أن يشغل كلاً منهم فى دوره باقى الحياة — ومع انهم يشغلون القسم الأكبر من وقتهم فى الأبحاث الفلسفية، فعلى كلٍّ منهم، متى حان دوره، أن يقف نفسه على مهام الدولة الصعبة، ويشغل المناصب لخير دولته ومصلحتها، لا كشيء مرغوب فيه، بل كواجب لا مندوحة عن القيام به، ومتى علّموا واعدوا من الاحتياطى عدداً كافياً، كما استعدوا هم، ليملأوا مناصبهم كحكام الدولة، انسحبوا هم الى جزائر الأبرار . فتقيم لهم الدولة الأنصاب على نفقة الجمهور، وتقدم لهم الذبائح كجبابرة (أنصاف آلهة) اذا اذن وحى بيثيا بذلك . واذا لم يبح الوحى ذلك اقتصر على اكرامهم اكرام الأفاضل الأتقياء

غ : — انت كمثّال يا سقراط . وقد وصفت نموذج حكامنا خالياً من كل عيب

النساء شريكات فى الادارة

س : — قل و « نساؤنا أيضاً »، يا غلوكون، ولا تزعمن أن تعاليمى تنطبق على الرجال أكثر مما على النساء، بناء على تمكّننا من إيجاد نساء ربّات مواهب تتفق مع المنصب

غ : — انت مصيب إذ يشاطرن الرجل كل عمل . حسب مبدأ المساواة الذى قررّناه

س : — أفتوافق ان نظريتنا فى الدولة والنظام ممكنة التطبيق، وليست مجرّد رغبة، وان يكن تحقيقها صعباً . ويقوم امكان تحقيقها بوسيلة واحدة، وهي أن تناط السلطة التامة فى الدولة بفيلسوف واحد يشعر شعوراً عميقاً بخطورة الحق والشرف الناشىء عنه، ويحتقر الفخفخة احتقاراً شديداً، ويعتبر العدالة أسمى الواجبات وأحقها، فيجرى، كخادم ومحب خاص للعدالة، اصلاحاً تامّاً فى دولته غ : — وكيف ذلك

٥٤١ كيف يتربى أبناء الدولة

س : — يجب فصل كل الذين تجاوزوا العاشرة، وارسالهم الى الأرياف . ويجب تربية أولادهم بعيدين عن تأثيرات السجية الشائعة التى يتصف بها آباؤهم وأتراب آبائهم، حسب قوانين الفلاسفة وعاداتهم التى مرّ بك وصفها . فقل . أليست هذه أسهل وسيلة وأسرعها، لتمكين دولة ودستور، كاللذين مثلناهما، من الوجود والنجاح، فيكونان، فى الوقت نفسه، بركة للأمة التى تأصّلا فى تربتها ؟ غ : — بكل تأكيد هكذا . وأرى انك أبنت يا سقراط الوسائط اللازمة لتحقيق دستور كهذا، اذا كان تحقيقه من الممكنات

س : — او ليس ما قلناه كافياً فى شأن الدولة وشأن الفرد الذى يمثلها ؟ لأني أرى أى نوع من الرجال يجب أن يكون غ : — واضح وأرى أن بحثك قد بلغ نهايته

الكتاب الثامن

الحكومات الدنيا

خلاصته

يستأنف سقراط الكلام فى مطلع الكتاب الثامن ، فى الموضوع الذى كان قد بدأه فى ختام الكتاب الرابع ، لما قاطعه الكلام اديمنتس وبوليمارخس ، وهو بيان الأنواع الأصلية فى النظام العقلى والتنظيم السياسى

يمكن قسمة الحكومات الى خمسة انواع كبرى ، هى الارستقراطية والتيموكراسية والاوليغاركية والديموقراطية والاستبدادية . ومن ثمّ كان هنالك خمسة أنواع عظمى من صفات الأفراد ، تطابق أنواع الحكومة الخمسة . لأن الدولة (يقول سقراط) نتاج أفراد أهاليها ، فيرجع فى درس سجيتها الى درس سجيتهم

بحثنا فى الدولة الكاملة وفى الفرد الكامل ، أى فى الارستقراطية والارستقراطىّ فبقي علينا أن نتتبع أصل الحكومات الدنيا الأربع ، وأن نأتي على بيان سجيتها

كل ذى بداءة ميال الى الذبول ، وعليه ففى مجرى الزمان ينشأ الانقسام بين طبقات الأمة الكاملة الثلاث ، كما بين أفراد كل منها . والنتيجة الراجحة هي حصول تسوية بين أحزاب الطبقتين العليين غرضها اقتسام ثروة الطبقة الثالثة ، والهبوط بها الى درك الخدمة والعبودية . وأشهر أوصاف دولة كهذه ترجيح كفة العنصر الحماسى البادى فى الحرب وروح المطامع والقلق : وهى ما يدعوه سقراط . التيموكراسية او التيمارخية . أى حكومة الشرف

ويقابل هذه الدولة الانسان التيموكراسى ، الذي يتغلب فيه العنصر الحماسى ، ومحبة الشرف . ويمكن تمثيله لأنفسنا بابن الارستقراطى ، الذي أغرته العوامل الردية على العروج عن اقتفاء آثار والده . فتنمو محبة الثروة التى ادخلتها التيموكراسية نوعاً . وتتزايد حتى تحوله الى الاوليغاركية ، التى لبابها جعل الثروة أساس الجدارة . وهو اثم فظيع . ومن نتائجه ان الثروة والفاقة يبلغان فى الدولة أقصى مداهما . . فتنقسم المدينة الى قسمين ، غني وفقير ، يبغض احدهما الآخر ، ويكيد له . وعلى هذا النحو نمثل لأنفسنا الأوليغاركى ابن التيموكراسي ، الذي صُرمت فجأة حبال مطامعه ، فعرج ولده عن مسلكه الشريف ، واستسلم لحب الربح ، فيصير الانقسام فى داخله كالدولة الاوليغاركية ، مع انه يحافظ على

المظاهر لكي تقرّب آمالهُ بالنجاح فى طلب الثروة . فتنشأ بالتدريج طبقة خطرة على الدولة هى طبقة الفقراء المعدمين ، التي تنزع أخيراً إلى السلاح فتقصى الأغنياء عن حدودها . وتوجب المساواة فى الحقوق المدنية . هـــذه هى الديموقراطية . وأشهر أوصافها « الحرية » المائلة إلى الاستباحة

وجريًا على الطريقة نفسها يقال ان الديمقراطيّ هو الرجل الذى أجلت رغبة الاسراف والتهتك فيه الرغبات المعتدلة وحب الاحتشام الموروثة عن والده . فيعيش متمتعًا باللذات ، تقوده مبادىء غيرمتنظمة ، منتقلاً من لذة إلى لذة كما يسوقه الهوى . لأن اللذات في مذهبه متماثلة ، وتستحق التربية والرعاية على السواء . وبالاختصار شعاره : الحرية والمساواة

ثم ان التطرف في الحرية ، التي امتازت بها الديموقراطية ، يهيء الطريق ، بواسطة رد الفعل ، إلى الاستبداد . ومستبد المستقبل هو ، أولاً ، بطل الأمة المختار فى النزاع بين الأحزاب الاليغاركية . فتنمو قوته تدريجًا ، وإذا نفي عاد أقوى مما ذهب . ثانيًا ، اختيار حرس خاص له ، تحت ادعاءات مريبة . وأخيراً يتحوّل مستبداً تامًّا

متن الكتاب

٥٤٣
مراجعة ما تقرر

سقراط : — قد اتفقنا يا غلوكون فى النقاط الآتية

إذا أريد انتظام الدولة ، أفضل انتظام ، وجب تقرير شيوعية النساء والأولاد ، والتهذيب فى كل فروعه . وكذلك شيوعية المناصب فى حال السلم والحرب . وأن يكون الملوك ممن أظهر أعظم مكانة فى الفلسفة ، وأشدَّ ميل إلى الحرب غ : — نعم اتفقنا إلى هذا الحد

س : — يضاف إلى ذلك اننا سلمنا انه متى رسخ مركز الحكام لزم أن يحلوا جنودهم فى مساكن مقررة الأوصاف . ولا يباح فيها ، حسب قرارنا ، ملك شخصي ، بل تكون ملكاً مشاعًا للجميع . وقد قررنا ، عدا تحديد حال البيوت ، إذا كنت تذكر ، إلى أى حد نأذن لهم أن يقولوا عن شيء ما انه ملكهم الخاص

غ : — نعم ، اذكر اننا قررنا أن لايمتلك أحدهم ثروة ، كما يفعل جميع الملوك الحاليين . وجزمنا انه يحق لهم كحكام وجنود مدربة ، أن يتناولوا من الأهالي رواتب سنوية مقابل حكمهم . وأن يحصروا جهودهم فى السهر على أنفسهم وعلى المدينة

س : — أصبت . والآن وقد انهينا هذا الموضوع فلنذكر نقطة افتراقنا ، لكي نتمكن من استئناف السير فى سبيلنا القديم

غ : — ليس ذلك بعسير . فقد كنت تتكلم بجدٍّ ، كما تفعل الآن ، لتفهمنا انك انهيت البحث فى الحكومة المثلى ووصفتها « بالصالحة » ووصفت الرجل الذى يمثلها « بالصالح » . مع انهُ

كان فى إمكانك ، على ما يظهر ، أن تخبرنا عن أفضل دولة وأفضل رجل . وقد صرحت ، فى ذلك الحين ، انه إذا كانت دولتك على هدى فكل دولة سواها على ضلال . واذكر انك قلت فى ما يتعلق بالنظم الباقية ان هنالك أربعة رئيسية جديرة بالاعتبار — ملاحظاً مساويها ، عاطفاً النظر على الأفراد الذين يمثلونها فى دورهم . حتى إذا ما وقفنا على أحوالهم كافة ، واتفقنا فى من هو أفضلهم وأرداهم تمكنا من النظر فى هل أفضلهم أسعدهم وأرداهم أشقاهم ؟ ولما سألتك أن تصف النُظُم قاطعك بوليمارخس وأديمنتس الكلام . فانتهجت فى الحديث المنهج الذى أفضى بك إلى موقفك هذا

٥٤٤

س : — نِعم الذاكرة ذاكرتك

غ : — فاسمح لي إذاً ، ان أغالبك كالمصارعين ، فى موقفي السابق . فأعيد مسألتي الآنفة ، وتفضل بابداء ما فى فمك من كلام

س : — سأبذل جهدى

الحكومات الاربع

غ : — فرغبتي الخاصة هى أن أعرف الحكومات الأربع التي ذكرتها

س : — لا صعوبة فى اجابة سؤالك . فالنظم التي أشرت إليها هى ذات الأسماء التالية

الأولى : — حكومة كريب وسپارطا التي أجمع الناس على امتداحها

الثانية : — تليها في الترتيب الحكومة الاليغاركية كما يدعونها ، وهى ملأى بالمساوى

الثالثة : — الديموقراطية ، ضد الاوليغاركية وخليفتها

الرابعة : — وأخيراً ، الحكومة الزاهية وهي « الاستبداد » ، المغايرة كل الحكومات الآنفة ، بل هي عبارة عن شر ادواء الدولة . ولا أراك قادراً أن تذكر هيئة سياسية أخرى مستقلة الوضع . لعلمى ان الحكومات الصغري من سلطنات وامارات ، وما على شاكلتها من الهيئات المنظمة ، يمكن اعتبارها داخلة فى سلك هذه الأربع كحلقات صغرى . وهى معروفة عند اليونانيين والبرابرة غ : — انَّا نسمع كثيراً عن حكومات كهذه

الدول تتألف من الافراد

س : — أو تعلم ان أنواع السجيّة البشرية تساوى أنواع النظُم عدداً ؟ أو تظن ان تلك الدول نبتت على شجرة أو صخرة ، لا على تربة صفات الأفراد الأدبية فى كل دولة ، باعتبار رجحان كل صفة منها فى كفّة الميزان ، وجرّها كل شيء فى اثرها ؟

غ : — أظن ان النوع الثاني هو أصلها الوحيد

أنواع الناس خمسة

س : — فاذا كانت أنواع الحكومات خمسة فهنالك ، حتماً ، خمسة أنواع من النظام العقليّ فى أفراد الناس غ : — يقيناً

٥٤٥

س : — لقد نظرنا فى الإنسان الذى يمثّل الارستقراطية ، وبالصواب حكمنا انه عادل وصالح غ : — نظرنا وحكمنا

س : — فهل نخفض النظر الى أنواع الناس الدنيا ، وهم الجشع المشاغب ، الذى يطابق

نظام سپارطا ، والاوليغاركي فالديموقراطي فالمستبد ، لكي نرسل النظر في أبعدهم عن العدالة، ونقابلهم بأعدل الناس ؟ وعلى هذه الصورة تتم بحثنا في جزاء العدالة الخالصة ، والتعدي الكلي ، باعتبار سعادة أصحابهما أو شقائهم . فاما ان نسمع كلام ثراسيماخس ونتبع التعدي، أو نخضع لبيّنات البحث الحالي فنتبع العدالة غ : — يجب أن نفعل ذلك من كل بد

س : — فننظر ، جريًا على أسلوبنا الذي اخترناه منذ البداءة في صفات الدولة الادبية ، قبل النظر في صفات الافراد . لأن هذا الاسلوب يؤدي إلى وضوح اتمّ . فاذا شئت نبحث أولاً في النظام الطموحي (ليس عندي اسم اطلقهُ عليه . فادعوه تيموكراسية او تيماركية) ومنهُ اتقدّم الى النظر في الرجل الطموح . ثم ننتقل الى الاوليغاركية والاوليغاركيّ . وبعد نظرنا في الديموقراطية نحوّل النظر إلى الرجل الديموقراطي . واخيراً ندخل الدولة التي يحكمها مستبد ، وننعم النظر فيها وفي النفس التي تمثلها . وحينذاك يمكننا ان نكون قضاة أكفاء، للحكم في القضية غ : — اسلوب كهذا ، أقل ما يقال فيه انهُ معقول

حلقات البحث

س : — فلننظر أولاً في نشوء التيموكراسية من الارستقراطية ، افلا يصح ان نضع القاعدة الآتية ؟ يبدأ التطوُّر في كل نظام ، بلا استثناء في الهيئة الحاكمة ، وفيها ، فقط ، حين تتصدع : وما دام أفراد تلك البيئة على وفاق يستحيل ان تهتز الدولة مهما تكن صغيرة

غ . — بلى ، ان ذلك حق

س : — فكيف تتزعزع دولتنا يا غلوكون ؟ وكيف يحصل الشقاق بين الحكام ومساعديهم ، أو بين أفراد هاتين الفئتين ؟ أمن رأى هوميروس أنت ، فترجع إلى إلاهات الفن لتنبئك كيف حصل أول تصدُّع ؟ أو تقول انهم يتلاعبون في الكلام بأسلوب من أساليب المآسي فيوردونهُ بصورة الجد والترصُّن ، وهم يهزأون بنا كأننا أطفال لديهم

تصدع بنيان الامة

غ : — وما هو جوابهم ؟

س : — هو مقارب ما يأتي : — يعسر أن تتزعزع دولة تنظمت على ما ذكرنا . ولكن لما كان كل مخلوق في هذه الدنيا عرضة للزوال فليس من المحتمل أن يبقى الى الأبد حتى ولا نظام كهذا ، بل ينحلّ ويكون تفكك أوصاله على النحو الآتي : ليس المملكة النباتية وحدها ، بل والحيوانية معها أيضًا ، معرَّضة لتعاقب الخصب والقحل جسداً وعقلاً . وهذا التعاقب يجرى طبقاً لنظام دوريّ ، تقصر مدته أو تطول حسب طول حياة الأشياء . وبالنظر الى خصب جنسك أو قحله أقول ، ولو كان الأشخاص الذين هذَّبتهم واعددتهم للمناصب حكماء ، إلا أنهم لارتباط عقولهم بالحواسّ ، فبالرغم من كل ملاحظة وحساب ، يجهلون الوقت الملائم ، فتزل بهم القدم ويلدون ، أحيانًا ، في غير الوقت الصحيح . أما دورة التوليد الالهي فهي في العدد التام . وأما دورة مواليد الناس فتتعين بعدد هندسي ، وعليها تتوقف حالة المواليد من خير أو شر . فحين يأذن حكامك . جهـلاً منهم ، بقران في غير

٥٤٦

دور التوليد البشري

وقته ، فلا تكون ثمرة قران كهذا سعيدة أو منعّمة . فيمتلك أفضلهم بقوّة السلف عن غير جدارة ذاتية . ولما كانوا قد شغلوا مناصب آبائهم فانهم يبتدئون يستخفون بنا ، مسيئين فى الواجب عليهم كحكام . فيزدرون أولاً بالموسيقى ، ثم بالجمناز ، فيتهذّب شبّانك تهذيباً رديّاً . والنتيجة انهُ يتبوأ المناصب من يقصر عن التمييز بين أجناسك وبين أجناس هسيودس ، أى بين الذهب والفضة وبين النحاس والحديد . واذا مزج الحديد بالفضة ، والنحاس بالذهب ، ولد شذوذاً متنافراً ، عديم المساواة . وحيث تأصّل ذلك اثمر عداءً وحرباً . فيمكننا الجزم فى ان قيام جيل كهذا مصحوب بالتصدُّع

٥٤٧

غ : — نعم وسنسلم ان جواب إلاهات الفنون هو الجواب الصحيح

س : — كيف لا وإلاهات الفنون قد قالت . . .

غ : — وماذا قالت إلاهات الفنون أيضاً ؟

اصول عناصر الدولة

س : — متى حصل التصدُّع مال القسمان الى التباعد — فيميل العنصران الحديدى والنحاسى الى الارباح ، واقتناء الحقول والفضة والذهب ويتحوّل العنصران الغنيان البعيدان عن الفاقة نحو الفضيلة . ونظام الأشياء القديمة . على ان النزاع المتبادل بين الحزبين ينتهي بالتفاهم المتبادل ، والاتفاق على اقتسام الأراضي والبيوت ، واستعباد أصحابها المسالمين ، وتحويلهم إلى طبقة سفلى كعبيد أرقّاء للخدمة فى الحرب والدفاع عن سلامة أسيادهم

غ : — أتيقن انك وصفت الانتقال الى التيموكراسية

س : — اوَ لا يؤسّس هذا النظام وسطاً بين الارستقراطية والاوليغاركية ؟

غ : — بالتأكيد

س : — فما هي خطة الدولة بعد التحوُّل ؟ أليس واضحاً انها والحالة هذه ، لما كانت فى منتصف الطريق بين حكومتها الماضية وبين الاوليغاركية ، ماثلت الماضية ببعض الاوصاف والاوليغاركية بالبعض الآخر ، مع وجود خصائص ذاتية فيها ؟ غ : — حتماً هكذا

س : — فحينذاك ، باعتبار ما تؤديه الطبقة المحاربة للقضاة ، وباعتبار تنحيها عن الزراعة والصناعة وسائر الحرف المنتخبة ، وبفتحها مطاعم قومية ، ومزاولتها الجمناز الذى تستلزمهُ الحرب — فى كل هذه النقاط تماثل النظام القديم . ألا تماثله غ : — بلى

٥٤٨

خصائص التيماركية

س : — اما تخوُّفها فى من تواليهِ منصب الحكم ، لأن الحكماء الذين فى حيازتها طبقة غير نقية تمام النقاوة ، بل هم مزيج يميلون فى انحطاطهم الى الذين يتغلّب فيهم ضيق الصدر والحدّة ورجحان الميل الحربي ، وفى قدرتهم الحركات التى يستلزمها فن الحرب ، وفى قضائهم الحياة بالضغائن ، فى كل هذه الأمور تبتدي خلقاً ذاتيّاً . ألا تبدي ! غ : — تبدي

عبادة اللذات

س : — فبينما فطرتهم الجشعة تسوقهم الى إنفاق أموال الآخرين ، مع الضنّ بأموالهم الخاصة ، لأنهم يقدرونها عظيم القدر ، ويكتمون أمرها . مستمتعين بملاذهم السرية ، هاربين

من الشريعة هرب الصغار من والديهم ، لأنهم بالقوة تربوا لا بالاقناع ، لاستهتارهم بالموسيقى الحقيقية المقرونة بالبحث الفلسفي العظيم ، وإيثارهم الجمناز عليها

غ : — حقًّا إنك تصف نظاماً مركبًا من خير وشر

س — نعم انهُ مركب ، على انهُ باعتبار تعظيم العنصر الحماسي ، وهنالك أمر خاص في أظهر مجاليه ، وهو روح التحزُّب وحب التمايز غ : — حتماً

س : — هذا هو أصل النظام ، وهذه هي أوصافه إذا اكتفينا بالتلخيص ، دون أن ندقق فيها . وهو أمر لا نقصده . لأننا لا نقدر أن نميّز بين الرجل الأعدل والأظلم في هذا الملخص . ولأن التمادي في شرح الأوصاف مما لا طائل تحته غ — مصيب

التيماركي

س : — فأي رجل يمثّل هذا النظام ؟ ما أصله وما صفته ؟

اديمنتس : أراه باعتبار روح الحزبية يمثل صاحبنا غلوكون أضبط تمثيل

٥٤٩ .

س : — ربما صح فيهِ ذلك كحزبيّ ، ولكن باعتبار النقاط الآتية لا أرى طبيعة غلوكون تطابقهُ غ : — وما هي تلك النقاط ؟

معايب التيماركي

س : — أنهُ أعند من غلوكون ، وأقل غراماً بالآداب . ومع انهُ يدرس ، ويرغب في سمع الخطباء ، ليس بخطيب . رجل هذاهُ خلتهُ لا يحتقر العبيد كالانسان الكامل التهذيب ، مع كونهِ قاسياً في معاملتهم ولطيفاً في معاملة الأحرار . يخضع كل الخضوع للقضاة ، ولوعاً بالشهرة والمدح . لا يتطلبهما بواسطة الخطابة والسلاح والأعمال الحربية والسياسية ، واقفاً وقتهُ على الجمناز والرياضة اد : — حقًّا ان هذا هو الخلق الذي يطابق هذه الحكومة

س — زد على ذلك ، ألا يكون شخص كهذا مزدرياً الثروة في صباهُ ، لكنهُ يزداد حبًّا لها كلما كبر؟ فانه على احتكاك دائم بطبيعة محبي المال ، وسجيتهُ غير سليمة من الوصمة لأنهُ اعتزل أفضل حاكم . اد : ومن هو ذلك الحاكم ؟

س : — البحث العقلي الممتزج بالفلسفة ، وهو وحده ، بوجوده واستقرارهِ يقي صاحبه ، ويمكنهُ من الاحتفاظ بالفضيلة مدى الحياة اد : — حسناً تكلمت

س : — هذا هو خلق التيموكراسي ، الذي يمثّل الدولة التيموكراسية

اد : — يقيناً

أصل التيماركي

س : — ويمكن تعقب أصله على الصورة الآتية : انهُ ابن رجل فاضل ، ولا يبعد أنهُ سكن مدينة ساء نظامها ، فتجنّب الرفعة والمرافعات ، وأمثال ذلك مما يلابس الروح المتمرّدة ، مؤثراً الخسارة على المشاغبة اد : — صف لي تكوُّن خلق كهذا

تأثير الوالدة في تكوين التيماركية

س : — يؤرخ ذلك منذ إصغاء الشاب لوالدته تتذمّر من تنكب زوجها عن مناصب الحكومة ، فصيّرها بذلك وضيعة القدر بين زميلاتها ، ومن أنها لم ترهُ يعبأ كثيراً بالمال ولم يزاحم أحداً ، ولم يناضل أحداً ، كغيره من المرافعين في رده القضاء ، وفي المجامع

المدنية ، فكان يزدري كل هذه الأمور . وكانت تلوح عليه دائماً ظاهرات التفكُّز ولم يوجّه نحوها اعتباراً كبيراً مع أنه لا يحتقرها . فاذ تمتلىء حنقاً على هذا كله تقول لولدها : أن أباهُ ليس رجلاً ، وأنه كثير الاهمال والتراخي ، وأمثال ذلك من الأقوال التي اعتادت الزوجات أن تفوه بها لا عابة أزواجهن

اد : — ولهنّ كثير مما يقال جريًا على خلقهنّ الخاص

تأثير الخادمات في الولد

س : — وأنت عالم أن خادمات شخص كهذا ، المكترثات لصالح سيدهنّ ، يتلون أحيانًا عبارات من هذا النوع على مسمع ولده . فاذا رأين أحد مديني والده ، أو ممن أساؤا إليه بشيء ولم يصدر بحقهم قرار محكمة ، فانهنّ يحرّضنَ الولد ، متى بلغ سن الرشد على الانتقام من أناس كهؤلاء ، فيكون أشد رجولة من أبيه ، وحين يخرج الشاب إلى الخارج تطرق سمعه وبصره أشياء كهذه من الآخرين . منها أن المسالمين العاكفين على أعمالهم الخاصة في المدينة يدعون سذجًا ، وهم قليلو الاعتبار . والذين يكثرون التدخل في شؤون الغير هم مكرمون ومحترمون

تأثير الآخرين فيه

فاذ يسمع الولد ، ويرى ، كل ذلك ، ويقارن بينه وبين ما كان يسمعهُ من والده ، وهو قلما وفق في فحص مسالك الآخرين ، فحينذاك يصير بين قوتين تتجاذبانه إلى جهتين متضادتين . من الجهة الواحدة والده يغذي القسم العقلي فيه ويسقيه . ومن الجهة الأخرى الناس يغذون العنصر الغضبيّ والشهوي في طبيعته ويسقونهُ . ومع أنهُ ليس شابًا رديًا فقد اختلط بعشر رديء ، فبلغ ، بتأثير العوامل المتضادة فيه ، نقطة متوسطة بين القوتين . وسلّم زمام الحكم في داخله للعنصر المتوسط فيه الحاد المزاج المشاغب فصار نزقًا ذا حدة واطماع

اد : — يلوح لي أنك أتيت على تصوير نشوء هكذا بالضبط

س : — فقد وقفنا على النظام الثاني والانسان الثاني اد : — وقفنا عليهما

س : — أفلا تقول مع اسخيلس

رجال بالطباع ذوو اختلاف لمختلف الممالك في البرايا

أوَ لا نبدأ بوصف الدولة ، اطراداً لخطتنا ؟ اد : — من كل بد

النظام الاوليغاركي

س : — حسنًا . فالنظام الذي يليه في الترتيب هو الاوليغاركي

اد : — وماذا تعني بالنظام الاوليغاركي ؟

س : — أعني به قدر الرجال بثروتهم ، فيحتكر الأغنياء الحكم ، وليس للفقير فيه حظ ما اد : — فهمت

س : — أفلا نصف خطوات الانتقال الأولى من التيموكراسية إلى الاولغاركية ؟

اد : — بلى ، نصفه

س : — لا شك في أنه حتى الأعمى يدرك كيف حصل ذلك الانتقال

اد : — وكيف ذلك

تطور التيماركي

س : — ان الذهب المتدفق إلى كنوز القوم هو الذى قوض دعائم النظام الذى أتينا على ذكره . لأن أول نتائجه هي ان أرباب تلك الأموال اكتشفوا طرقاً للانفاق ، فنبذوا الشرائع نبذ النواة ظهرياً ، وداسوا أحكامها ، هم وأزواجهم

اد : — وأنهُ لمستغرب أن لا يفعلوا ذلك

س : — وإذا لم أكن مخطئاً فانهم يشرعون في مراقبة أحدهم الآخر بعين الغيرة ، فينطبع هذا الخلق على المجموع الذى هم أعضاؤه اد : — ذلك ما تتوقعه

س : — فيتهافتون على حشد المال . فيفقدون الفضيلة ويفقدون قدرهم بقياس ذلك التهافت . هل تنكر الشقة الواسعة بين الفضيلة والثروة ؟ فانهما إذا وضعتا في كفتي ميزان رجحت إحداهما بقدر ارتفاع الأخرى اد : — ذلك حق بالتمام

٥٥١

المال خطر يهدد الفضيلة

س : — ومتى على قدر الثروة والمثرين في دولة بخست الفضيلة والفضلاء أقدارهم

اد : — واضح

س : — وكل ما عظم راج ، وكل ما حقر أهمل اد : — يقيناً

س : — فبعد ما كان أشخاص كهؤلاء محار بين طموحين تحولوا عبّاد الأرباح . فيمدحون الأغنياء ويجلّونهم ، ويولونهم المناصب ويزدرون الفقراء ويهملونهم

اد : — أكيد انهم يفعلون ذلك

س : — فيسنّون شريعة هي لباب النظام الاوليغاركي ، ويعيّنون مبلغاً من المال ، كثر أو قل ، حسب المبدأ الاوليغاركى ، يحظرون الاشتغال بالحكم على من لا يملكه . وينفّذون شريعتهم بقوة السلاح ، إذا لم ينجحوا قبلها بتأليف الحكومة بالأراجيف التي سبقوا فنشروها اد : — انك مصيب

مساوى هذا النظام

س : — هذا هو النظام الاوليغاركي بالحرف الواحد

اد : — حقيق . فما هي صفة هذا النظام ، والمساوى التي نعزوها إليه ؟

١ : نبذ الجدارة اعتداداً بالمال

س : — أول مساويه دستوره . تأمّل ماذا تكون النتيجة إذا انتقينا ربابنة السفن باعتبار ثروتهم ، دون جداوتهم الفنّية ، ورفضنا ذا الجدارة في الملاحة لفقره

اد : — تكون حالة محزنة في أسفار البحار

س : — الا ينطبق هذا الحكم على كل إدارة وكل عمل مهما يكن نوعه ؟

اد : — هكذا أظن

س : — أفتستثنى الدولة من هذا الحكم ، أم ترى انهُ يشملها ؟

اد : — بل أراهُ يشملها بقياس صعوبة ادارتها وسموّها

س : — فهذه واحدة من مساوى الاوليغاركية وهي محزنة اد : — بكل وضوح

س : — وهل الخطيئة الثانية أخف منها ؟ اد : — وما هي ؟

٢ : النزاع والانشقاق

س : — تخسر مدينة كهذه وحدتها ، وتصير اثنتين ، الواحدة مؤلفة من الفقراء ، والأخرى من الأغنياء . والفريقان ساكنان معاً ، يكيدان أحدهما للآخر

اد : — أؤكد انها ردية

٣ : العجز عن الدفاع

س : — ولا يستحسن عجزهم (كما لا بد أن يكون) عن اصلاء نار الحرب — لأنهم إذا سلحوا العامة واستخدموهم روعهم هؤلاء أكثر من العدو الخارجي . وإذا ترددوا في استخدامهم وجب أن يظهروا أوليغاركيين حقيقيين في المعركة الفعلية . ويجب أن نضيف إلى ذلك ان محبتهم المال تعارض الميل لدفع ضرائب الحرب اد : — انك مصيب

٥٥٢

٤ : تعدد أعمال الشخص الواحد

س : — ولنرجع إلى النقطة التي ذكرناها تكراراً فيما سلف : أتظن ان من الصواب أن يتعاطى الأفراد أكثر من عمل واحد ، في وقت واحد ، من زراعة وتجارة وحرب ، وهو الواقع في نظام كهذا ؟ اد : — لا . لا كلام في هذه الخطيئة .

س : — فانظر هل الخطيئة التالية أفظع الخطيئات التي يؤدى إليها هذا النظام ؟

اد : — وما هي ؟

انتقال الثروة

س : — أريد بها عادة السماح لواحد أن يبيع ثروته ، فيقتنيها سواه — فيسكن البائع الدولة من غير أن يكون جزءاً منها ، لأنه ليس تاجراً ، ولا صانعاً ، ولا فارساً ، ولا جندياً من المشاة ، بل فقيراً معدماً اد : — لم يسمح بفعلة كهذه في أحد النظم السالفة

الفاقة

س : — ولا يمنع سقوط ضحايا كهذه في مدن النظام الاوليغاركي وإلا لما كان بعض اتباعه غاية في الثراء ، والبعض الآخر غاية في الفاقة اد : — حقيق

س : — دعني ألفت نظرك إلى نقطة أخرى . لما كان المرء ينفق الدراهم في أيام غناه هل كان فيه مثقال ذرة من الفائدة للدولة ، باعتبار السبب الذى نصفه الساعة ؟ أو انه مع ظهوره بأنه واحد الحكام ، لم يكن واحداً منهم على التحقيق ، ولا خادماً للدولة بل هو مستهلك ثروتها ؟ اد : — بل هو ذاك الثاني . فانه وإن ظهر حاكماً فانما هو مستهلك

٥ الطفيليون

س : — أفتريد أن نحسبه كذكر النحل الذى هو كوباء في القفير ؟ هذا هو المسرف بلاء على الدولة اد : — لاشك في ذلك يا سقراط

ذكور النحل البشريون

س : — أو ليس صحيحاً ، يا اديمنتس ، انه ، وإن لم يسلح الله ذكور النحل الطائرة بحمات ، فقد سلح ذكور النحل البشريين بحمات لاذعة ؟ ومع ان الخالين من الحمات يقضون العمر متسولين ، فأصحابها هم الذين يؤلفون كل نوع من المجرمين اد : — بأكثر تحقيق

س : — فواضح إذاً انك متى رأيت متسولين في مدينة تعلم انه يكمن فيها لصوص ونشالون وسارقو هياكل ، وأخذان كل نوع من أمثال هذه الجرائم اد : — حقيق

س : — ألا ترى المتسولين كثيرين في مدن الحكم الاوليغاركي ؟

اد : — بلى ، كل الأهالي ، عدا الحكام ، متسولون

س : — أفمن رأينا ما يأتي أم لا ؟ ان هنالك أشراراً كثيرين أيضاً ، في أمة ذات حمات من هذا النوع ، والحكام يجهدون في خضدها اد : — انهُ من رأينا بكل تأكيد

اسباب وجود ذوى الحمات

س — : أفلا نقول ان نقص التهذيب ، وسوء حال الجمهورية ، وفساد نظام البلاد ، هي العوامل التي أوجدت هذا النوع من الناس فيها ؟ اد : — بلى نقول

س : — حسناً ، فهذه وأمثالها هي حال دولة تحت الحكم الاوليغاركي ، وهذه هي خطيئاتها ، اذا لم نقل أكثر من ذلك اد : — لست بعيداً عن الصواب

٥٥٣ الاوليغاركي

س : — فلنختم بحثنا في الجمهورية المدعوّة أوليغاركية وهي التي يتعين حكامها بقياس الثروة . ولننظر في الانسان الذي يمثلها ، كيف نشأ ، وأي نوع من الناس هو

اد : — فلننظر في ذلك من كل بد

س : — ألا يتم انتقال الانسان من التيموكراسية الى الاوليغاركية ، على الصورة التالية ، أو ما يقاربها ؟ اد : — وما هي

بدء تصور الاوليغاركي

س : — كان للتيموكراسي ولد يفتخر بوالده . ويقتفي خطواته . فانتبه الولد بغتة . واذا به يرى والده غائصاً مع الدولة ، كما لو كان على صخرة غارقة — يراه بعدما قاد جيوش وطنه ، أو شغل ساميات المناصب . قد قيّد للمحاكمة ، لأن الوشاة عطلوا سمعته ، فاما ان يحكم عليه بالاعدام ، أو ينفى ، أو تنتزع حريته ويُسلب كل أرزاقه

اد : — ذلك ممكن الحدوث

الفاقة سبب التقتير والبخل

س : — حسناً يا صديقي . فلما رأى الولد ذلك ، وفقد كل ثروته ، ذعر ذعراً شديداً وسقطت للحال عن عرش نفسه المطامع والمروءة ، ولانت شكيمته . وأكبَّ على جمع المال بسبب فقره . فاقتصد دريهمات قليلة أنماها وزادها ، حتى جمع ثروة . أفلا تظن ان انساناً كهذا ينصّب على عرش نفسه عنصري الشهوة والطمع ، ويمسحهما ملكاً شرقياً مزداناً بالتاج المثلث والصوالجة والختوم ؟ اد : اظن

س : — وأظن انهُ يطرح الصفتين ، العقلية والحماسيَّة ، الى جانبيه كخدم وعبيد — فلا يأذن للأولى أن تبحث في شيء ، أو تسأل عن شيء ، إلاَّ كيف تنمى الثروة . ولا يدع الأخرى تحترم ، أو تكرم ، سوى الغنى والأغنياء ، ولا ترغب في مطمع إلاَّ المال ، أو ما يؤدى إلى إحرازه

اد : — لا تغيُّر أشد وأسرع من تغيُّر هذا الشاب من طامح إلى الرفعة إلى طامع بالربح

س : — فقل لي أأوليغاركي شخص كهذا أم لا ؟

اوصاف الاوليغاركي

اد : — على كل حال أن الوالد الذى وُلدَ منهُ هذا الانسان يمثّل نظاماً هو سابق نظام الاوليغاركية .

س : — فلننظر هل يمثل هذا (الولد) الاوليغاركية

٥٥٤ اد : — فلننظر

الاولى عباد المال

س : — اول كل شئ ألا يمثل الاوليغاركية بتعليقه أعظم شأن بالمال ؟

اد : — أكيد انه يمثلها بذلك

الثانية الشح

س : — وأيضاً فى كونه مقتراً كدوداً ، يقتصر على سد رمقه بأقل نفقة

اد : — بالتمام

الثالثة الطمع

س : — وبعبارة أخرى انه انسان خسيس ، ينتزع الربح من كل مصدر ويحرص عليه . رجلاً يبجله الكثيرون من الناس . أمخطئ أنا فى زعمى ان هذا هو حال رجل يمثل النظام الذى نصفه ؟

اد : — اذا أردت رأيي فاني أراك مصيباً . وعلى كلّ فالدولة الاوليغاركية والشخص الذى هو تحت البحث ، كلاهما ، يقدر المال فوق كل شئ

الرابعة عدم التهذيب

س : — وأظن ان سبب ذلك هو انه لم يكاف نفسه عناء التهذيب

اد : — لا أظن . والا لما اتخذ له قائداً أعمى ، وشرّفه فوق الحد

س : — فدعنى أسألك : ألا يمكننا القول ان رغباته الطفيليّة ، المماثلة رغبات ذكر النحل وهى إما تسوليّة أو جنائية ، تنمو فيه لسبب نقص تهذيبه ، وان اعتبارات أخرى حكيمة تقمعها ؟ اد : — مؤكد يمكننا القول

الخامسة الاذى

س : — أو تعلم أين يجب أن نفتش عن مصادرها اد : — أين ؟

س : — فى كون (ذكور النحل) أوصياء على اليتامى ، أو ما هو من هذا النوع مما يسهل فيه الارتكاب اد : — حقيق

السادسة الطمع والشح رائداه

س : — أفلا يتضح من ذلك انه فى معاملاته الأخرى التى يضمن له فيها ظاهر عدالته حسن السمعة ، انما كان يقمع طائفة من الشهوات الرديّة فى نفسه ، التى لم يخضعها بواسطة الذهن ، أو بالامتناع بأن أكفاءها خطأ فظيع . ولكن الضرورة ، ومخاوفه الخاصة ، علمته أن يقنعها لأنه كان يرتجف خوفاً على ثروته اد : — واضح كل الوضوح

السابعة تصرفه في اموال الغير

س : — حقّاً يا صديقى ان اتفاق هؤلاء القوم ما ليس لهم يريك انهم يمتلكون شهوات ذكور النحل اد : — يمتلكونها بكل تأكيد

الثامنة تقسيم القلب

س : — انسان كهذا هو بعيد عن السلام الداخلى . رجل ذو رأيين ، لا ذو رأى واحد ، مع أنه غالباً يشعر أن رغباته الدنيا مقهورة أمام العليا اد : — حقيق

التاسعة الرياء

س : — ولذا أظن أن هذا الانسان يبدى ظاهراً أفضل من ظاهر كثيرين . أما فضيلة النفس الحقيقية ، المقترنة بالاتساق ، فهى منه مناط الثريا اد : — هكذا أظن

العاشرة الجبن

س : — والمقتّر مزاحم صغير فى الحياة المدنية ، فى كل سبق ، وفى كل مكافأة على

امتياز شريف . لأنهُ لا ينفق من ماله ليربح لنفسه شهرة ، حذراً من إيقاظ ملكة الانفاق في نفسه ، باستفزازها للاشتراك في معترك كهذا . فيتبع في جهاده النمط الاوليغاركي ، أي أنهُ يحارب بقسم صغير من قوته . وعلى الغالب يصون كيسه ويرضخ للاندحار

اد : — تماماً هكذا

س : — أفنتردَّد في تصديق المطابقة التامة ، والمشابهة الصحيحة ، بين الدولة الأوليغاركية وبين المقتّر المتصّيد الأموال؟ اد : — كلاَّ البتة

الدمقراطية والدمقراطي

س : — والآن نلوي عنان البحث لفحص الطرق التي بها تنشأ الديموقراطية ، والسجية التي نقتبسها يوم تنشأ . لكي نتمكن من الكشف عن طبيعة الرجل الذي يشابها ، ونقيمه أمامنا للحكم عليه اد : — نعم يلزم أن نخطو هذه الخطوة

حب الثروة بدء التطور

س : — ألاَ يتمُّ الانتقال من الاوليغاركية الى الديموقراطية بالرغبة الوثَّابة العفيفة في الثروة الطائلة ، التي يعتقد العامة أنها أعظم البركات ، ويحسبون اقتناءها ضربة لازب ؟ ويتمشى الانتقال على الصورة الآتية اد : — أرجوك أن تصفها

س : — لما كانت قوة الحاكمين في الدولة الاوليغاركية متوقفة ، كل التوقف ، على ثروتهم كانوا يأبون أن يمنعوا شبان العصر المتهتكين من تبذير ثروتهم . لأنهم يأملون أنهم بانتزاع أرزاق هؤلاء ، باقراضهم إياهم الأموال بالفوائد الفاحشة ، يزدادون ثروة وشرفاً

اد : — ليس في ذلك أدنى شك

الثروة والعفاف في كفتي الميزان

س : — أو ليس واضحاً أنهُ يستحيل على أفراد الدولة ، حينذاك ، إطراء الثروة مع المحافظة التامة على العفاف . لأنهم لا يأمنون إغفال أحد المطلبين . إما الغنى أو العفاف

اد : — غاية في الوضوح

س : — فحكام دول كهذه بإباحتهم غير المشروعة ، التهتك المطبق ، قد يجرون الشباب الكرام المحتد الى الفقر اد : — نعم يجرونهم

مطالع الثورة

س : — فيكمن شبان بلوا بالفقر على هذه الصورة في زوايا المدينة ، مجهزين بالأسلحة وبالحُمات ، بعضهم مدفوع بالديون ، وبعضهم بحرمانه من الحقوق المدنية ، وبعضهم مدفوع بالأمرين معاً — فيكيدون للأغنياء المحدثين ويبغضونهم لانتزاعهم ثروتهم منهم . كذا يفعلون بكل من يفضلهم كثيراً ، ويهيمون بحب الثورة غ : — حقيق

٥٧٥

المرابون

س : — ومن الناحية الأخرى هؤلاء الماليون يظلون يرمقون مصلحتهم بالنظر . كأنهم لا يرون موقف أعدائهم . ومتى آنسوا فرصة في أحد المتخلفين طعنوه في الصميم بنبال أموالهم المسمومة ، واستردوا منهُ الفوائد أضعاف رأس المال . وبهذه الوسيلة يكثر المتسولون وذكور النحل في الدولة

اد : — ذلك ما يفعلون

س : — ولا تتجه همتهم إلى استئصال شأفة هذا الشر المستطير ، بمبسم تحريم بيع الشعب أرزاقه للانفاق على لذّاته ، أو يوضع قانون جديد لاتقاء هذا الخطر

اد : — وأى قانون تعنى

س : — أعنى به القانون الذى يلى قانوننا الأول حسناً . موجباً على الأهالى اقتناء الفضيلة لأنهُ إذا جعل قانون العقود الاختيارية على مسؤولية المتعاقدين ، كانوا أقل وقاحة فى معاملاتهم المالية فى المدينة ، وكانت الشرور التى نحن فى صددها أقل انتشاراً

اد : — نعم أقل كثيراً

المواقف الكاشفة تذل السادة

س : — فوالحالة هذه ، حين يقابل الحكام والرعية ، أحدهما الآخر ، أما فى سفر ، أو فى شغل آخر ، سواء أكان ذلك زيارة الأماكن المقدسة . أم حملة عسكرية يخدمون فيها فى الجيش أو فى البحرية ، أم حين يشهد أحدهم تصرف الآخر فى ساعات الخطر ، حيث لايسع الغني أن يزدري الفقير ، لأنهُ كثيراً مايحدث كثيراً أن الغني الذى تربى فى بحبوحة العيش ، واتخم بوفرة الخيرات ، يجد نفسهُ كتفاً إلى كتف ، مع فقير شديد العضل لوّحتهُ الشمس ، وهو (الغني) يلهث منهوكاً — فحينذاك أتظن أنهُ يذهب عن ذهن الفقراء فى موقف كهذا أن نذالتهم كانت العامل فى إثراء أقوام عديمي الجدارة كهؤلاء ؟ أو تظن أنهُ يمكن أحدهم الاّ يهمس إلى أذن أخيه قائلا : ان حكامنا طبول فارغة ؟

اد : — كلاّ . إنى أعلم أنهم يفعلون هكذا

جسم الدولة المعتل

س : — كما أن الجسم المصاب لا يحتاج إلى أكثر من سبب من الخارج ليثور عليه المرض ، وأحياناً ينقسم على ذاته من غير عامل خارجي ، هكذا الدولة . فانها تماثل الجسم المعتل فى شئونها . فلا تحتاج إلى أكثر من مستند طفيف ، من حليف خارجي اتصل بأحد أحزابها من مدينة اوليغاركية ، أو من حليف آخر من مدينة ديموقراطية ، لتفشى داء خطر ، ونشوب حرب أهلية . أوَ لا تضطرم منازعات الأحزاب أحياناً دون ما تأثير خارجى ؟

٥٥٧

اد : — تضطرم بالتأكيد

منبت الدمقراطية

س : — فتنشأ الديموقراطية بفوز الفقراء . فيقتلون بعض خصومهم ، وينفون غيرهم ويتفقون مع الباقين على اقتسام الحقوق والمناصب المدنيـة بالتساوى ويغلب فى دولة كهذه أن تكون المناصب بالاقتراع

اد : — لقد وصفتَ نشأة الديموقراطية ، سواء تمّ ذلك بالحرب أو بانسحاب خصومها من الميدان مذعورين

أوصاف الدمقراطية

س : — فأخبرنى كيف يتصرف هؤلاء فى إدارة الدولة ؟ وما هي صفات هذا النظام الثالث ، وواضح أننا سنجد الانسان الذى يمثله مطبوعاً بطابعه وموسوماً بميسمه

اد : — حقيق

س : — فأول كل شيء أليسوا أحراراً ، أوَ ليست حرية القول والفعل فاشية فى الدولة فيفعل المرء ما يشاء ؟ اد : هكذا قيل لنا — ١ : الحرية

س : — وحيث فشت الاباحة رتب كل فرد نظام حياته وفقاً لملذاته — ٢ : اللذات

اد : — واضح انهُ يرتبه

س : — وعليه أرى انهُ ينشأ فى هذه الجمهورية أعظم تباين فى الخلق — ٣ : التباين الخلقي

اد : — ينشأ من كل بدّ

س : — وقد يكون هـذا النظام أجمل النُظُم ، لأنه مزخرف بكل أنواع السجايا فيلوح جميلاً كالثوب المزركش بكل أنواع النقوش . وقد يعجب الكثيرون بهذه الجمهورية كأجمل الأشياء ، اعجاب النساء والأولاد بالثياب الزاهية الألوان — ٤:الزخارف من كل نوع

اد : — كثيرون يعجبون بلا شك

س : — نعم ياصديقي الفاضل ، وإذا كنا نفتش عن جمهورة فمن حسن الرأى إيجادها

اد : — ولماذا؟

س : — لأنها تحوى كل أنواع الحكومات بسبب الاباحة التى ذكرتها ، وإذا أراد أحد أن يؤسس دولة كما كنا نعمل الساعة فليقصد إلى مدينة ديموقراطية ، سوق الجمهوريات ، ويختار الصفة التى تخلب لبهُ ، ويؤسس دولته عليها — سوق الحكومات

غ : — ويمكننا أن نقول ، آمنين سلامة العواقب ، انهُ لن يحار فى اختيار نماذج

س : — ثم انك غير مضطر أن تتولى منصباً فى هذه الدولة ، وان تكن فيك المواهب التي يستلزمها الحكم . ولا تضطر إلى الخضوع للحكومة ، إذا لم تكن مريداً . أو أن تذهب إلى الحرب لأن مواطنيك خاضوا عبابها . أو تطلب السلام لأنهم طلبوه . ثم تأمل فى انهُ ولو أنكر القانون عليك أن تتولى المناصب ، أو تتقلد الحكم ، فانك تفعل هذا وذاك ، إذا تسنى لك ، غير هيّاب . فقل أليس نمط حياة كهذه ساراً كثيراً ، ولو إلى حين ؟ — ٥ : الحرية التامة على أنواعها

اد : — نعم . ربما الى حين — ٥٥٨

س : — أوَ ليست وداعة بعض المجرمين فى المحكمة أمراً نفيساً ؟ أوَ لم تلاحظ ان اناساً محكوماً عليهم بالاعدام ، أو بالنفي ، فى هذه الدولة ، لا يزالون يسرحون فى عرض الشارع ، و يمرحون مرح الأبطال فى ميدان العرض ، كأن لا أحد يراهم أو يسأل عنهم — ٦ : عدم انفاذ الحكم

اد : — لاحظت أمثلة كثيرة من هذا القبيل

س : — أو ليس بديعاً صبر الحكومة ، وتفوقها التام فى زهيد الأمور ، بل كرهها التعليم الذي أثبتناه لما أسسنا دولتنا ، وهو انهُ : لا أحد يمكنهُ أن يكون صالحاً ما لم يكن ذا عبقرية خارقة ، وقد ألف الموضوعات الجميلة منذ حداثته ، ودرس الدروس العالية ؟ فما — ٧ : تقهقر رجالها

أفظع فعلتها في دوس هذه القوانين بقدميها ، دون أن تـكلف نفسها أقل عناء في اقتفاء آثار السابقين في مضمار السياسة ، ممن بلغ مراتب الشرف ، إذا أبدوا حسن نية نحو العامة

اد : — كبرت فعلة تصدر منهم

س : — هذه بعض خصائص الديموقراطية . ويمـكننا أن نضيف إليها بعضاً آخر من أمثالها . والأرجح أن تـكون جمهورية مستحبة ، فوضوية ، ملونة ، تعامل جميع الأفراد بالمساواة سواء كانوا متساوين أو لا اد : — ان حقائق تجلّيها هي غاية في الوضوح

الرجل الدمقراطي

س : — فائذن لي أن أسألك أن تفحص خلُق الفرد الذي يطابقها . فهل نبـدأ بالبحث عن أصله كما فعلنا بالجمهورية ؟ اد : — نعم

س : — أفلست مصيباً في ظني انهُ ابن الاولغاركي الشحيح الذي تربى في كنف والده وتخلق بخلقه ؟ اد : — دون شك انهُ هو

س : — وهذا الابن كأبيه يقمع الشهوات التي تميل بهِ إلى التبذير ، لا إلى جمع المال . أعني الشهوات التي عرفت انها لذّات غير ضرورية اد : — انه يقمعها

نوعا الشهوات

س : — ولئلا نخبط خبط عشواء أفتريد أن تحدد الشهوات الضرورية والشهوات غير الضرورية ؟ اد : — أني أريد

س : — أفليس من العدالة اطلاق لفظ « ضرورية » على الشهوات التي يتعذّر علينا هجرها ، والتي سدها خير لنا ؟ لأن طبيعتنا لا يمكنها ألاَّ تشعر بهذين النوعين من الرغبات ، أ يمـكنها ؟ اد : — مؤكد انهُ لا يمـكنها

٥٥٩

س : — فنحن إذا مزكون بادعائنا ضروريتها اد : — مزكّون

س : — أو لسنا مصيبين إذا قلنا ان الشهوات غير الضرورية هي ما يمـكننا تركه في التهذيب الباكر ، والتي وجودها لا يأتينا بنفع ، بل قد يكون ضارًّا اد : — انا مصيبون

س : — أفلا يحسن بنا أن نورد مثلاً من نوعي الشهوات كليهما ، ليكون عندنا صورة عامة منهما ؟ اد : — ذلك لازم حتماً

أمثلة من الشهوات

س : — أفليست شهوة الطعام ، (الخبز واللحم البسيط) اللازم للصحة ، والذي اعتاده الجسم ، ضرورية للحياة ؟ اد : — هكذا أظن

١ شهوة الطعام

س : — وشهوة اللحم ضرورية على الأقل لسببين ، كونها نافعة ، وكونها ضرورية لقوام الحياة اد : — نعم س : — وشهوة الخبز ضرورية بقياس تأديتها إلى تحسين صحة الجسم اد : — مؤكد

اللحوم المضرة

س : — وأما شهوة اللحوم الأخرى ، غير البسيطة ، التي يمكن الأكثرين تجنُّبها وهي مضرة للجسم وللنفس أيضاً في سبيل طلابها الحـكمة والعفاف ، فمن الصواب ادراج شهواتها في قائمة « الشهوات غير الضرورية » اد : — غاية في الصواب

س : — ألا تحسب شهوات النوع الثاني خاسرة والأولى رابحة ، لأنها تساعد على الانتاج ؟ اد : — بلا شك

٢: الشهوات الروحية

س : — أفيمكننا أن نحكم فى الحب ، وفى باقى الشهوات هذا الحكم نفسه ؟

اد : — نعم .

س : — أو لم تصف الرجل الذى لقبناه مؤخراً « بذكر النحل » بأنه مثقل باللذات والرغبات الخاسرة ، وانه محكوم بشهوات غير ضرورية ؟ ووصفنا الرجل الذى تحكمه الشهوات الضرورية بأنه شحيح وأوليغاركي اد : — وصفناهما دون شك

س : — فلنعد اليهما . ونبين كيف تحول الاوليغاركي ديموقراطيًّا

اد : — وكيف حصل ذلك ؟

بدء التطوّر

س : — أريد أن تفرض أن بدء تحوّل الشاب ، من أوليغاركي قلبًا وقالبًا إلى ديموقراطي ، يؤرخ منذ ذاق عسل ذكور النحل ، بعدما نشأ كما كنا نقول الساعة فى الجهل والشح ، وتعرّف الى وحوش ضارية جهنمية ، قادرة أن تمده بكل نوع من اللذات العديدة والوجهات المتنوعة اد : — لا يمكنى إلا أن أفرض

٥٦٠
تحول الفرد

س : — أو يمكننا أن نقول ، انه كما تحوّلت الدولة إلى أحد النوعين بمساعدة حليفة خارجية ، تجمعها بها صبغة مشتركة ، كذلك يتحوّل الشاب بمساعدة خارجية تساعدها أنواع الشهوات فتهيب بها إلى أحد النوعين اللذين فيه بداعى العلاقة والمجانسة

اد : — مؤكد انه يمكننا

الحرب الداخلية

س : — وإذا عضد العنصر الاوليغاركيّ حليفٌ خارجى ، ناشىء إما عن والده أو عن أقاربه الذين أنّبوه وبكتوه . فحينئذ ينشب فى داخله نضال هائل بين الميلين

اد : — بلا شك

شهوات جديدة

س : — وقد يستسلم الميل الديمقراطى فى داخله إلى القوّة الاوليغاركية ، فتتمزق بعض الشهوات ، أو تنفى بسبب وجود حاسة الخجل فى عقل الشاب ، فيستتب فيه النظام

اد : — ذلك ما يحدث أحيانًا

س : — على ان شهوات جديدة نسيبة التى أُبعدت تنشأ فيه خفية ، وبسبب نقص فى تدريب والده تزداد عدداً وحولاً

اد : — هذا هو الواقع عادة

س : — فتجره هذه الشهوات إلى محبة القديم باقترانها فيه سرًّا فتتوالد بكثرة

الحرب المقدسة

س : — وأخيراً تحاصر الشهوات حصن قلب الشاب لخلوه من المعرفة الصحيحة والطلب الجميل ، والنظريات السديدة التى تسهر على مراقبة نفوس الذين تحبهم الآلهة

اد : — وذلك هو أفضل

س : — ولتعزيز مركزها تنفث فى نفسه ميلاً إلى الصلف والغرور وآراءً زائفة فتنتزع منهُ حصن النفس اد : — هكذا تفعل

س : — أفلا يعود إلى الشهوات ويساكنها ؟ وإذا بعث أحد أقاربه بنجدات إلى العناصر المقتصدة فى نفسه أوصد الميلُ إلى الغرور والصلف فى وجهها أبوابَ الحصن الملوكية . فتحول دون دخولهـــا ، وتمنع وصول النصائح إلى نفسه كالسفراء الدوليين . أو لا تقاتلها مواجهة وتربح المعركة ، فتصف الحياء بالحماقة ، وتطرحه خارجاً كأسير حقير . وتطرد العفاف مهاناً ، ملقية إياه جبانة ؟ أو لا تبرهن بمساعدة الشهوات الأخرى العديمة النفع ، على أن التوفير والاتـزان فظاظة وجهل فتبعدهما إلى ما وراء الحدود ؟

٥٦١ اد : — هكذا تفعل بكل تأكيد

سوء المنقلب. س : — فبهذه الصورة تخلى نفس أسيرها من الفضائل ، وتحل محلها المخازى الـكبرى ، وتتقدم إلى إرجاع التمرُّد والتهتك والوقاحة ، تصحبها السفاهة والشراهة بحاشية كبيرة بابَّهة عظيمة وهى متوَّجة فتفخمها وتلقبها ألقاباً أنيقة . فتدعو السفاهة حسن التربيـــة ، والتمرُّد دماثة ، والفوضى حرية ، والتهتك فخامة ، والوقاحة شجاعة ، أفليس هذا هو الطريق الذى فيه يهوى الشاب بعد ما تربَّى على رعاية الرغبـات الضروريَّة فقط ، لينجو من رق الاستعباد ، ويقمع الشهوات غير الضرورية واللذائذ الضارة ؟ اد : — ينحدر بكل وضوح

التساهل س : — ثمَّ ينفق هذا الانسان مالاً ووقتاً وجهوداً ، على الملذات غير الضرورية كما على الضرورية . واذا كان حسَن الحظ ، لم يغرق فى الفجور ، ومتى تقدم فى السن وخفَّ ضوضاء الشهوات فى نفسه يسترد بعض تلك الفضائل المقصاة عنهُ ، ولا يسلم نفسه للغزاة تسليماً كليَّـا — وفى تلك الحال لا يميز بين لذاته ، بل يسير مع أية لذة عرضت له فى طريقه . وبعد أن يسدّ هذه يلتفت إلى الأخرى — فلا يحتقر إحداها بل يرعاها سواء بسواء

اد : — بالتمام هكذا

مساير الشهوات س : — وإذا قيل لهُ أن بعض اللذات صالح شريف ، وبعضها سافل شرير ، وانه يجب اتباع تلك واعتبارها وهجر هذه واحتقارها ، رفض هذا التعليم الصحيح ، ولم يأذن بدخوله إلى نفسه . بل يهزّ رأسه لدى سمع هذه الأقوال هزَّة الانـكار ، مصراً على أن الشهوات كلها متماثلة ، وتلزم رعايتها على السواء

اد : — نعم هذه حاله ، وهذا تصرفه

رجل الاوصاف العديدة س : — فيعيش يوماً فيوماً يساير الشهوة الطارئة — آونة يشرب على نغمات الموسيقى مع مزاولة التمارين الرياضية — وآونة يكسل فيهمل كل شيء ، ثم يعيش عيشـــة طالب الفلسفة ، ويغلب أن يشترك فى المصالح العمومية وينهض إلى الخطابة ، مدفوعاً اليهـا بعامل حالى ، وتارة يقتفي خطوات كبار القواد ، متهافتاً على امتيازاتهم . ثم يتحوَّل تاجراً حسداً

منهُ للتجار الناجحين . وليس فى حياتهِ نظام ولا قانون رادع . بل يعكف على مسرّاتهِ ، وحريتهِ ، وسعادتهِ ، إلى نهاية الحياة

اد : — لقد أجدتَ وصف الحياة التي يحياها من كان شعاره « الحرية والمساواة »

س : — نعم ، وأراها حياة متعدّدة الوجهات ، كثيرة الأوصاف . وأرى هـذا الانسان بما فيهِ من مختلف الأوصاف الجميلة ، يمثّل بطبعه المدينة التي أتينا على وصفها — رجلاً يحسده كثيرون وكثيرات ، وفيهِ مثُل كثيرة لمختلف الجمهوريات والنظُم

اد : — حقيق

س : — فماذا نفعل إذاً ؟ أنجعله مثلاً للديموقراطية ثقة منا بأنهُ بحقٍّ دُعي ديموقراطيًّا ؟

اد : — نجعله كذلك

٥٦٢ س : — بقي علينا فقط ان نصف أجمل الجمهوريات وأجمل الناس ، أي الاستبدادية والمستبد

اد : — انك مصيب تماماً

الاستبداد من الديموقراطية

س : — هلمَّ يا رفيقي العزيز ، وقل كيف نشأ الاستبداد ؟ فالواضح انهُ يُتخطّى اليهِ من الديموقراطية اد : — واضح

س : — فهل تلد الديموقراطية الاستبداد ، حتماً ، على النحو الذى ولدتها الاوليغاركية ؟

اد : — أوضح ذلك

خير الاوليغاركية الاعظم

س : — الخير الأعظم عند الاوليغاركي ، هو المال الكثير ، الآلة التى بها شيَّد بنيانه ، أليس كذلك ؟ اد : — نعم ، هو المال

س : — فالرغبة الزائدة فى طلب المال ، والتضحية بكل شيء فى سبيل الحصول عليهِ ، قوّضتا ركن الأوليغاركية اد : — حقًّا

س : — أفيمكننا أن نقول أن الديموقراطية كالأوليغاركية تقتلها الرغبة الزائدة فى ما تحسبهُ خيرها الأعظم ؟ اد : — وما الذى تظنهُ خيرها الأعظم ؟

خير الديموقراطية الاعظم

س : — هو «الحرية» . فانها أجمل ما فى الديموقراطية . ولذا كانت الملاذ الأوحد لمن فطر على حب الحرية اد : — حقًّا ان هذه هي اللهجة المتبعة

س : — فلنعد إلى العبارة التى كنت أحاول الساعة أن أصوغها وهي : أمصيب أنا فى قولي ان الرغبة الزائدة فى شيء واحد ، واغفال كل ما سواه ، تحوّل الديموقراطية ، كما حوّلت الأوليغاركية ، وتمهّد السبيل إلى الاستبداد ؟ اد : — وكيف ذلك ؟

تطاول الديمقراطيين على حكامهم

س : — حين تزول الدولة الديموقراطية ، المتعطشة إلى الحرية ، تحت سيطرة رؤساء أشرار ، وتتجاوز الحد فى ارتشاف كؤوس الحرية — أرى انها تشرع فى مقاضاة حكامها كاوليغاركيين أشرار ، وتروم معاقبتهم بهذه التهمة . إلاَّ إذا رضخوا لهـا كلَّ الرضوخ وصبّوا لها كأس الحرية مترعةً اد : — ذلك ما يحدث

س : — وتهين الخاضعين للحكام ، وتلقبهم « عبيداً مختارين » و « حاشية عديمة النفع » . أما الحكام الذين يقلدون الرعية ، والرعية التي تقلد الحكام ، فتمدح على السواء وتكرمهما سراً وجهراً . ألا ينتج عن ذلك ان الحرية تبلغ فى هذه الدولة أقصى مداها ؟

اد : — أكيد ، انه ينتج

٥٦٣ س : — نعم يا صديقي ، أفلا تتسرب عدوى الفوضى الفاشية فى الدولة إلى البيت ، وتنتشر فى كل ناحية ، وأخيراً تتأصل حتى فى البهائم ؟ اد : — وماذا نفهم من ذلك ؟

صغارة الوالد ووقاحة الولد

س : — أعنى ان الوالد يقلد طفلاً ، فيبدى الخوف من أولاده ، والولد يقلد رجلاً فيمتهن والديه ، ولا يهابهما اظهاراً لحريته . وان الأهالي والدخلاء والأجانب ، كلهم ، على قدم المساواة اد : — انك مصيب باعتبار نتائج هذه الأشياء

س : — أطلعتك على بعض النتائج ، فدعنى أطلعك على بعض آخر . يهاب الأستاذ تلاميذه ، فى تلك الأحوال ، ويملقهم . ويحتقر الطلاب معلميهم ومهذبيهم . وبالاجمال يمثل الأحداث الشيوخ ويقارعونهم قولاً وفعلاً . ويسفل الشيوخ فى تمثيل الصغار فرحاً ومرحاً ، لئلاً يظهروا ، على زعمهم ، شكسين اد : — تماماً هكذا

ترفع العبيد على أسيادهم

س : — وأقصى ما يبلغ أهالي هذه الجمهورية من الحرية ، أيها الصديق ، هو تطاول العبيد ، من الجنسين ، على حرية أسيادهم . وقد فاتنى أن أذكر إلى أى حد تمتد هذه الحرية المتبادلة بين الرجال والنساء

اد : — أفلا ننبس ببنت شفة ، جرياً على قول اسخيلس

الحرية والبهائم

س : — من كل بد ، وانى ممن يفعلون ذلك حين أخبرك انّ من لم يختبر بنفسه لا يصدق ان البهائم تمتلك حرية فى هذه الحكومة أكثر من كل حكومة أخرى . فتبدى الخيول والحُمُر بطرها بما أحرزت من حرية ورفعة ، فتجرى سراعاً صادمة كل من لا يحيد عن سبيلها . وعلى هذا القياس تتمادى الحيوانات الأخرى فى الحرية

اد : — انك تقصّ عليّ حلمى . فان ذلك ما اختبرته فى تجوالي في الأرياف

الفوضى الاجتماعية

س : — فلنجمع كل هذه الأمور معاً . أفتدرى انها تنتهى عند هذا الحد ، وهو ان الأهالي ، نظراً إلى شدة إحساسهم ، لا يحتملون أدنى أشارة إلى الاستعباد ؟ وأنت عالم ان الأمر ينتهى بهم إلى ازدراء الشرائع المكتتبة والشفاهية لئلاّ يروا ، على قولهم «ظل سيد» .

اد : — أعلم ذلك جيداً

س : — فهذه هي البداءة الجميلة السارّة أيها الصديق ، إذا لم أكن مخطئاً ، التى منها يتولد الاستبداد اد : — حقّاً انها سارّة . فماذا يحدث بعد ذلك ؟

٥٦٤ س : — يفشو فى الديموقراطية الداء الذى فشا فى الأوليغاركية فدمّرها . ويزيد فى هذه سمّاً وفتكاً بسبب إباحة المحيط ، فيؤدّي ذلك الى الاستعباد . وكل محاولة تبذل

للتغلب على سير الحوادث العامة تؤدى إلى نقيض المقصود منها . هذا الحكم نافذ فى كل أنواع الحكومات ، ولا يختص بفصول السنة ، وبمملكتى النبات والحيوان

اد : — ان ذلك طبيعي

رد الفعل

س : — ولا يمكن أن تفضى الحرية الزائدة إلى غير العبودية الزائدة . سواء فى هذا الحكم الدول والأفراد　　اد : — أنها تفضى إلى ذلك

س — فالأرجحية الكبرى قاضية بأن تكون الديموقراطية ، والديموقراطية وحدها ، واضعة أسس الاستبداد — أي أن أشد حرية وأعظمها تضع أسس أشد استبداد وأثقله

اد : — أجل ، أنهُ بيان معقول

س : — ولكن ليست هذه مسألتك ، بل كنت تسأل ما هو الداء الذى يشتد فى الأوليغاركية والديموقراطية فيحوّل هذه إلى الإستعباد　　اد : — هذه هي مسألتى

المسرف المكسال

س : — حسناً إنى أشير إلى طبقة الكسالى والمسرفين التى يكون فيها الشجاع قائداً والجبان تابعاً وقد شبهنا أولهما بذكر النحل ذى الحمة ، والثانى بعديم الحمة إذا كنت تذكر

اد : — أذكر ذلك . وبحق هما كما تقول

لاخير في ذكر النحل

س : — فهاتان الفئتان هما كالبلغم والصفراء فى الجسم العضوي ، يسببان اضطراباً فى كل حكومة . فيلزمهما طبيب نطاسى وقاض خبير كمربي النحل ، يحتاط للأمر فيحول دون نشوئهما ، إذا أمكن . وإذا ظهرا فانه يقصيهما بأسرع مايمكن ، مع أقراص الشهد التى يصنعانها　　اد : — ذلك هو الواجب من كل بد

س : — فلنضع المسألة بهذه الصورة لنرى ما نروم رؤيته على وجه أوضح

اد : — وكيف ذلك ؟

فئات الدمقراطية الثلاث

س : — لنفرض أن الديمقراطية قسمت إلى ثلاث فئات ، كما هو الواقع . يؤلف الذين وصفناهم كما أسلفنا إحدى هذه الفئات وتنتشر فيها الإباحة كما فى الأوليغاركية　اد : — حقيق

س : — ولكنها أشد فى الأولى منها فى الأخري　　اد : — وكيف ذلك؟

فئة الكسالى والمسرفين

س : — كانت هذه الفئة فى الأوليغاركية مرذولة محرومة من المناصب ، فاتصفت بالضعف ونقص الخبرة . أما فى الديوقراطية فهى ، إلاّ بعض أفرادها ، صاحبة الأمر . فيجهر أشدّ أعضائها بالقول والفعل ، ورفقاؤهم من حولهم على المقاعد يجرأون بالاستحسان ، دون معارضة . فتدار كل أعمال الجمهورية ، إلا ما ندر ، بأيدى هؤلاء　　اد : — مؤكداً

س : — أضف إلى ذلك فئة ثانية فصلت عن المجموع　　اد : — وما هي ؟

الفئة الثانية الأغنياء

س : — إذا انصبّ الجميع على حشد المال ، فأكثرهم انتظاماً بالطبع يصيرون أغناهم

اد : — أرجح حدوث هذا ، فأستخلص من ذلك أن أسرع وأغزر ما يجنى هؤلاء الناس عسل يشتاره ذكور النحل

دا : — الأمر أكيد . لأنهُ كيف يتسنَّى للفقراء أن يشتاروه ؟

س : — ويدعون مثرين ، وذلك يعني في عرفانهم انهم علف ذكور النحل

اد : — ذلك قريب جداً من الواقع

٥٦٥

الفئة الثالثة العامة

س : — وجمهور العامة هو الفئة الثالثة ، وهم العاملون بأيديهم . لا يتدخّلون في السياسة ، وليسوا أغنياء كثيراً . وهذه الطبقة أوفر عدداً في الديموقراطية ، وأعظم شأناً ، اللهمَّ إذا اجتمعت كلمتها

اد : — حقيق ، ولكن اجتماع كلمتها نادر ، إلاَّ إذا أصابت قسطاً من العمل

انتزاع أموال المثرين

س : — ولذا تصيب ، على الدوام ، قسطاً منهُ بشرط أن يحتفظ زعماؤها لأنفسهم بالقسم الأكبر من أموال المثرين ، التي يستلبونها منهم ويوزعونها على العامة إذا أمكنهم ذلك

اد : — لاشك في أنها تصيب سهماً من العسل بهذه الوسيلة

س : — فتقضي الضرورة على المسلوبين بالتزام خطة الدفاع عن أنفسهم ، بالخطب في جماهير العامة ، على قدر طاقتهم اد : — دفاعهم مقرَّر

الاتهام

س : — ولهذا السبب يتهمون بالثورة على الأمة ، ولو كانوا لايريدون الثورة ، وبأنهم اوليغاركيون اد : — لا شك في ذلك

س : — فيصيرون أخيراً اوليغاركيين حقيقيين ، أرادوا أو لم يريدوا ، لأنهم يرون العامة مقتنعة بأنهم اوليغاركيون ، لنقص معلوماتها ، وقيام الوشاة ضدهم بحملة منظمّة ، قصد إفساد سمعتهم ، وإقناع العامة بأن الأغنياء اوليغاركيون . هذه إحدى مساوى ذكور النحل ، أرباب الحمات ، الذين أتينا على ذكرهم اد — حتماً هكذا

س : — فتقوم المرافعات ، ويثور الاضطهاد . وتصدر الأحكام من كل فئة ضد أختها

اد : — حقيق

بطل العامة

س : — أو ليس من عادة العامة اختيار بطل خاص يولونهُ قضيتهم ، ويحتفظون بهِ ويعظمونهم اد : — نعم انها عادتهم

أصل الاستبداد

س : — وحيث نشأ الاستبداد كان ممكناً الرجوع في درس تاريخه الى هذه البطولة ، وهي الأصل الذي منهُ نشأ الاستبداد اد : — ذلك واضح

خطوات الاستبداد

س : — فما هي الخطوات الأولى في تحوُّل البَطل إلى مستبد ؟ أيمكننا أن نرتاب في ان التحولُ يؤرَخ منذ شروع البطل في عمل الرجل المذكور في أسطورة هيكل زفس الليسي باركاديا ؟ اد : — أية أسطورة ؟

س : — ان العابد الذي يذوق معى الانسان ، ممزوجة بمعى الذبائح ، يتحول ذئباً . ألم تسمع هذه الأسطورة ؟ اد : — بلى سمعتها

٦٥٦

س : — فمتى رأى بطل العامة منها هذا الرضوخ ، الى حد أنهُ لاحاجة فيهِ إلى إراقة

الخطوة الاولى البطش

دم القريب — أفلا يضطهدهم بدعوى مختلفة ، شأن أمثاله ، فيلطخ يديهِ بالدم ، ويزهق الأرواح البشريه ، فيمتص دماءهم بشفتين نجستين ، ويلحسها بلسان غير طاهر — فينفي ، ويقتل ، ويصدر أمراً بالغاء الديون ، واعادة توزيع الأراضى — الا يلزم عن ذلك أن رجلاً كهذا ، اما أن يغتاله أعداؤه ، أو أنهُ يزداد استبداداً ، فيتحوَّل ذئباً ؟

اد : — لا مندوحة عن أحد هذين الأمرين

س : — هذا مصير الرجل الذى يناوىء الماليين اد : — هذا هو

الخطوة الثانية الشوكة

س : — فاذا نفي ثم عاد من منفاه ، رغماً عن مقاومة أعدائهِ ، أفلا يعود مستبداً تامًّا ؟

اد : واضح انهُ هكذا يحدث

س : — وإذا رأى أعداؤه أنهم عاجزون عن نفيه بواسطة الشكاية يكيدون سرًّا لاغتياله اد : — هذا ما يحدث عادة

الخطوة الثالثة الحرس الخاص

س : — فتداركاً لهذا الخطر ابتكر كل من ولي الأحكام الحيلة المبتذلة ، وهي انهُ يطلب من الأمة أن يعيّن حرساً ، لئلا يخسروا صديقهم المفدَّى

اد : — تماماً هكذا

س : — فيلبي العامة هذا الطلب ، لجزعهم عليهِ ، مع أنهم آمنون على حياتهم

اد : — تماماً هكذا

الخطوة الرابعة الارهاب

س : — والنتيجة أنهُ متى لاحظ ذلك مثرٍ ، ممن يمقتون الديمقراطية ، فحينذاك يحدث ما نصَّ عليهِ الوحي وهو بيد كريسيس ، وهو : —

يطير ملتفًّا بثوب هرمسٍ دون وقوف فى دياجى الغلس
لجبنهِ شأنَ اخسِّ الأنفس

اد : — لا مندوحة له على الجبانة

س : — ومن قبض عليهِ من أعدائهِ فالى الاعدام

اد : — بالتأكيد

الخطوة الخامسة سحق الخصوم

س : — أما البطل فنى مأمن ممن وقعوا تحت نيرهِ الثقيل . فلقد أوقع كثيرين وفاز بنفسهِ بمركبة الدولة ، وتحوَّل إلى مستبدٍّ عظيم اد : — لا غنى عن ذلك

س : — أفنبحث في سعادة الإنسان . وسعادة المدينة ، التي ينشأ فيها ابن الموت هذا ؟

اد : — بكل تأكيد . فدعنا نفعل ذلك

تدرج المستبد أولا التلطف

س : — أفلا يهشُّ فى مستهلِّ حكمهِ وأوائل استبداده ، ويبش ؟ أو لا يحيّى من قابله منكراً أنهُ مستبد ؟ ويكثر من الوعود فى السر والعلن ؟ أو ليس مما يفعله أيضاً إلغاء الديون ، وتوزيع الأراضى على العموم ، ولا سيما على أشياعه ؟ ويتظاهر بالوداعة والحنان على الجميع ؟ اد : — لا يمكن أن يكون غير ذلك

ثانياً الغزو

س : — ومتى أراح نفسه من أعدائه ، بعضهم نفياً ، وبعضهم صلحاً ، يشرع فى شن الغارات ، ليظلّ الشعب فى حاجة إلى قائد

اد : — هذا مسلكه الطبيعى

٥٩٧

ثالثاً الضرائب

س : — أو ليس من مقاصده أن يفقر شعبه بكثرة الضرائب فيصيرون محتاجين إلى القوت اليومى . ولهذا السبب يصبحون أقل استعداداً للتآمر عليه

اد : — واضح انه كذلك

رابعاً الحروب

س : — أو مخطىء أنا فى ظني انه إذا ارتاب فى بعضهم ، بأنهم يثون فى الأمة روح الحرية لكي لا يدعونه يملك بسلام ، وطّن النفس على القذف بهم إلى ميدان الأعداء لينجو منهم ، فيكون شغله الشاغل اصلاء نار الحرب ؟ اد : — ذلك لازم

س : — أفلا تزداد الرعية بذلك مقتاً له ؟ اد : من كل بد

بدء السجن

س : — أو لا ينتج بالضرورة أن بعض أشياعه يصارحه برأيه ، ويبادله الأفكار ، عائبا عليه ادارته اد : — هكذا ينتظر الانسان

خامساً الاضطهاد

س : — فاذا رام الطاغية أن يستتب له الأمر ، وجب أن ينحّى كل هؤلاء من طريقه ، فلا يُبقي على ذى جدارةٍ من أعدائه ولا من أصدقائه

اد : — واضح أن يفعل ذلك

سادساً النفى

س : — فيرقبهم مدققاً ، ليرى من فيهم رجل ، ومن كريم النفس ، ومن نبيه ، أو غنى . ولحسن حظه انه ، أراد أو لم يرد ، فالضرورة قاضية عليه أن يكون عدواً للجميع . وأن يكيد لهم حتى يطهّر المدينة منهم اد : — واضح انهُ يفعل ذلك ويا له من تطهير عظيم

س : — نعم . فانه يفعل ضد ما يفعله الأطباء فى تطهير الأجسام ، أولئك يُخرجون من الجسم المواد الفاسدة ويبقون الجيدة ، أما المستبد فيخرج الجيد ويبقى الفاسد

اد : — هذه خطته الوحيدة ليستتب له الحكم

س : — فهو مقيد ، بأقصى ضرورة ، إما أن يعيش بين أشخاص منحطين ، أكثرهم عديم النفع ، ويكون مكروهاً منهم ، أو انهُ لا يعيش اد : — هذا هو التخيير

سابعاً شدة التحفظ

س : — وبقياس ازدياد بغضهم له ، لسوء سلوكه ، يري أنهُ فى حاجة إلى حرس أوفر عدداً وأصفى اخلاصاً له . أليس كذلك ؟ اد : — من المعلوم انهُ كذلك

س : — فمن يأتمن إذاً ؟ ومن أين يأتي بخدم أمناء ؟

اد : — يأتونهُ على جناح السرعة إذا جاد عليهم بالمال

ثامناً تقريب الاوغاد

س : — أقسم انك تفكر بجموع من أجانب ذكور النحل اد : — لم تخطىء الظن

س : — أفيتردد فى تجنيد الجنود فى الحال اد : — وبأى طريقة

تاسعاً استبداله الاحرار بالعبيد ٥٦٨

س : — بانتزاع العبيد من حوزة الوطنيين ، وتحريرهم ، وادماجهم فى الحرس الخاص

اد : — لا يتردد فى ذلك لأن أشخاصاً كهؤلاء محط ثقته

س : — وما أسعد تعتته بالاستبداد اذا اتخذ رجالاً كهؤلاء أصدقاء ، وملازمين أمناء بعد أن أفنى الأولين ك : — حقاً انهُ يسلك هذا المسلك

س : — أفلا يعتبره أصحابه هؤلاء كثيراً ويصحبه الشبان منهم ، أما الكاملون فيبغضونه ويهجرونه ؟ اد : — وكيف يمكن أن يكون غير ذلك ؟

س : — فلم يخطئ الناس فى حسبانهم المآسى مجلى حكمة ، ويوربيدس أمهر كتابها حكيماً

اد : — لأى سبب ؟

س : — لانهُ قال القول التالى ، وهو مظهر تعقل وتفكر : المستبدون حكماء فى محادثة الحكماء : ولا ريب فى أنهُ أراد بالحكماء اشياع المستبد

عاشراً تأله المستبد

اد : — ومن مزايا الاستبداد العديدة انه محسوب الهيًّا عند يوربيدس ، وعند غيره من الشعراء

س : — فسيعذرنا كتَّاب المآسى كأناس حكماء ، مع مقتبسى نظامنا لجمهوريتنا ، على رفضنا دخولهم فى دولتنا لأنهم مطرئو الاستبداد

اد : وأظن ان كل كتَّاب المآسى الأدباء سيعذروننا

١١ الدعاة

س : — وأعتقد انهم ، فى الوقت نفسه ، سيطوفون بالدول الأخرى ، ويجمعون الجموع ، ويستأجرون اناساً مفوَّهين ، ذوى أصوات عالية ، يجرُّون الناس الى الديموقراطية والاستبداد اد : — مؤكد انهم يفعلون ذلك

س : — فيكافأون على هذه الخدمات ، ولا سيما من قبل المستبدين ، كما تتوقع من قبل الديموقراطية فى دائرة ضيقة . وعلى قياس ارتفاعهم فى الدولة يقل اكرامهم بالتدريج ، كأنه عجز عن الارتقاء لضيق النفس اد : — تماماً هكذا

١٢ التصرف بالاوقاف

س : قد خرجنا عن موضوع البحث ، فلنعد اليه . كيف يعال جيش المستبد القوى الجرار ، المتعدد الأنواع ، المعرض لأنواع التغيير والتبدل ؟

اد : — الأمر واضح انه اذا كان فى المدينة أوقاف فان المستبد يبيعها وينفق ثمنها عليهم ، مهما ينتج عن ذلك ، ويوالى هذا العمل من حين إلى حين ، تخفيفاً للضرائب عن مناكب الأمة

١٣ التصرف بأرزاق الوالدين

س : — واذا نضب هذا المورد فماذا يفعل ؟

اد : — واضح انهُ يمد يدهُ الى أرزاق والديه ، لاعالة نفسه ورفاقه ورجاله ووصيفاته

س : — فهمتك . انك تعنى ان العامة الذين ولدوا الطاغية يعولونه وأتباعه

اد : — لا يمكنه التنصل من ذلك

٥٦٩

س : — أرجو أن توضح فكرك . فاذا رفض الجمهور هذه المهنة ، وزعموا أنهُ ليس من العدالة أن يعول الوالد ابنه الراشد بل بالعكس يجب على الابن أن يعول والده ، وانهم ولدوا الطاغية وعالوه لا ليصيروا عبيداً له متى اشتد ساعده ، ويعولونه مع جماعة الغوغاء ، بل لكى يتحرروا تحت ادارته من أغنياء الأمة « السراة » كما يدعون — وعلى فرض أنهم طردوه من المدينة مع رفقائه ، كما يطرد الوالد ولده من بيته مع أصحابه السكيرين المشاغبين ، فماذا يلى ؟

اد : — لا ريب فى أن العامة سيفعلون ذلك ، لأنهم يكتشفون ضعفهم ازاء من ولدوا وربوا وعظموا . وأنهم وقفوا فى طرده موقف الضعيف تجاه القوي

س : — ماذا تعنى ؟ أيجرؤ الطاغية على والده ، فيرفع يده عليه ويضربه ، اذا عجز عن اقناعه ؟ اد : — نعم أنهُ يفعل ذلك متى انتزع سلاح والده

س : — فطاغيتك إذاً عقوق يقتال والده ، قاسى القلب على الشيوخ . فتكون الحكومة ، من ثمَّ ، مستبدة جهراً كما يقول المثل : قفز العامة من مقلاة الأحرار فسقطوا فى نيران الاستبداد التى أضرمها العبيد : وبعبارة أخرى أبدلوا الحرية السابقة أوانها باستبداد هو أشد مرارة من كل أنواع الاستبداد اد : — هذا هو مجرى الأمور بلا ريب

س : — حسناً . أفيخالفوننا إذا حسبنا أننا قد بحثنا بحثاً كافياً فى انقلاب الديمقراطية الى استبدادية وأبنّا أوصاف الاستبداد حين نشأ ؟ اد : — قد بحثنا بحثاً كافياً



الكتاب التاسع

المستبد

خلاصته

وأخيراً نأتي إلى المستبد . وهو ابن حقيقيّ للديموقراطي — رجل تسوده شهوة واحدة ، تسعى تدريجًا لحماية كل الشهوات الأخرى وسد أشواقها . وهو مملوء بالأشواق ، ميّال أبداً لسدها بتضحية كل رباط طبيعي . وهو متمرّد متعدٍّ نجيس . هذا هو مستبد دولة الإستبداد المستقبل

الدول كالأفراد باعتبار نسبتها إلى السعادة والشقاء . وواضح أن الدولة الأرستقراطية أفضل الدوَل وأسعدها . ولا ننكر أن الإستبدادية أشدها تعسًا وشقاء . ولذا كان الأرستقراطي أفضل الحكام وأسعدهم والإستبدادى بالقياس نفسه ، أردأهم وأتعسهم

ثم أن فى نفس الإنسان ، كما بينا ، ثلاثة مبادىء خاصة ، العقلي أو الحكيم ، والغضبي أو الشريف ، والشهوي أو محب الكسب . فالفيلسوف يعظّم الحكمة كمصدر أعظم لذة . ورب الجهود يمجد الشرف ، ومحب الربح يطري الثروة . فأي هؤلاء الثلاثة على هدى ؟

أيهم يحكم أعدل حكم ؟ واضح أنهُ الفيلسوف . لا لأنهُ وحده مختبر أنواع اللذات الثلاثة فقط ، بل لأن العضو الذي يصدر الأحكام مختص بهِ . فنستنتج أن لذائذ الحكمة لها المنزلة الأولى . ولذائذ المجد المنزلة الثانية . وللثروة الثالثة . فقد وجدنا أن الحكمة والفضيلة والسعادة أمور متلازمة لا تفترق . وأيضًا : من يستطيع أن يقول ما هي اللذة بالتحقيق ؟ من غير الفيلسوف يعرف كهنها ؟ وهو وحده خبير بالحقائق . فنحن على حقّ إذا قلنا أن اللذه الحقيقية تحصل حين تحسن النفس توقيع اللحن بإدارة محب الحكمة ، أو المبدأ العقلي ، فكلما كانت الرغبة (الشهوة) أعقل كانت سعادتها أوفى : فما كان أكثر نظامًا وشرعًا هو أكثر عقلاً . ورغبات الأرستقراطي هى الأكثر نظامًا وشرعًا ، فسدّها أكثر إسعاداً . ومن الناحية الأخرى رغبات المستبد أبعد الرغبات عن الشريعة والنظام ، ولذا كان سدها أقل لذة ، وها نحن قد وجدنا ثانية أن الأرستقراطي أسعد من المستبد

والآن نحن فى مركز النقد لتعليم ثراسيما خس القائل : أنه لخير المرء أن يكون متعديًا ، إذا أمكنهُ التملص من عقوبة جرائمه بتلبسهِ بظاهرات العدالة : فيمكننا أن نصور النفس البشرية بصورة مؤلفة من رجل ، وأسد ، وأفعى متعددة الرؤوس . وقد اتّحد الثلاثة فى شكل بشري . ومتى تم ذلك أمكننا القول أن من يدعى أن التعدي موافق فهو بمثابة المصر

على أن الموافق هو تجويع الإنسان وأضعافه ، وتغذية الأسد والحية وتقويتهما . على أن ذلك فرض غريب . فإذا اعتبرنا كل ما تقدم استنتجنا أن الأفضل للإنسان أن يحكمه مبدأ إلهي عادل . ويجب أن يكون ذلك المبدأ فى داخله إذا أمكن ، وإلاَّ فُرض الحكم عليه من الخارج ، ليسود التلاؤم علاقاتنا الإجتماعية باعترافنا بسيادة واحدة عامة . وغرض العادل الخاص حفظ التلاؤم بين الظاهر والباطن ، وهو الذى يفرغ نفسه فى قالب الجمهورية الكاملة ، ولا شك ، توجد فى السماء إن لم يكن على الأرض

متن الكتاب

٥٧١ س : — بقي علينا أن نبحث فى كيف يتحول الديموقراطي مستبداً ، وما هي سجيته بعد التحول . وهل يحيا حياة سعيدة أم حياة تاعسة ؟

اد : — حقاً أن هذا الذي بقي

س : — أتعلم ماذا أروم أيضاً ؟ اد : — ماذا تروم ؟

س : — أرى أننا لم نوضح الشهوات ، نوعها وعددها . فاذا فاتنا ذلك كان بحثنا غامضاً

اد : — لم يفت بعد سد هذا الخلل

باللذات غير المشروعة

س : — حقاً أنهُ لم يفت . وإليك ما أروم أن نلاحظه فى القضية التى أمامنا ، وهو إذا لم أكن مخطئاً ، ما يأتى : ان بعض اللذائذ والشهوات غير الضرورية هي مما تنكره الشريعة ، ويظهر أنها تؤلف قسماً أصليّاً فى كل إنسان . فاذا ضبطتها الشرائع والرغبات الفضلى فى النفس ، بمساعدة الذهن ، فأما أن تزول زوالاً تاماً ، أو يبقى عدد قليل من الضعيفة منها ولكنها فى قسم آخر من الناس تظل كثيرة وقوية

اد — ما هى الشهوات التى تشير إليها ؟

مثار الشهوات المنكرة

س : — إنى أشير إلى الشهوات التى تثور فى النوم . حين يكون القسم العقلي الأليف ، الحاكم فى النفس ، نائماً . والقسم الحيواني الوحشي المملوء طعاماً وشراباً ، قائماً على الخلفيتين . وقد طار عنه نومه ، اشتغالاً بسدّ أشواقه الخاصة : ففي تلك الحال ليس هنالك مالا يجرؤ على عمله . لأنهُ مطلق اليد ، خالٍ من كل شعور بالحياء أو بالتفكر ، فلا يستنكف من شر اتصال نجيس ، بوالدته ، أى بأي إنسان أو إله أو حيوان . ولا يتردّد فى ارتكاب أفظع أنواع القتل ، والإنغماس فى أنجس المآكل . وبالإختصار لا حد لجنونهِ ووقاحتهِ

اد : — وصفك حق كل الحقّ

٥٧٢

اللذات الروحية

س : — على إنى أتصور ان الإنسان حين تكون عاداته صحية عفيفة ، وقبلما يذهب للنوم ، يثير قسمه العقلي ، ويغذيه بالأبحاث الجميلة السامية ، وبالتأملات الداخلية . ومن

غير أن يضيّق الخناق على القسم الشهوى ولم يلتهمهُ ، لينام فلا يزعج بمسراته وأحزانه القسم الأسمى ، فيواصل هذا دروسه مستقلاً نقيًا . ويغذ السير إلى الأمام حتى يفهم ما لا يزال غير مفهوم ، أما عن الماضى ، أو عن الحاضر ، أو المستقبل . ومتى سكن ثورة قسمه الغضبى بالطريقة نفسها ، متجنّبًا كل انفجار فى الشهوة ، مما يرسله إلى النوم ثائر العواطف — أقول ، فحين يذهب إلى النوم وقد هدأ قسمان من أقسامه الثلاثة ، وظل الثالث ، مقر الحكمة ، مستيقظًا ، فانك عالم انه فى أوقات كهذه هو فى أتم استعداد لفهم الحقيقة ، فلا تكون الرؤى التى يراها فى أحلامه منكرة

اد : — انى من هذا الرأى بالتمام

في أقدس الناس في أقدس الاحوال

س : — لقد شردنا بعيداً عن طريقنا بداعى هذه الملاحظات . والذى نروم تجليته هو انه فى كل منا شهوات وحشية مخيفة متمردة ، حتى حين نظهر ضبط النفس ضبطًا تامًا . ويظهر أن هذه الحقيقة تبدو واضحة فى حال النوم . فانظر هل أنا مصيب ووافقنى فى ذلك

اد : — نعم ، انى اوافقك

انجس الشهوات

س : — فاذكر الشهوة التى عزوناها إلى رجل الأمة . فان تاريخ أصله هو ما يأتى . أعتقد انهُ تربى ، منذ حداثته ، تحت نظر والد مقتر ، لا يُقدر سوى حب المال ، وينبذ الشهوات الأخرى ، غير الضرورية ، التى غرضها الخاص التسلية وحب الظهور . أمصيب أنا ؟ اد : — انك مصيب

الاوليغاركي والد المستبد

تطوره الى الدمقراطية

س : — وبعلاقاته بغواة الأزياء ، المملوئين بما ذكرناه من الشهوات ، نحا نحوهم ، مندفعًا إلى التهتّك ، نفوراً من تقتير والده . ولمّا كان أفضل خلقًا من الذين أفسدوه ، فهو بين قوتين تجذبانه فى جهتين متضادتين ، فأفضى به الحال إلى قبول سجية متوسطة بينهما . فكان يتمتع بكل أنواع اللذات باعتدال ، كما زيّن لهُ تصوّره . وعاش عيشة لا جهولة ولا منكرة ، وبهذه الصورة تحوّل من اوليغاركي الى ديموقراطى

اد : — نعم ، هذا هو رأينا فى إنسان كهذا

س : — ثم تصوّر ان ذلك الرجل أدركه الهرم ، بعدما ربّى ولداً فى خلقه

اد : — حسن جداً

٥٧٣

ايقاظ الشهوة الخاصة في نفسه

س : — وتصوّر أيضًا ان الولد انتهج منهج والده — أى انهُ أغوى على انتهاك حرمة الشريعة ، وباصطلاح الذين أغووه تقول انهُ : انصبّ على « الحرية الكاملة » : وان أباه وأقاربه الآخرين قد نصروا الشهوات المتوسطة ، فلقيت مناصرتهم مضادة عنيفة من الجانب الآخر . ولما رأى اولئك السحرة المرعبون ، خالقو المستبد ، أنّ لا أمل فى اقتناص الشاب بيرُقاهم ، عمدوا إلى ايقاظ شهوة فى نفسه ، تكون زعيمة (بطل) الشهوات الكسولة . التى تقتسم فيما بينها كل ما يقدَّم اليها برسم التوزيع — ويمكنك أن

تصف الشهوة المذكورة بأنها نوع من ذكور النحل ضخم مجنّح . وإلاّ فكيف تصف شهوة يسايرها أقوام كهؤلاء اد : — لا أقدر أن أصفها إلا هكذا

تطوره الى الجنون الشهواني

س : — بعد ذلك ، فالشهوات الأخرى الحالّة في نفسه ، المضمّخة بالعطور والبخور والأكاليل والخمور والتهتك ،.وهي قسم من هذه اللذّات ، أخذت تحوم حول ذكر النحل وتبجّله وتعلّله إلى أقصى حَد ، حتى خلقت فيه حمة الشهوة . فمن ذلك الحين فصاعداً جُنّ بطل النفس هذا في طلب الحرس الخاص . وإذ أحسّ في نفسه ببعض الآراء أو الشهوات المحسوبة صالحة ، والتي لا تزال تحرص على الحياء ، أفناها أو أقصاها عنهُ ، ولا ينفكّ هكذا حتى يطهّر نفسه من كل عفاف ، ويملأها جنوناً غريباً

اد : — قد وصفت تكوين المستبدّ وصفاً مدققاً

س : — أوَليس لهذا السبب دعيت المحبة مستبدةمن قديم الزمان؟ اد:—الارجحهكذا

س : — أوَ ليس في السكير ، يا صديقي ، ما ندعوه روحاً مستبدّة؟ اد : — فيه كذلك

س : — ونعلم أن من جُنّ . واختبل عقله ، يحلم ويسعى إلى أن يسود الناس والآلهة أيضاً اد : — نعم ، حتماً هكذا

س : — إذاً يا صديقي الفاضل يصبح الرجل مستبداً متى أصبح بطبيعته أو بنشأته أو بكلتيهما عبداً للخمر أو العشق أو الجنون

أوصاف المستبد

س : — هذا هو أصله ، وهذه هي فطرته ، فكيف يعيش ؟

اد : — كما يقولون في الألعاب : قل أنت أولاً :

اولا : البطر

س : — حسناً . إذا لم أكن مخطئاً ، فانّ ديدنه ، من ثمّ ، الولائم والأفراح والحفلات والخطايا ، وكل ما هو من هذا النوع ، صحبة أناس خضعت عقولهم خضوعاً تامّاً للشهوات المستبدة في داخلهم اد : — هذا ما لا بدّ منهُ

ثانياً : تكاثر الشهوات

س : — أو لا تنبت إلى جانبها شهوات كثيرة مخيفة متعدّدة المطالب ؟

اد : — كثيرة جدّاً

ثالثاً : اسراف

س : — فينفق كل ما عنده في الأموال اد : — ينفق

رابعاً : الفقر

س : — يتلو ذلك السعي لاستمداد المال اضاعة الأرزاق اد : — بلا شك

خامساً : السلب

س : — ومتى نضبت الموازد . أفلا ترفع الشهوات العنيفة ، المستقرة في داخله ،صوتها عالياً ؟ وتسوق هؤلاء الناس ، شأنهم مع شهواتهم ، وخاصة الشهوة السائدة ، التي تلتف بقية الشهوات حولها كحرس خاص . أو لا يترصدون ، في هياجهم الجنوني ، رجلاً منعماً يسلبونهُ إما بالخديعة أو بالقوة؟ اد : — نعم ، هكذا يفعلون

٥٧٤

س : — واذا عجزوا عن السلب في دائرة واسعة عانوا أشد الآلام والمزائر

اد : — يعانون

سادساً التطاول على الوالدين

س : — وكما تتطاول اللذات الجديدة على اللذات القديمة ، وتسلبها مالها — ألا يعزم هذا الإنسان على التطاول على والديه ، وهو أحدث منهما عهداً ، فينزع ثروتهما بعد تبذير ماله الخاص ؟ اد : — يعزم من كل يد

سابعاً الخديعة

س : — وإذا لم يسلّم والداه بذلك أفلا يعمد توًّا إلى الخديعة والإحتيال ؟

اد : — مؤكد انهُ يعمد إلى ذلك

ثامناً الاغتصاب

س : — وإذا لم يفلح في ذلك انصبّ على السلب عنوة ؟ اد — هكذا أظن

س : — وإذا قاومهُ الوالدان أفيتردّد . احتراماً ، في عمل أي عنفٍ ضدهما ؟

اد : — أما أنا فلا أملك نفسي من الخوف على سلامة الوالدين من شخص كهذا

تاسعاً تسويد الدعة على الاصل

س : — فأرجوك يا اديمنس أن تعتبر أن علاقتــه بحظيته الجديدة غير وثيقة . وان محبة والدته اللازمة هي قديمة العهد . وإن حب الشاب صديقه ، غير الضروري ، حديث بإزاء والده الشيخ ، أقدم الأصدقاء . أفتصدق والحالة هذه أنهُ يضرب أباه وأمهُ لأجل حظيته وصديقه ، ويجعل والديه عبدين لذينك ، بالجمع بين الفريقين في بيت واحد ؟

اد : — وذمتي انى أعتقد أنهُ يفعل ذلك

س : — ففي ظاهر الأمر ان من أعظم النعم ولادة ابن مستبدٍ كهذا

اد : — انه كذلك

عاشراً التمادي في اللصوصية

س : — وحين تشرع ثروة والديه تنفد ، وقد عشّشت أسراب الشهوات في داخله ، أفلا تكون أولى مآثره نقبهُ بيتاً ، أو سلبهُ ثياب سارٍ في دجى الليل ؟ أو لا يتقدّم بعد ذلك إلى نهب الهياكل ؟ وفي الوقت نفسه تندحر الآراء القديمة ، المحسوبة عموماً عادلة ، التي اقتناها منذ صباه ، في ما هو الدني وما هو الشريف أمام الآراء التي أفلتت حديثاً من ربقة عبوديتها ، تعضدها الشهوة التي تسود الحرس الخاص — آراء ، مادام خاضعاً لوالده وللشرائع ، وما دام دستوره الداخلي ديموقراطيًّا ، فلا تفلت من عقالها إلاَّ في أحلام نومهِ .

٥٧٥

أما الآن ، وقد صارت تلك الشهوة ربه الأوحد وسيده المطاع ، فبعد ما كانت تلك السجية منحصرة في أحلامهِ ، وفي فترات نادرة في يقظتهِ ، صارت حالة يقظتهِ الدائمة . فلا يسحب يده من اغتيال ذميم ، أو طعام محرَّم ، أو فعل نجِس . بل تغريهُ تلك المحبة الساكنة في نفسه ، والسائدة فيها ، وتحمله بحكم سيادتها المطلقة ، وفي وسط الفوضى والعصيان التام ، كما تحمل الدولة على طيش لاحدَّ له ، لتضمن رسوخ قدمها فيهِ ، مع جحود صحبها الذى تسرَّب إلى النفس بسبب المعشر الردي ، أو انهُ أفلت من أغلاله في الداخل بقبول الإنسان أهواء تماثله ، مع فعل الشهوة المسيطرة نفسها . أفمخطئ أنا في وصفي حياة إنسان كهذا ؟

اد : — كلا . بل مصيب

س : — وإذا كان فى المدينة أفراد قلائل من هذه السجايا . كان باقى الأهالي رشيدي العقول . فانهم سيتركون المكان ويخدمون طاغية آخر كحرس خاص له ، أو يخوضون غمار الحرب كمرتزقة حيث وجدوا حرباً ناشبةً . ولكنهم فى أوقات السِّلم يرتكبون كثيراً من صغار المساوي فى وسط المدينة اد : — وأية مساوي تعني ؟

صغار مساوي المستبدين

س : — السرقة ، ونهب البيوت ، ونشل الدراهم من الجيوب ، وسلب الناس ثيابهم ، وسرقة الهيا كل ، وخطف الناس ، وإذا كانوا من أرباب اللسن ، فانهم ينشرون الأكاذيب ويشهدون زوراً ، ويرتشون

اد : — حقّاً ان هذه المساوى صغيرة إذا كان مقترفوها قلائل

مولد الطاغية

س : — إنما الصغير صغير بالنسبة إلى ما هو أكبر منه ُ. وهذه المنكرات إذا قوبلت بشقاء الدول فانها كما يقول المثل ، لا تساوي شرور الطاغية . لأنهُ متى كثر هؤلاء الأشخاص فى المدينة وكثر غيرهم من أمثالهم ، وأدركوا وفرة عددهم ، فهم هم الذين ، تذرّعًا بحماقة الغوغاء ، يبرهنون على أنهم والدو الطاغية الذى هو أحدهم ، وفى نفسه أكبر وأشرس مستبد

اد : — هذا ما يُتوَقع ، لأن شخصاً كهذا يحاط بأعظم استبداد

س : — والنتيجة ، إذا استسلم الأهالي له كانت الأمور جارية مجرى بسيطاً . ولكن إذا أبدت الدولة جموحاً فان الطاغية يعاقب الوطن ، إذا أمكنهُ ، كما عاقب فيما سلف أباهُ وأمه . ولإنجاز ذلك يستدعى لمساعدتهِ فتياناً أصدقاء ، ويخضع أرض الوالدة المحبوبة كما كا يدعوها الكريتيون ، لسلطتهم الغاشمة ، وهذه هي خاتمة شهوة شخص كهذا

٥٧٦ اد : — مؤكداً هذه هي

اشياع المستبد

س : — أو لايبدى هؤلاء الفتيان السجية نفسها فى الخلفاء ، حتى قبلما يتقلدون المناصب ؟ فأولاً بعلاقاتهم بالآخرين ، ألا ترى أن جميع رفقائهم صنعائهم ومادحيهم أو أنهم إذا أرادوا شيئاً من أحد جثوا على ركبهم ولا يخجلون من إبداء كل ظاهرات الصداقة الخالصة ، ولكنهم متى فازوا بمآربهم صاروا غرباء وأباعد اد : — حتماً هكذا

الجاحدون

س : — فيقضون الحيـــاة ليسوا أصدقاء أحد ، وهم أمّا سادة او عبيد ، لأن طبيعة المستبد لا يمكنها ان تذوق طعم الحرية والصداقة اد — حقّا انهُ لا يمكنها ذلك

س : — أفلسنا مصيبين فى تسمية أشخاصٍ كهؤلاء جاحدين ؟

اد : — مصيب دون شك

س : — وليسوا فقط جاحدين ، بل أكبر المتعدّين ، إذا كنا قد أصبنا فى نتائج بحثنا الماضية ، فى طبيعة العدالة اد : — ولقد أصبنا بالتأكيد

س : — فلنصف أردأ رجل بالإختصار . فهو : من كانت حاله فى اليقظة مطابقة مثله الأعلى فى النوم ، كما سبق وصفهُ اد — : تماماً هكذا

التمادى فى الاستبداد شقاء

س : — هذه هى نهاية الانسان المستبد بالطبع ، وقد أحرز قوة مطلقة . وكلما طال استبداده كان انطباق أوصافنا عليه أتم وأصدق

قال غلوكون متخذاً الحديث : — بالضرورة

س : — أفلم يثبت ان شرَّ انسان هو شرٌ تاعس أيضًا ؟ أو ليس واضحًا ان من كان استبداده أطول أجلاً وأشـــد حولاً فهو أطول شرًّا وشقاء بالرغم من تضارب الآراء فيه بين عامة الناس ؟

اد : — نعم ان ذلك مؤكـد جدًّا

س : — أو يمكننا الاَّ نعتبر الطاغية صورة الدولة الاستبدادية وممثلها ؟ والديموقراطى الاَّ صورة الدولة الديموقراطية وممثلها ؟ وهكذا غ : — يقينًا انهُ لا يمكننا

الدول والافراد

س . — أو ليست نسبة المدينة إلى أختها فضيلةً وسعادة كنسبة الانسان إلى الانسان فى الأمرين ؟ غ : — دون شك

س : — فما هى النسبة بين مدينة سادها المستبد ومدينة تحت الحكم الملكي ، الذى مرَّ بك وصفه ، من حيث الفضيلة ؟

غ : — نسبة التضادّ ، فالواحدة أفضل المدن والأخرى أرداها

بواطن الدولة الاستبداد

س : — لا أسألك أيهما الأفضل وأيهما الأردأ ، لأن ذلك واضح . ولكن أتقيس أمر سعادتهما وشقائهما على القياس نفسه أو لا ؟ ولا يدهشنَّنا النظر إلى المستبد ، وهو فرد من الناس ، وحده ، أو محاطًا بحاشية صغيرة ، بل يجب علينا أن تتغلغل فى الدولة ونفحصها كلها ، ونرسل رائد الطرف فى أقسامها ، قبلما نصدر حكماً

غ : — أحسنت الاقتراح . فانهُ واضح لكل أحد ، ان المدينة التى يحكمها الطاغية هى أشقى المدن ، والمدينة الملكية أسعد المدن

٥٧٧

حقيقة حال المستبد المعلنة فى شؤونه

س : — أفلست مصيبًا إذا اقترحت الاقتراح نفسه فى البحث فى الشخصين اللذين يمثّلان الدولتين ؟ راضيًا ، فقط ، فتوى الرجل السديد الرأى ، صاحب النظر الذى يخترق ظاهر الانسان إلى سجيتهِ ، ويرى خبايا طباعهِ ، فلا يقف كالطفل عند الظاهرات ، فيبهر عينيهِ بريق المنظر الخارجى الصناعى الذى يتجلى فى المستبد ، بل يخترقه بنظره إلى كنههِ ؟ اني ارتأيت بأننا ملزمون بالخضوع للقاضى ، الذى لا يقتصر على اصدار القرار بالحكم ، بل قد ساكن المحكوم عليهِ فى بيتهِ ، ووقف على دخائله وكان شاهد عين على تصرُّفاته اليومية ، وعلاقاته الأهلية فى دائرة ينزع الانسان عندها الثياب المسرحية — ومواقفه فى المخاطر العمومية ، وبعدما تمكن من درس كل هذه الأحوال نسألهُ الحكم فى ماهو حال المستبد بالنسبة إلى غيره سعادة وشقاء ؟

غ : — اقتراحك هذا أعدل اقتراح

س : — ولكي نحصل على إنسان يجيب عن أسئلتنا ، أتريد أن ندّعى اننا ممن قابلوا رجلاً كهذا ، علاوة على كونهم قادرين على إصدار الحكم ؟

غ : — نعم ، انى أريد ذلك

س : — فاسمح لي أن أسألك أن تنظر فى الأمر من الوجهة التالية . افحص كلاً من الدولة والفرد على حدة ، واضعاً فى عقلك المشابهة الكائنة بينهما ، ثم اخبرنى ما هي أحوال كلٍّ منهما غ : — إلى أية أحوال تشير ؟

الدولة تحت حكم المستبد

س : — نبدأ بالدولة ، فعبودية تحسب حالها تحت حكم المستبد ، أم حرية ؟

غ : — عبودية تامة

س : — مع ذلك ترى فيها سادة وأحراراً غ : — أرى فيها قسماً صغيراً من هذا النوع ، ولكن المجموع اجمالاً ، والقسم الاسمى منهُ ، خاضع لعبودية فاضحة تاعسة

حالة المستبد الداخلية

س : — ولما كان الانسان صورة الدولة ورسمها ، أفلا يكون فيه حتماً ما فيها ، فتكون نفسهُ مغلولة بأغلال الاستعباد وأشرف أقسامها وأفضلها مستعبد ، والقسم الأصغر ، والأكثر جنوناً ، هو الحاكم ؟ غ : — بالضرورة هكذا

س : — أفمستعبدة نفس كهذه أم حرّة ؟ غ : — أقول انها مستعبدة

اولاً الاستعباد

س : — أوَ ليست المدينة المحكومة حكماً استبدادياً مقيّدة عن كل عمل تميل إليهِ ؟

غ : — نعم ، بالتمام هي هكذا

س : — فالنفس التى يسودها الاستبداد هي ، بالاجمال ، أبعد النفوس عن عمل ما تريده . بل هي بالضد من ذلك تجرُّها قوّة الشهوة الوحشية ، ويملأُها الاضطراب والألم

غ : — دون أدنى ريب

ثانياً الفقر

س : — أوَ غنية المدينة المستعبدة أم فقيرة ؟ غ : — فقيرة دون ريب

٥٧٨

س : — وهكذا النفس المستعبدة ، هي أبداً فقيرة متمنّية غ : — تماماً هكذا

ثالثاً الخوف رابعاً الحزن

س : — أو ليست مدينة كهذه ، وإنسان كهذا ، فريسة المخاوف ؟ غ : — بالتأكيد

س : — أفتتوقع أن تجد فى غيرها أكثر مما تجد فيها من البكاء والنحيب والندب والحزن ؟ غ : — كلا ، البتة

س : — وبالنظر إلى الفرد ، أتظن ان هذه الويلات تكثر فى وسطٍ ، كثرتها فى نفس الطاغية الذى جُنّ بشهواتهِ وهيامهِ ؟ غ : — أو يمكن ذلك ؟

س : — فأظن انك ترى ، باعتبار هذه الحقائق وغيرها ، ان المدينة المستعبدة أتعس المدن حالاً غ : — أوَ لست مصيباً فى ذلك ؟

من هو أتعس التاعسين

س : — غاية فى الاصابة . وما قولك فى المستبد باعتبار هذه الأمور ؟

غ : — انهُ أتعس التاعسين

س : — لست مصيبًا فى ذلك		غ : — ولماذا ؟

س : — لأنى لا أظن ان هذا الانسان أتعس التاعسين

غ : — فمن هو أتعسهم إذاً ؟

س : — ربما ترى انهُ الشخص الآتي وصفه		غ : — صفه

س : — اني أشير إلى رجل ، قد حظر عليه ، وهو مستبد ، أن يحيا حياة يختارها ، لأن سوء الطالع قاده الى تبوُّؤ منصب الطاغية

غ : — استدل بما تقدم من الملاحظات انك مصيب

نقطة الفصل

س : — نعم ، ولكن يجب أن لا نكتفي بالظنون فى هذا الموقف . بل ، بالضد من ذلك ، يلزم أن تتفحّص الموضوع بفعل التعقل الذى أتينا على وصفه ، لأن النقطة التى على بساط البحث هي فى أسمى درجات الخطورة ، لكونها نقطة الفصل بين الحياة السعيدة والحياة الشقيّة		غ : — غاية فى الصواب

س : — فانظر ، أمصيب أنا فى ما سأقوله ، فاني أرى انهُ ، فى فحص مسألة كهذه ، يجب أن نبدأ فحصنا بوجوه الاعتبار التالية		غ : — وما هي تلك الوجوه ؟

المالكون العبيد

س : — نبدأ باعتبار الأفراد ، كأعضاء الدولة الأغنياء ، الذين يملكون عبيداً كثيرين لأنهم يشاركون الطاغية فى هذه النقطة ، والفرق بين الفريقين محصور فى عدد العبيد عند كلٍّ منهما		غ : — نعم ، انهُ يملك أكثر منهم

اطمئنانهم

س : — أو تعلم ان هؤلاء الأشخاص يبيتون آمنين ، ولا يخشون عبيدهم ؟

غ : — وما الذى يخيفهم ؟

س : — لا شيء ، ولكن أتعرف السبب ؟

غ : نعم ، وهو ان المدينة كلها تساعد الفرد الواحد منهم

س : — بالصواب نطقت . فلو حمل أحد الآلهة ، من المدينة ، رجلاً يملك خمسين عبداً فأكثر ، والقاه فى الصحراء مع امرأته وأولاده وعبيده وأرزاقه ، حيث لا أحد من الأحرار ينجده . أفلا يستولى عليه شديد الخوف ، مخافة أن يهلك وزوجه وأطفاله بأيدى العبيد ؟		غ : — انه يكون فى أعظم درجات الخوف

٥٧٩

السيد المملق

س : — أفلا يضطر إلى تمليق بعض عبيده ؟ ويكثر لهم الوعد ، مؤملاً اياهم بالعتق حيث لا داعى اليه ؟ أو لا يظهر فى واقع الأمر مملقاً دنيئًا ؟

غ : — هكذا يفعل وإلا هلك

س : — وما رأيك فى من كان محاطاً بجيرة تنكر سيادة انسان على انسان آخر ، ومن فعل ذلك أنزلوا به أشد قصاص ؟

غ : — أراه مكتنفاً بكل أنواع المحن . لأنهُ فى وسط حرس كلهم أعداء

مصارع الاستبداد

س : — أفليس الطاغية سجيناً فى سجن كهذا ؟ لأنهُ اذا كان على ما سبق وصفه ، مملوءًا بالمخاوف والتمنيات على أنواعها ، ومع فرط أطماعه وطموح نفسه ، فهو الشخص الوحيد الذى حظرت عليهِ السياحة ، ومشاهدة ما يتوق الحر لمشاهدتهِ . أفلا يدفن نفسه فى بيتهِ ، ويعيش عيشة النساء ، حاسداً من يجوبون الآفاق ، ويرون عظام المشاهد ؟

١ : تقيد الحريه

غ : — مؤكد انهُ كذلك

٢ : تحمل ما هو فوق الطاقة

س : — ولمَّا كانت هذه حال المستبد الداخلية كان جانباً ، فى سياسته نفسه ، شقاء الطاغية الذى وصفته الساعة بالشقاء التام . لأنه أُرغم على هجر الحياة الخاصَّة ، وأجبر على تبوّؤ منصب الاستبداد بحكم الاحوال — فيأخذ على عاتقه سياسة الآخرين وهو عاجز عن سياسة نفسه . فهو كالمريض الواهن القوى ، لا يُتاح له أن يتمتع بالراحة ، بل هو ملزم بأن يصارع الناس وينازعهم

غ : — حقَّا يا سقراط ان المشابهة تامَّة ، وان بيانك حق

س : — أفليست حال المستبدّ شقية يا عزيزى غلوكون ، شقاءً تامًّا ، وهو يحيا حياة هى أبعد احتمالاً من حياة من تحسبهُ شر التاعسين ؟

غ : — بلا شك

٣ : الفقر كل الفقر

س : — ومهما يتقوَّل الناس ، فالطاغية عبد بمعنى الكلمة ، ومملّق شرير ، بعيد عن سدّ رغباته ، ولو بعض السدّ ، بل هو أكثر الناس احتياجاً إلى ما لا يحصى من الأشياء ، ويظهر لمن درس نفسه درساً تامًّا انهُ غاية فى الفاقة ، وان حياته مفعمة بالمخاوف والآلام والارجاف ، إذا كان يمثّل فى نفسه دولة يحكمها ، وهو يمثّلها . أليس كذلك ؟

٥٨٠

٤ : فساد الاخلاق

غ : — محققاً يمثلها

س : — ويجب أن نضيف إلى ذلك وصف الانسان الذى أوردناه آنفاً . لانهُ لا يمكنه إلا أن يكون حسوداً خائناً خصيماً ، زنيماً ، مباءة كل رذيلة ومربيها . ونتيجة كل ذلك : أولاً ، انهُ غير سعيد فى داخله ، وثانياً ان جميع الملتفّين حوله غير سعداء

غ : — لا يناقضك فى ذلك ذو فهم

س : — واصل تقدُّمك فاخبرني ، كقاض يصدر قراره بعدما درس القضية كلها : من هو ، فى مذهبك ، أوفر سعادة ؟ ومن الثاني ؟ وهكذا — فرتّب الخمسة وهم : الملكى ، والتيمارخى ، والاوليغاركيّ ، والديموقراطيّ ، والمستبدّ :

غ : — الحكم سهل ، فاني أرتبهم ترتيب جوقة الموسيقى فى نظام دخول أفرادها المسرح ، باعتبار فضيلتهم ، ورذيلتهم ، وسعادتهم ، وتعاستهم

الفضيلة ركن السعادة

س : — أفنستأجر منادياً ، أو انني أنا أرفع صوتي بالنداء — ان ابن اريسطون قد حكم ان أفضل الناس وأعدلهم هو أسعدهم ؟ لأنه يمتلك الروح الملكية أكثر ممَّن سواه ،

لأنهُ يحكم نفسه حكماً ملكيًّا . وان أردأهم وأظلمهم أتعسهم ؟ أي ان أوفرهم استبداداً وظلماً يبلى بأعظم صنوف الاستبداد فى إدارة نفسه وإدارة الدولة

غ : — أذع ذلك أنت

س : — أفأضيف إلى ذلك انهُ لا فرق ، عرف الأمر الذى أنادى بهِ عند الله والناس أو لم يعرف ؟ غ : — أضفهُ

س : — فليكن . فهذا أول بيان منا إليك ، يليه الثانى ، إذا حاز القبول

غ : — وما هو ؟

س : — بما ان كل نفسٍ مقسومة إلى ثلاثة أقسام ، تطابق أقسام الدولة الثلاثة ، فان موقفنا يأذن لنا بتأليف البيان التالي غ : — وما هو ؟

قوى النفس الثلاث

س : — هو هذا . ان لأقسام النفس الثلاثة ، لذّات ثلاثاً . تختص كل منها بقسم من تلك الأقسام ، وثلاث شهوات ، أو مبادىء ، حاكمة فيها غ : — أوضح

٥٨١

س : — قلنا ان فى نفس الانسان قسماً بهِ يتعلّم . وقسماً آخر بهِ يتحمس ويغضب ، وقسماً ثالثاً لا نقدر أن نبيّنهُ بكلمة واحدة ، ولكنا نصفه بالصفة الغالبة فيه . فندعوه الشهوىّ ، ما فيه من الشهوات كشهوة الطعام ، وشهوة الشراب ، والشهوة الجنسية ، وكل ما يلازم هذه الشهوات . وندعوه أيضًا محب المال ، لأن المال هو الذريعة الفعّالة فى كل هذه الشهوات غ : — نعم ، انّا مصيبون

١ : الذهن
٢ : الحماسة
٣ : الشهوة

مطالبها

س : — فاذا رمنا أن نقول ، ان لذة القسم الثالث ومحبته ، فيهما ربح لموضوعهما ، أفلا يكون أفضل تلخيص الحقائق التى عليها ينبغى أن تستقرّ التسوية بقوّة الحجة ، كوسيلة لنقل فكرة واضحة لعقولنا ، حين تتحدّث عن قسم النفس هذا ؟ أو لسنا مصيبين فى تسميته محب المال ، ومحب الكسب ؟ غ : — اعترف اني أظن هكذا

١ : مطلب الشهوة

س : — أو لا نقول أيضًا ان القسم الغضبيّ (الحماسى) يندفع أبداً لاحراز القوة والفوز والشهوة ؟ غ : — مؤكد انّا نقول

٢ : مطلب الحماسة

س : — أفينطبق عليهِ لقب « محب الكفاح » و « محب الشرف » ؟

غ : — نعم ، أتمّ انطباق

س : — وواضح لكل إنسان ، ان غرض القسم الذى بهِ تتعلّم ، الدائم الكلى ، هو أن يعرف كيف تقوم « الحقيقة » . وهذا القسم أبعد كل عناصر طبيعتنا عن الاكتراث للشهرة والثروة غ : — نعم أبعدها

٣ : مطلب الذهن

س : — ألا نحسن إذا دعوناه « محب العرفان » و « محب الحكمة » ؟

غ : — مؤكد انّا نحسن

س : — أوَ لا يسود هذا الميل نفوس البعض ، أما نفوس غيرهم فيسودها أحد الميلين

السابقين ، الذى تتوافر له السيادة حسب حكم الأحوال ؟ غ : — انك مصيب

أقسام الناس السيكولوجية ١محب الحكمة ٢محب الجهاد ٣محب الكسب

س : — أو لا يمكنا ، لهذه الأسباب ، أن نرتب الناس ، ترتيبًا أوليًا ، تحت ثلاثة رؤوس أصلية هي : محب الحكمة ، ومحب الكفاح ، ومحب الكسب ؟

غ : — نعم بالتأكيد

س : — وان هنالك ثلاث لذات تختص بهذه الرؤوس على الترتيب

غ : — تمامًا هكذا

اللذات الثلاث الحكمة والمجد والربح ١: حكم محب الكسب

س : — أو تدرى انك لو سألت ثلاث طبقات الناس ، كلا فى دورها ، أية هذه اللذات الثلاث أكثرها لذة ، لذكر كل منهم ما لاذ به منها . فيقول محب الكسب ان أعظم حالات الحياة لذة أوفرها ربحًا . ويصارحك انه بازاء اللذة الناجمة عن الكسب لا قيمة فى نظره للذة الناجمة عن الشرف ، والناجمة عن طلب العلم ، إلا إذا أدتا إلى كسب المال

غ : — حقيق

٢: حكم محب المجد

س : — وماذا يقول محب الفخر ؟ الا يحسب اللذة الناجمة عن المال كشىء عالمى ، واللذة الناجمة عن العلم بخاراً صاعداً ، إلا إذا كان المجد ثمرتها ؟

غ : — هذا هو الواقع حتماً

٣: حكم محب الحكمة

س : — أو لا تظن ان محب الحكمة يحسب كل اللذات طائشة حين يقابلها باللذة الناجمة عن معرفة الطريقة التى بها تثبت المعرفة ، والاشتغال المستديم بالبحث والطلب وهو يدعو اللذات الأخرى ضرورية كثيراً ، وإلا لما رغب فيها ؟

غ : — يمكن التأكيد ان ذلك كذلك

٥٨٢

س : — فاذا احتدم الجدال بخصوص لذة كل نوع ، وحياة كل طبقة ، ليس باعتبار الجمال والقبح ، والأدب والفجور ، بل بالنظر إلى منزلة كل منها فى مراتب اللذة والنجاة من الألم — فكيف نعلم أى الثلاثة هو الأصوب؟ غ : — لست مستعداً للجواب

أصول العلم

س : — فاعتبر المسألة بالبيان الآتى — ماهي الأدوات التى بها يصاغ الحكم ، ليكون حكماً صحيحًا ؟ أليست هى الاختبار والحكمة والتعقل ؟ أو يمكنا إيجاد أداة أفضل للحكم ؟

غ : — مؤكد انه لا يمكنا إيجاد أداة أفضل

١: الاختبار

س : — فلاحظ أى الثلاثة أوفر خبرة فى كل أنواع اللذات المار ذكرها ؟ هل يدرس محب الكسب طبيعة الحقيقة الصحيحة ، إلى حد انه (فى حسبانك) يتعرف لذة المعرفة أكثر مما يتعرف محب الحكمة لذة الربح ؟

اختبار الشهوي

غ : — هنالك بون شاسع ، لأن محب الحكمة ملزم بأن يذوق لذة الربح منذ صباه بينما محب الربح غير ملزم أن يدرس طبيعة الأشياء الموجودة حقيقة . إما أن يذوق حلاوة المعرفة واللذة التى تلابسها ، بحيث يصير ذا خبرة فيها ، فليس ذلك سهلاً ولو كان عنده ميل إليه

س : — فمحب الحكمة يفوق كثيراً محب الكسب في اختبار نوعي اللذات بالفعل
غ : — حقاً أنه يفوق

اختبار الفضي

س : — وما هو الحال مع محب المجد ؟ أذو خبرة تامة هو في اللذة الناجمة عن المجد ، كخبرة محب الحكمة في اللذات الناشئة عن الحكمة ؟

غ : — كلا فان الشرف يسير في ركاب كلٍّ منهم ، إذا قام بعمله . فالغني شريف لدى الكثيرين ، وهكذا الشجاع والحكيم . فلجميعهم اختبار واحد باعتبار اللذة الناجمة عن الشرف . ولكن طبيعة اللذة الناجمة عن التفكر بالحقيقة ، لا أحد يقدر أن يذوقها إلا محب الحكمة غ : — تماماً هكذا

س : — فباعتبار « الاختبار » العملي محب الحكمة أصح الثلاثة حكماً
غ : — بالتمام

٢: الحكمة

س : — وتعلم أنهُ هو وحده صاحب « الحكمة » كما انهُ رب الاختبار
غ : — بلا شك

س : — ثم ان أداة الحكم الخاصة هي عضو يختص بمحب الحكمة . دون أخويه محب الشرف ومحب الكسب غ : — وما هو ذلك العضو ؟

س : — أعتقد أنَّا قلنا ان « التعقل » هو الذي يصدر الحكم ألم نقل ؟

٣. التعقل

غ : — قلنا

س : — والتعقل إلى حد بعيد هو عضو محب الحكمة غ : — مؤكد

س : — وعليه فلو ان الثروة والكسب أدوات البت في المسائل لكان ما يقول به محب الكسب من مدحٍ أو ذمٍ هو الأصح غ — : تماماً هكذا

س : — ولو أن الشرف والفوز والشجاعة أفضل الأدوات لكان تقريظ محب المجد وتفنيده هما الأصح غ : — واضح انهُ هكذا

الحكم طبعاً من حق الفيلسوف

س : — ولما كان الاختبار والحكمة والتعقل هي أفضل الأدوات — فماذا إذاً ؟
غ : — ماذا إلا أن مدح محب الحكمة والتعقل هو الأصح

٥٨٣

الفيلسوف أولا والشريف ثانياً

س : — فاذا كانت اللذات ثلاثاً فهل لذة قسم النفس الذي به تتعلم هي أوفر من لذات غيرها ؟ وهل حياة رجلنا الذي يسيطر عليه هذا القسم هو الأسعد ؟

غ : — بلا شك وعلى كلٍّ فرجل الحكمة الحق التام أن يمدح حياته الخاصة

س : — فما هي الحياة التي يحسبها قاضينا الثانية ، وما هي اللذة الثانية ؟

غ : — واضح انها حياة محب المجد والكفاح . لأنها أقرب إلى حياته من حياة محب الكسب س : — فلذة محب الكسب هي الأخيرة غ — : بلا شك

س : — فقد فاز العادل على المتعدي إلى الآن مرتين . فهيا بنا إلى الفوز الثالث

والأخير كأنك فى الألعاب الأولمبيـة تخاطب زفس الأولمبي الحافظ . وأذكر ان كل اللذات إلا لذات الحـكماء ، ليست بحقيقية من كل وجه . بل هى زهيـدة وغير جلية على ما أظن . إني سمعت حكيماً يقول ذلك . واسمح لي ان أقول ان السقطة فى هذه الدورة أعظم السقطات وأحسمها غ : — تماماً هـكذا ولـكن أوضح فـكرك

س : — سأرى ما يلزمنا إذا كنت تجيب عن أسئلتي

غ : — سل ما تشاء

اللذة والألم

س : — قل لى : ألم نقل ان الألم ضد اللذة ؟ غ — قلنا بالتأكيد

س : — أولا نقول ان هنالك حالة لا تشعر عندها بلذة ولا بألم ؟

غ : — ذلك مؤكد

س : — وبعبـارة أخرى قد سلمت ان هنالك نقطة يستقر العقل عندها بين الأمرين أليس هذا ماتعني ؟ غ : — هذا هو

لذة الصحة

س : — ألا تذكر اللهجة التى يستعملها الناس فى أمراضهم ؟ غ — وما هي ؟

س : — الصحة تاج على الرأس لا يراهُ إلا المرضى : فالصحة عندهم أعظم اللذات . لـكنهم لا يعرفون قيمتها إلاَّ حين يفقدونها غ — : إني أذكر ذلك

س : — أو لا تسمع أيضاً قول المرضى ، وهم تحت الألم الشديد : لا مسرة أعظم من زوال الألم ؟ غ : — اني أسمع ذلك

س : — وأظن أنك وجدت أناساً ، مراراً كثيرة ، وهم فى حال القلق ، يبجلون زوال الاضطراب والخلاص منه ، لا كفرح إيجابي

الفترة بين اللذة والألم

غ : — حقيق ، وربما كان السبب ان النجاة أنشئت فى وقت كهذا لذة وسروراً إيجابيين

س : — وعلى الطريقة نفسها حين يكف أحد عن الشعور باللذة تـكون اللذة ألمـاً

غ : — قد يكون ذلك

س : — فالفترة التي قلنا أنها حلقة وسطى بين الألم واللذة قد تـكون تارة لذة وتارة ألمـاً

غ : — هكذا يظهر

س : — أفيمكن ان يكون ما ليس لذة ولا ألمـاً كلا الأمرين معاً ؟ غ — : لا أظن

اللذة والشعور

س : — وحين تـكون اللذة والألم فى العقل فانهما كليهما شعور . أليسا شعوراً ؟

غ : — انهما شعور

٥٨٤

س : — أو لم تر الساعة ان غياب اللذة والألم يظهر حال راحة لاشك فيها وهى نقطة متوسطة بين الأمرين غ : — أنها كذلك

س : — أفصواب اعتبارنا زوال الألم لذة واللذة ألمـاً ؟

غ : — لا يمكن أن يكون صواباً

الشعور الخادع

س : — فالفترة فى هذه الأحوال ليست لذة حقيقية ، ولكنها تظهر كذلك بازاء ما هو مؤلم ، ومؤلمة بازاء ما هو سار ، لأنهما من نوع السحر أو الخداع فقط

غ : — اعترف ان الحجة تؤدى الى هذه النتيجة

س : — وفى الدرجة الثانية حوّل نظرك الى اللذات التى لا تنشأ عن آلام ، كي لا تتصور ، كما قد تكون تصورت الساعة ، انه ناموس طبيعي ان زوال اللذة ألم وانقطاع الألم لذة (١)

غ : — إلى أين أنظر ، وأية اللذات تعنى ؟

لذة الشم

س : — يمكنك أن تنظر فى لذات كثيرة إذا شئت . وأفضل مثل لذلك لذات الشم . فانها تنشأ فجأة دون سابق اضطراب ، وتنشأ بشدة خارقة ، وحين تنقضي لا يحدث عنها ألم

غ : — ذلك مؤكد

س : — فلا تعتقدنّ إذاً ان اللذة المحضة هى فى زوال الألم ، ان الألم الحقيقى هو انتهاء اللذة غ : — كلا

س : — ولكنهُ حقيق ، من باب التقريب . ان أكثر اللذات التى تصل العقل بواسطة أعضاء الجسد ، وأشدها ، هى من هذا النوع . أى انها نوع من انقطاع الألم

غ : — هى كذلك

س : — أفلا تنطبق الملاحظة ذاتها على لذات التبصر ؟ غ : — تنطبق

س : — أفتدرى نوع هذه اللذات وماذا تمثل ؟

غ : ماذا ؟

حالات المرء الثلاث

س : — اتسلّم ان فى الطبيعة ثلاث درجات ، وهي عليا حقيقية ، ودنيا حقيقية ، ووسطى كذلك ؟ غ : — انى اسلّم

س : — أفتظنّ أن أحداً ، وقد رفع من السفلى الى الوسطى ، يمكنهُ ألاّ يتصور انهُ قد بلغ العليا ؟ واذا استقرّ فى الوسطى ثم خفض نظرهُ ، الى المكان الذى منهُ صعد ، أفيمكنهُ ألاّ يتصوّر ان درجتهُ هى العليا . ان لم يكن قد رأى العليا بعد ؟

غ : — أما أنا فاني أؤكد لك انى لا أتصور أن رجلاً كهذا يرى خلاف ذلك

س : — ولكنهُ إذا عاد إلى مكانه الأول فهل يظن انهُ سفل ؟ وهل هو مصيب فى ظنه ؟ غ : — معلوم انهُ كذلك

نقص الاختبار آفة الحكم

س : — أو لا يحدث له كل ذلك لأنه لم يختبر العليا والوسطى والدنيا اختباراً حقيقياً ؟

غ : — واضح انهُ يحدث

س : — أفتستغرب أن تكون للناس آراء غير صحيحة فى أمور عديدة ، وهم لم يختبروا

(١) هذا مذهب شوبنهور

كلما نقص الاختبار زاد الخطأ في الحـكم

الحقيقة بالنظر إلى الألم والمسرة وما بينهما في موقف كهذا ، حتى إذا ما نقلوا الى ما هو مؤلم حقيقة كان لهم رأى صحيح فى حالهم ، وانهم بالحقيقة قد تألموا ؟ ولـكنهم إذا نقلوا من الألم الى الدرجة المتوسطة ، بين الألم واللذة ، تصوّروا تصوّراً جازماً انهم بلغوا أسمى درجات اللذات التى لم يختبروها قط . وبالنتيجة انهم قد خدعوا بمقابلتهم حالة الألم بحـال زواله . كالذين لا يعرفون اللون الأبيض ، فقابلوا الأسود بالرمادى فحسبوه أبيض لعدم اختبارهم

غ : — حقًّا اني لا أتعجّب من ذلك ، بل كان عجبي أعظم لو انه غير ذلك

س : — فاعتبر المسألة على نور فـكر جديد : أليس الجوع والعطش ، وأمثالهما ، فراغًا فى نظام الجسد ؟　　غ : — بلا شك

س : — وبالمشابهة ، أليس الجهل والحماقة فراغًا فى نظام النفس ؟

غ : — نعم ، بالتأكيد

س : — أو لا يسد الطعام الفراغ الأول ، والمعرفة الفراغ الثاني ؟　　غ : — مؤكد

س : — فهل الملء الحاصل بالجوهر الحقيقي أكثر صحة من الملء الحاصل بالجوهر غير الحقيقي ، أو أقل صحة منهُ ؟

غ : — واضح ان الملء الحقيقي هو أكثر صحة منهُ بغير الحقيقي

الوجود الحقيقي وغير الحقيقي

س : — فأيها تظن أكثر اشتراكاً فى الجوهر النقي ؟ أما يشترك بالطعام والشراب واللحم ، وكل ما هو من نوع الأغذية ، أم ما يشترك بالآراء الصحيحة والعلم والعقل ؟ وبكلمة واحدة « بالفضيلة » ؟ ولـكي تصدر حكماً صحيحًا فى الأمر أنظر فيه على هذه الصورة : أتعتقد أن الوجود الحقيقي هو ، بجوهره ، خاصـة الدائم الاتصال بالثابت والخالد ، وهو نفسه خالد وثابت ويظهر فى أشياء من نوعه ؟ أو تعتقد أنهُ خاصة الدائم الاتصال بالمتغير والزائل وهو نفسه متغير وزائل ، ويظهر فى أشياء من هذا النوع ؟

غ : — بل هو خاصة الاول بأسمى درجات اليقين

س : — وهل العلم أقلّ دخولاً فى ما هو ثابت الجوهر منهُ فى غير الثابت ؟

غ : — كلاّ البتة

س : — الحقيقة أقلّ دخولاً من غيرها ؟　　غ : — كلاّ

س : — فاذا كانت الحقيقة أقل دخولاً كان الوجود الحقيقي أقل دخولاً أيضًا

غ : — بالضرورة

ثقافة الجسد وثقافة النفس

س : — اني أتكلم كلاماً عامًّا . أفلا يحتوى تثقيف الجسد بكل فروعه على درجة من الحقيقة ومن الوجود الحقيقي ، أقل من تثقيف النفس بكل فروعها ؟ ألا تظن كذلك

غ : — نعم . أقلّ كثيراً

س : — وما يمتلىء بجواهر أكثر ثبوتاً ، وهو نفسه أكثر ثبوتاً ، أفلا يكون امتلاؤه أكثر منهُ إذا ملىء بالأشياء الأقل ثبوتاً وهو نفسه أقل ثبوتاً ؟

غ : — دون شك هو كذلك

اللذة العظمى وما دونها

س : — فكما انهُ يلذ الموضوع ، لذة حقيقية ، امتلاؤه بأشياء تناسبهُ طبعاً ، فالموضوع الأكثر امتلاءً بالجواهر الحقيقية هو أكثر انتاجاً للذة الحقيقية . والموضوع المختص بما هو أقل يقينية يكون امتلاؤه أقل يقينية وأقل ضبطاً ، ويذوق صاحبهُ لذة أقل يقيناً وثقةً

غ : — النتيجة قاطعة من كل بد

٥٨٦

لذائذ السفلة سفيلة خطرة

س : — فالذين لم يتعرّفوا الفضيلة والحكمة ، ويقضون الحياة فى الولائم وأمثالها من أنواع الانهماك قد سفلوا ، كما يظهر ، ثم عادوا إلى منتصف البعد فى الطريق إلى فوق . وبين هذين الطرفين يطوفون الحياة بطولها ، ولما كانوا لا يتجاوزونهما فانهم لا ينظرون أو يرتفعون إلى العلل الحقيقيّة . ولم يمتلئوا قط باللذة الحقيقية ، ولا ذاقوا لذة حقيقية صرفاً بل هم كالسائمة ينظرون أبداً إلى أسفل ، ورؤوسهم إلى الأرض ، يدنونها من موائد الطعام ، حيث يشبعون ويسمنون ويلدون . ولكي يسدّوا شهوتهم البالغة بهذا التمتع يرفسون بعضهم بعضاً بأظلاف حديدية ويتناطحون بقرون حديدية ، حتى يقتل بعضهم بعضاً بتأثير الشهوات الشرهة ، لأنهم قد ملأوا قسم طبيعتهم الشهوانى غير الحقيقى بأشياء غير حقيقية .

غ : — تتكلم بكل ضبط ياسقراط ، كانك تنطق بالوحى فى حياة القسم الأكبر من الناس

التنازع على الاوهام

س : — أو لا يتبع ذلك انهم اقترنوا بلذات ممتزجة بالألم ، وهي أشباح ضعيفة الشبه باللذة الحقيقية ، وقد لوّنها قربها من الألم فلاحت لهم عظيمة ، وهي تلد أشواقاً جنونية فى صدور الحمقى . فتصير موضوع نزاع فى ما بينهم ، كشبح هيلانة الذى يقول سناسيكورس ان الطرواديين تقاتلوا عليه لجهلهم حقيقة شخصها

غ : — لا بد أن تكون حالة كهذه نتيجة لما تقدم

التنازع الغضبي كالتنازع الشهواني

س : — ولننتقل إلى العنصر الغضبي (الحماسي) أفليست النتائجُ فيه مشابهة هذه كل المشابهة ؟ وذلك حين يعمل الانسان لسد شوق هذا القسم فى طبيعته ، اما غيرة فى صورة ناشئة عن الطمع ، أو اساءة ناشئة عن حب الخصومة والنزاع ، أو غضباً لعدم الاكتفاء فى سبيل المجد والفوز ، أو لأجل سد شوق ، دون تفكّر ، ودون عقل سليم

غ : — ان النتائج في هذا الحال مشابهة ما سبقتها حتماً

أعظم لذة قرينة الحكمة والعقل

س : — وما هي النتيجة ؟ أفتقول واثقين انه بين كل الشهوات ، التى اختبرنا فيها حب الكسب وحب المجد ، فالتي منها تتبع قيادة العلم والعقل ، وترافقهما فى طلاب قوة تقود الحكمة إليها حتى يدركوها ، فان هذه تبلغ اللذات التي تناسبها ، عدا بلوغها أصح اللذات

الممكن الحصول عليها ، نتيجة إخلاصها للحقيقة ، بناء على ان الأفضل هو الأنسب لكل واحد غ : — لا ريب فى انها أكثر مناسبة

العدالة فى داخل النفس

س : — فما دامت النفس تخضع للعنصر المحب الحكمة دون أدنى تصدع فكل قسم يتمتع بلذاته الخاصة بأفضل شكل وأصوبه ، علاوة على انه يتم عمله الخاص بكل الاعتبارات ، أى انه يكون عادلاً غ : — نعم ، حقاً

س : — ومن ناحية أخرى إذا حكم أحد العنصرين الاخرين — الشهوى والغضبي — فقد مسراته الخاصة ، وحمل ذينك العنصرين على التهافت على لذات غريبة غير حقيقية

غ : — تماماً هكذا

س : — وكلما بعد الشيء عن الفلسفة وعن الذهن زاد ما ينتجه من الأثر الشرير ، الا يزيد ؟ غ : — يزيد

العقل والشريعة والنظام

س : — أو ليس إلا بعد عن الشريعة والنظام هو إلأ بعد عن التعقل أيضاً ؟

غ : — واضح كل الوضوح

س : — أو لا يتبرهن على ان الأهواء الغرامية والاستبدادية هي الأبعد عن الشريعة وعن النظام غ : — بالتمام انها الابعد

س : — وان الرغبات الملوكية المعتدلة هى الأقرب إلى الشريعة أو النظام؟ غ : — نعم

س : — فالمستبد هو الأبعد عن اللذة الحقيقية الملائمة ، والملك هو الأقرب إليها

غ : — لا نكير فى صحة ذلك

س : — فيحيا المستبد حياة عديمة السرور ، والملك ، حياة كلها السرور ؟

غ : — اتنظر انك تفيدنى

اللذات الثلاث

س : — يظهر ان هنالك لذات ثلاثاً ، واحدة حيقيقية واثنتان غير شرعيتين وقد تجاوز المستبد الحدود إلى ما وراء هاتين ، ومرق من الشريعة والتعقل وساكن حرساً شهوانياً من لذات الاستعباد . ولا يدرك مبلغ انحطاطه إلا بالبيان التالى

غ : — وما هو

س : — نبدأ بالحساب من الأوليغاركى . فالمستبد هو الثالث منه فى عمود الانحدار . لأن الديموقراطى بينهما غ : — نعم

س : — فاذا كانت ملاحظاتنا الماضية صحيحة أفلا يكون السرور الذي يقترن المستبد به فى حال من البعد عن السرور الحقيقى ، نسجة عن نسخة ، عن النسخة الأصلية التى بيد الأوليغاركي ؟ غ : — تماماً هكذا

س : — وإذا بدأنا من الملكي فالأوليغاركي أيضاً هو الثالث منه فى عمود الانحدار إذا حسبنا الملكي والارستقراطى واحداً غ : — حقاً انه الثالث

س : — فالمستبد بعيد عن اللذة الحقيقية ثلاث ثلاثات (١) غ : — هكذا يلوح

س : — فيمثل لذته هندسيًّا (مكفوء) الرقم ٩ غ : — بالتمام

س : — وبتربيع هذا العدد وتكعيبه تظهر لنا شقة بعد المستبد كل الظهور

غ : — نعم ان ذلك واضح للحاسب

س : — ونقيض ذلك حال الملكي، إذا رمت تبيان الشقة بينهما. فإنك تجدها بعد إتمام عملية الضرب هكذا : لذة الملك تعدل ٧٢٩ ضعف لذة المستبد . وآلام المستبد تعدل ٧٢٩ آلام الملكي

بعد المتعدي عن السرور

غ : — أبرزت نتيجة خارقة فى إحصاء البون بين العادل والمتعدي فى مجال اللذة والألم

س : — وأؤكد ان الأرقام تطابق الحياة الإنسانية إذا وافقتها الأيام والليالى والشهور والسنين . غ : — ولا شك فى أنها توافقها

س : — فاذا كان الصالح العادل يفوق الشرير المتعدي بهذا المقدار فى موضوع اللذة أفلا يفوقه بما لا يقدر فى نعمة الحياة وجمالها وفضلها غ : — نعم حقًّا انهُ يفوقهُ بما لا يقدر

استئناف البحث

س : — حسنًا . وإذ قد بلغنا فى المحاورة هذا الموقف فلنستأنف البحث الأول ، الذي أوصلنا إلى هنا وقد سبق القول فيما أعلم ، ان التعدي مفيد للإنسان الذى هو متعد تام ، إذا اشتهر بأنهُ عادل ، أفمخطيء أنا فى هذا ؟ غ : — انك مصيب

س : — لقد أزف الوقت لمجادلة صاحب هذه الملاحظة فى وقت اتفقنا فيه فى نتائج العدالة والتعدي غ : — فكيف نتقدم ؟

س : — فلنتصورّ مثال النفس ليعرف المتكلم جسامة غباوته

غ : — أي نوع فى المثال تعني ؟

مخلوق غريب الشكل

س : — يجب ان نمثل لأنفسنا أحد المخلوقات التى حسب الأسطورة ، كانت فى الزمن القديم . كخميرا ، وسلا ، وسربروس ، عدا كثيرين من المخلوقات الغريبة الشكل ، نعرض عن ذكرها ، وفى كل منها اجتمعت طبائع عدة فى جسم واحد

غ : — حقًّا أننا قد سمعنا قصصًا كهذه

١ : وحش الشهوة

س : — فارسم أولاً جسماً مختلف الطبائع متعدد الرؤوس . تحيط بهِ حلقة من رؤوس حيوانات داجنة ووحشية . وليكن له قوة على توليد هذه الرؤوس من جسمه حين يشاء وإخفائها او تغييرها حين يشاء

غ : — انهُ عمل مثَّال ماهر . ولما كان التصوُّر أسهل من التصوير بالشمع وأمثاله فافرض انَّا صنعناه

---

(١) لتكن ب = ١ كناية عن ألم الملكي ولذة المستبد
وج = كناية عن لذة الاوليغاركي وألمه
ود = ٩ كناية عن لذة الملكي وألم المستبد
فبتكعيب هذه الاعداد لنا هذه النتيجة: ان لذة الملكي = ٧٢٩ ضعف لذة المستبد . وألم المستبد ٧٢٩ ضعف ألم الملكي

٢ : أسد الغضب
٣ : انسان الحكمة

س : — تقدّم ثانية لصنع رسم أسد ، وثالثة لصنع رسم إنسان . وليكن الأول أعظم كثيراً من الآخرين ، والأسد أعظم من الإنسان غ : — ذلك سهل ، ولقد صنع
س : — ضمّ هذه الثلاثة معاً بحيث تصير قطعة واحدة غ : — قد ضممتها
س : — ألبسها شكل أحدها ، وليكن شكل الإنسان ، بحيث لا يعلم الناظر ماوراء ذلك الظاهر ، فلا يرى فى المجموع إلا الإنسان غ : — ضممتها

٥٨٩

س : — فلنجاوب من قال أنهُ نافع لهذا الإنسان ان يكون شريراً ، وان ليس فى مصلحته ان يكون عادلاً . ان مفاد قوله هو أنه يفيده ان يقيت الحيوان الغريب الشكل المتعدد الطبائع وهكذا يفعل بالأسد وطبائعه . ويترك الإنسان للمجاعة والضعف إلى درجة يكون فيها تحت رحمة كل من رفيقيه ، وقيادته ، فيجرّانه حيث شاء دون أدني سعي فى مصالحة أحدها مع الآخر ، بل يتركها معاً ليعضّ أحدها الآخر ويحاربه ويفترسهُ

التربية الصحيحة تتناول المجموع كلا بحسبه

غ : — حقاً ان من يطري التعدي فانما يقول هذا القول
س : — ومن الناحية الأخري، أليس المدافع عن قائدة العدالة يدّعي ان الأفعال والأقوال يجب ان تؤدي إلى تسويد الانسان الباطني على الانسان كله؟ وأن يستعين بالأسد كحليف على تأليف الوحش المتعدد الرؤوس و تطبيعه كما يطبع الفلاّح بهائمه ـ مغذياً أقسامهُ الأليفة، ومربياً إياها ومؤخّراً نمو القسم الوحشي . وهكذا يوالي تمرينه على أساس ضم الأقسام بعضها مع بعضٍ ومصالحتها معاً
غ : — نعم ، هذه هى حتماً مدّعيات من يمدح العدالة
س : — وان مطري العدالة يقول الحق فى كل حال ، أما مطري التعدي فكذوب. فباعتبار اللذة ، والشهرة أو الفائدة ، ان مادح البار صادق ، وكل انتقادات خصومه جهالة وغير صحيحة غ — اني أرى هذا الرأي

اباب تهذيب الذات

س : — فلنحاول إقناعه بتؤدة (لأن خطأه غير متعمّد) فنضع أمامه هذه المسألة : — يا صديقي الصالح ، ألا يمكننا ان نقول ان التمارين المحسوبة جميلة او جنونيّة إنما حسبت هكذا باعتبار إخضاعها (أقسام) طبيعتنا البهيمية للإنسان . وربما كان الأفضل ان أقول « القسم الإلهي » — باعتبار أنها تؤلف القسم الشرس ، الخادم والعبد ؟ فهل يقول نعم ؟ أو بماذا يجيب . غ : — إذا قبل رأيي فانه سيقول نعم

النفوس أثمن من الذهب

س : — فعملا بهذا الجدل ، هل هو مفيد لأحد ان يأخذ ذهباً بغير حق ، إذا كانت النتيجة انهُ حالما يقبض الذهب يستعبد القسم الأفضل فيهِ للقسم الأدني . او انه من المسلم انه يقبض ثمن بيع إبنه او إبنتهِ للعبودية لسادة أشرار همج ، فليس فى مصلحته ان يفعل ذلك ولو قبض بدر الأموال . أفيقال جدلاً انه استعبد بدون شفقة أقدس قسم فى ذاته لأنجس قسم وأشرّ قسم ، ألاّ يكون تناولهُ الذهب على هذا المنوال سبباً لدمار أفظع مما صنعت يورفيلي التى أخذت عقداً ثمن حياة زوجها

غ : — اني أجيبك عنه ان ذلك العمل أكثر دماراً من عملها

س : — أو لا تظن ان الفجور ذميم ، للسبب نفسه ، وهو أنه بانتشاره ينال الوحش المخيف ، المتعدّد الرؤوس ، حرية أكثر مما يجوز له ؟ غ : — واضح انك مصيب

س : — أو ليست الكلمات ، عناد وتبرّم ، تستخدم للاعراب عن التعنيف والملام حين تسويد الأسد والحيّة وتعظيمهما فوق الحدّ ؟ غ : — تماماً هكذا

س : — أو لا يُذم البذخ والتخنث لأنهما يضعفان عزيمة المخلوق ويفتّان فى عضده بخلقهما الجبانة فى نفسه ؟ غ : — يخلقانها بدون شك

س : — أو لا يُرمى المرء بألفاظ التمليق والهوان حين يخضع الحيوان النشيط للوحش المعربد ، ويسد شوق هذا الأخير للمال ، ويدرب الأول منذ البداءة على نسق كثير الاهانة فيصير قرداً بدل كونه أسداً ؟ غ : — حقاً أنك مصيب

س : — واسمح لى أن أسألك هل تُحسب الخشونة والفظاظة أمراً ساقطاً ؟ . أو لا يمكننا القول ان هذه الألفاظ تدل على ان أفضل عناصر الانسان الذى قيلت فيه ، هى ضعيفة طبعاً ، عوض كونه أهلاً لحكم الخلائق التى فى نفسه وقد سلمها الحكم ، واقتصر على اتقان مسايرتها وتمليقها ؟ غ : — هكذا يتضح

س : — أو لا تقول أن شخصاً كهذا ، لكى تحكمه سلطة تحكم أفضل رجل ، يجب أن يخضع للمثل الأعلى الذى يسوده عنصره الالهى ؟ ولا تتصورنّ أن العبد يساد لضرره كما ذهب ثراسيماخس إلى أن هذه « قرعة الرعية » ، بل بالضد من ذلك ، نعتقد ان الأفضل لكل واحد أن تحكمه قوة إلهية حكيمة ، مقرّها فى داخله . إذا أمكن ، وإلا فتملى عليه من الخارج . لنكون كلنا سواء على قدر ما تسمح الطبيعة . وأصدقاء بعضنا لبعض ، لأن ربان واحد يدير دفة سفينتنا غ : — صواب تام

٥٩١

س : — وواضح أن هذا مقصد الشريعة — الصديق العام لكل أفراد الدولة — ومقصد حكومة الأولاد القاضية بانتزاع حريتهم ، إلى أن يؤسس دستور فيهم ، كما فعلنا فى المدينة ، ويثقف أشرف مبدأ فى طبيعتهم واضعين فى قلوبهم وازعاً وملكاً قسيم ما فينا — فمن ثمّ نبيح لهم حريتهم غ : — نعم ذلك واضح

س : — فبأية حجة يا غلوكون ، وبناء على أى مبدأ ، يمكننا أن نقول أنه يفيد الانسان أن يكون متعدياً ، أو فاجراً ، أو يرتكب أى عمل دنيء ، يهبط به إلى أعماق الرذيلة فيزيد ثروته وقوته بفعلته ؟ غ : — لا يمكننا قبول هذا التعليم على أى أساس

مدارج الكمال

س : — وبأية حجة نؤيد منافع اخفاء التعدى ونهرب من عقوباته ؟ ألست مصيباً فى ظنى أن الانسان الذى نجا من انكشاف أمره يزداد شراً عن ذى قبل ؟ أما اذا انكشف

وعوقب يخمد قسمه البهيمى ويألف ، ويتحرَّر القسم الأليف ، ونفرغ النفس فى قالب أسمى الصفات ، وتبلغ بواسطة العفاف والعدالة مع الحكمة حالاً أفضل مما بلغ الجسد المجهَّز بالقوة والجمال والصحة ، بقياس فضل النفس على الجسد

غ : — نعم ، حقًّا انك مصيب

س : — أستخلص مما تقدم ان الحصيف يوجه كل قواهُ فى الحياة نحو هـذا الغرض الواحد . ويكون عملهُ أن يحترم فى الدرجة الأولى الدروس التى تطبع نفسه بطابع هذه السجية ويهمل كل ما سواها غ : — واضح

الموسيقى الروحية

س : — وفي الدرجة الثانية عادة الجسد وتغذيته — بعيداً عن الانغماس فى لذة البهيم الطائشة ، وعنده حتى الصحة ليست غرضاً فلا يعلق عليها أكبر شأن بطلب القوة أو الصحة أو الجمال ، إلاَّ إذا أدَّت إلى العفاف . لأن غرضه الخاص فى ضبط لحن الجسد هو أن يحتفظ بالنغم الذى مقرُّه النفس

غ : — نعم ، لا شك فى أنهُ يحتفظ إذا رام أن يكون موسيقيًّا حقيقيًّا

النفس فوق الثروة

س : — أو لا يبدى أيضاً مقدار الشدة التى يدعم بها النظام والاتفاق الذى يستند اليه فى طلب الثراء ؟ أو لا يتجنب الانهيار بتهانى الجمهور إياه بمضاعفة ثروته إلى ما لا نهاية فيجلب ذلك له اضطراباً لا حدَّ له ؟ غ : — أظن أنهُ يتجنب ذلك

مبدآن أساسيان في الحياة

س : — وعلى الضد من ذلك ، يجعل حرصه على الاستناد إلى النظام الداخلى ، وسهره التام ، لئلاَّ يتحوَّل أحد أقسامه عن لياقته ، بداعى زيادة أرزاقه أو قلتها ، يجعل هذين مبدأين يتبعهما اتباعاً مدققاً فى سعيه إلى احراز الثروة واتفاقها غ : — حتماً هكذا

٥٩٢

س : — وبالنظر إلى الشرف — يسرُّ بأن يضع نصب عينيه على الدوام ، المقياس الذى به زاول الوسائل التى يعتقد انها تجعله أفضل من ذى قبل ، ويمقت فى السر والعلن ما يظن انه يقلب حاله الحاضرة

غ : — اذا كان ذلك غرضه الخاص فأرى انهُ لا يرتضى بأن يتدخل فى السياسة

س : — وذمتى انك مخطىء لأنهُ يتدخل فيها بالتأكيد — بأقل الدرجات فى مدينته إذا لم يكن في وطنه الواسع ، ما لم يصدُّه عن ذلك حادث قضائيّ

غ : — فهمت انك تعنى انهُ يفعل هكذا فى المدينة التى أكملنا نظامها ، المحصورة فى عالم الخيال ، لأني لا أعتقد انها توجد على وجه الأرض

س : — قد يكون فى السماء منها نموذج لمن يروم أن يراه ، ويبنى نفسه على مثاله . وأما مسألة وجوده على الأرض ، فى الحاضر أو المستقبل ، فليست بالأمر المهم . لأنه على كل يختار نظم مدينة كهذه ويجري عليها مُعرضاً عن كل ما سواها

غ : — الأرجح انهُ يفعل ذلك

الكتاب العاشر

التقليد وجزاء الفضيلة

خلاصته

يستأنف سقراط الكلام في الكتاب العاشر في الشعر والتقليد بوجه عام . وسؤاله هو ما هو فن التقليد ؟ خذ الفراش مثلاً ، أو الخوان . فلنا في الأول

١ : مثل الفراش أو رسمه على ما خلقه الله

٢ : الفراش الذى صنعه المنجد

٣ : الفراش الذى رسمه الرسام

وهو نسخة عن المثال الثاني · وهذا بدوره نسخة عن المثل الأول

وبالطريقة نفسها يقلد الشاعر ، ليس المثل فقط وهي هي اليقينيات الوحدة ، بل ظاهرات الحياة اليومية ، والآراء الذائعة بين المهذبين بعض التهذيب

وانظر في القضية بالطريقة التالية . كل مصنوع ، كاللجام مثلاً ، فيه ثلاثة فنون متمايزة ، أحدها يعلم الإنسان كيف يستعمله ، والثاني يعلمه كيف يصنعه ، والثالث كيف يقلده . فالذى يستعمله وحده يمتلك المعرفة الحقيقية « العلمية » بالشيء ، وهو يعلم الصانع طريقة صنعه . وهذا الصانع يمتلك « تصوراً » صحيحاً

أما المقلد فلا يمتلك علماً ولا تصوراً صحيحاً ، بل وهماً غامضاً فى ما يقلده . فبأي أقسام العقل يختص التقليد ؟ طبعاً انه لا يختص بالعنصر العقلي ، وهو أشرف أقسام الطبيعة ، بل يختص بعنصر أدنى منه ، هو أبداً على استعداد للإنسحاب أمام المصيبة . ويكثر فيه التغير والقلق فيتسع فيه أمامهما ميدان التقليد . لأن الخلق الرصين الهادىء قلما يبدى ميلاً إلى التقليد الشعري . ولا يعرف قدراً لتعب التقليد ، ولا يقدره الناس الذين اعتاد الشعراء المثول لديهم بأشعارهم

والطامة الكبرى ان الشعر يصغر النفس لأنه يجرنا إلى الشعور العميق بآلام الآخرين فتضعف عزائمنا ونقعد عن حمل أحمالنا : ولذا كنا ملزمين رغم إرادتنا ، أن نضع القانون القائل : يباح من الشعر فقط تسابيح الآلهة ، وتقاريظ كبراء الرجال ، والأعمال الشريفة ؛ لأن الصلاح ليس أمراً سهلاً ، وعلينا حتماً تجنب كلما يعارض نموًنا فى الفضيلة

ويختم الموضوع بتقدم سقراط إلى البحث في جزاء الفضيلة ، الذى يزداد زيادة لا حدّ لها باعتبار خلود النفس ، الذى تبرهن على صحته برهاناً مختصراً لكل شيء آفة خاصّة او داء يحلّ به فيفضي إلى دماره . فالعمى يتلف البصر ، والعفن يفسد القمح ، والسوس يعطل الخشب . أما داء النفس العضال فهو التعدي ، والفجور ، والجبانة ، والجهل ، أفتفني هذه الأدواء النفس ؟ . كلاّ . فإن تلك الأدواء لا يمكنها ان تفني النفس فى « الحال » كما يقتل الداء العضال الجسد ، ولكنها تكون فى « الحال » سبب إعدام القاتل ، بحكم الآخرين ، وهو شيء آخر غير فناء النفس . وإذا لم يقتل الشر النفس فلا شيء آخر يقتلها ، ولذا فالنفس خالدة

وإذ قد اكتفينا بأن العدالة هى في حد ذاتها خير جزاء العادل ، فيحسن بنا ان نعتبر الأمجاد والأرباح التى تسبغها عليه الآلهة والناس . لأننا لسنا نرتاب فى ان الآلهة تحبه ، وان ضروب العناية متجهة إلى خيره ، ولو ظهر انها مناقضة ذلك . وكثير من الناس يحبونه ويكرمونه فى أواخر حياته ، إذا لم يكن قبل ذلك

وأخيراً ، كل أنواع الجزاء والمكافأة المذكورة هى لا شيء إذا قيست بما أعد للعادل من الجزاء بعد موته . ولكي يوضح سقراط ذلك أورد أسطورة آرين ارمينيوس ، وبهذه القصة تختم الجمهورية

متن الكتاب

٥٩٥ سقراط : ينبغي لي ان أقول ، وأنا مدفوع بتنوّع موضوعات التفكر ، إني أعتقد بأننا كنا مصيبين فى الخطط التى رسمناها لتنظيم الدولة . ويزداد هذا الإقتناع فيّ حينما أفكر بقوانيننا الشعرية ع : — وما هى طبيعتها ؟

س : — ان لا يباح فرع الشعر التقليدي في حال من الأحوال ، وقد صارت مسألة خطر الشعر خطراً تامًّا أوضح من ذي قبل ، بعد ان حددنا أقسام النفس

غ . — أوضح ما تعني

اضرار الشعر التقليدي

س : أؤكد انك لن تشكونى لناظمى المآسي ، وكل جمهور المقلّدين ، فلا أخشي أن أقول ان الشعر التقليدي قاطبة مضر بإفهام سامعيه ، ولا سيما الذين ليس لهم علاج شاف مبنيّ على معرفة طبيعة الشعر معرفة حقيقية غ : — وما هو مضمون كلامك ؟

الحق فوق المجاملات

س : — يجب أن أصرّح بفكري ، رغمًا عن احترامى هوميروس ، الذى أحسبه منذ حداثتي ، أمير ناظمي المآسي والمراثي الأعظم ، على أنه من الخطأ تضحية الحقيقة إكراماً للإنسان ، لذلك يجب أن أقول قولي غ : — قل من كل بد

س : — فاسمعنى ، بل أجبنى غ : — سل ما تريد

س : — هل تقدر أن تقول لي ما هو التقليد بوجه الاجمال ؟ . فاني حائر فى فهم معناه الحقيقى غ : — أو تتوقع منى أن أفهمه أنا ! ؟

س : — لا غرابة فى ذلك ، فقد يرى حسير البصر ما لا يراه حاد البصر ٥٩٦

غ : — هذا حق . ولكنى لا أجرؤ على القول فى حضرتك ، حتى ولو تجلى الأمر لي . فلاحظهُ أنت لذاتك

س : — أفتريد أن نستأنف بحثنا بالأسلوب الذى اتبعناه فى افتتاح كلامنا ؟ فقد والينا ، عادة ، أن نفرض وجود صورة تشمل خصائص عديدة نطلق عليها اسمًا واحداً ، أتفهمنى أم لا ؟ غ : — أفهمك

س : — فلنتخذ إذاً ما يلائم مسرتك . مثلاً : توجد فرش وخوانات عديدة

غ : مؤكد

س : — على انه بين كل الصور المتعلقة على هذه الأشياء توجد اثنتان ، الواحدة رسم فراش والأخرى رسم خوان غ : — نعم

س : — أو لم نعتد القول ان صانع كل من هذه الأشياء ينظر فيما هو يصنع إلى رسم الفرش والخوانات التى نستعملها ، أو غيرها من الأشياء ؟ إذ لا صانع يصنع الرسم نفسه لأن ذلك محال غ : — حقًا انه محال

س : — فانظر كيف نصف الصانع التالي غ : — إلى من تشير ؟

س : — أشير إلى الصانع الذى يصنع كل الأشياء التى تدخل مملكة العمال

غ : — انك تذكر صانعًا ماهراً

الصانع العجيب

س : — مهلاً ، فتكون لك أسباب كافية لهذا القول . لأنهُ علاوة على كونه يخلق جميع الأحياء ، وهو فى جملتهم ، وسائر الناس ، فانهُ عدا ذلك يصنع كل ما تنبت الأرض ، وكل الاجرام السموية ، وكل الخلائق فى العالمين ، والسماء ، والآلهة

غ : — ما أمهر الصانع الذى تصنعه !

س : — انك لا تصدقنى ، فقل لي — أتظن ان وجود صانع كهذا مستحيل قطعًا ، أو انك تعتقد انَّ وجوده ممكن باعتبار ما ، وباعتبار آخر غير ممكن ؟ أو تجهل انك انت نفسك تستطيع أن تصنع هذه الأشياء المتعددة بطريقة خاصَّة ؟ غ : — وما هى تلك الطريقة ؟

ما تصنعه المرآة

س : — لا شيء من الصعوبة فيها . فانها وسيلة كثيرة التنويع ، وربما كانت أسرع طريقة أن تأخذ مرآة ، وتديرها إلى كل الجهات ، فانك فى الحال ، تصنع الشمس ، وكل ما فى السموات ، والكواكب والأرض ، وتصنع نفسك وغيرك من الناس والحيوانات والنباتات والأواني ، وكل ما ذكر الآن ، بأوفر سرعة

غ : — نعم اننا نستطيع أن نصنع ظاهرات كثيرة ، ولكنها ليست أشياء موجودة حقيقة

س : — أصبت ، وان ملاحظتك فى محلها . وفي رأيي ان الرسّام هو من هذه الطبقة أليس هو منها ؟

ما يصنعه العامل

س : — ولكنى أظنك تقول ان ما يصنعهُ ليس بحقيقيٍّ . مع ذلك فالرسّام أيضاً ، بطريقة من الطرق ، يصنع فراشاً . أتراني مخطئاً بذلك ؟

غ : — أجل . ان الرسام يصنع فراشاً ، ظاهريّاً

٥٩٧

س : — وما قولك فى المنجّد ؟ أفلم تقل الساعة انهُ لم يصنع « الصورة » التى تعين ، حسب بحثنا ، حقيقة الفراش ، انما صنع فراشاً خاصّاً ؟ غ : — بلى ، قد قلت هكذا

الشيء الفرد ظاهرة الحقيقة النوعية

س : — فاذا لم يصنع ما يوجه حقيقة أفلا نقول انهُ لم يصنع شيئاً حقيقيّاً ، بل صنع ما يشبه الحقيقي ولكنه غير حقيقي ؟ وإذا وصف أحد صنع صانع الفراش ، أو صنع غيره من الصنّاع ، بأنهُ حقيقي تامّ ، كان بيانه فى الأمر ، على الأرجح ، غير حقيقي . أليس كذلك ؟

غ : — بلى ، حسب رأى أرباب الخبرة فى هذا البحث

س : — فلا ندهشنّ إذا وجدنا ان أشياء محسوسة كالفراش ، ليست إلا ظلالاً بازاء الحقيقة(١) غ : — حق

س : — أفتريد أن نستخدم هذا الايضاح فى بحثنا فى طبيعة المقلّد الحقيقية ؟

غ : — إذا كنت تريد

الصناع الثلاثة

س : — حسناً ، هنالك ثلاثة أنواع من الفراش . واحد منها يوجد فى طبيعة الأشياء وهذا ، إذا لم أكن مخطئاً ، ننسبهُ إلى صنع الله . وإلا فالى من ننسبه ؟

١ : الله

غ : — لا نقدر أن ننسبه إلى غيره تعالى

٢ : الصانع

س : — والثانى عمله المنجد غ : — نعم

٣ : المصور

س : — والثالث هو صنع الرسّام غ : — ليكن كذلك

س : — فهنالك ثلاثة أنواع من الفرش ، وثلاثة مسيطرين على صنعها — الرسّام ، والمنجّد ، والله غ : — نعم ، ثلاثة

مثل الفرش الاعلى صنع الله

س : — ولا يعلم هل ان الله لم يرد ان يصنع أكثر من فراش واحد ، أو ان هنالك ضرورة حالت دون صنعه أكثر من واحد فى الكون . فهو تعالى على كلا الحالين ، قد عمل فراشاً واحداً فقط ، وهو الفراش الجوهرى التام . ولكن اثنين ، أو أكثر من اثنين ، لم يخلق الله ، ولن يخلق غ : — وكيف ذلك ؟

س : — لأنهُ لو عمل الله اثنين فقط ، فلا مندوحة عن ظهور فراش مفرد يدخل

---

(١) هذا رأس نبع الخلاف المشهور بين الاسميين والحقيقيين

شكله في الفراشين كل في دوره . « وهذا » يكون « الفراش » الجوهري التام لا الإثنان

غ : — انك مصيب

س : — فالله ، وهو عالم بذلك أراد على ما أظن أن يكون صانعًا حقيقيًّا للفراش الحقيقي ، لا صانعًا غير محدود لفراش غير محدود ، لذلك خلق فراشًا مفرداً غ : — هكذا يظهر

الله يصنع حقيقة النوع

س : — أفتستحسن أن ندعوه ، مثلاً ، خالق هذا الشيء ؟

غ : — نعم ، إنما هو حق ان نفعل هكذا . حيث أنك ترى لعمل الخلق صنع هذا وكل شيء آخر

س : — وماذا تقول في أمر المنجد ؟ ألا نصفه كمستنبط الفراش ؟ غ : — بلى

س : — أفنتقدم إلى القول أن الرسّام هو أيضًا مستنبط وصانع الأداة نفسها ؟

غ : — مؤكداً ، لا

س : — فما هو ، في حسبانك ، بالنسبة إلى الفراش ؟

الرسام المقلد

غ : — في رأيي أننا ندعوه مقلداً للشيء الذي صنعه الإثنان السابق ذكرهما

س : — حسنًا أفتدعوه مقلداً ، لأنه صنع ما نقل عن أصله مرتين ؟

غ : — نعم ، تمامًا هكذا

س : — ولما كان ناظم المأساة مقلداً ، أمكننا ان تكهن كذلك انه - مع كل المقلدين ، الثالث في انحداره من الملك ومن الحقيقة غ : — هكذا يظهر

س : — فنحن إذاً متفقون في طبيعة المقلد فأجب عن مسألة واحدة في الرسّام : هل تظن أنه يجرب ان يقلد الشيء الأصلي المخلوق ، او صنع الصانع ؟ غ : — يقلد الأخير

٥٩٨

س : — او يقلدها على ما هي في ذاتها ، او كما تظهر ؟ حدد ذلك بالضبط

غ : — ماذا تعني ؟

وحدة الذاتية بمختلف الظاهر

س : — أعني هذا : أتختلف ذاتية الفراش ، سواء رؤي من جانبه ، أو من مقدمه ، أو من جهة أخرى ؟ أم يبقى على ما هو ولو اختلف ظاهراً ؟ وعلى هذا القياس بقية الأشياء ؟

غ : — الأخير هو البيان الحقيقي ، يختلف باختلاف النظر إليه أما هو فلا يتغيّر

س : — فهذه هي النقطة التي أود اعتبارها . إلى أي الأمرين يرمي الرسم ؟ ألى تقليد الطبيعة الحقيقية للأشياء الحقيقية ، أم الطبيعة الظاهرة للظاهرات ؟ وبعبارة أخرى ، أتقليد الخيال هو أم تقليد الحقيقة ؟ غ : — تقليد الأول

س : — ففن التقليد ، في رأيي ، قد طلّق الحقيقة بتاتًا . وظاهر انه يؤثر كثيراً ، لأنه يتناول قسماً صغيراً من امتداد الموضوع ، وذلك القسم غير مهمّ ، مثلاً : نقول أن الرسّام يرسم لنا إسكافًا ، أو نجاراً ، او أي صانع آخر ، دون ان يعرف شيئًا عن صفتهم . ومع ذلك الجهل فلنفرض انه رسّام ماهر ، فإذا رسم نجاراً وعرض رسمه عن بعد فانه يخدع

التقليد مطلق الحقيقة

الأولاد والسذّج ، فيتوهمون أنهم يرون نجاراً حقيقيًّا . غ : — لا شك في ذلك

س : — وليكن ذلك كيفما يكون ، فاني أخبرك يا صديقي ، كيف يجب أن نشعر ، في كل الأحوال من هذا القبيل ، فحين يخبرنا أحد انهُ التقى برجل بارع في كل صنعة ، وقد جمع في شخصه كل المعارف التي يمتلكها آحاد الناس ، إلى درجة لا يفوقه فيها رجل آخر ، فيجب أن نجيب مخبرنا انهُ إنسان ساذج ، وأنهُ ، ولابد ، قد التقى بمشعوذ مقلد خدعهُ فصار يعتقد فيه العلم بكل شيء ، لأنهُ لا يقدر ان يميز بين العلم ، والجهل ، والتقليد

غ : — محقق أعظم تحقيق

الرواية ظل وشبح

س : — أفلا يجب أن نتقدم إلى النظر في المأساة وزعيمها هوميروس ؟ لأننا سمعنا عن الناس ان الشعراء الروائيين يعرفون كل شيء إنساني يتعلق بالفضيلة والرذيلة ، بل والأشياء الإلهية أيضًا ، علاوة على معرفتهم كل الفنون . لأنهم يقولون : لكي يجيد الشاعر نظمهُ يجب عليه ان يلم بموضوعه وإلاَّ كان عاجزاً في قرض الشعر ، فينبغي لنا أن نبحث لنرى أمجرَّد مقلدين كان الشعراء الذين التقوا بهؤلاء الناس ، الذين لدى وقوفهم على رواياتهم خدعوا ، لأنهم لما رأوا تمثيلها عجزوا عن ان يدركوا انها نسخة ثالثة عن الحقيقة وأنها صنعت بسهولة بأيدي أناس لا يعرفون الحقيقة · لأنها أشباح لا حقائق ؟ — أهذه هي الحالة مع القائلين — أم أنهم أصابوا المرمى في قولهم ، ان الشعراء المجيدين يعرفون حقيقة الموضوعات التي يرى الجمهور أنهم أجادوها ؟ غ : — نعم يجب ان نفحص الأمر من كل بد

٥٩٩

القادر لا يقلد

س : — أفتظن ان الإنسان إذا استطاع أن يصنع الأصل وما نسخ عنهُ ، يقف نفسه على عمل النسخ باهتمام ، ويجعل ذلك غرض حياته بداعي انهُ عالم بأشرف الأغراض ؟

غ : — لا أظن

س : — بل لو أنهُ كان فاهماً طبيعة الأشياء التي يقلدها لوجّه نحو الأعمال الحقيقية جهداً أعظم جدّاً من جهده في تقليدها ، ولسعى ليترك بعده آثاراً كثيرة جميلة تخليداً لذكره ، مؤثراً أن يكون ممدوحًا على ان يكون مادحًا

غ : — أوافقك ، لأن المجد والنفع أكثر جدًّا في الحال الواحد منه في الآخر

أدلة الحقيقة المحسوسة ثقيلة على المقلدين

س : — فلنضرب صفحًا عن إيضاح الأشياء العادية . ولا نسأل هوميروس ، أو غيره من الشعراء إذا كان أحد الشعراء الأقدمين ، أو المحدثين ، قد برع في الطب غير مكتف بتقليد لهجة الأطباء فقط ، فنسألهم إيضاحًا : لماذا ليس لأحدهم شهرة اسكولابيوس في شفاء الأمراض ، ولم يخلّفوا مدرسة من الأطباء كما خلّف هو ؟ ولا نسألهم عن سائر الفنون بل نحذفها من لائحة البحث . ولكننا نسألهم عن أعظم الأشياء وأجملها ، وهي التي حاول هوميروس ان يصفها ، كالحروب ، وتنظيم الحملات الحربية ، وإدارة المدن ، وتهذيب الناس . فمن العدل ان نناقشه قائلين : — ياعزيزي هوميروس ، ان كنت حقًّا في الدرجة الثانية من

الحقيقة لا فى الثالثة ، باعتبار الفضيلة ، وإذا كنت صانع الحقيقة لا الخيال كما حدّدنا المقلّد ، وإذا كنت قادراً أن تجعل الإنسان أفضل أو أردأ فى الشئون الصحية والجمهوريّة ، إذا كنت كذلك — فاخبرنا أى المدن مدينةٌ لك بحسن نظامها ، كما صارت لقدمونا بفضل ليكورغس ، وكما صارت مدن غيرها كبيرة وصغيرة أفضل مما كانت بفضل غيره من الشارعين ؟ فأى المدن تنسب إليك هذه الفوائد التى استخرجتها من مجموعة الشرائع الحسنة ؟ فان ايطاليا وصقلية تقرّان بفضل خاروندااس ، ونحن نقر بفضل صولون ، فأية دولة تقرّ بفضلك ؟ أفيقدر أن يذكر دولة واحدة من هذا القبيل ؟

غ : — لا أظن . أقلّه اننا لم نسمع ذلك ، حتى ، ولا من الشعراء الذين يفتخرون بأنهم خلفاؤه

٦٠٠ س : — فهل ذكر التاريخ حرباً فى عهد هوميروس انتهت نهاية سعيدة بقيادته أو بمشورته ؟

غ : — كلاّ ، ولا واحدة

الرجال بآثارها العملية

س : — حسنًا ، فهل قيل انهُ استنبط طائفةً من الاختراعات الصحيحة ، كطاليس المليطي ، وااناخرسيس السكيثي ، تتعلّق بالفنون المفيدة أو بأشياء عملية أخرى ، تثبت انه كان رجلاً حكيماً فى أعمال الحياة العملية ؟ غ : — لم يروَ عنهُ شيء من هذا النوع

مكانة فيثاغورس لا بدايتها هوميروس

س : — حسنًا ، فهل رُوي عن هوميروس ، وان لم يكن رجلاً عموميًّا ، انهُ قام فى حياته بتهذيب فئة خاصّة من التلاميذ ، كانوا يسرون بالاجتماع معهُ ، وقد أورثوا الذراري نسق حياة هومريًّا ، كما كان فيثاغورس محبوبًا حبًّا خارقًا كعشير وكرفيق ، عدا كون خلفائه ، الذين ما زالوا يطلقون اسمه على نسق حياتهم ، هم شخصيات بارزة فى الدنيا ؟

غ : — لا يا سقراط لم يُروَ عنه شيء من هذا النوع . وإذا صحت الروايات عن هوميروس فبالحقيقة ان تهذيب صديقه كريوفيلس كان أمراً أكثر هزءًا من اسمه . لأنه بلغنا انهُ حتى كريوفيلس كان يجهل هوميروس(١) وهو فى عصره

لم يكن لهوميروس وهسيودس رفعة فى الحياة

س : — لا شك فى صحة الرواية . ولكن أتظن يا غلوكون ، انه لو كان هوميروس قادراً أن يهذب الناس ، ويزيدهم فضلاً بقدرته التقليدية ، وبمعرفته الموضوعات المشار إليها أفكان يعجز عن جمع جمهورٍ من المعجبين به يلتفون حوله ، كما فعل بروتاغوراس الابديري ، وبروديكس الخيوسي ، وكثيرون غيرهما ، ممن استطاعوا كما رأينا ، أن يقنعوا معاصريهم بالعلاقات الخاصة بهم ، انهم لم يتمكنوا من ادارة بيوتهم ومدينتهم لولا انهم « هم » ناظروا

---

(١) ان الكلمة اليونانية « اب انطون ايكينون » ترجمتها « في حياة ذلك الانسان نفسه » يريد به « هوميروس » ولكن ذلك يعسر ان يصح . فالارجح انه يراد بها كريوفيلس وتكون ترجمة العبارة الصحيحة « فى حياة كريوفيلس نفسه » اى ان الضمير في « عصره » يرجع الى كريوفيلس .

(ملخص عن دافيس وفوغان)

على تهذيبهم . وجرياً على الحكمة البادية في ذلك ضمنت لهؤلاء الأساتذة محبّة لا حدّ لها ، حتى حملهم رفقاؤهم على الأكتاف : — أفيعقل أنهُ لو كان هوميروس وهسيودس قادرين أن يرقيا الناس في معارج الفضيلة ، — أن يسمح معاصروهما لهما أن يجولا ينشدان أشعارهما ؟ أفما كانوا يحرصون عليهما ولا حرصهم على الذهب ! ويحملونهما على الاقامة معهم ؟ وإذا عجزوا عن اقناعهما أفما كانوا يتبعونهما في كل مكان كتلامذة ليحصلوا على التهذيب الكافي ؟ غ : — لا أشك في انك مصيب يا سقراط

الحقيقة فوق كل تقليد

س : — أفلا نستنتج مما تقدّم ان جميع الشعراء ، من هوميروس وصاعداً ، مقلّدون نسخوا صوراً خيالية في كل ما نظموا ، ومن جملة ذلك نظمهم في الفضيلة ، فلم يلمسوا الحقيقة ؟ وكما قلنا الساعة ألا يرسم الرسّام ، وهو لا يعرف شيئاً عن السكافة ، رسماً يحمل الجهلاء أمثاله على الظن انهُ اسكاف ، لأنهم يحصرون نظرهم في الأشكال والألوان ؟

٦٠١

غ : — مؤكد انهُ يصنع ذلك

أثر التقليد متلبساً بأثواب الفن

س : — فعلى الطريقة نفسها أرى الشاعر كالرسام ، يضع طائفة من الألوان في شكل أفعال وأسماء ، ليمثل حِرَفاً لا يعرف منها إلا ما يمكّنه من تقليدها . فاذا قرض الشعر وزناً وقافية واتّساقاً ، واصفاً بهِ السكافة مثلاً ، أو القيادة ، أو أي موضوع كان ، أعجب الجاهلون ، أمثاله ، به لاعتمادهم في أحكامهم صورةَ البيان : فتخلب ألبابهم التطبيقات الموسيقية المارّ ذكرها . والفتنة بهذه التطبيقات الموسيقية فعالة جدًّا بطبيعتها ، لأني أظن انك تعرف المظهر الحقير الذي يظهر به الشعر إذا تجرّد عن صيغته الموسيقية ، وكان عارياً من كل ثوب . ولا شك في أنك قد لاحظت ذلك غ : — نعم لاحظته

الشعر العاري من الحقيقة

س : — أفلا يذكّر الإنسان حينذاك بالهيئة الذابلة الظاهرة في محيا من كانوا فيما سبق ذوي رونق من غير أن يكونوا ذوي جمال ، بعدما فارقهم رونقهم ؟ غ : — حتماً هكذا

س : — فدعني أسألك فحص النقطة التالية . ان صانع الرسم ، أو المقلّد حسب رأينا ، يدرك الظاهر دون الحقيقة أليس كذلك ؟ غ : — بلى

س : — فلا نترك الموضوع موضحاً بعض الايضاح ، بل علينا أن نفحصه فحصاً وافياً

غ : — تقدّم

س : — يرسم الرسّام ، حسب بياننا ، لجاماً وعناناً ، ألا يرسم ؟ غ : — بلا

س : — ولكن الزمام والعنان يصنعهما السروجي والحداد ، ألا يصنعانهما ؟

غ : — بالتأكيد

س : — أفيفهم الرسام كيف يجب أن يكون شكل العنان واللجام ، أو ان صانعيهما أنفسهما ، السروجي والحداد ، لا يفهمان أمرهما تمام الفهم ، كما يفهمهُ الفارس الذي يعرف كيف يستعملهما ؟ غ : — انه بيان حقيقي في هذا الموضوع

س : — أفلا يصدق هذا الحكم على كل شئ غ : — وماذا تعنى ؟

الفنون الثلاثة في كل أمر

س : — ألا يمكننا القول أن فى كل شئ على حدة ثلاثة فنون خاصة ؟ مجال الفن الأول استعماله ، والفن الثاني صنعه ، والثالث تقليده غ : — بلى يمكننا

غرض الاشياء استعمالها

س : — أفليست فضيلة وجمال وكمال كل الأدوات المصنوعة ، أو المخلوقات الحية ، تستعمل طبقًا للغاية المقصودة من صنعها أو من تركيبها الطبيعيّ ؟ غ : — حقا هي كذلك

الصانع منقاد لرب الفن

س : — ولذلك يكون من يستعمل شيئًا أعرف العارفين به . ويستطيع أن يخبر صانعه بهذه الواسطة ، هل أجاد صنعه أو أساء . مثلاً ان النافخ فى الناى يخبر صانعها عن النايات التى يستعملها فى فنه ويرشده الى كيف يصنعها . فيخضع هذا لارشاده فى صنعها

غ : — معلوم ذلك

س : — فللأول معرفة تامة بالناى الجيدة ، والردية يعتمدها فى طريقة صنعها ، ويجود على صانعها بارشاده ، أليس هذا هو الواقع ؟ غ : — بلى هذا هو

٦٠٢

س : — فصانع الآلة ، يستمد رأيهُ فى حسنها أو قبحها ، ممن لهُ دراية تامة فى الموضوع ، وهو ملوم بالاصغاء الى ارشاده . وأما من يستعملها فعنده العلم الصحيح فى الأمر

غ : — بالتمام هكذا

ليس للمقلد الا الكلام

س : — فأى الأمرين يمتلك المقلد ؟ أيستطيع أن يعرف معرفة فنية ، ناشئة عن الاستعمال ، هل الاشياء التى يصنعها جيدة أو ردية أو لا ؟ أم هل لهُ رأى سديد ، ناتج عن علاقته الضرورية بالخبير بها ، ولارشاده يخضع فى الأسلوب اللازم لصنعها ؟

غ : — لا هذا ولا ذاك

س : — فلا يعرف المقلد علمًا ، ولا يمتلك رأيًا صحيحًا ، فى ما يقلده ، باعتبار جماله أو قبحه ؟ غ : — يظهر انهُ لا يعرف ولا يمتلك

س : — فالشاعر المقلّد حكيم جدًّا فى ما يتعاطاهُ غ : — ليس تامًّا

س : — فهو يسير فى تقليده بالرغم من جهله ما يقوم به جمال الشئ أو قبحه جهلاً تامًّا . ولكنهُ حسب الظاهر ، يقلد أوصاف الجمال المبهمة الرائجة عند جمهور الأميين

غ : — نعم ، وماذا يمكنهُ أن ينسخ أيضًا ؟

جهل المقلد

س : — فالظاهر اننا اتفقنا كل الاتفاق فى أن المقلد لا يعرف شيئًا مهمًّا عمَّا يقلده . فالتقليد عندهُ مجرَّد لهو وتسلية لا عملاً جديًّا . وان الذين نظموا أشعار المآسى فى الاراجيز والأدوار القصصية ، على الأرجح ، كلهم بلا استثناء مقلدون

غ : — تمامًا هكذا

س : — فقل لى بحق السماء أليس ما يتناوله فن التقليد هو منسوخ عن أصله مرتين ؟ أجب غ : — نعم منسوخ

س : — فكيف تصف قسم الطبيعة الانسانية الذى تمارس بهِ القوة التى تملكها ؟

غ : — أوضح ما تعنيه

س : — سأوضح . أرى أن الأشياء من حجم واحد تظهر لنا مختلفة حجماً ، باعتبار بعدها عن عيوننا غ : — انها تظهر هكذا

لا يمكن الاعتماد على مجرد الظاهرات

س : — وان أشياء تظهر عوجاء فى الماء ، ومستقيمة إذا أخرجت من الماء . وتظهر الأشياء نفسها محدَّبة أو مقعرة ، بسبب الخطإ اللونى الذى تتعرَّض له العين . وواضح ان فى النفس اضطرابًا تامًّا من هذا النوع . فهذا هو نقصنا الطبيعى ، الذى يهاجمه فن الرسم بكل نوع من السحر ، كما فى الشعوذة وفى كثير من المخترعات من هذا القبيل

غ : — حقيق

اهمية المقاييس

س : — أو لا تظهر أعمال القياس والعد والوزن أعظم مساعد لنا فى دفع هذه الأوهام ، لنتغلّب على قوة الأوهام الغامضة فى درجات الحجم والعدّ والوزن ، وضبط المبدإ الذى بهِ نعدّ ونقيس ونزن ؟ غ : — بلا شك

س : — وهذا أيضاً عمل القسم الذهنى غ : — حقًّا انهُ هكذا

تناقض الظاهرات

س : — فحين يخبرنا هذا العنصر ، بعد القياس المتوالى ، ان هذا أعظم من ذلك ، أو أنقص ، أو مساوٍ لهُ ، يظهر لنا فى الوقت نفسهِ ، ان ذلك خلاف الواقع

غ : — نعم

س : — أفلم نقل انهُ لا يمكن الشخص الواحد ، أن يقبل آراء متناقضة ، فى أشياء واحدة ، فى وقت واحد ؟ غ : — بلى ، وكنا مصيبين فى ذلك

٦٠٣

س : — فيظهر لنا ان قسم النفس الذى يحكم ضد القياس لا يمكن أن يكون القسم الحاكم حسب القياس ، نفسه غ : — أكيد لا يمكن

س : — فعلم النفس الذى يعتمد القياس والعدّ هو أفضل أقسام النفس

غ : — أفضلها دون شك

س : — فما ضاد ذلك القسم فهو من العناصر الدُّنيا فى طبيعتنا غ : — بالضرورة

قصور التقليد

س : — هذه هى النقطة التى رمت البتّ فيها لما قلت ان الرسم ، وكل فن التقليد بوجه عام ، يتناول ما بعد جدًّا عن الحقيقة . وهو يصحب بالأكثر ، القسم الأبعد فينا عن الحكمة ، فهى حظيّتهُ وصديقتهُ لغرض غير صحيّ ولا حقيقيّ غ : بلا شك

س : — ففن التقليد حظيّة لا شأن لها ، لصديق لا شأن لهُ ، والد جنين لا شأن له

غ : — هكذا يظهر

س : — أفنحصر ذلك فى التقليد الذى يتمثّل للعين ، أو نوسعهُ الى ما يتمثّل للأذن ، الذى نسميهِ شعراً ؟ غ : — ربما وسعهُ

التقليد الشعري والتصويري

س : — فلا نعلق ثقتنا بالبيّنة الممكن استمدادها من فن الرسم ، بل علينا أن نوسع البحث إلى القسم العقلي ، الذى يقارنهُ فن التقليد الشعري ، لنرى هل هو صالح أو عديم القيمة غ : — نعم ، يجب أن نفعل ذلك

س — : فلنبيّن الأمر هكذا . ان فن التقليد ، إذا كنا مصيبين ، يمثل الرجال ، يمارسون عملاً اختياريًا او اضطراريًا والذين يحسبون أنفسهم ، باعتبار نتائج أعمالهم ، أغنياء أو فقراء ، والذين هم فى وسط هذه الأحوال كلها ، راغبون فى الفرح أو فى الحزن أيوجد ما يضاف إلى ذلك ؟ غ : — لا . لا يوجد

العوامل المتناقضة فى النفس

س : — فهل حالة الإنسان فى مختلف الأحوال متّسقة ؟ أو أنهُ فى ضغينة وحرب مع نفسهِ فى أعماله ، كما كان فى ضغينة ، وفيه آراء متضادّة فى الوقت الواحد ، فى موضوعات واحدة ، ممّا يتعلّق ببصره ؟ على انني أتذكّر انهُ لا حاجة إلى اتفاقنا فى هذا الموضوع الآن . لأننا قد فصلنا فى هذا الأمر فصلاً كافيًا فى المحادثات الماضية ، التى فيها سلمنا بأن أنفسنا مملوءة بما لا يحصي من المتناقضات فى وقت واحد غ : — وكنا مصيبين

س : — نعم كنا مصيبين . على أننا حذفنا شيئًا ، يجب أن نستأنف البحث فيه

غ : — وماهو ؟

س : — أعتقد أننا قلنا فى ذلك الوقت ، أن الرجل الصالح ، اذا حلت بهِ نائبة ، كفقد ابن ، أو غير ذلك مما يحسب كارثة عظيمة ، كان أكثر احتمالاً لها من غيره

غ : — مؤكد أنهُ يحتمل

س : — أما الآن فلنوسع دائرة الفحص . أفلا يشعر بحزن قطعًا ، أو أنهُ ، حال كون ذلك مستحيلاً ، إنما يراعى نوعًا ملطّفًا للحزن ؟

غ : — الأخير هو البيان الأصح

٦٠٤

الحزن وآداب الاجتماع

س : — دعني أسألك سؤالاً واحداً عنهُ . هل تظن أنهُ يحارب حزنه ، ويحاول أقصاءه عنهُ ، حين نظر أقرانه اليهِ ، أكثر منهُ حين يكون وحده فى عزلة ؟

غ : — أظن انهُ يحارب حزنه حين يكون منظوراً

س : — وأظن أنهُ حين يكون وحده يجرؤ على قول كثير مما يخجل ان يقوله على مسمع شخص آخر ، اويعمل كثيراً مما لا يريد ان يراه أي إنسان غ : — تماماً هكذا

س : — فالذي يستحثّه على إقصاء حزنهِ هو العقل والشريعة ، أليس كذلك ؟ أما الدافع الى إظهاره فهو الحزن نفسه غ : — حقيق

س : — ومتى كان فى الإنسان جاذبان متناقضان فيما يتعلق بشيء واحد ، فى وقت واحد ، فبالضرورة هو إنسان مزدوج ، (أي أنهُ اثنان) غ : — مؤكد انهُ مزدوج

س : — أفلا يميل أحد قسميه لإطاعة إرشادات الشريعة ؟

غ : — وما هي تلك الإرشادات ؟

أسباب اقصاء الحزن

س : — أعتقد أن الشريعة تعلمهُ ان يلتزم السكينة فى المصائب ، وأن يقصى عنهُ كل تذمر . لأنهُ لا يمكننا أن نقدُر ما فى هذه الحادثات من الخير أو الشر . ولأن عدم الصبر لا يفيدنا شيئًا . ولأن لا شيء فى المصالح البشرية يستحق قلقًا خطيراً . على أن الحزن يحول دون ذلك التصرف الذى يجب علينا اختياره فى ملماتنا دون ما تأخز غ : — إلى ماذا تشير؟

موقفنا لدى النوائب

س : — واجبنا أن نتداول الأمور الواقعة ، ونرتب أعمالنا بأزاء الطارئ فى أفضل طريقة يقرها العقل ، كلاعب النرد الذى ينقل حجارته طبقًا للزهر الذى رماه . وبدلا من أن يضمّ الأحداث القسم المجروح من جسمهم لدى سقوطهم على الأرض ، والاشتغال بالبكاء ، يلزم ان نعوّد النفس أن تبادر إلى أسباب العلاج وشفاء القسم المريض ، ونضع حدًّا للندب بمساعدة الطب غ : — حقًّا أن ذلك أفضل تصرُّف فى النائبات

س : — فإذاً ، القسم الأفضل فينا يرتضي بأن يقوده حكم العقل

غ : — واضح أنهُ يرتضي

عمل القسم الافضل

س : — ومن الناحية الأخرى ، ألا نؤكد ان العنصر الذى يستنهضنا للإفتكار فى المصاب ، والحزن لحاولهِ والذي فيهِ جوع للندب والعويل لا يُسد هو جسم جهول كسول خليف الجبانة ؟ غ : — حقيق أننا نقول هكذا

الخلق الحزون والخلق الحكيم ٦٠٥

س : — وإذ الحال كذلك ، فالخلق الحزون ، يقدّم للتقليد أدوات لا تحصي . أما الخلق الحكيم الهادي ، فهو فى حال واحدة غير متغيرة ، فلا يهون تقليده . وإذا قُلد فلا يسهل فهمه ، ولا سيما حين يتجمع كل أنواع الناس فى المسرح ، لأن الناس ، إذا لم أكن مخطئًا ، يرغبون فى ان يشهدوا تمثيل حال غير حالهم غ : — من كل بد

مجال المقلد

س : — فواضح ان الشاعر المقلد ، بطبيعة الحال ، لا دخل لهُ فى خلق النفس الهادئ . ولا ترمى حكمته إلى إرضائهِ ، إذا رام إحراز الشهرة العالمية . إنما ينحصر عمله بالخلق الحزون المتقلب لأنهُ يسهل عليهِ تقليدهُ غ : — ذلك واضح

المقلد حليف القسم الادني في النفس

س : — فنحن أبرياء ، فى وضعنا الشاعر مع الرسام ، فانهُ يشبههُ بايراده التافهات ، إذا قيست بمقياس الحقيقة . وهو يماثلهُ فى أنهُ يواصل قسم النفس الذى يشبههُ ، دون القسم الأفضل . وإذ الحال هكذا ، فنحن أبرياء إذا حظرنا دخوله الدولة الراغبة أن تتمتع بنظام حسن ، لأنهُ يثير قسم النفس الحقير ويقيتهُ ويشددهُ ، فيهدم القسم الأفضل . كإنسان يشدد سواعد أسافل الدولة ويقلدهم السلطة العليا ، وفى الوقت نفسه يقضي على الفئة المهذبة . فنقول جزئيًا على الطريقة نفسها حتمًا ان الشاعر المقلد يغرس نظامًا شريراً فى نفس كل فرد ، بإرضائهِ القسم العديم الحس ، عوض تمييزه العظيم من الحقير ، فيعتبر الشيء تارةً عظيماً وتارة صغيراً ، ويلفق أوهامًا هي على بعد شاسع عن الحقيقة غ : — تمامًا هكذا

أعظم جرائم الشعر التقليدي

س : — بقي أننا لم نورد أعظم حجة في شكايتنا ، لأن ذلك الشعر يفسد أكثر الناس ، حتى الصالحين . وذلك في مذهبي جريمة كبرى

غ : — لا شك في ذلك إذا تبرهنت الدعوى

١ : اطلاق العنان في الحزن

س : — فاصغ ثم احكم . فاني أعتقد ان أفضلنا لدى سمعه أبيات هوميروس ، أو غيره من ناظمي المآسي ، يمثل بهابطلاً متألماً ، يفيض في الندب ، أو يمثل بعض أشخاص يقرعون صدورهم ، و يندبون شقاءهم بالأغاني ، نسر ، كما تعلم ونستسلم للعامل ، شاعرين مع المصاب مطرئين الكاتب القادر أن يوافي عقولنا بذلك كشاعر مجيد غ : — اعرف ذلك

ضبط النفس رجولة

س : — ولكن حين يصيب الحزن أحدنا ، فانك عالم أننا نفتخر بسلوكنا غير هذا المسلك . أي نفتخر بكوننا قادرين أن نتحمله بهدوء ، لأن هذا التصرف ، في رأيي ، رجولة ، أما التصرف الذي مدحناه سابقاً فنسوي غ : — إني على بينة من الأمر

مدح العيب عيب

س : — أفي محله ذلك المدح ؟ اعني أمن الصواب ان يسر المرء و يطرئ عوض الاستياء ، حين يرى إنساناً يعمل ما يستوجب الخجل والملام ؟

غ : — كلا . ان ذلك لا يظهر معقولاً

٦٠٦

س : — ليس معقولاً ، إذا اعتبرته اعتباراً آخر غ : — اى اعتبار ؟

تحصل الصفات بالعدوى والعادة

س : — إذا اعتبرت ان القسم الذى نضبطه لدى حلول ملمة بنا ، والذى يتوق إلى الاسترسال في النحيب والعويل ، لأنه يميل إلى ذلك بطبيعته — هو القسم الذى يغذيه الشعراء سداً لشوقه ، فيطرب لهذه الأوصاف . بينما قسمنا الأفضل طبعاً يقصر في ضبط القسم المتذمر ، لأنه لم يحصل على التهذيب اللازم عقلاً وعادة . لأنه شهد آلام الآخرين ، ولأنه يظن أنه لا يعيبه مدح من يحسبه صالحاً ، وإن كان حزنه في غير وقته . والواقع انه يرى السرور زائداً اشراقاً ، ولا يأذن أن يسلب ذلك السرور بازدرائه الشعر إجمالاً . لأنه قد أتيح لقليلين ، في ما اعلم ، ان يعلموا ان تصرف الآخرين يؤثر في تصرفنا ، فلا يهون علينا ضبط النفس في أحزاننا ، وقد أطلقنا لها العنان في التمتع بأحزان الآخرين غ : — ذلك عين الصواب

٢ : في المزاح

س : — أو لا يتطبق هذا الحكم على المزاح ، الذى تخجل منه ؟ ولكنك تسر به كثيراً في التمثيل ، وفي الحياة الخاصة ، ولا تحسبه غير أدبي — فتفعل هنا ما فعلت في أمر الشفقة ، لأنك في حادث كهذا تسلم العنان إلى العنصر الذى تضبطه ، في ما يتعلق بك ، حين يميل إلى الاسترسال في الضحك ، خوفاً من نسبة المجون إليك . وإذا قويته ونفخت فيه روحاً ، فانك تقاد غالباً ، في ما يختص بك ، بدون شعور وانتباه إلى اختيار خلق شاعر المهزلة

غ : — غاية في الصحة

٣ : في الانفعالات النفسانية

س : — وفي أمر الحب والغضب ، وكل الانفعالات العقلية ، ألا يفعل الشعر التقليدى الفعل نفسه في الرغبة والحزن والسرور ، إذا صحبناها في كل عمل ؟ لأنه يروى العواطف

التى يجب أن تجفّ عطشاً . وينعشها ويحكّمها فينا وكان يجب أن نتحكم فيها ، إذا رمنا أن نكون أسعد وأرقى بدل كوننا أدنى وأشقى غ : — لا يمكننى الانكار

٦٠٧ س : — وحين تجتمع يا غلوكون بمادحى هوميروس كمهذب اليونان ، وانهُ يستحق أن يقرأ كمرشد فى إدارة المصالح الانسانية ، وان على المرء أن يرتب مجرى حياته بتمامها حسب إرشاد الشاعر . فعليها أن تحييهم تحية حب كأناس أفاضل ، بلغوا حدود استعدادهم الفطرى ، وتسلّم معهم ان هوميروس أول شعراء المآسى وأعظمهم . ولكن لا تنس أن الشعر لا يباح فى الدولة إلا فى تسبيح الله ومدح الصلاح . أما إذا عزمت أن تبيح تعظيم عرائس الشعر الغنائى والقصصى ، تحكّم الألم واللذة فى دولتك عوض تحكُّم الشريعة والمبادىء الأكثر انطباقاً على حكم الذهن باجماع الآراء فى كل العصور

الشعر مختص بالاصلاح

غ : — ذلك حق صراح

س : — وإذ عدنا إلى موضوع الشعر ، فليكن هذا الدفاع مبيّناً اصابة حكمنا السالف ، باقصائنا عن دولتنا عملاً فيه ما ذكرناه من الميول ، ولأننا بذلك نخضع للعقل . ولئلاّ يرمينا الشعراء بالخشونة والسماجة نبين أن هنالك نزاعاً طويل الأمد بين الشعر وبين الفلسفة . كما ترى فى الأبيات التالية : —

العداء بين الشعراء والفلاسفة

كلبــة تعوى على صاحبها بلا حيـا

وهذا البيت : فياله من مصقع إذا خطب شنشنة الأحمق فيه تُجتَنب

وهذا : متألّه فى حكمه وهو سمير السوقة

وهذا : فيا لفقر القوم لمّا فكّروا عن فطنة

وألوف من الأبيات تبين قديم العداء بين الفريقين . مع ذلك فلنسلّم بأن الشعر الذى يرمى إلى المسرة والتقليد ، إذا أمكن إيراد بينة على لزومه للدولة الحسنة النظام ، فاننا نرحب بعودة الشعر إلى الوطن . لأننا نرغب فى أن نسرّ بالشعر . ولكن خيانة الحقيقة خطية . ألست مصيباً يا صديقى فى ظنى انك تُفتتَن بالشعر ، ولا سيما إذا أمعنت النظر فيه بارشاد هوميروس ؟ غ : — نعم انى أفتتن به افتتاناً شديداً

س : — أفليس من العدالة انقاذ القرار القاضي بنفى الشعر حتى يقدّم دفاعاً مقبولاً ، إما بالشعر الغنائى أو بوسيلة أخرى ؟

غ : — مؤكد انه (عدل)

س : — وأظن اننّا نأذن لأنصاره وأحبائه ، من غير الشعراء ، بالتزام الدفاع عنهُ نثراً نثراً ، فيثبتون ان الشعر مفيد علاوة على كونه ساراً . باعتبا علاقته بالحكومة والحياة الانسانية . ونسمع دفاعهم عن طيبة خاطر . لأنهُ اذا ثبت أن الشعر نافع كما هو سارّ كنا رابحين غ — لا شك فى كوننا رابحين

دفاع الكثيرين عن الشعر

١ - النافع ب - الشعر

س : — والا يا صديقي العزيز ، فيمكننا أن نكتسب درساً من الأشخاص الذين ، وقد عشقوا ، يكتمون أشواقهم مهما يكلفهم الأمر ، إذا ظنوا ان الجهر بها ضارّ . لأنهُ مع ان محبتنا شعراً كهذا ، وقد نمت فينا تحت ظل نظمنا المحترمة ، تجعلنا نرغب رغبة قلبية فى أن يكون جميلاً وصادقاً — فما دام عاجزاً عن حسن الدفاع وجب أن نقي أنفسنا ، حين سمعه ، بترديد الأدلة التى بسطناها كأنها رقية ساحر . ونسهر على أنفسنا لئلا نقع ثانية فى غرام صبياني عرف الأكثرون ما هو . وعلى كلّ قد تعلمنا انه يجب أن نتبع الشعر الذى نعتقد ان فى اقتباسهِ اقتباس الحقيقة والصلاح . وعلى الضد من ذلك ، ان السامع الذي عرف الخطر المحدق بالنظام فى داخله هو ملزم بالدفاع ضده ، واقتناء الرأي الذى أوضحناه فى الموضوع

أهمية الخير والفضيلة

غ : — أوافقك كل الموافقة

س : — حقاً يا صديقي غلوكون انهُ على الاختيار بين كون المرء صالحاً وبين كونه شريراً يتوقف أمر خطير — نعم هو أكثر خطورة مما يخيّل إلى الناس . لذا كان من الخطأ عدم الاكتراث للعدالة وسائر الفضائل بحكم الهياج ، أو الفخر ، أو الثروة ، أو القوة ، أو الشعر حتّى . غ : — أوافقك فى ختام بحثنا . وأظن ان كل أحد يوافقك

أعظم جزاء الفضيلة اخروي

س : — ولكنا لم نبحث بعد فى جزاء الفضيلة الرئيسيّ ، وأعظم الجوائز المعينة لها

غ : — إذا كانت أعظم مما ذكر فيجب أن تكون عظيمة فوق العادة

س : — وكيف يمكن أن ينحصر العظيم فى شقّة ضيقة النطاق من الزمن ؟ . فالفترة من المهد الى اللحد بُرَيهة إذا قيست بالأبدية غ : — بل قل انها لا شيء

لا عظيم غير ابدي

س : — فماذا إذاً ؟ أتظنّ ان من واجب الخالد أن يزعج نفسه بهذه الفترة الحقيرة دون الأبدية ؟ غ : — بل أري أن يكترث للأبدية . ولكن ماذا تعني بذلك ؟

س : — ألا تدرى ان نفسنا خالدة لا تموت ؟

فنظر غلوكون إليّ دهشاً وقال

غ : — حقاً انى لم أدرك ذلك . أفتستطيع « انت » اثبات هذا التعليم ؟

س : — نعم وشرفي ، أظن انك انت أيضاً تستطيعهُ ، فانهُ أمر سهل

غ : — ليس عليّ . وفى الوقت نفسه أحب أن أسمع منك ما هو بيانك فى سهولته ؟

س : — فتكرّم عليّ بالسمع غ : — فتفضّل من كل بد بالقول

الشر والخير

س : — أتدعو شيئاً ما خيراً ، وشيئاً آخر شراً ؟ غ : — نعم أدعو

س : — وهل عندنا للفظين مدلولهما الثابت ؟ غ : — وأى مدلول تعني ؟

س : — اذهب إلى ان الشر هو مايفسد كل شيء ويدمّره ، والخير هو ما يفيد ويصون

غ : — وهذا مذهبي

٦٠٩

شر كل شيء مادى

س : — وأيضًا لعل عندك لكل شيء خيره وشره ؟ مثلاً : أتقول ان العيون معرّضة للرمد، والجسد للمرض، والذرة للتعفن، والخشب للتسوس، والحديد والنحاس للصدإ، وبعبارة أخرى، لكل شيء آفة وداء ؟ غ : — هكذا أقول

س : — فاذا حلّ أحد هذه الأدواء، باحدى هذه المواد، أفلا يفسدها أخيراً، ويحل تركيبها ويلاشيها ؟ غ : — الأمر كذلك دون شك

الخالد

س : — فكل شيء يفسده ضده من آفة وشر. وإلاّ، إذا لم يفسده ذلك فلا شيء آخر يفسده. لأن الخير لا يفسد شيئًا. وكذلك ما ليس خيراً ولا شرًّا

غ : — مؤكد انهما لا يفسدان

س : — فاذا أمكننا أن نجد شيئًا معرّضًا لداء خاص، لكن داءه يعطله تعطيلاً دون أن يلاشيه، أفلا نعلم ان الشيء المكوّن هكذا لا يفنى ؟ غ : — انها نتيجة معقولة

س : — أفليست النفس معرضة لداء يجعلها شريرة ؟

غ : — مؤكّد، فان كل ما ذكرناه، من التعدى والفجور والجبانة والجهل، يحدث تلك النتيجة ؟

أدواء الاشياء ونتائجها

س : — وإذا ذاك، أفيحل شيء من هذه النفس ويفنيها ؟ ردّد المسألة فى فكرك، لئلاّ نضلّ ظانين انه حين يقبض على المتعدى الأحمق، متلبّسًا بجريته، فانه يهلك بشره الذى ارتكبه، وهو سفالة النفس. بل اعتبر الأمر هكذا، ان انحطاط الجسد بالمرض، يتلفه ويدمّره فيحوله إلى حالة لا يظل عندها جسداً. وهكذا كل ما ذكرناه الساعة من الأشياء التى تنتابها شرورها الخاصّة، التى هى معرضة لها، والتى تفسدها بالملاصقة أو بالحلول فيها، فتحوّلها إلى حالة يزول معها وجودها. أمصيب أنا أم لا ؟ غ : — مصيب

س : — فتقدّم لفحص النفس بحسب هذا الأسلوب. أفصحيح انه باقامة التعدى وسائر الرذائل فى النفس، تفسد وتذبل، بملاصقتها إياها أو سكنها فيها، حتى تؤدى بها الى الموت والانفصال عن الجسد ؟ غ : — مؤكد انها لا تحدث هذا التأثير

س : — ومن الناحية الأخرى أنقول ان الشيء يتلف بانحطاط غيره مع انه لا يتلف بانحطاطه ؟ غ : — ذلك القول من اللغو

٦١٠

العلة تفسد وسطها الخاص

س : — نعم ياغلوكون يجب أن تتذكر اننا لا نتصوّر ان الجسد يهلك بفساد الأطعمة، تعفنًا كان ذلك الفساد أو عطنًا، أو أى شيء آخر. ولكن اذا أوجد ذلك الفساد علة فى الجسد فحينذاك نقول ان الجسد هلك بعلته التى سببتها الأطعمة. ولكننا لا نقبل القول ان الجسد تلف بفساد الطعام، لأن الطعام شيء آخر مستقل عنه — أي الفكرة ان الجسد يفسد بشر أجنبي عنه دون أن يحدث ذلك الشر علة جسدية، غير ممكن

غ : — بالصواب نطقت

س : — وعليه ، فما لم يولد فساد الجسد علة فى النفس لا نقبل القول ان النفس تهلك بداء أجنبي عنها ، لأن ذلك يعنى هلاك شيء بفساد غيره

غ : — يظهر ان ذلك معقول

ادواء الجسد لا تفسد النفس

س : — فاما أن ننبذ ذلك البحث ، أو ، إذا لم ننبذه ، لا نقل أبداً أن النفس تهلك بحمَّى محرقة ، أو بأى مرض آخر ، حتى ولو كان ذبح الجسد أو تمزيقه ارباً ارباً . الاَّ إذا أثبت أحد أن تلك الآلام تفسد جوهر النفس ، فتجعلها غير عادلة . على انَّا ما دام الشيء سليماً من دائه الخاص ، وقد فشا داء أجنبي عنهُ فى غيره من الأجسام ، فلا نسمح بالقول ان هذا الشيء يهلك بفساد غيره ، جسداً كان ذلك الشيء أو نفساً

غ : — لا أحد يقول ان النفس تصير غير عادلة بموت جسد كانت تحله

س : — فاذا ضادَّ الحجة أحد ، وادَّعى أن النفس تصير بموت الجسد أكثر انحطاطاً وتعدياً — لكى يتملَّص من التسليم بخلود النفس ، فأرى انَّا نستنتج انه ، إذا كان الخصم مصيباً ، ان التعدى مميت كمرض يقتل من يصيبه . وان الذين يصابون بهذا الداء الخطر هالكون لا محالة عاجلاً أو آجلاً ، باعتبار مقدار قوة الصدمة ، عوض الاشتغال ، كما نحن فاعلون الآن ، بأمر اعدام المتعدى بسبب شره ، بأيدى أناس أنيط بهم انفاذ حكم الاعدام فيه

غ : — فلا يحسب التعدى إذاً شيئاً مخيفاً ، إذا كان يقتل صاحبه . لانهُ فى تلك الحالة يريحهُ من شروره . على انى أرى أمره بالضد من ذلك فانهُ يهلك الآخرين إذا أمكن ، ويمده صاحبهُ بحيوية خاصة ، مصحوبة بأرق دائم . ويظهر انه بعيد بعداً قصيًّا ثابتًا عن اهلاك صاحبه

س : — أحسنت ، فاذا لم تهلك النفس أو تخرب ، بانحطاطها أو شرها الخاص بها ، ندر أن تخرب بشرٍّ آخر ، يقتل نفساً ، أو شيئاً آخر خارج عن حدوده الخاصَّة

غ : — نعم يندر ، فالاستنتاج طبيعىٌّ

س : — فلما كانت النفس لا يخزّيها شرٌّ على الاطلاق ، أجنبيًّا كان ذلك الشر أو خاصًّا ، فواضح انها دائمة الوجود ، فهى إذاً خالدة غ : — انها خالدة

النفوس الخالدة لا تزيد ولا تنقص

س : — حسناً ، فلنحسب هذه المسألة مثبتة ، فتفهم بذلك أن النفوس تبقى على ما هى ، لأنها ، اذا لم يفنَ منها شيء فعددها لا ينقص ، وكذلك لا يزيد ، لأنهُ اذا زاد عدد ماهو خالد فالزيادة مستمدَّة مما هو غير خالد ، وبهذا الشكل تصير كل النفوس خالدة

غ : — حقيق

س : — والعقل لا يسلِّم بهذا الرأى ولذلك رفضهُ ، ومن الناحية الأخرى لسنا نتصوَّر أن النفس فى حالها الطبيعية الجوهرية ، وكما ترى فى ذاتها ، يمكن أن تمتلىء بكثرة التباين والاختلاف غ : — ماذا تعنى ؟

س : — لا يمكن أن يكون شيء خالداً ، إذا كان مركبًا من أجزاء عديدة ، وإذا لم تكن عناصر ذلك التركيب من أفضل نوع ، كما برهنا على ان ذلك شأن النفس

غ : — ربما لا يمكن

النفس في حالتها الحاضرة تشبه غلوكوس إلاه البحر

س : — فقد ثبت خلود النفس ، رغم كل شك ، وذلك بحجتنا الحالية ، وقد تضاف اليها أدلة أخرى : ولكن لكي نتمكن من فهم طبيعتها الحقيقية ، يلزم أن ننظر فيها ، ليس كما نظرنا الساعة ، أعني بعد أن فسدت بامتزاجها بالجسد وبشرور أخرى . بل يجب أن نتأمل فيها بمساعدة التعقل فتتجلي لنا طهارتها الكاملة . فنرى جمالها الفائق ، ونرى طبيعة العدالة والتعدي ، مع كل القضايا التي بحثنا فيها فتظهر لنا أتم ظهور . وقد قدمنا بيانًا حقيقيًا في النفس في مظهرها الحالي . غير أننا رأيناها كما يرى غلوكوس إله البحر ، الذي يتعذر تمييز طبيعته الأصلية بالعين . لأن أعضاء جسمه قد تهشمت أو تشوهت بتأثير الأمواج التي عطبتها كل معطب . فالتصقت به موادّ خارجية كالأصداف وعشب البحر والحجارة ، فصار أقرب شبهًا بالوحش منه بصورته الأصلية . فالنفس في الحالة التي نراها فيها قد هبطت إلى حالة تشبه حالته ، بسبب الشرور الكثيرة . فيجب حصر النظر في جزء خاص منها يا غلوكون

غ : — أي جزء تعني ؟

٦١٢

نقطة النفس المركزية حب الحكمة

س : — نحصر نظرنا في محبتها الحكمة ، ليمكننا أن نعرف بماذا تلوذ، وبماذا تود الاقتران باعتبار علاقتها المسكينة بما هو إلهي وخالد وأزلي ، وماذا يكون منها إذا لاذت بالالهيات ، ونجت من البحر الذي هي فيه الآن ، بالعامل السموي ، ونزع عنها ما التصق بها من الأصداف والمواد الترابية والحجرية ، التي تغذت النفس بها فكبرت ، بواسطة الولائم التي يدعونها سعيدة . وحينذاك نفهم حقيقة طبيعتها ، وهل هي واحدة ، أو أكثر ، أو انها غير ذلك ، وكيف . واذا لم أكن مخطئًا فقد استوفينا البحث في محبتها ، وفي ظاهراتها في الحياة الانسانية

غ : — لا شك في اننا قد استوفينا البحث

العدالة ارث النفس

س : — أو لم نأت على كل الموضوعات الثانوية في سياق البحث ؟ ومع اننا لم نذكر ما تمنحه العدالة من جزاء وشهوة ، كما تزعم ان هوميروس وهسيودوس قد فعلا ، أفلم نر أن العدالة هي في ذاتها ، أفضل جزاء للنفس في ذاتها ؟ وان النفس ملزمة بأن تفعل أفعالاً عادلة ، سواء أكان لها خاتم جيجس وخوذة هادز(١) أو لم يكن ؟

غ : — الأرجح اننا قد فعلنا ذلك بأكثر تأكيد

جزاء الفضائل

س : — أفنتقدم الآن يا غلوكون ، دون ما اساءة ، إلى البحث في أنواع المكافأة العظيمة الوافرة ، التي تربحها العدالة وشقيقاتها فضائل النفس الأخرى ، من الآلهة والناس ، في حالتي الانسان الحاضرة والأبدية ؟

غ : — ذلك ممكن بلا شك

(١) خوذة تخفي لابسها عن الانظار

س : — أفترد لى ما اقترضته منى فى سياق البحث ؟ غ : — وماذا اقترضت منك ؟

س : — قد سلمت معك بأنهُ تـكون للعادل شهرة متعدّ ، وللمتعدي شهرة عادل . لأنك ارتأيت ذلك ، مع ان اخفاء حقيقة الإنسان عن الآلهة والناس غير ممكن . فسلّمت معك بذلك جدلاً ، لأجل إقامة الدليل ، ولأجل المقابلة بين العـــدالة الخالصة والتعدى الصرف . ألا تتذكر ؟ غ : — مؤكد اني أتذكر ، والا كنت مخطئاً

الحقيقة لا تخفى

س : — فالآن وقد أبرم الحـكم فيهما فأنا ، بدَورى ، أطلب ، بالنيابة عن العدالة ، ردّ العارية . فنسلم للعـــدالة بقدرها الحقيق بين الآلهة والناس ، لتفوز بالجعالات الناجحة عن اشتهارها بالعدالة ، وهي تسبغها على مالـكها . فقد ثبت الآن ان هـــذه الهبات الحسان تنتج عن كون المرء عادلاً حقًّا ، دون خديعة للذين ينالونها غ : — طلبك حق

الالهة لا تجهل الحقيقة

س : — أفلا ترد لى أولاً هذا التسليم ؟ فنسلّم ان الآلهة ، على الأقل ، لا تغلط فى سجية العادل والمتعدى الحقيقية ؟ غ : — نسلّم بذلك

س : — وإذ الحال كذلك فأحدهما محبوب لدى الآلهة والآخر مبغض فى عينيها ، كما اتفقنا أولاً غ : — حق

٦١٣

كل الاشياء لخير الابرار

س : — أو لا تتفق فى ان كل الأشياء تعمل معًا للخير الذى تحبهُ الآلهة ، الاّ إذا جرّت عليه الآلام خطية سالفة ؟ غ : — ذلك أكيد

س : — فيلزم أن تقبل ذلك فى أمر الانسان العادل . فاذا أصابه مرض ، أو فقر ، أو أى مصاب أليم ، كانت عاقبة ذلك خيره ، إما فى هذه الحياة أو فى الآتية . لأنه لاشك فى ان الآلهة لا تنسى من جاهد جهاداً حسناً فى اعتناق البر والفضيـلة والتّمثل بالله على قدر ما أتيح للانسان بلوغه غ : — كلاّ ، ان إنساناً كهذا لا يهمله من تمثّل هو بهِ

س : — أوَ لا نسلم بنقيض ذلك فى أمر المتعدى ؟

غ : — مؤكد اننا نسلم

س : — فهذه هى الجعالات التى تسبغها الآلهة على الإنسان العادل

غ : — هكذا يظهر لى فى كل الأحوال

ميدان الالعاب الاولمبية

الرجوع

س : — فماذا يسبغ عليه الناس ؟ أليس الأمر كما يأتى ، إذا كنا نروم الحقيقة ؟ الا يعمل المتعدّون عمل رجال السباق ، فيركضون سراعًا من أول الميدان إلى نقطة الرجوع ، ومن ثمّ ترتخى عزيمتهم إلى الهدف ؟ فقد قفزوا سراعًا ، ولـكنهم انتهوا بكونهم اضحوكة ، وعادوا بالخزى ، ولم ينالوا الأكليل . أما المحاضرون (المسابقون) الحقيقيون فينالون الجعالة فى آخر الميدان و يكللون . أفليس هـــذا هو حال العادلين ؟ فانهم فى نهاية الأعمال ، وختام الحيـاة ، وانقطاع العلاقات الاجتماعية ، يربحون السمعة الحسنة ، ويحرزون الجعالات من أيدى مواطنيهم ؟ غ : — مؤكد انهم يفوزون

وعند التناهي يقصر المتطاول

س : — أفتسمح لي أن أقول فيهم ما قلته أنت في المعتدين ؟ فاني لا أتردد في القول ، ان العادلين ، متى تقدموا في السن ، تبوأوا المناصب ، في مدينتهم ، إذا شاءوا ، وتزوجوا من أرادوا ، وزوجوا بناتهم من يختارونهم لهن . وبالاختصار ، أقول في العادلين ما سبقت أنت فقلته في المتعدين . ومن الناحية الأخرى ، أرى ان الجانب الأكبر من المتعدين ، وان خفي أمرهم في شبابهم فلا بد من انكشافهم في آخر الميدان . وكلما تقدموا في السن أهانهم الغريب والقريب في شقائهم . ثم يجلدون بالسياط ، ويعذبون بآلات التعذيب ، وبالحديد المحمى بالنار ، ويذوقون صنوف العذاب التي دعوتها انت بربرية مخيفة . فتصور اني تلوت على سمعك كل هذه الأشياء . وانظر ، وأنا أتكلم ، هل تأذن لي أن أقول ذلك أو لا ؟

غ : — مؤكد اني آذن ، لأن بيانك حق

٦١٤

س : — هذه هي أنواع المكافأة والجعالة والهبة التي تسبغها الآلهة والناس على الانسان العادل ، في هذه الحياة ، علاوة على ما في امتلاك العدالة نفسها من الخير

غ : — نعم ، وهي عظيمة ويقينية

الجزاء الاخروى

س : — على انها كلا شيء ، إذا قيست بما ينتظر كلاً من العادل والمتعدى بعد الموت . ويجب أن نأتي على وصف ذلك لكي نحكم لكل منهما بتمام الجزاء الذى يجب أن تبينه المحاورة

غ : — واصل كلامك ، فانه يندر أن يسرني شيء آخر كهذا

قصة آر

س : — حسناً ، فسأخبرك قصة ، ليست كقصة اودسيوس لاوكينوس . بل هي رواية حدثت فعلاً لرجل شجاع ، هو (آر) بن ارمينيوس البمفلي ، الذى تقول القصة انه قُتل في إحدى المعارك . فلما رفعت الجثث عن الأرض في اليوم العاشر ، لاجراء مراسم الدفن ، وقد دب فيها الفساد ، كانت جثة (آر) لا تزال طرية . فحملوها إلى البيت ليدفنوها . وفي اليوم الثاني عشر وضعوها على دكة الجنازة ، فانتعشت ، وفتح الميت عينيه ، وجعل يقص على السامعين ما رآه في العالم الآخر . وقصته هي ما يأتي : لما برحت نفسه جسده ، رافقت كثيرات من أمثالها ، فانتهت إلى موضع سري ، فيه فجوتان في الأرض تقابلهما طاقتان في السماء . فجلس القضاة بين هاتين الفجوتين للحكم . وبعد ما أصدروا قرارهم

ساحة الدينونة

أمروا بارسال البار (العادل) في طريق السماء — الى اليمين — وألصقوا بجبهته رموز الحكم الذى أصدروه أما الظالمين (المتعدين) فأرسلوهم في الطريق المنحدرة — إلى اليسار ، ووراءهم بينات شرورهم . ولما بلغ آر ذلك الموضع قيل له انه سيحمل إلى البشر تقرير ما في العالم الآخر . وأمروه أن ينبه إلى كل ما هو جارٍ هناك فتطلع ، فرأى النفوس تنصرف في إحدى الفجوتين ، وفي الطاقة السموية التي تقابلها ، وذلك بعد صدور الحكم عليها ، وكانت قد أتت من الطاقة الثانية والفجوة التي تحتها . وكانت النفوس ترد إلى ميدان القضاء اما بالنواح والرماد ، إذا كانت قادمة من تحت الأرض ، أو بالسرور والبهاء إذا كانت قادمة

من السماء . وكانت كل نفس ، حال وصولها ، تتلبس بمظاهر السياحة ، وتسير مسرورة إلى المرج ، وتمكث هناك كما يعمل الناس فى الحفلات ، فيتبادل المعارف التحيات.وكان القادمون من السماء يُسألون عما فى السماء ، والقادمون من الأرض يسألهم السماويون عما هنالك فقص القادمون من الأرض حكاياتهم بالأنين والدموع ، لتذكرهم الحوادث المرعبة التى رأوها وعانوها فى سفرهم فى السرداب السفلى، الذى قضوا فى رحلته مدة الف عام ، على ما قالوا : أما القادمون من السماء فكانوا يصفون المسرات ومناظر الجمال المدهش ، وان شرح كل ما بلغنا من أخبارهم يشغل وقتاً طويلاً يا غلوكون ؛ ولكن إفادة « آر » فيما يلى تتناول النقاط الرئيسية ، قال : —

٦١٥

عوقبت كل نفس فى دورها عما جنت ، أو أساءت إلى الآخرين عشرة أضعاف . وكانت العقوبات تتكرر فى كل قرن.لأن طول الحياة الانسانية حسب عندهم قرناً كاملاً من السنين. فكان المقصد من ذلك الاستيفاء عن الذنوب التى اقترفوها عشرة أضعاف . وعليه فكل من كان مجرماً باغتيال أحد ، أو خيانة مدينة واستعبادها ، أو خيانة جيش ، أو اشتراك فى شر آخر ، عوقب عشرة أضعاف عما فعل . ومن الناحية الأخرى ، الذين فعلوا الصالحات ، وكانوا بررة أطهاراً نالوا جزاءهم على القياس نفسه . أما الذين ماتوا أطفالاً فقلما روى عنهم شيئاً يستحق الذكر . ولكن قصاص عصيان الوالدين ، وعدم التقوى ، واغتيال الأقارب ، كان حسب روايته ، صارماً فوق الحد . وكان جزاء التقوى والطاعة عظيماً جداً . لأنه كان على مسمع لما سألت إحدى الأرواح رفيقتها : « أين أردياوس العظيم ؟ ».وكان « اردياوس » هذا ملكاً فى مدينة بمفيلية قبل ذلك الحين بمدة الف سنة . وروي عنه انه أعدم والده الشيخ وأخاه الأكبر ، عدا كثيراً من الشرور التى اقترفها . فأجابت النفس المسؤولة قائلة: — «لم يأت اردياوس ، والأرجح انه لن يأتى . لأن ذلك كان ، كما يجب أن تعرف، من أشد المشاهد رعبة . فلما دنونا من البراح ، وكنا على وشك الصعود ، بعدما تحملنا كل آلامنا ، رأينا أردياوس بغتة امامنا،صحبة أقوام أظن ان أكثرهم من الطغاة.وكان هنالك أفراد قلائل ممتازين بالتوغل فى موبقات الآثام . فلما ظن اولئك ان نوبتهم حانت للصعود ، ردتهم الفجوة ، التى كانت تصرخ على الخطاة الذين لم يستوفوا عقابهم ، إذا هم حاولوا الصعود ، صرخة فهمها أقوام أشداء جهنميون فى صورة البشر كانوا هنالك . فقبضوا على متون أولئك الخطاة وأقصوهم . أما اردياوس ورفقاؤه فغلوهم بالأصفاد يداً ورجلاً وعنقاً ، وطرحوهم على الأرض وسلخوهم بالمقارع ، ودحرجوهم الى جانب الطريق ، فنشروا هنالك نشر الصوف على العوسج . وكانوا يقصون على المارة سبب هذه الآلام ، وان هؤلاء معدون للانحدار الى جهنم النار

الجزاء كالعقاب عشرة أضعاف

٦١٦

وقد اجتزنا بمخاوف ومروّعات منوعة ، على ان لا روع يعدل ما شعرنا به لما دنونا من الفجوة . مخافة أن تصرخ علينا فيصيبنا ما أصاب اردياوس ورفاقه . ولما لم تصرخ كان سرورنا عظيماً فى اجتيازها الى فوق

جزاء الابرار

هذا يعطينا صورة الذنوب والعذابات . أما الجزاء فكان على الضد من ذلك تماماً . فانهُ بعد وصول الأرواح (الصالحة) إلى المرج ، بسبعة أيام ، أمرت بإخلائه . وفى اليوم الثامن سارت مسيرة ثلاثة أيام . وفى اليوم الرابع بلغت مكاناً أطلّت منهُ على عمود النور العظيم الذى يخترق السموات والأرض . وهو أشبه الأشياء بقوس قزح ، إلاّ أنهُ أصفى وأبهى ، فوصلتهُ النفوس بعد مسيرة يوم آخر . ولما بلغت مركز النور رأت طرفيهِ مثبّتين فى السماء بسلاسل . فان ذلك النور ينطق الجو كما تمنطق الحبال السفينة . فيضم الكون الدوار بأجمعه

المجرة

وفى طرفى العمود مغزل « الضرورة » الذى به يتمّ الدوران فى كل الكون . قبضة المغزل وصنارته مصنوعان من الصلب . أما قرصه (إطاره) فمزيج من الصلب ومواد أخرى وهذا هو وصف الإطار . انهُ كالدائرة العادية شكلاً . ولكن وصف « آر » يمكننا من تصوُّرهِ فى شكل دائرة كبيرة مجوّفة ، وفى جوفها دائرة مثلها شكلاً . ولكنها أصغر منها حجماً ، وقد رُكّزت ضمنها بمهارة تامّة ، كالصناديق التى يوضع بعضها ضمن البعض الآخر . وفى الصورة نفسها دائرة ثالثة موضوعة فى الثانية ، ورابعة فى الثالثة ، وهكذا اربع دوائر أُخر . لأن الدوائر كلها ثمان ، الواحدة فى جوف الأخرى — وحاشية كل دائرة من الدوائر متراكزة وهي أعلى من حاشية الدائرة المحيطة بها . والدوائر كلها تؤلف معاً إطاراً كبيراً يحيط بقبض المغزل الذى ينفذ — يخترق — مركز الدوائر الثماني . وكان للدائرة الأولى الخارجية أعرض حاشية . وللسادسة ثانى حاشية عرضاً . تليها الرابعة ، فالثامنة ، فالسابعة ، فالخامسة ، فالثالثة ، والثانية أضيق الكل حاشية

السيارات حسب الرأى السابق البطليموسى

٦١٧

وكانت حواشى الدوائر الثمان تشعّ ألواناً منوّعة . فالسابعة أبهاها سطوعاً . والثامنة تستمد نورها مما انعكس من أنوار السابعة

الشمس

القمر

وكانت الدائرة الثانية والخامسة من قدر واحد ولكنها أضعف نوراً من البقية

المريخ

والثالثة أشدها صفرة وشحوباً . أما الرابعة فأميلها إلى الحمرة . والسادسة كالثالثة شحوباً.

وكان المغزل يدور بمجموعه دوراناً قياسيّاً . وفى اثناء دوران الكل ، كانت الدوائر السبع الداخلية تسير سيراً دورانيّاً بطيئاً ، فى عكس جهة الكل

فالثامنة أسرع الدوائر . تليها سرعة السابعة . فالسادسة ، فالخامسة . وهاتان تدوران معاً . وظهر ان الرابعة تدور بسرعة أبطأ قليلاً من هاتين . والثالثة رابعتها سرعة والثانية خامستها

لحن الوجود

وكان المغزل العظيم يدور على ركبتى « الضرورة » . وعند كل دائرة من دوائره الثمان إحدى عرائس الجن الفاتنات ، تصحب الدائرة فى كل دورانها ، وتخرج صوتاً واحداً طبق علامة موسيقية واحدة . فينتج عن أصوات العرائس الثمان لحنٌ موسيقيٌّ واحدٌ

وعلى بعد واحد حول هذه تجلس ثلاث شخصيات أخر ، كلٌّ على عرش ، هؤلاء هنّ بنات « الضرورة » الثلاث . وهن « القضاء والقدر » وأسماؤهنّ « لاخيسس » و « كاوثو » و « اتروبوس » وكنّ يرفلنَ بالثياب الناصعة البياض . وعلى رؤسهنّ الاكاليل . وهنّ يصدحن على لحن العرائس . فتغنى « لاخيسس » حوادث الماضى . « وكلوثو » حوادث الحاضر « واتروبوس » حوادث المستقبل ، وكانت كلوثو تلمس بيمناها حاشية الإطار الخارجية وتفتله من حين إلى حين . وتفتل اتروبوس بيسراها الدوائر الداخليّة كذلك ، اما لاخيسس فتلمس تارة الخارجية بيمناها وتارة الداخلية بيسراها . فلما وصلت النفوس إلى هناك ، دعيت إلى حضرة لاخيسس . فرتبها الترجمان بنظام خاص . ثم تناول عن حضن لاخيسس قدراً من سهام القرعة وطرائق الحياة . وتبوأ المنبر العالى ونطق بما نصه : « هكذا تقول العذراء لاخيسس ، ابنة الضرورة . أيتها النفس القصيرة الأجل ، انت بدء خلق جديد يبدأ دورته هنا . ووجوده زائل . لا تطرح حظوظكن عليكنّ لزاماً ، بل تخترنها انتنّ لأنفسكنّ . فمن أصاب السهم الأول يختار أولاً حظ الحياة ، الذى هو نصيبه الثابت . الفضيلة لا تُسَاء . فمن أكرمها أكثر نال منها أكثر . ومن ازدراها نال أقل . فالذى يختار هو المسئول . وليست السماء بملومة »

ولما قال ذلك نثر السهام على النفوس . فأخذت كل نفس السهم الذى وقع إلى جانبها . الاّ « آر » فانه منع من الاقتراع . وقرأ كل العدد الذى على سهمه . وحينذاك وضعت على الأرض أمامهم طرائق الحياة ، وهي أكثر من النفوس عدداً . وفيها كل نوع ، من حياة كل مخلوق حي أى كل نوع من أحوال الحياة الانسانية . بما فيه الحياة الملوكية ، بعضها دائمة وبعضها موقتة ، تليها الفاقة والنفي والتسوّل . وكان هنالك حياة مشاهير الرجال ، الذين ذاع صيتهم إما بجمال الشخصية وبهاء الطلعة ، أو بالقوة البدنية والمهارة بالألعاب ، أو بشرف المحتد ونبالة السلف . وكان هنالك أنواع حياة الرجال الذين لم يشتهروا بشيء . وكذلك أنواع حياة النساء من شهيرات . وغير شهيرات . ولكن لم يكن فيهنّ سجيّة ثابتة لأن تغيُّر السجيّة مقرون بتغيير الحياة فتغيّر النفس حتماً . على أن المواد كانت كثيرة التنوع — هنا تظهر الثروة ، والى جانبها الفاقة . هنا المرض ، وهنالك الصحة . وهنالك وسط بين الطرفين

٦١٨

هذه الدقيقة يا عزيزى غلوكون أشد مواقف الإنسان خطورة . ولهذا السبب وجب على كلٍّ منا ، فوق كل سبب ، أن يدرس باجتهاد ، دون كل شيء آخر ، علماً يمكنهُ من التحصيل والاكتشاف ، فيهذبهُ ويمكنهُ من التميز بين الحياة الصالحة والردية . فيختار بما له من الوسائل ، الحياة الفضلى فى كل مكان وزمان متقصيّاً ، بوافر التدقيق ، التأثير الذى للأشياء التى ذكرناها فى جمال الحياة الحقيقي ، فى الأفراد وفى الجماعات . ويفهمهُ ما يخلقهُ الجمال ، الممتزج بالثروة أو بالفاقة ، من خير أو شرّ . ويفهمهُ أيضاً كيف تتأثر

أشد مواقف الحياة خطورة

النتيجة بحالة النفس التي تدخل في ذلك المزيج . وما هي نتيجة مزج عناصر كهذه : شرف المحتد أو وضاعته ، الحياة الخاصة أو الجمهورية ، قوة الجسم أو ضعفهُ ، سرعة الفهم أو بطؤه ، وكل ما هو من هذا النوع سواء أكان مختصًّا بالنفس طبعًا أم أنها طلبتهُ عرضًا — ليتمكن بكل هذه المواد ، من تأليف الحكم وطرفنا غير ساه عن ملاحظة طبيعة النفس ، ليختار بين الحياة الصالحة والردية فيدعو الحياة التي تقوده إلى التوغل في التعدّي ردية ، والتي تؤول إلى زيادة العدالة صالحة ، معرضًا عن كل اعتبار آخر . لأننا رأينا أن هذا الاختيار هو الأصلح في الحياة وفي الموت . ويجب التشبث بهذا الرأي بإرادة قوية حين دخول العالم الآتي ، لئلا تبهرهُ الثروة أو ما ماثلها من الشرور في هذا العالم أو في العالم الآتي ولا يعوّل على الاغتصاب ، أو يعمل عملاً من هذا النوع ينتهي به إلى دماره أو دمار الآخرين دمارًا كليًّا ، فيزيد كربهُ . بل يحسن اختيار الحياة التي تلزم منهجًا متوسطًا بين هذه الأطراف ، متحاشيًا بكل قوّته الميل الى أحد الجانبين ، ليس في هذه الحياة فقط ، بل أيضًا في الحياة الآتية . لأنهُ بهذا التصرُّف يمكنهُ أن يؤكّد صيرورته أسعد إنسان

٦١٩

أهمية اختيار نوع الحياة

ولنستأنف موضوعنا : روى رسول العالم الآخر أن الترجمان قال في الموقف ذاته : — « ان هنالك حياة مذخورة غير ردية ، حتى لآخر قادم ، اذا لزم القانون وأحسن الاختيار ، فيكون راضيًا بها فلا يستهترنَّ من سبق ، ولا يقنطنّ من تأخّر » : ولما فاه بهذه الكلمات تقدّم صاحب السهم الأول ، واختار حياة أعظم استبداد ، يمكنهُ ادراكه ، حظًّا لهُ . ولجهله وطمعه لم يفحص الأمر فحصا تامًّا قبل أن يختار . ففاته انهُ « قضي » عليه بأن يلتهم ابنه . في جملة الشرور التي سيقترفها . فلما درس الأمر في وقت فراغه شرع يقرع صدره ، ويندب سوء حظه . واغفل انذار الترجمان ، فلم يلم نفسه على بليته ، بل لام « القضاء والقدر » ولام كل أحد آخر . وهو أحد القادمين من السماء ، وكان قد عاش في حياته السالفة بنظام حسن . فتطرّقت اليه الفضيلة بحكم العادة ، دون مساعدة الفلسفة . وكان أكثر من نصف المخدعين ، حسب رواية ، آر ، من القادمين من السماء . وذلك يتضح من أنهم لم يتدرّبوا على تحمل المشاق ، اما أكثر القادمين من الأرض فلم يختاروا بدون تبصُّر لأنهم خبروا النائبات بأنفسهم ، ورأوا فعلها في غيرهم . فبناء على ما سبق بيانه ، وبحكم القرعة ، تبادلت النفوس حظوظها صالحًا برديء ، أو رديئًا بصالح . ولو أن المرء واظب على درس الحكمة درسًا صحيحًا ، في دخوله معترك الحياة ، واصابتهُ القرعة للاختيار مع غير الأخيرين ، لكان من أرجح الممكنات ، بناء على الافادات الواردة إلينا من العالم الآخر ، أن يكون سعيدًا في هذه الأرض ، وأن يسير منهُ إلى العالم الآخر ، ويعود راجعًا من ذلك ، ليس في سرداب مظلم وعر ، بل في طريق سهل سوي . قال : ومن أغرب المشاهد منظر النفوس تختار نوع حياتها فانهُ مشهد غريب ، مضحك ممك . وكان رائدها في اختيارها إختيارها

موقف الفصل في المصير

سوء منقلب وخير منقلب

٦٢٠

السالف فى الحياة . فرأى أثر النفس التى كانت فيما سلف نفس اورفيوس تختار حياة اوزّة ، كراهية منها للجنس البشرى ، لأنها قد قتلت بسبب إحداهنّ ، فأبت أن تولد منهنّ ثانية. ورأى نفس ثاميراس تختار حياة بلبل . ورأى اوزّة تطلب تغيير طبيعتها وتختار حياة انسان. وقد قفّى على مثالها خلائق كثيرة من الطيور الغرّيدة . واختارت النفس التى سهمها نمرة ٢٠ حياة أسد : وهى نفس أجاكس بن تلامون ، الذى أبى أن يعود انسانًا ، ذاكرًا القضاء الصارم عليه بسبب أسلحة اخلّس . تلتها نفس اغممنون فاختارت حيـاة نسر ، لأن آلامه شرّبته بغض الجنس البشرى . ورأى نفس اغلاتنا فى عداد المختارين . ولما رأت الشرف الذى أحرزه لاعب الألعاب الرياضيّة لم يمكنها اغفال ذلك ، فاختارت تلك الحيـاة . بعدها رأى ابيوس بن بنوبيوس يطلب طبيعة امرأة حاذقة فى عملها . ورأى عن بعد نفس المهرّج ثرسيس تتقمّص جسد قرد بشرى . وبالصدفة رأى نفس أولسيس وهى آخر من اقترع : فلمّا تذكّرت متاعبها السالفة ، وأثقال وطأة المطامع على النفس وبعد التجوال مليًّا اختارت حياة رجل عادىّ ، لا عمل له . وبصعوبة كلية وجدت تلك الحيـاة منزوية جانبًا ، مهملة من الآخرين . فلما رأتها اختارتها مسرورة . وقالت انها لو كانت أول من اختار لما اختارت غيرها

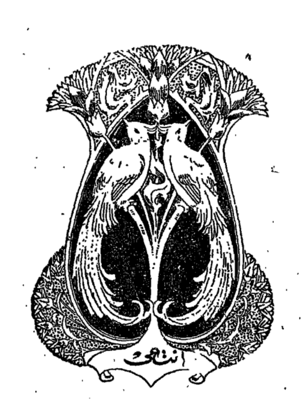
وعلى هذا النحو مضت نفوس الحيوانات إلى أجساد الناس ، وإلى أجساد غيرها من الخلائق ، ونفوس الناس إلى الحيوانات — فتقمّصت نفوس المتعدين حيوانات وحشيّة ، والعادلين حياة أليفة ، واختلطت النفوس بالأجساد اختلاط الحابل بالنابل

ولما اختارت النفوس حياتها ، حسب قرعها ، ذهبت بالترتيب إلى « لاخيسس » فمنحت كل نفس حظها ، واصحبتها به ليكون خفير حياتها ، ومتمم اختيارها ، فقادها الحظ نفسـه الى « كلوثو » فمرّت بين يديها ، تحت دوران مغزلها ، فصادقت على النصيب الذى اختارته كل نفس بالترتيب المذكور آنفًا . بعد ذلك قادها الى « اتروبوس » فأبرمت هذه حكم « كلوثو » ثمّ تقدّمت النفوس رأسًا إلى عرش « الضرورة » ومرّت من تحتـه . ولما مرّت كل النفوس مرّ « آر » أيضًا ، وسار الجميع إلى سهل « ليث » — النسيان — فى حرّ شديد ، والمحيط خال من الشجر ومن كل نبت

٦٢١

ولما جنّ الظلام حلوا وراء نهر « ماليت » — عدم الاكتراث — الذى لا تحمل مياهه سفينة على الاطلاق . وكان حتمًا على كل نفس أن تشرب من مائه قدرًا معيّنًا. فالذين فاتهم الفطنة فشربوا أكثر من القدر المتاح نسوا كل شىء . ولما ذهبوا للنوم فى منتصف الليل حدث رعد قاصف ، وزلزلة ، فحملت النفوس إلى مواليدها، فى مختلف الجهات ، كالنيازك فى عرض الفضاء وأدركت مولدها . وقد منع « آر » من رشف ماء النهر . ولـكنه يجهل كيف ، ومتى . وأين ، عادت نفسه الى جسده . انما بغتة فتح عينيه ، فاذا هو على دكة الجنازة

وهكـذا حُفظت القصة يا غلوكون ، فلم تُفقَد . وقد تكون وسيلة حفظنا ، اذا نحن أصغينا إلى إنذارها . فتفيدنا كيف نفوز بعبور نهر ليث ، ولا تتدنس نفوسنا . ولا ريب عندى فى اننا إذا تبعنا مشورتى ، فآمنا بخلود النفس ، وامتلاكها الحرية على فعل الخير والشر فاننا نظل فى طريق العلاء ، ونحرص حرصاً عظيماً على استغلال العدالة مقرونة بالحكمة . لكى نحب بعضنا بعضاً ، وتحبنا الآلهة . ليس فقط فى حياتنا الأرضية ، بل ، أيضاً حينما نتقدم ، — كالفائزين فى الألعاب الذين يجمعون هدايا المعجبين بهم — لنيل جزاء الفضيلة . فلا ننفك مفلحين فى هذه الحياة وفى سياحتنا فى الألف سنة التى أتينا على وصفها .




المطبعة العصرية